

## مبادئ التدريس في الكتاب والسنة دروس العقيدة نموذجاً

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصّص أصول الدين

إشراف الدكتور

محمد حاج عيسى

إعداد الطالب

محمد دهكو

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
الشيخ خليفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
محمد حاج عيسى	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفاً
عثمان بلخير	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضواً
خضر لكحل	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً
حبيب رزاق	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران 1	عضواً
يزيد حمزاوي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة البليدة 2	عضواً

السنة الجامعية

1441-1442هـ / 2020 - 2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران: 164].

قَالَ مُعَاوِيَةَ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِ الرَّسُولِ الْمُعَلِّمِ

ﷺ: (مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ) [رواه مسلم].

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين رحمهما الله تعالى

إلى جميع أفراد الأسرة

## الشكر

أَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ إِلَى د. المشرف محمد حاج عيسى  
وإلى كلِّ من أعان على إتمام هذا البحث، وأخصّ بالذكر  
أ.د. حسام عبد الملك العبدلي من العراق، أ.د. محمد زياد  
حمدان من الأردن، أ.د. على تعوينات، أ.د. خضير لكحل  
أ.د. محمد خلايفية، أ.د. عمر نقيب، ود. عبد الحميد عشوي

## المقدمة

الحمد لله نور السموات والأرض ومن فيهنّ، وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمّد المبعوث للناس معلّماً ميسراً، أمّا بعد، فإنّ من نتائج بعثة الرسول ﷺ المباركة أن افتتحت أعظم مدارس الدنيا، مدرسة النبوة، قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:151]، وقال الله جلّ جلاله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران:164]، وإنّ أعظم ما يشهد لفعاليّة العمليّة التدريسية وإنتاجها في هذه المدرسة هو جيل الصحابة رضي الله عنهم الفريد الذي خرّجه الرسول المعلم ﷺ، وقد شهد الله جلّ جلاله - وكفى بالله شهيداً - بخيريتهم فقال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآلِهِمْ خَيْرٌ لِّكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:18]، كما شهد له الرسول المعلم ﷺ بنفس الخيريّة عندما سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فقال: (قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ)<sup>(1)</sup>.

إنّ ذلك الجيل العظيم رضي الله عنه أخرج للناس إخراجاً ليكون دليلاً على واقعيّة النظم الإسلاميّة وصلاحيتها لكلّ زمان ومكان، وفي مقدّماتها النظام التربويّ التعليمي، إنهم - رضي الله عنهم - نموذج رائع لمخرجاتِ التدريس المرغوبة، وإنّ مثاليّة تلك المدرسة تظهر فيما جاءنا عنها من أهداف في غاية الوضوح والواقعيّة، وتبدو في محتوياتها التعليميّة المتّسقة مع تعاليم الإسلام، المجسّدة للأهداف المسطرّة، وتتجلّى تلك المثاليّة أيضاً في أداءاتها التدريسيّة، فالطرائق والأساليب والوسائل فيها تلائم الأهداف والمحتويات، وتناسب قدرات المتعلّمين، تحثهم على التفكير وتستثير فيهم دافعيّة التعلّم، أمّا التقويم التربويّ فيها فمرتبّط بالأهداف التربويّة، وهو عمليّة شاملة متعدّدة الأساليب، تراعي ما بين المتعلّمين من فروق وتعزّز سلوكياتهم الإيجابيّة، وأمّا المعلم فهو وارث الرسول الكريم ﷺ، لا غنى للمتعلّمين عنه، ولا تقوم للتدريس بعده قائمة، وهو رفيقٌ لِيّن الجانب، يدفعه رجاؤه إلى مزيد من البذل والعطاء، فللعمليّة التربويّة في مدرسة النبوة أصول تُبنى عليها ومبادئ تقوم عليها، تسمّيها

<sup>1</sup> صحيح البخاري 2452/6، 6282، صحيح مسلم 1963/4 ر 2533 .

التربية المعاصرة مبادئ التدريس، أي الأسس التي تقوم عليها العملية التعليمية التعلمية، فكل ما في أداءات مدرسة النبوة من محاسن متعددة ليست سوى أثراً لهذه القواعد، فبذل الجهد -إذن- في استنباط هذه المبادئ من القرآن الكريم والسنة النبوية من أكد الواجبات لتوقف نجاح النظام التعليمي عليها.

وإذا كان مقتضى العرف التربوي أن تُعرض مبادئ التدريس بلا تصنيف خاص، فإننا في هذه الدراسة نقدّمها مصنّفةً بحسب مكونات المنهج التعليمي الحديث، حيث نجد في الباب الأول المبادئ المتعلقة بالأهداف، فالتدريس فيها وسيلة لتحقيق غايات الإسلام، وهو شامل ومتوازن، والهدف فيه واقعيّ قابل للتحقيق، وواضح محدّد، أمّا المحتويات فزيادةً على شمولها وتوازنها وتجسيدها للأهداف المسطرة، فهي تسعى إلى تنمية التفكير ومهاراته، وتعتمد التكامل بين المواد الدراسية، وتجمع بين حسنيّ مسالك التعليم، أي الحفظ والفهم.

وأما الباب الثاني، فالفصل الأول فيه خاصٌّ بالمبادئ المتعلقة بالأداءات التدريسية، حيث تكشف مواقف القرآن والسنة التعليمية عن الأسس التي قامت عليها طرائق التدريس، مثل إثارها لتفكير المتعلم، وتعزيز التعلم بالممارسة العملية، ومراعاة قواعدها الأساسية، ونجد في أساليب التدريس القدوة والتكرار والثواب والعقاب، وفي الوسائل التعليمية نجد تيسيرها وترسيخها للتعلم، واعتماد العربية لغةً لتدريس العلوم، أمّا الفصل الثاني فتظهر القواعد المتعلقة بالتقويم التربوي، فهو شامل لجوانب الشخصية، مستمرٌ طول الحياة، وهو تفعيلٌ لإيجابية المتعلم واستثارةً لدافعيته لا عقاب له أو انتقام منه، هذا، وإنّ مدرّس العلوم ووارث الأنبياء في مدرسة النبوة أصوله وقواعده أيضاً، فقد كان الرسول المعلم ﷺ بالمتعلمين لئناً رقيقاً لا فظاً غليظ القلب، وكان ﷺ عظيم الرجاء والتوقع لصلاحهم ونجاحهم، يعرفهم معرفةً دقيقةً ويدرك ما بينهم من فروق فردية، ويثير دافعيّتهم ويعمل على تحقيق إيجابيتهم.

## الإطار العام للدراسة

### أسباب اختيار الموضوع

إنّ اختيار موضوع البحث نتيجة لتراكم عدّة عوامل عبر عقود من الزمن، كنّا نرى أنّها عائقٌ حقيقيٌّ يحول بين تدريس مادّة العلوم الإسلاميّة وبين تحقيق الغاية التي شرع لأجلها وهي تهيئة المتعلّم وإعداده للقيام بحقّ عبادة الله تعالى بمفهومها الإسلاميّ الشامل وإعمار الأرض وفق شريعته سبحانه، ويمكن إيجاز هذه الأسباب فيما يأتي:

أولاً: لقد كانت خبرة الباحث وتجربته الميدانيّة عاملاً رئيساً في الاهتمام بالموضوع، فهو أستاذ التعليم الثانويّ لمادّة العلوم الإسلاميّة لثلاثة عقود، ولطالما أحسّ أنّ تدريس المادّة قائمٌ على المزاجيّة والعواطف الدينيّة والاجتهادات الشخصيّة، إنّ أساتذة المادّة في التعليم الثانويّ لا يُعدّون في المدارس العليا للأساتذة لأنّها لا تستقبل الراغبين في الالتحاق بتخصّص العلوم الشرعيّة، أمّا تدريس المادّة في مرحلة التعليم الابتدائيّ والمتوسّط فيُسند إلى أساتذة اللغة العربيّة، ثمّ إنّ جرعة التقدير الذاتيّ الزائدة عند الكثير من أساتذة مادّة العلوم الإسلاميّة كان لها أسوأ الآثار على أداءهم التدريسيّة بسبب الاعتقاد أنّ التخصّص في العلم الشرعيّ أو التبحّر فيه يُغني صاحبه -بالضرورة- عن علوم التربيّة.

ثانياً: خلصت الدراسات الكثيرة إلى نتائج خطيرة بخصوص واقع تدريس العلوم الشرعيّة في مختلف مراحل ما قبل التعليم الجامعيّ في دول عربيّة وإسلاميّة عديدة، ومن تلك الدراسات على سبيل المثال في مجال تعليم التفكير وتنميّة مهاراته دراسة الغامديّ التي كشفت عن «ضعف امتلاك معلمي التربيّة لمهارات تنمية التفكير الابتكاري»<sup>(1)</sup>، أمّا أشرف بريخ فيذكر أنّ الانطباع الذي تشكّل لديه هو «المستوى المتواضع لاستخدام مهارات التفكير وتضمينها استراتيجيات تدريس مادة التربيّة الإسلاميّة»<sup>(2)</sup>، في حين أن دراسة الشنيقات أظهرت ضعف امتلاكهم «لمهارات التفكير الابداعي»<sup>(3)</sup>، وفي مجال الأداءات التدريسيّة تؤكد دراسة انتصار «أنّ التربيّة الإسلاميّة

<sup>1</sup> مدى ممارسة معلم التربيّة الإسلاميّة بالمرحلة الثانوية لمهارات تنمية التفكير الابتكاري، لفريد الغامدي، ص 310.

<sup>2</sup> مدى ممارسة معلمي التربيّة الإسلاميّة لأساليب التفكير الإبداعي لدى طلبة الصف التاسع بمدارس وكالة الغوث بمحافظات غزة لأشرف عمر بريخ، ص 99.

<sup>3</sup> البحث العلمي في التربيّة الإسلاميّة في الأردن: دراسة تحليلية بيليوغرافية لماجد الجلاّد ص 343.

كانت وماتزال تدرس بالطرائق التقليدية»<sup>(1)</sup>، وتقول السعدون: «إنّ الإمام بمادة التربية الإسلامية وحدها دون الاهتمام بطرائق تدريسها يشكل عقبة في تحقيق الطموحات التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها في شخصيات الطلبة»<sup>(2)</sup>، أمّا المعجل وميغا فيلفتان النظر إلى «تركيز معظم مواد التربية الإسلامية على تنمية مهارات الحفظ والاستظهار»<sup>(3)</sup>، وبالجملة، فإنّه «يبدو أن هذه الظاهرة تمتد بشكل واسع لتشمل أغلب الدول الإسلامية، وهذا ما أشار إليه الاستطلاع التمهيدي الذي أجرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية (isessco)، حيث حظي تأكيدهم على رفع الكفايات العلمية والمهنية لمدرسي التربية الإسلامية بالمرتبة الأولى»<sup>(4)</sup>.

**ثالثاً:** أنّ أغلب الدراسات التي سعت إلى معالجة هذه المشكلة تناولتها من زاوية واحدة، فقدّمت وصفةً جزئيةً، حيث اتّجّهت الجهودُ إلى عرض ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من طرائق وأساليب في التدريس، مثل القصة وضرب الأمثال والحوار والمناقشة والتدرّج والتكرار، بالإيجاز أحياناً وبالتفصيل أحياناً أخرى، مع أنّ البحث يجب أن يتّجه أولاً إلى القوانين الضابطة للعملية التعليمية التعلمية، وذلك بسبب تعدّد العوامل التي تتسبّب في تعقيد عملية التدريس وفي مقدّمتها على الإطلاق طرفاها، المعلم والمتعلم، وما هما عليه من تحوّل وتقلّب بحكم إنسانيتهما، ولعلّ هذا هو سرّ اعتناء القرآن والسنة الشديد بالعلاقات الإنسانية في مواقفهما التدريسية.

**رابعاً:** الانبهار الكبير بما قطعته التربية المعاصرة من أشواط -بالفعل- كبيرة في مجال التدريس، فأعناق مجتمعاتنا المدرسية مشرّبةٌ صوب ما تعلن عنه من نظريات ومبادئ واستراتيجيات، حتى لكأنّنا لا حظّ لأولنا ولا لآخرنا في ذلك، وإنّ التاريخ ليسجّل بكلّ فخر واعتزاز للمدرسة المحمدية الفريدة تخريجها لأعظم جيل عبّد الله تعالى حقّ عبادته، وعمر الأرض حقّ عمارتها، حتّى نزلت فيه الآيات وجاءت فيه الأحاديث تُبقي على ذكره بالثناء والترضي في الناس إلى يوم الدين.

---

<sup>1</sup> أثر طريقة المناقشة الجماعية في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة التربية الإسلامية لانتصار زين العابدين شهباز، ص 769-771.

<sup>2</sup> مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها لعادلة السعدون، ص 3.

<sup>3</sup> مشكلات تدريس التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة بالمدارس العربية الإسلامية في مالي من وجهة نظر المعلمين لطلال المعجل وإبراهيم ميغا، ص 82.

<sup>4</sup> مباحث في طرائق تدريس العلوم الشرعية لحسام العبدلي، ص 10.



**خامساً:** اشتداد داعي الرغبة في التأصيل للمبادئ والأسس التي يقوم عليها التدريس، لأنّ ذلك يُؤلّد الشعور بالاعتزاز بنظام الإسلام التربويّ والنهوض وِفقه، ويصحّح مفاهيمنا التربويّة الأساسيّة وفي مقدّمها مفهومنا للغاية من التدريس نفسه، وللأهداف التربويّة عامّة، والمعلّم والمتعلّم والمنهج والأداءات التدريسيّة والتقويم التربويّ، فيزول ما يناقض التربيّة الإسلاميّة من مفاهيم تثير الحيرة والارتباك، وتحرّر عقولنا التربويّة المغلوبة من التقليد والتبعيّة والانصهار في الغالب.

**سادساً:** للمنهج الخفيّ دور كبير في حماستنا لهذا الموضوع، وهو منهج غير رسميّ ينافس المناهج الرسميّة بالتأثير في سلوكات المتعلّمين، وينميّ قيماً واتّجاهاتٍ أخرى، ومن صورته الإفراط في ترسيخ مكانة ومرتبة المعلّم والشيخ في ذهن المتعلّم فتتلاشى شخصيّته وتندرس إيجابيّته، ومن صورته الأساليب التقليديّة التي يُدرّس بها المتعلّمون وما تتركه من تأثير على أسلوب تفكيرهم وقدرتهم على اتّخاذ القرارات المناسبة في مواقفهم الحياتيّة المختلفة، وإذا كان تعدّد التحاق طلبة العلوم الإسلاميّة بالمدارس العليا للأساتذة سبباً مباشراً في وجوده وحجم انتشاره، فإنّ آثاره السيئة تفوق كلّ تصوّر وتعبير، فقد ينقاد له أفطن المتعلّمين دون أن ينتبه إلى ذلك، فينقّذه دون نيّة فاسدة ولا قصد سيّء، وهذا ممّا يحتمّ البحث عن المبادئ التدريسيّة التي تضبط وتوجّه تصرّفات وممارسات المتعلّمين.

وبالجملة، فإنّ الباحث كثيراً ما ردّد مع عامّة أساتذة العلوم الإسلاميّة -بافتخار كبير- مقولة أنّ المادّة تُسهم بقوة في نجاح المترشّحين في امتحان بكالوريا التعليم الثانويّ بعلاماتها الجيدة في العموم، وأنّ الجهات الوصيّة قد أدركت أثر ذلك على نفسيّاتهم فقدّمت الامتحان فيها إلى اليوم الأوّل، وذلك دليل على تميّز تدريس هذه المادّة، والحقيقة أنّ ذلك ليس سوى بعض عواطفنا الجياشة، فرغم أنّ تحصيل تلك العلامات مستحسنٌ بالفعل، غير أنّ للمقرّرات الدراسيّة أهدافاً تعليميّةً تسعى إلى تجسيدها، وملامح المتعلّم المتوقّعة عند تخرّجه مسطرةً ومحدّدة في مناهج مادّة العلوم الإسلاميّة في سنواتها الثلاث، وليس بين ذلك أن يسعى المتعلّمون لجعل المادّة تُسهم في نجاح المتعلّمين بنتائجها.

لقد بات جليّاً لنا أنّ مثل هذا التدريس لمادّة العلوم الإسلاميّة يستحيل أن يحقق غايته الرئيسيّة وهي تخرج المتعلّم القائم بحقّ العبوديّة وتعمير الأرض وفق شريعة الإسلام، وأنّه لا سبيل لتهيئة وإعداد الإنسان العابد إلّا بالعودة إلى مدرسة النبيّ ﷺ، نبحث فيها عن أسباب وعوامل النجاحات التي حقّقناها، وفي مقدّمة ذلك أصول ومبادئ صناعة التدريس.

## مشكلة البحث

تحدّد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هي المبادئ التي يقوم عليها التدريس في دَرَسِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْعَقْدِيّ؟

والإجابة على هذا السؤال تقتضي الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:

السؤال الأول: ما مفهوم التدريس في القرآن والسنة؟

السؤال الثاني: ما مفهوم مبادئ التدريس في القرآن والسنة؟

السؤال الثالث: ما مبادئ التدريس المتعلقة بالأهداف التعليمية في القرآن والسنة؟

السؤال الرابع: ما مبادئ التدريس المتعلقة بالمحتويات الدراسية في القرآن والسنة؟

السؤال الخامس: ما مبادئ التدريس المتعلقة بالأداءات التدريسية في القرآن والسنة؟

السؤال السادس: ما مبادئ التدريس المتعلقة بالتقويم في القرآن والسنة؟

السؤال السابع: ما مبادئ التدريس المتعلقة بالمعلم في القرآن والسنة؟

## أهداف البحث

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أولاً- استنباط المبادئ التي قام عليها التدريس في مدرسة النبوة ليأخذها المعنون بالعملية

التربوية بعين الاعتبار، مثل فلاسفة التربية ولجان المناهج ومفتشي التربية والمعلمين.

ثانياً- الإسهام في بناء نظرية إسلامية للتدريس تكون مرجعاً للجهات المهتمة به.

ثالثاً- لفت نظر الدارسين عامة والمتخصّصين في التربية خاصّة إلى موضوع المبادئ التدريسية.

رابعاً- تقديم البديل الإسلامي لمشروع التعليم الغربي ليصبح مشروعنا محلّ افتخار لا موضع

ريبة.

## أهمية البحث

أولاً - يستمدّ هذا البحث أهميته من القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما المصدرين الذين

يُبحث فيهما عن مبادئ التدريس، فهما وحي الله سبحانه الذي أوحاه إلى الرسول المعلم ﷺ، وهما

الدليلان الرئيسان في التشريع الإسلامي، ويحظيان بقبول المسلمين.

ثانياً - ويستمدّ أهميته من موضوعه، فهذه المبادئ هي التي تجعل التدريس منتجاً وفعالاً،

وتجّيب المعلمين إقامة أنشطتهم على المزاجية والعشوائية.

ثالثاً - وتُستمدُّ أهميته كذلك من كون هذه المبادئ قد سبق تجريبها في مدرسة النبوة وخير القرون التي تلتها، فخرّجت أعظم الأجيال على الإطلاق، وهي صالحة لتنشئة أجيال أخرى.

رابعاً - تعتبر هذه الدراسة سنداً قوياً للجان المناهج والمعنيين ببرامج إعداد المعلمين، والأساتذة المكوّنين للمعلم، وإدارات المدارس العليا للأساتذة، والطلبة الأساتذة أنفسهم.

خامساً - سدّ الفراغ الرهيب - بحسب علم الباحث - في مجال مبادئ التعليم والتعلم والتدريس، فالباحث يتوقّع أن تكون الدراسة إضافة نوعيّة في المكتبة الإسلاميّة.

سادساً - لفت الانتباه إلى ما في القرآن والسنة من كنوز وحلول تربويّة، وضرورة العمل على استنباطها.

### منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفيّ التحليلي، أمّا الوصفيّ فلأنّه قائم على استقراء الموادّ العلميّة التي تُخدم الإشكالات والقضايا ويعرضها عرضاً إخبارياً، أي يصفها كماً وكيفاً بلا تعليل أو تفسير لطبيعتها<sup>(1)</sup>، وأمّا التحليليّ فلأنّه قائم على دراسة الإشكالات العلميّة، فيعرض القضايا العلميّة تفكيكاً، أي بتفسيرها وتعليلها وتحليلها، ويعرضها تقويماً، أي بنقدها وتصحيحها وترشيدها، ويعرضها تركيباً، وذلك بالاجتهاد والاستنتاج والاستنباط، والمقصود هنا الاستنباط الجزئي، أي المتعلّق بالقضايا الفرعيّة، مثل صياغة قاعدةٍ أو مبدأٍ علميٍّ أو وضع مصطلحٍ لمفهوم، وهو غير الاستنباط الكلّي، أي الاجتهاد المتكامل الشموليّ، الذي يتعلّق بمثل وضع النظريّات العلميّة<sup>(2)</sup>.

فأولى وظائف هذا المنهج في هذه الدراسة هي إعادة قراءة فهم المفسّرين وشرّاح الحديث للنصوص القرآنيّة والحديثيّة المتضمّنة للمواقف التدريسيّة التي يعتقد الباحث أنّها تحوي مبدأً تدريسيّاً أو أكثر، على أن يتمّ ذلك على سبيل التفسير والتحليل من خلال مصطلحات ومفاهيم ونظريّات أولئك الأعلام، وثاني وظائفه هي تقويم تلك الفهم لنصوص القرآن والسنة ببيان محلّ الصواب والخطأ فيها، بقصد الترشيد والنقد لا الهدم والنقض، أمّا ثالث وظائف هذا المنهج هنا فهي الاستنتاج، أي الاجتهاد في استنباط المبادئ التدريسيّة من خلال الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

<sup>1</sup> أبجديات البحث في العلوم الشرعية لفريد الأنصاري، ص 68.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 96-99.

## منهجية الدراسة

أ- عزو الآيات القرآنية إلى سورها في المتن قليلاً للحواشي، وبيان الآية ووضعها بين قوسين مميزين، مع اعتماد رواية حفص عن عاصم.

ب- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها المعتمدة ووضعها بين قوسين باتباع الخطوات الآتية:

1- إذا كان الحديث في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وقد أخرجته من غيرهما وأعتمده إذا كان فيه زيادة.

2- إذا كان الحديث في السنن الأربعة عزوته إليها كلها، وكذا إذا كان في بعضها، مراعيًا تقديم سنن أبي داود فالترمذي فالنسائي فابن ماجه، مع بيان درجة الحديث عند علماء الحديث.

3- إذا لم يكن الحديث في السنن الأربعة عزوته إلى باقي المصادر، مثل الموطأ ومسنده أحمد وصحيح ابن حبان.

4- تخريج الآثار بعزوها إلى مصادرها الأصلية وإضافتها إلى قائلها.

5- عند ورود ألفاظ غريبة أو مصطلحات فنية غير مشهورة أشرحها من مصادر ذلك الفن.  
د- تحديد المبادئ التدريسية من خلال الاعتماد على الدراسات النظرية والبحوث الميدانية والتجريبية، الإسلامية والعربية والأجنبية، القديمة والمعاصرة، ثم تصنيفها بتوزيعها على مكونات المنهج بمفهومه الحديث.

هـ- الشروع في البحث عن مبادئ التدريس في القرآن والسنة بتتبع المواقف التدريسية فيهما انطلاقاً من المبادئ المحددة المصنفة وبالرجوع في فهمها إلى كتب التفسير وشرح الحديث المعتمدة، القديمة والحديثة، وقد قرأ الباحث القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم، أما كتب الحديث الأخرى فقرأ جميع أبوابها المصنفة في العلم والتعليم والتعلم، ووظف خاصية البحث الإلكتروني في البرامج المختلفة في بقية الأبواب بصيغ محددة سلفاً آتت أكلها في أغلب الأحيان.

و- نذكر كل مبدأ من المبادئ المستنبطة في مطلب، الفرع الأول فيه لذلك المبدأ في القرآن الكريم، والفرع الثاني في السنة النبوية، وقد تعدد فروعه كما إذا اضطررنا إلى بعض الإضافات التي يقتضيها البيان.

ز- موضوع الدراسة الرئيس هو مبادئ التدريس في القرآن والسنة، وقد نتطرق إلى تناوله من زوايا أخرى مثل آثاره التربوية أو مدى توافره في الفكر التربوي الإسلامي.

ح- نفتتح مباحث الدراسة بمطالب نذكر فيها ما يتعلّق بمكونات المنهج في التربيّة المعاصرة بإيجاز ولا نتطرّق فيه إلّا لما يلزم لفهم مبادئ كلّ مبحث.

ط- عند اختلاف المصطلحات القرآنيّة والسنيّة عن مصطلحات التربيّة المعاصرة نستعمل الأولى لما لها من وقع وأثر.

ي- نذكر الاقتباسات بين مزدوجتين كما هي بدون أيّ تصرف، ونشير إلى ما نراه خطأ.

ك- عند ذكر معلومات المصادر والمراجع فإننا نبدأ بذكر عنوان الكتاب منسوباً لمؤلفه كما هو عليه الأمر في تراثنا، ولا نلتزم بالطريقة الغربيّة إلا مع المصادر الأجنبيّة، ثم نشير إلى الصفحة، أمّا بيانات الطباعة فنؤخّرها إلى فهرس المراجع، حيث نبدأ بمكان طبع الكتاب فاسم المطبعة التي طبعتها فرقم الطبعة ثمّ سنتها.

هذا ونشير إلى أنّ البحث عن المبادئ التدرسيّة في نصوص القرآن والسنة العقيدية ضرورةً إلحاحاً إليها تخصّصنا في أصول الدين، وإلّا فإنّ هذه المبادئ مثورة في جميع مواقف القرآن والسنة التعليميّة، سواء التي تناولت مادّة العقيدة أو غيرها من موادّ الشريعة، ومن ثمة فهي صالحة لأن تُبنى عليها العمليّة التعليميّة التعلّميّة في تدريس جميع العلوم بلا استثناء، الشرعيّة منها والكويتيّة، كما نشير إلى أنّنا قد نستشهد بنصوص قرآنية وحديثيّة في غير موضوع العقيدة.

### مصطلحات الدراسة

**مبادئ القرآن والسنة التدرسيّة:** يعرفها الباحث بأنّها «قواعد عامّة ملزمة، مستنبطة من القرآن والسنة، تنظّم العمليّة التدرسيّة وتوجّه أداء المعلّم لمساعدة المتعلّم على تحقيق الأهداف المرغوبة».

**التدريس:** انطلاقاً من أنّ المقصود بالتدريس في هذه الدراسة هو ما كان فعّالاً ومنتجاً دون غيره فإنّ الباحث يتبنّى تعريف كمال زيتون الذي يعرفه بأنّه «مجموعة من المناشط والإجراءات التي يقوم بها المعلم في البيئة المدرسية عن قصد بهدف الوصول إلى نتائج مرضية في مجال التدريس بدون إهدار في الوقت أو الطاقة»<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> التدريس نماذجه ومهاراته لكمال زيتون، ص 63.

**القرآن:** نتبى تعريف الأصوليين والفقهاء وأهل العربية للقرآن فهو عندهم: «كلام الله المنزل على نبيه "محمد" ﷺ المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة "الفاتحة" إلى آخر سورة "الناس"»<sup>(1)</sup>.

**السنة:** نتبى تعريف المحدثين للسنة فهي عندهم: «ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو حُلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها»<sup>(2)</sup>.

**الدرس العقدي في القرآن والسنة:** نقصد به عرض وتقرير القرآن الكريم والسنة النبوية للقضايا الاعتقادية.

**العقيدة:** نتبى هنا تعريف أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. قال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً»<sup>(3)</sup>.

**الفرق بين التربية والتعليم والتدريس:** نتبى في ذلك رأي إبراهيم المحيسن حيث ذكر أنّها «مفاهيم مترابطة متداخلة، فإذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، بمعنى إن ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، أما إذا ذكرت مجتمعة صار لكل منها معنى خاص به، فالتعليم يعنى المنظومة العامة للعملية التعليمية، والتربية تعنى الجانب السلوكي منها، بينما ينحصر مفهوم التدريس في الجانب التنفيذي من تلك العملية، فالتدريس نقل للمعرفة، أما التربية فهي نقل للمعرفة بالإضافة إلى تعديل سلوك المتعلم»<sup>(4)</sup>.

**الموقف التدريسي:** نتبى رأي شحاتة والنجار حيث يعرفانه بأنه: «خبرة مخططة ومنظمة في إطار أهداف معينة، وتحتوي على عديد من جوانب التعلم من معلومات ومفاهيم، وقيم واتجاهات ومهارات وسلوكات، والمعلم والمتعلم والمادة التعليمية والأنشطة وأساليب التقويم عناصر مكونة للموقف التدريسي»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه، ص 21.

<sup>2</sup> السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي، ص 47.

<sup>3</sup> التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، 238/9.

<sup>4</sup> تدريس العلوم تأصيل وتحديث لإبراهيم المحيسن، ص 37.

<sup>5</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص 307.

فالتدريس - في هذه الدراسة - هو التعليم، والعملية التدريسية هي العملية التربوية، وهي العملية التعليمية التعلمية، ومبادئ التدريس هي مبادئ التعليم، والمواقف التدريسية هي المواقف التعليمية، والعكس في جميع ذلك صحيح.

**الأداءات التدريسية:** نتبى رأي شحاتة والنجار حيث يعرفانه بأنه: «الترجمة الإجرائية لما يقوم به المعلم من أفعال أو استراتيجية في التدريس، أو في إدارته للفصل، أو مساهمته في الأنشطة المدرسية أو غيرها من الأعمال أو الأفعال، التي يمكن أن تسهم في تعلم الطلاب»<sup>(1)</sup>.

### الدراسات السابقة

#### أولاً- دراسة إحسان الأغا (1998):

**أ- عنوان الدراسة:** مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم في كتاب التربية الدينية للصف الأول الأساسي.

**ب- تساؤلات الدراسة:** أثار الباحث سؤالاً رئيساً عن مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم ثم مدى توافر هذه المبادئ في كتاب التربية الدينية للصف الأول الأساسي.

**ج- أهداف الدراسة:** هدف الباحث إلى تحديد مبادئ التعلم كما جاءت في كتاب الله تعالى، وتحديد فئاتها، والكشف عن مدى توافرها في كتاب التربية الدينية للصف الأول الأساسي.

**د- المنهج المستخدم:** استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل المحتوى.

**هـ- نتائج الدراسة:** دلّت نتائج دراسة الباحث على أنّ عدد المفاهيم التي تكرّرت هو 75 معلومة وأنّ مجموع التكرارات 315 تكراراً منها 77 تكراراً متقارباً في الوحدة الواحدة و 238 تكراراً متباعداً أي بين الوحدات المختلفة للكتاب، وقد ظهر مبدأ التدرّج في الكتاب 25 مرّة، ومبدأ الانتباه 275 مرّة، ومبدأ التخيل 39 مرّة، وظهر مبدأ المقابلة 116 مرّة.

**و- توصيات واقتراحات الدراسة:** أوصى الباحث بضرورة مراعاة مبادئ التعلم - كما جاءت في القرآن الكريم- في كتب التربية الإسلامية بالقدر والمكان المناسبين، واقترح تحليل بقیة كتب التربية الإسلامية، والعمل على استمرار دراسة القرآن الكريم لاستنباط مبادئ أخرى للتعلم.

#### ثانياً- دراسة نايف العطار (2004):

**أ- عنوان الدراسة:** مبادئ تعليمية للمدرسين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

<sup>1</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص 29.

ب- تساؤلات الدراسة: تحدّدت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس عن أهمّ المبادئ التعليمية في القرآن والسنة، وما تفرّج عنه من أسئلة عن ماهية هذه المبادئ فيهما، وأهميتها التربوية ودور المعلم في تحقيقها.

ج- أهداف الدراسة: هدف البحث إلى تحديد مبادئ تعليمية من القرآن والسنة وإبراز أهميتها ودور المعلم في تحقيقها من خلال العملية التعليمية التعلمية.

د- المنهج المستخدم: استخدم الباحث المنهج التحليلي المتأمل.

هـ- نتائج الدراسة: انتهى الباحث إلى أنّ القرآن الكريم والسنة النبوية غنيان بالمبادئ التربوية التعليمية التي تُسهّم في تيسير عملية التعليم، وأنّها تتفاعل وتتكامل مع بعضها لدرجة استحالة الفصل بينها بصورة كاملة.

و- توصيات واقتراحات الدراسة: يوصي الباحث معلّم التربية الإسلامية خاصّة أن يكون على وعي كامل بالمبادئ التعليمية في القرآن والسنة، وأن يهتمّ واضعو المناهج بها ويضعوها في الاعتبار عند صياغة المناهج، ويقترح على الباحثين عامّة والتربويين خاصّة الاهتمام بالدراسات المتّصلة بالقرآن والسنة في المجال التربوي، والعمل على استنباط المزيد من المبادئ التعليمية .

ثالثاً- دراسة عماد كنعان (2014):

أ- عنوان الدراسة: تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية.

ب- تساؤلات الدراسة: تحدّدت مشكلة الدراسة من خلال طرح سؤال حول مفهوم مبدأ التغذية الراجعة في ضوء المنظور التربوي والمنظور الإسلامي.

ج- أهداف الدراسة: هدف البحث إلى تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم كما جاءت في السنة النبوية.

د- المنهج المستخدم: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي عن طريق استخدام أداتي الاستقراء والاستنتاج.

هـ- نتائج الدراسة: خلص البحث إلى أنّ مبدأ التغذية الراجعة قد وُظف في السنة النبوية بأنماط متعدّدة.



و- توصيات واقتراحات الدراسة: أوصى الباحث بضرورة بناء منهج بحثي إسلامي للنهوض بالدراسات التأصيلية للتعريف بأهم مبادئ التعلم في السنة النبوية توثق ثراء وسبق الفكر التربوي الإسلامي في إرساء مبادئ وطرائق التعليم.

#### رابعاً- دراسة حسين الجلحوي (2015):

أ- عنوان الدراسة: المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد.

ب- تساؤلات الدراسة: لم نجد تساؤلات محددة وصريحة للباحث، غير أنه -بالنظر إلى أهداف الدراسة- فإن مشكلة البحث تتحدد في التعرف عن مبادئ وأساليب القرآن والسنة المستخدمة في التعليم والتعلم.

ج- أهداف الدراسة: هدف البحث إلى الكشف إلى المبادئ والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد.

د- المنهج المستخدم: استخدم الباحث المنهج الاستقرائي.

هـ- نتائج الدراسة: انتهى الباحث إلى أنّ القرآن الكريم والسنة النبوية قد سبقا النظريات التربوية الحديثة في التأكيد على المبادئ والأساليب المستنبطة وأهميتها في المواقف التعليمية.

و- توصيات واقتراحات الدراسة: يوصي الباحث بضرورة رجوع المعلم إلى مواقف القرآن والسنة ليستفيد منها في مختلف المواقف التدريسية لما لها من تأثير كبير في سلوكيات المتعلمين، ويقترح ضرورة مراعاة هذه المبادئ والأساليب في عمليتي التعليم والتعلم لتطويرها والارتقاء بها سعياً إلى بناء نظرية تربوية إسلامية.

#### التعقيب على الدراسات السابقة

##### أولاً- مضمون الدراسات

رغم اختلاف الدراسات في الاصطلاح على المبادئ المستنبطة، حيث سماها الأغا وكنعان "مبادئ التعلم" ودعاها العطار "المبادئ التعليمية" كما دعاها "المبادئ التعليمية التعلمية" وجاءت عند الجلحوي باسم "المبادئ التربوية"، رغم هذا الاختلاف فقد توجه الجميع بها إلى المعلمين، وهذا نتيجة حتمية تنتهي إليها مصطلحات العمليّات التربوية والتعليمية والتعلمية ومبادؤها عندما تغادر المجالات التنظيرية إلى الميادين العملية، فهي - في النهاية- تهدف إلى تيسير تعديل السلوك، أمّا ما استنبطناه في دراستنا فسميناها المبادئ التدريسية.

ورغم اشتراك الدراسات الأربع في البحث عن هذه المبادئ في القرآن والسنة أو في أحدهما، فإنّ الملاحظ هو قلة مصادر التفسير وشرح الحديث فيها، فالأغما لم يرجع إلا إلى تفسير الصابوني، وكنعان لم يرجع إلى شروح الحديث واكتفى بمصادر في السيرة النبوية، أمّا العطار فقد رجع إلى مصدرين في التفسير ومثلهما في شرح الحديث، وقد غابت المصادر فيهما عند الجلحوي الذي لم يرجع مرة واحدة إلى أيّ منها، كما أنّ قائمة المراجع في بحثه تخلو منها تماماً، ومعنى هذا أنّه اعتمد في استنباط المبادئ على فهمه الشخصي للآية والحديث، في حين تظهر مراجع علوم التربية بقوة في الدراسات الأربع.

وقد يكون لتخصّص الباحثين الأربعة في علوم التربية نسبة ما في تفسير ذلك، فالدراسات التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية يتنازعها منهجان، منهج البحث في القرآن والسنة ومنهج البحث في علوم التربية، وأنسب الحلول هنا إسناد هذه البحوث لتخصّص التربية الإسلامية لجمعه بين العلوم الشرعية والعلوم التربوية.

واشتركت دراستنا مع دراستي العطار والجلحوي في الرجوع إلى القرآن والسنة معاً في استنباط المبادئ، بخلاف دراسة الأغما التي اقتصر على القرآن ودراسة كنعان التي اقتصر على السنة. ولأنّ الاستنباط من النصّ الشرعيّ متوقّف على صحّة فهمه، فإنّ دراستنا هذه ملتزمة بالرجوع في ذلك إلى أكبر قدر ممّا أُلّف في تفسير القرآن وشرح الحديث.

### ثانياً- المنهج المستخدم في الدراسات

استخدم الأغما المنهج الوصفيّ التحليليّ القائم على تحليل المحتوى، واستخدم كنعان نفس المنهج مع توظيف أداتي الاستقراء والاستنتاج، واستخدم العطار المنهج التحليليّ المتأمل، أمّا الجلحوي فاستخدم المنهج الاستقرائيّ، والمناهج كلّها ملائمة لطبيعة الدراسات القرآنيّة والحديثيّة. وذكر كنعان لأداتي الاستقراء والاستنتاج إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي غير واضح، لأنّ الوصف استقراء وعرض، ولأنّ التحليل استنتاج واستنباط، ثمّ إن الاستقراء منهج قائم بذاته فتسميته أداة فيها نظر.

أمّا العطار فاقتصره على المنهج التحليليّ دون إشارة إلى الوصف أو الاستقراء فمستغرب، ذلك أنّ عمليّات المنهج التحليليّ الثلاث تتمثّل في التفكيك والتقويم والتركيب، أي التفسير والنقد والاستنباط، وليس فيه تتبّع أو وصف، ولو استخدم المنهج الاستقرائي التحليلي أو الوصفي التحليلي - كما هو شائع في الدراسات القرآنيّة مثلاً- لكان أوجه.

وعمليتنا التفسير والاستنباط ظاهران بقوة في نتائج الدراسات الثلاث، في المبادئ وتأصيلها ومقارنتها وذكر آثارها التربوية، غير أنّ الباحث يسجّل غياب عمليّة النقد للتراث الموصوف فيها. أمّا دراسة الجلحوي فيتعدّر تقويمها لعدم ذكره للمادّة العلميّة بسبب عدم رجوعه إلى التفسير وشروح الحديث.

وقد اشتركت هذه الدراسة مع دراسة الأغا وكنعان في المنهج الوصفيّ التحليلي، واشتركت جزئياً مع دراسة العطار في المنهج التحليلي. واتّجه الباحث إلى فهم المفسّرين وشرح الحديث، يستعين بها على استنباط المبادئ التدريسيّة من مواقف القرآن والسنة التعليميّة، وقد جاءت عمليّات التحليل الثلاث، التفسير والنقد والاستنباط، ظاهرة في جميع جوانب الدراسة.

### ثالثاً- طبيعة نتائج الدراسات

استنبط الأغا خمسة مبادئ تعلّميّة بالإضافة إلى فئاتها، واستنبط العطار أحد عشر مبدأً تعليمياً، واستنبط الجلحوي سبعة مبادئ تربويّة، وقد أوصى الأغا والعطار بمواصلة البحث لاستنتاج مبادئ أخرى، فما عرضته الدراسات هو نماذج للمبادئ في القرآن والسنة أو في أحدهما. ورغم أنّ استنباطات العطار -في رأينا- هي الأقرب إلى مبادئ التعليم كما هي في الأدب النظري، والأنسب بأن تركز عليها العمليّة التعليميّة التعلّميّة كما هي في الواقع، رغم ذلك، فإنّ بعض ما ساقه على أنّه مبادئ يصعب اعتباره كذلك، فأقبال المعلّم بوجهه على المتعلّمين، ووضوح الصوت والاعتدال فيه مثلاً، يستحيل اعتبارهما مبدأين، لأنّهما لا يرتقيان إلى درجة المبادئ وطبيعتها الكليّة، ولو اعتبرهما -مثلاً- فئتين في غيرهما من المبادئ لكان ذلك أوجه، وهذه المشكلة غير مطروحة عند الأغا لنظرته إلى المبادئ على أنّها أمر كليّ يحوي فئات وجزئيات، وقد استعنا بهذه النظرة في الخروج من معضلات بحثيّة ومنهجية.

واشتركت هذه الدراسة مع دراسة العطار في استنتاج تكامل المبادئ المستنبطة من القرآن والسنة مع بعضها، وأهمّ ما يميّز دراستنا أنّها شاملة لجميع مكوّنات المناهج التعليميّة الحديثة، الأهداف والمحتويات والأداءات التدريسيّة والتقويم، بالإضافة إلى ما يخصّ مدرّس العلوم. وبالجملة، فهذه الدراسات هي جميع ما وصلنا إليه من التي أفردت مبادئ العمليّة التربويّة في القرآن والسنة بالبحث، وقد استفدنا منها كثيراً على قلّتها، سواء من حيث الأدب والمعلومة، أو من حيث منهجية البحث.

الباب الأول: مبادئ التدريس المتعلقة بالأهداف والمحتويات في  
درس القرآن والسنة العقديّ

## الفصل الأول: مفهوم مبادئ التدريس في القرآن والسنة

إنّ من أهمّ عوامل تعقّد عمليّة التدريس مكوّناتها الإنسانيّة المتمثّلة في طرفيها المعلّم والمتعلّم، ومن هنا تظهر أهميّة قيام تلك العمليّة على أصول وأسس تضبطها وتوجّهها، وهذه الأسس هي مبادئ التدريس التي أكّدت الدراسات التربويّة الكثيرة أنّ المعلّمين الذين يلتزمون بها ينجحون في مهنتهم خلافاً للمعلّمين الذين لا يأخذونها بعين الاعتبار حيث يوصف عملهم بأنّه إهدار للمال والجهد والوقت.

وإنّ تتبّع ودراسة ما في القرآن الكريم والسنة النبويّة من المواقف التعليميّة المتنوعة ليدلّ دلالة واضحة على أنّها قائمة على مبادئ وقواعد محدّدة، وإنّ البحث في تلك المبادئ مرهونٌ أساساً بتحديد مفهوم التدريس في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ، ذلك أنّ محاولة استنباط تلك المبادئ من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة ستكون مستحيلة إذا لم تكتمل عمليّة تحديد أبعاد ومعالم وخصائص التدريس بدقّة وجلاء تامّين.

وإنّ البحث في مفهوم التدريس ومبادئه في الكتاب العزيز والحديث النبويّ ليفرض -من ناحية أخرى- النظر في جذورهما في اللغة العربيّة، كما أنّه لا مناصّ من الوقوف على حقيقة كلّ منهما في التربيّة المعاصرة، فلا بدّ من التطرّق إلى مفهوم التدريس لدى بعض التوجّهات والمنظورات التربويّة المختلفة، وعرض نماذج للمبادئ التدريسيّة في التربيّة المعاصرة.

## المبحث الأول: مفهوم التدريس

إنّ تحديد مفهوم التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية أمر في غاية الأهمية، وذلك لتوقف الكثير من القضايا على ذلك، فالتدريس - كمشروعٍ ومجالٍ معرفيٍّ من مجالات الكتاب والسنة - لا تظهر فائدته ولا تعمّ إلاّ بتبنيه بالفعل من طرف المعيّنين مباشرة، مثل الجهات الرسمية المشرفة على السياسات التعليمية، ومثل الأخصائيين والباحثين في علوم التربية، ومثل المهنيين كمفتشي التعليم والمعلمين وغيرهم من أعضاء المجتمع المدرسي، ولا ريب أنّ أول مقتضيات ذلك أن يكون مفهومه واضح المعالم والدلالات، كما أنّ تحديد علاقة التدريس بغيره من المفاهيم مثل التربية والتعليم والتعلم والتدريب مثلاً غير ممكنٍ دون ذلك، ولا ريب أنّ اكتمال وضوح مفهوم التدريس دليل على وضوح معالمة وأبعاده وخصائصه في الأذهان، ثمّ إنّّه يستحيل دراسة المبادئ التي يقوم عليها التدريس في القرآن والسنة دون ذلك.

ولتحقيق هذه الغاية لا بد من الوقوف طويلاً على جذور مفردة التدريس في اللغة العربية إذ القرآن الكريم بها نزل، والرسول ﷺ بها بلغ وعلم، على أن يُتبع ذلك بعرض مفهومه في التربية المعاصرة.

## المطلب الأول: مفهوم التدريس في اللغة

تسوق كتب اللغة معاني كثيرة للتدريس في أصله اللغوي، وستنطرق إلى بعض هذه المعاني مع التركيز على أقربها إلى معنى التدريس الاصطلاحي:

**أولاً: عَفَوَ الأشياءَ وذهب أثرها:** فالأشياء المدروسة هي الزائلة بعد أن وجدت، مثل المنزل يدرُس فيختفي وتذهب آثاره بعد عين، ومثل الثوب يدرُس فتذهب جدُّه وقوته، قال ابن فارس<sup>(1)</sup>: «(درس) الدال والراء والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خفاءٍ وخفضٍ وعَفَاءٍ. فالدرُس: الطَّرِيقُ الخَفِيّ. يقال دَرَسَ المنزِلُ: عفا. ومن الباب الدرِّيسُ: الثوب الخَلَقُ»<sup>(2)</sup>.

وقال ابن منظور<sup>(3)</sup>: « دَرَسَ الشيءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً: عَفَا. وَدَرَسَتِ الرِّيحُ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وَدَرَسَهُ الْقَوْمُ: عَفَوْا أَثَرَهُ... وَدَرَسَتِ الرِّيحُ تَدْرُسُهُ دَرَساً أَي مَحَتَهُ، وَمَنْ ذَلِكَ دَرَسَتْ الثَّوْبَ أَدْرُسُهُ دَرَساً، فَهُوَ مَدْرُوسٌ وَدَرِيسٌ، أَي أَحْلَقْتَهُ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلثَّوْبِ الخَلَقِ: دَرِيسٌ»<sup>(4)</sup>.  
إنَّ زوال وعَفَوَ الأشياءَ لدرجة انحاء آثارها نتيجة لما يقع عليها من أسباب ذلك باستمرار، فالمنزل لا يدرس إلا إذا تعاقبت عليه السنون بما تحمله من عوامل الإزالة من مطر وغيره، والحب لا يخرج من سنبله دون دوس شديد ودائم، والثوب الجديد لا يخلق دون استعمال متكرر.

**ثانياً: دَوَسَ الزرع لإخراج حبه:** قال ابن فارس: «وَدَرَسْتُ الخَطَّةَ وغيرها في سُنْبُلِهَا. إِذَا دُسْتُهَا. فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهَا جُعِلَتْ تَحْتَ الأَقْدَامِ، كَالطَّرِيقِ الَّذِي يُدْرَسُ وَمُحْتَشَى فِيهِ»<sup>(5)</sup>، والعلاقة

---

<sup>1</sup> هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أصله من قزوين، كان من أئمة أهل اللغة في وقته، محتجاً به في جميع الجهات غير منازع، قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما. من تصانيفه مقاييس اللغة والمجمل والصاحبي في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد، وجامع التأويل في تفسير القرآن، توفي في الري سنة 395هـ وإليها نسبته. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي، 127/1-131، والأعلام لخير الدين الزركلي، 193/1.

<sup>2</sup> مقاييس اللغة لابن فارس، 267/2.

<sup>3</sup> هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ولد بمصر وقيل: في طرابلس الغرب سنة 630هـ، الإمام اللغوي الحجة، ولي القضاء في طرابلس، سمع من ابن المقير ومرتضى بن حاتم وعبد الرحيم ابن الطفيل ويوسف ابن المخيلي وغيرهم، أشهر كتبه لسان العرب، ومختار الأغاني، ومختصر مفردات ابن البيطار وغيرها، توفي سنة 711 هـ، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، 262/4-263، والأعلام لخير الدين الزركلي، 108/7.

<sup>4</sup> لسان العرب لابن منظور، 79/6.

<sup>5</sup> مقاييس اللغة لابن فارس، 267/2.

واضحة تماماً بين خروج الحب من سنبله وبين ما تتعرض له السنابل من دوس شديد ومتكرر. **ثالثاً: الطريق الخفي:** والمقصود هنا اختفاء معالم الطريق<sup>(1)</sup>، وذلك بفعل هبوب الرياح أو سقوط المطر وغير ذلك، وهذا كذلك راجع إلى معنى زوال الأشياء وعفوّها، لأنّ الطريق السالك لا يخفى إلاّ إذا تكرر تعرّضه باستمرار إلى عوامل الإزالة بشدّة.

**رابعاً: تمهيد الفراش:** إنّ الفراش المدروس هو الذي يُوطأ، وذلك بتسويته وإزالة ما يظهر فيه من نتوءات تزعج من استخدامه<sup>(2)</sup>.

**خامساً: الشدّة والغلظة:** يشير الدرس أيضاً إلى ما في الإنسان والحيوان من غلظة وقوّة، فالدرّاوس والدرّواس: يدلّ على العظيم من الإبل والحيوان غليظ العنق وعظيم الرأس، والحيوان الشديد والكلب العقور والأسد الغليظ<sup>(3)</sup>، وذلك «كله من الأصل من حيث إن الصيغة فيها واو جعلتها تعبر عن المبالغة في الفاعلية أي القويّ الذي يقهر قوة الشيء ويذهب جدته»<sup>(4)</sup>.

**سادساً- مقارفة وارتكاب الذنوب:** فمعنى قولهم: دارس الذنوب أي قارفها<sup>(5)</sup>.

ومعنى الشدّة هنا قد يُلاحظ في المدروس أي الذنب يصعب ارتكابه لوازع ديني أو تقاليد اجتماعيّة، كما قد تُلاحظ في إصرار المذنب وعناده على ارتكاب ما ترفضه الشرائع والعادات.

**سابعاً: الترويض والتدريب والتذليل:** وهو أصل الدراسة والمدارسة، ودرس الناقة راضها ودرس الصعب حتّى ذلك، ودرس القرآن ذلّل لسانه به وطريق مدروس أي كثر المشي فيه حتّى ذلّل، وبغير لم يُدرّس أي لم يُركب<sup>(6)</sup>.

وفي معنى الترويض تظهر المعاندة بين شدّتين اثنتين متقابلتين، شدّة الدارس وإصراره على تذليل المدروس، مثل الإنسان المروّض للبعير، وشدّة المدروس الطبيعيّة مثل البعير الراض للتذليل، وما يُعرض على الأطفال من مشاهد لحيوانات متوحّشة بعد ترويضها وتدريبها كالأسود والذئبة

<sup>1</sup> تاج العروس للزبيدي، 66/16، والإبانة في اللغة العربية لسلمة الصحاري، 86/3.

<sup>2</sup> النهاية في غريب الحديث والأثر لمحمد بن الأثير، 113/2، والمعجم الوسيط، ومجمع اللغة العربية 279/1.

<sup>3</sup> تهذيب اللغة لمحمد الأزهرى، 360/12، والمحكم والمحيط الأعظم لعلي ابن سيده، 450/8.

<sup>4</sup> المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد جبل، 648/2.

<sup>5</sup> أساس البلاغة للزمخشري، 284/1.

<sup>6</sup> النهاية لابن الأثير، 113/2، والإبانة للصحاري، 86/3، لسان العرب لابن منظور، 80-79/6، و المعجم الوسيط،

مجمع اللغة العربية 280/1.



والنمور هو نتيجة لتغلّب شدة على شدة، ومعنى الترويض والتدريب والتذليل هو أقرب معاني  
الدرس اللغويّة إلى مفهوم التدريس الاصطلاحي.

**ثامناً: تذليل صعوبة حفظ الكتاب وفهم معانيه:** يقال درست الكتاب «أي: دَلَّته بِكَثْرَةِ  
القراءة حتّى حَفَّ حِفْظُهُ عَلَيَّ»<sup>(1)</sup>، ففي درس الكتاب معنى الذهاب بصعوبة غموضه وغرابته وغير  
ذلك من الشدائد التي أنشِيءَ عليها<sup>(2)</sup>، وهذا قريب من معنى الترويض.  
**تاسعاً: القراءة وتكرارها للحفظ:** يقال درس الكتاب درساً ودراسةً أقبل على الكتاب يقرأه  
ليحفظه ويفهمه<sup>(3)</sup>.

إنّ حفظ المقروء وفهمه لا يتحقّق بمجرد قراءة حروف الكتاب، وذلك لما في الأشياء المدروسة  
من قوّة أصليّة طبيعيّة، فيأتي عنصر التكرار الدالّ على بذل الجهد الشاقّ والمعاندة، وهذا المعنى  
ظاهر في مفهوم التدريس سواء في القرآن والسنة أو في التربيّة المعاصرة.

**عاشراً: قراءة الرجل على غيره للحفظ:** كمدارسة الرجل غيره الكتاب ليحفظه<sup>(4)</sup>.  
وتظهر في هذا المعنى قوّة الأشياء المدروسة الطبيعيّة وعنادها، إذ أنّها هي التي تضطرّ الدارس  
إلى الاستعانة بغيره للتمكّن من حفظ الكتاب المدروس.

**حادي عشر: الكتاب وموضع دراسته:** فالمدّراسُ والمدّرُسُ الموضع الذي يُدرس فيه القرآن  
وغيره<sup>(5)</sup>، وهو الذي يُسمّى اليوم مدرسة.

**ثاني عشر: الذي يدرّس الكتب ويعلمها غيره:** مثل مدّراس اليهود أي الذي يدرّسهم  
كتبهم<sup>(6)</sup>، ويُسمّى اليوم المدرّس والمعلّم.

**ثالث عشر: جعل الغير يدرس:** يقال درّسته وأدرّسته<sup>(7)</sup>.

وبتحليل ما سبق نستنتج الآتي:

---

<sup>1</sup> تهذيب اللغة لمحمد الأزهرى، 360/12.

<sup>2</sup> المعجم الاشتقاقي لمحمد جبل، ص 648.

<sup>3</sup> أساس البلاغة للزمخشري، 283/1، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية 279/1.

<sup>4</sup> كتاب العين للخليل الفراهيدي، 20/2.

<sup>5</sup> لسان العرب لابن منظور، 80/6.

<sup>6</sup> النهاية لابن الأثير، 113/2، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية 279/1.

<sup>7</sup> لسان العرب لابن منظور، 80/6.

أ- أن معنى الترويض الذي هو الأصل في جذر (درس) يبدو واضحاً في مفهوم التدريس الاصطلاحي<sup>(1)</sup>، فمساعدة المتعلم على تعديل سلوكه والانتقال به من حال إلى حال هو جوهر عملية التدريس.

ب- أن عنصر التكرار في عملية الدرس سببه القوة والشدة الطبيعية والفطرية الموجودة في الكائنات والأشياء المدروسة، فالرياح -مثلاً- لا تمحو الآثار إلا إذا تكرر هبوبها عليها، وتوئ الأَرْض لا يُدرس أي لا يوطأ ومُهد إلا إذا تكرر دوسه والمشى عليه.

ج- أن عاملي الشدة والتكرار أساسيان لانقياد المدروس، أي لذهاب قوته وصلابته الطبيعية المنتجة لمقاومته وعناده، كما في تذليل المركوب الراض للانقياد، وكذلك في العملية التربوية، فتعديل السلوك مرتبط ببذل الجهد الشاق المستمر، وهذا عين ما يشار إليه في التربية المعاصرة بتعقد عملية التدريس بسبب عناصرها الانسانية خاصة، إشارة إلى ما ينبغي بذله من جهود متواصلة فيها.

د- يشير معنى الشدة والغلظة إلى ما يجب أن يتحلى به الدارس من صبر وقوة ومعاندة، وذلك بمقتضى صلابة المدروس الطبيعية.

هـ- أن الدرس في العربية كما يدل على القراءة والحفظ والفهم أي التعلّم، فإنه يدل أيضاً على جعل الغير يقرأ ويحفظ ويفهم، أي التعليم.

و- أن التعاون على القراءة والحفظ والفهم نتيجة طبيعية بالنظر إلى شدة وعناد المدروس، فأصل التعاون في التربية المعاصرة -كاستراتيجية- ملحوظ بجلاء في معنى التدريس اللغوي، وفي الحديث (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ)<sup>(2)</sup>، فالندارس تفاعل يدل على تعاون الدارسين في إحداث التعلّم.

### المطلب الثاني: مفهوم التدريس في القرآن والسنة

#### الفرع الأول: مفهوم التدريس في القرآن

جاء ذكر جذر (درس) في القرآن الكريم بمختلف مشتقاته ستّ مرات في الآيات الآتية:

<sup>1</sup> ينظر ص 31.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، 4/2074، ر 2699.

أولاً- قال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:79].

ثانياً- قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:105].

ثالثاً- قال الله ﷻ: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:156].

رابعاً- قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سُبُحْرٌ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَمْ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف:169].

خامساً- قال الله سبحانه: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ:44].

سادساً- قال الله عز وجل: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم:37].

وقد جاءت التفاسير مُتَّفِقة على معاني (الدرس) في الآيات، سواء بالنظر إلى أصل معناها في العربية، أو بالنظر إلى خصائص التدريس كما ورد في سياقاته القرآنية والحديثية. ومن تلك المعاني:

أ- القراءة بتكرار ومداومة: فقله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ جاء خبر كان فيه فعلاً مضارعاً لإفادة الاستمرار التجديدي، وكذا تكرار ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ المؤذن باستقلال كلٍّ من استمرار التعليم واستمرار الدرس بالفضل وتحصيل الربانية<sup>(1)</sup>، والدرس في الآية القراءة بإعادة وتكرير<sup>(2)</sup>.

ب- القراءة لا تكون دراسةً إلا بالحفظ والفهم: فمادّة (درس) في اللغة تستلزم التمكّن من المفعول، لذلك صار درسُ الكتاب مجازاً في إتقانه وفهمه، ومنه فإنّ سرده بلا تأمل ليس دراسةً<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ، التحرير والتنوير لابن عاشور، 52/2.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 295/3.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 295/3، 181/أ8.

ج- القراءة على الغير: قال الزمخشري<sup>(1)</sup>: «وتدرسون، من التدرس. ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف: تدرسونه على الناس كقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾ [الاسراء:106]. فيكون معناها معنى تدرسون من التدريس»<sup>(2)</sup>، والباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ سببية، أي بسبب تعليم الغير ودرس الكتاب والسنة تكونون ربانيين<sup>(3)</sup>.

د- التعاون على الدراسة: كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:105]، ففي تفسير القرطبي<sup>(4)</sup> أنّ عليّاً وابن عباس وغيرهما قرأوا ﴿دَارَسْتَ﴾، قال ابن عباس: ﴿دَارَسْتَ﴾ أي تاليت، ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى إخباراً عن المشركين: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أي أعان اليهود الرسول ﷺ على القرآن وذاكروه فيه<sup>(5)</sup>، والمدارسة على صيغة المفاعلة التي تقتضي في الأغلب المشاركة من جانبين أو فريقين في أمر ما<sup>(6)</sup>.

### الفرع الثاني: مفهوم التدريس في السنة

سنتطرق هنا إلى معنى الدرس في السنة النبوية، وقد وردت بمعانٍ عديدة في أحاديث كثيرة. أولاً- قال الرسول ﷺ: (يُدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُدْرَسُ وَشَيْءُ التَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ. وَكَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا

<sup>1</sup> وهو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخش من قرى خوارزم سنة 467هـ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، أشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل وغيرها، كان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، توفي ليلة عرفة من سنة 538هـ. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي، 3/265-267، والأعلام للزركلي، 7/178.

<sup>2</sup> تفسير الكشاف للزمخشري، ص 179.

<sup>3</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي، ص 143.

<sup>4</sup> هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الأنصاري، القرطبي، صاحب التفسير، سمع من أبي العباس القرطبي وحدث عن أبي الحسن عليّ اليحصبي، وعن أبي علي الحسن البكري وغيرهما، من كتبه الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكرة في أمور الآخرة وغيرها، توفي بصعيد مصر سنة 671هـ. ينظر: المقفى الكبير لتقي الدين المقرئ، 5/147-148، والأعلام لخير الدين الزركلي، 5/322.

<sup>5</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 7/58.

<sup>6</sup> النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة لعباس حسن، 2/369.

اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُوهَا<sup>(1)</sup>، ولقد مضى أنّ درس الثوب هو خَلْفُه وبلاه، فتشبيهه درس الإسلام به بيان لالتحاء عقائده وشرائعه بين الناس<sup>(2)</sup>.

**ثانياً-** قال الرسول ﷺ (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ)<sup>(3)</sup>، فالندارس في الحديث هو تعاون الدارسين على قراءة القرآن الكريم حفظاً وفهماً، كقراءة الناس بعضهم على بعض تصحيحاً لألفاظ القرآن وفهماً لمعانيه<sup>(4)</sup>.

**ثالثاً-** قول ابن عباس رضي الله عنه إنّ جبريل عليه السلام كان يلقي النبي ﷺ في كل ليلة من رمضان فيُدَارِسُهُ القرآن<sup>(5)</sup>، «يحمل على أنّ كلاهما كان يعرض على الآخر»<sup>(6)</sup>.

**رابعاً-** حديث أبي هريرة رضي الله عنه في إخراج اليهود من جزيرة العرب وفيه: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ)، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمَدْرَسِ<sup>(7)</sup>، أي بيت الخبر الذي يدرّس كتبهم أو البيت الذي يدرسونها فيه<sup>(8)</sup>.

**خامساً-** حديث تحاكم اليهود إلى الرسول ﷺ، وفيه: (فَوَضَعَ مَدْرَسُهَا الَّذِي يُدْرِسُهَا مِنْهُمْ كَفَّهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَطَفِقَ يَفْرَأُ مَا دُونَ يَدِهِ، وَمَا وَرَاءَهَا وَلَا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ)<sup>(9)</sup>، فالمدراس العالم الذي يدرس التوراة، وهو هنا عبد الله بن سوريا وكان أعلم من بقي من الأخبار بالتوراة<sup>(10)</sup>،

فمادّة (درس) في السنّة تدلّ على المعاني الآتية:

**أ- عَفْوُ الْأَشْيَاء:** مثل الثوب يَدْرُسُ فتذهب جدته وقوّته.

**ب- مَوْضِعُ الدَّرَاسَةِ:** وهو ما يسمّى اليوم بالمدراس.

**ج- مَنْ يَدْرُسُ غَيْرَهُ:** وهو ما يعرف اليوم بالمعلّم والمدرّس.

<sup>1</sup> سنن ابن ماجه، 4049/5، 173/5 في باب (ذهاب القرآن والعلم) وضح المحقق إسناده.

<sup>2</sup> سنن ابن ماجه بشرح السندي، 4049/4، 348/4.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، 2074/4، 2699.

<sup>4</sup> مرقة المفاتيح للقاري 287/1.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، 1304/3، 3361، وصحيح مسلم، 1803/4، 2308.

<sup>6</sup> فتح الباري، 44/9.

<sup>7</sup> صحيح البخاري، 2547/6، 6545، واللفظ له، وصحيح مسلم، 1387/3، 1765.

<sup>8</sup> إرشاد الساري للقسطلاني، 84/4.

<sup>9</sup> صحيح البخاري، 1660/4، 4280.

<sup>10</sup> إرشاد الساري للقسطلاني، 106/10.

د- التعاون على القراءة: فالمدرسة مفاعلة تفيد الاشتراك في الدراسة.

ه- الحفظ والفهم: فتدارس القرآن الكريم معناه أن يقرأ البعض على البعض الآخر مع تصحيح ألفاظه وكشف معانيه.

وبتحليل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من مادة (درس) نستنتج الآتي:

1: أنّ التكرار والمداومة الملحوظين في معنى التدريس في الآيات والأحاديث يشيران إلى ما تتطلبه العملية التدريسية من الجهد الموزع والاستمرار والصبر فيه، بسبب ما يتميز به المدرس من شدة واستعصاء، وهذا ما يعرف في التربية المعاصرة بتعقّد عملية التدريس.

2: أنّ التدريس في الإسلام يقف موقفاً وسطاً بالجمع بين مسلكي الحفظ والفهم، فحفظ المقروء وفهم المحفوظ يشكّلان جناحي التحليق في سماء المعارف.

2: أنّ التعاون خاصية أصيلة من خصائص التدريس في الكتاب والسنة، وواضح أن الذي يستلزم ذلك التعاون هو ما تحمله مادة (درس) من معاني الشدة والغلظة لمن أراد تذليل المدرس، فالتعاون في القرآن والسنة يأتي لتذليل ما في التعلّم من صعوبة واستعصاء، وليس يخفي أهمية التعلّم التعاوني<sup>(1)</sup> في التربية المعاصرة.

4: أنّ عملية التدريس في القرآن والسنة تقوم على التسليم بدور كلّ من المعلم والمتعلم في العملية التدريسية، فالمعلم لا يُتصوّر الاستغناء عنه، والمتعلم طرف إيجابي وفاعل.

5: أنّ للتدريس في الإسلام مرجعيته الخاصة، وهذا المعنى مستفاد من عموم ما جاء في النصوص السابقة، فما من آية ذكرت فيها مادة (درس) إلاّ جاءت مقرونةً بلفظ (الكتاب) و(الكتب)، وذلك في سياق الكلام عن اهتداء البشر إلى الحقّ، مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم:37]، أمّا الآية الوحيدة التي لم يأت فيها ذلك وهي قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:105]. فقد جاءت في سياق الكلام عن تنزيل الله للقرآن الكريم، فالآية مسبوقة بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي بيّنات وحجج القرآن، ثمّ جاء بعدها قوله ﷻ: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ حيث أمر باتباع

<sup>1</sup> التعلّم التعاوني « موقف تعليمي يستخدم المجموعات الصغيرة لكي يعمل المتعلّمون معاً ليصلوا بتعلّمهم وتعلّم الآخرين إلى أقصى حد ممكن». معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص112.

القرآن والعمل به<sup>(1)</sup>، والمقصود أنّ ذكر الكتاب هنا إشارة إلى المرجعية الكبرى لكل ما يتعلّق بعملية التدريس والنظام التربويّ عامّة، خاصّة في مجال صياغة الأهداف التربويّة وما يجسّدها من محتويات دراسيّة، أمّا فيما يخصّ الآداءات التدريسيّة من طرائق وأساليب وغير ذلك فإننا نجد مواقف القرآن التعليميّة زاخرةً بذلك، كما أن هذا لا ينفي إمكان تطوير عمليّة التدريس بما يسهم في تحقيق أهدافها عبر الإفادة من تجارب الأمم الأخرى.

**6:** أنّ التدريس في القرآن الكرم والسنة النبويّة لا يأتي مبتوراً عن أعظم أهدافه أبداً، فغاية غايات التدريس في الإسلام هي تهيئة المتعلّم لتمكينه من تحقيق عبادة الله سبحانه وتعالى بمفهومها الإسلاميّ الشامل وعمارة الأرض وفق شريعته سبحانه<sup>(2)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، فالربانيّة التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسبّبة عن العلم والدراسة<sup>(3)</sup>، وقد «دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه»<sup>(4)</sup>.

### المطلب الثالث: مفهوم التدريس في التربية المعاصرة

#### الفرع الأوّل: تعريف التدريس

#### أولاً: التعريف الخاصّ للتدريس

والمقصود هنا تعريفه باعتبار الاتجاهات التربويّة المختلفة، فرغم شيوع التدريس قديماً وحديثاً فإنّ ذلك لم ييسر الاتفاق على تحديد معناه، بل إن حجم الاختلاف في ذلك لا ينفكّ يتّسع، ولذلك أسباب عديدة، منها تطوّر المستمرّ بتطوّر أهداف المجتمعات، ومنها تعقّد مفهوم التدريس لصعوبة تحليله إلى عناصره الأوليّة، ولتداخله مع مفاهيم أخرى مثل التربويّة والتعليم والتدريب، بالإضافة إلى استناد مختلف الاتجاهات التربويّة إلى تصوّرات فلسفيّة معيّنة، دون نسيان الإشارة إلى غياب نظريّة في التدريس متّفقة عليها<sup>(5)</sup>.

وهذه بعض المداخل التربوية في تحديد معنى التدريس:

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير، 312/3، و314/3.

<sup>2</sup> ينظر مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربية ص 109.

<sup>3</sup> تفسير النسفي، 268/1.

<sup>4</sup> تفسير الخازن، 263/1.

<sup>5</sup> التدريس رؤية في طبيعة المفهوم لحسن زيتون، ص 3-5، والمدخل إلى التدريس لسهيبة الفتلاوي، ص 14.

**المدخل الأول:** وفيه يُنظر إلى التدريس على أنه نقل للمعلومات، وهذا يمثل النظرة التقليدية للتدريس: حيث يُلقن المعلم المتعلمين المعرفة والمهارات، ودورهم هنا يُلخّص في الاستماع والإذعان له وتخزين ما يُنقل إليهم لاستظهارها فيما بعد، فمحور العملية التعليمية هنا هو المعلم، وهو المسيطر والمتسلط كما أنه بإمكانه معاقبة التلميذ بالتوبيخ والطرده والعقاب البدني من أجل فرض النظام. ويزر أصحاب هذا الاتجاه نظرهم للتدريس بأنّ الإنسان يولد بلا معرفة، فهو صفحة بيضاء نكتب فيها ما نريد من معلومات، في حين أنّ المعلم هو حامل المعرفة ينقلها عن طريق الإلقاء ويحرص على وصولها كاملة للمتعلّم الذي ليس بإمكانه التعلّم بغير معلّم، والتدريس بهذا الاعتبار له عدة تعريفات منها أنه «نقل المعرفة لفظياً»<sup>(1)</sup>.

**المدخل الثاني:** النظر للتدريس باعتباره نظاماً متكاملًا له مدخلات وعمليات ومخرجات. والمدخلات هي المعلم والمتعلم والمادة الدراسية وبيئة التعلم، والعمليات هي أهداف التدريس واستراتيجياته وأساليب التقويم والتغذية الراجعة<sup>(2)</sup>، أما المخرجات فهي التغيّرات المطلوبة في المتعلم في المجال الإدراكي والعاطفي والحركي وهو ما يعرف بالتعلم. ويتضمن هذا النظام أربعة عناصر رئيسة هي المعلم والمتعلم والمادة الدراسية وبيئة التعلم، تتفاعل فيما بينها تفاعلاً نشطاً عبر وسائل اتصالات لفظية وغير لفظية. ويعرّف التدريس هنا بأنه: «مجموعة متكاملة من الأشخاص والمعدات والاجراءات السلوكية التي تشترك في انجاز ما يلزم لتحقيق أغراض التدريس على نحو فعال»<sup>(3)</sup>.

**المدخل الثالث:** النظر إلى التدريس على أنه عملية اتصال ما بين المعلم والمتعلم، وهناك خمسة عناصر أساسية لإتمام عملية الاتصال في التدريس هي:

أ- المرسل: وقد يكون شخصاً كالمعلم أو نصّاً مطبوعاً أو محطة بثّ.

ب- الرسالة: وقد تكون فكرة أو محتوى دراسياً.

قنوات الاتصال: أي الوسائط الناقلة للرسالة كالصوت العاديّ عبر الألفاظ والكتب والخرائط والصوّر الثابتة والمتحرّكة.

<sup>1</sup> التدريس رؤية في طبيعة المفهوم لحسن زيتون، ص9، والمدخل إلى التدريس لسهيلة الفتلاوي، ص14.

<sup>2</sup> ينظر معنى التغذية الراجعة ص270.

<sup>3</sup> التدريس رؤية في طبيعة المفهوم لحسن زيتون، ص32، والمدخل إلى التدريس لسهيلة الفتلاوي، ص22.



ج- المستقبل أو المرسل إليه: وقد يكون فرداً أو جماعةً، يستقبل الرسالة بحواسه المختلفة لتنتقل إلى الدماغ لتحليلها وفهم محتوياتها وأهدافها وعلى أساس ذلك يتم تحديد الاستجابة.

د- التغذية الراجعة: والمراد بها ردّ فعل المستقبل من منطلق تأثره بمحتوى الرسالة التي استقبلها، مثل القبول أو الرفض أو الإجابة الصحيحة والخاطئة على سؤال المعلم. ويعرّف التدريس من هذا المنظور بأنه «عملية اتصال بين معلم ومتعلم، يحرص خلالها المعلم على نقل رسالة معينة إلى المتعلم في أحسن صورة ممكنة»<sup>(1)</sup>.

**المدخل الرابع:** النظر إلى التدريس على أنه نشاط عمليّ، يرى أصحاب هذا المدخل أن أفضل تعريف للتدريس هو الذي يصف لنا ما يقوم به المعلم من أفعال تدريسيّة يمكن ملاحظتها وقياسها مثل:

أ- الأفعال التدريسيّة التي تحدث داخل الفصل إما لتوجيه عمليّة التعلّم أو تيسيرها وهي:

**1- الأفعال الاستراتيجية،** أي نشاطات المعلم التي تهدف إلى توجيه التعلّم وضبط بيئته مثل جذب انتباه المتعلّم وإثارة دافعيّته وضبط النظام.

**2- الأفعال المنطقية وهي كلّ ما يقوم به المعلم من نشاطات تهدف إلى تيسير التعلّم كالشرح وطرائق التدريس المناسبة واستخدام الوسائل التعليميّة وأساليب التقويم.**

**ب- أفعال تنظيميّة إداريّة ومؤسّساتيّة والمقصود بها ما يقوم به المعلم من رصد لحضور وغياب المتعلّمين والمشاركة في الندوات التربويّة وحضور الاجتماعات والاتصال بأولياء التلاميذ وغيرها.** ومن تعريفات التدريس من هذا المنظور أنّه: «عملية تقتضي مهارة قبل وفي أثناء وبعد التدريس، في التخطيط والتنفيذ والتقييم للتدريس، بغية حدوث التعلّم»<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: التعريف العامّ للتدريس

والمقصود هنا التعريف التقليديّ للتدريس، أي خارج المداخل والاتجاهات التربويّة. وقد عرّف بتعريفات كثيرة منها:

أ- أنّه «كافة الظروف والإمكانيات التي يوفرها المعلم في موقف تدريسي معين، والإجراءات

<sup>1</sup> التدريس رؤية في طبيعة المفهوم لحسن زيتون، ص24، والمدخل إلى التدريس لسهيلا الفتلاوي، ص25.

<sup>2</sup> التدريس رؤية في طبيعة المفهوم لحسن زيتون، ص29، والمدخل إلى التدريس لسهيلا الفتلاوي، ص25.

التي يتخذها في سبيل مساعدة المتعلمين على تحقيق الأهداف المحددة لذلك الموقف»<sup>(1)</sup>.

ب- وهو «عملية تربوية هادفة وشاملة، تأخذ في الاعتبار كافة العوامل المكونة للتعليم والتعليم، ويتعاون خلالها كل من المعلم والتلاميذ، والإدارة المدرسية، والغرف الصفية، والأسرة والمجتمع، لتحقيق ما يسمى بالأهداف التربوية»<sup>(2)</sup>.

ج- وعُرف بأنه «نشاط إنساني هادف ومخطط وتنفيذي، يتم فيه التفاعل بين المعلم والمتعلم وموضوع التعلم وبيئته، ويؤدي هذا النشاط إلى نمو الجانب المعرفي والمهاري والانفعالي لكل من المعلم والمتعلم، ويخضع هذا النشاط إلى عملية تقويم شاملة ومستمرة»<sup>(3)</sup>.

ونلاحظ على هذه التعريفات النظرة الشمولية للتدريس خلافاً للتعريفات المعبرة عن التوجهات الخاصة التي سبقت، كما نلاحظ أنّها تعرّف التدريس الحديث من خلال تركيزها على أبعاد معينة لا نجدها في التدريس التقليدي مثل تعاون المعلم والمتعلمين ومثل شمول العملية التربوية للجوانب المعرفية والمهارية والانفعالية وخضوعها إلى التقويم المستمر والشامل وغير ذلك.

د- ومن أجود تعريفات التدريس العامة ما كان التركيز فيها منصباً على فاعليته، أي إنتاجه وإثماره، حيث يوجّه المعلم نشاط ومجهود المتعلم توجيهاً ثابتاً ودائماً، ويستثير خبراته السابقة للبناء عليها، مقتصداً في الوقت والجهد، مستعيناً بالتنوع في طرائق التدريس، موظفاً للأساليب الملائمة لتنمية ميول واتجاهات المتعلم، ومن هذه التعريفات تعريف كمال زيتون للتدريس الفعّال بأنه «مجموعة من المناشط والإجراءات التي يقوم بها المعلم في البيئة المدرسية عن قصد بهدف الوصول إلى نتائج مرضية في مجال التدريس بدون إهدار في الوقت أو الطاقة»<sup>(4)</sup>، وهو أكثر التعريفات تعبيراً عن تدريس مدرسة النبوة حيث كان يسعى إلى تخريج الإنسان العابد لله تعالى والمعمّر لأرضه.

### الفرع الثاني: الفرق بين التعليم والتدريس

رغم أنّ هناك من يرى أنّ التعليم والتدريس لهما معنى واحد غير أنّ التدقيق في الأمر يظهر أنّ بينهما فرقاً كبيراً، «فمفهوم التعليم هو تعبير شامل وعام نستعمله في لغتنا اليومية في مواضع كثيرة... أما مفهوم التدريس يشير (هكذا) إلى نوع خاص من طرق التعليم، أي أنه تعليم مخطط

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شير وآخرين، ص 19.

<sup>2</sup> مهارات التدريس لحمزة الجبالي، ص 3.

<sup>3</sup> أساسيات التدريس لخليل شير وآخرين، ص 20.

<sup>4</sup> التدريس نماذجه ومهاراته لكمال زيتون، ص 63.

ومقصود، ويمكن أن نحدد الفرق بين المفهومين في أن التدريس: يحدد بدقة السلوك الذي نرغب في تعليمه للمتعلم، ويحدد الشروط البيئية العلمية التي يتحقق فيها الأهداف، أما عملية التعليم فإنها قد تحدث بقصد وبدون قصد أو هدف محدد»<sup>(1)</sup>، فأهم فرق بينهما هو عنصر القصدية.

ويشير المحيسن إلى الجدل الكبير الذي يدور بين التربويين في مفاهيم التعليم والتربية والتدريس ثمّ يقول: «ولكننا نرى أنّها مفاهيم مترابطة متداخلة، فإذا اجتمعت افتترقت، وإذا افتترقت اجتمعت، بمعنى إن ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، أما إذا ذكرت مجتمعة صار لكل منها معنى خاص به، فالتعليم يعنى المنظومة العامة للعملية التعليمية، والتربية تعنى الجانب السلوكي منها، بينما ينحصر مفهوم التدريس في الجانب التنفيذي من تلك العملية، فالتدريس نقل للمعرفة، أما التربية فهي نقل للمعرفة بالإضافة إلى تعديل سلوك المتعلم»<sup>(2)</sup>.

وما ذكره المحيسن جدير بالنظر، فعموم الدراسات التربوية تستعمل مصطلحي التعليم والتدريس كمترادفين، فتسمّى العملية التعليمية عمليةً تدريسيّة، وتسمّى المعلّم مدرّساً للعلوم، وقد لاحظنا أنّ الدراسات والبحوث التربوية لا تفرّق بين مبادئ التدريس ومبادئ التعليم، فهي تنظر إليها كلّها باعتبارها قواعد وأسس توجّه أداءات المعلّمين، وعلى هذا المنوال نسير في هذه الدراسة، فالتعليم هو التدريس، والعملية التربوية هي العملية التعليمية، وهذه وتلك عملية تدريسيّة، وعملية تعليمية تعلّمية، والمواقف التعليمية هي المواقف التدريسيّة والعكس صحيح.

---

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 21. المناهج الحديثة و طرائق التدريس لمحسن عطية، ص 237.

<sup>2</sup> تدريس العلوم تأصيل وتحديث لإبراهيم المحيسن، ص 37.

## المبحث الثاني: مفهوم مبادئ التدريس في القرآن والسنة

يشير تتبّع المواقف التدريسيّة في القرآن الكريم والسنة النبويّة إلى قيام العمليّة التعليميّة التعلّميّة فيهما على أسس وقواعد محدّدة وواضحة، وهي ما تُدعى في التربيّة المعاصرة بمبادئ التدريس، وقد حظيت باهتمام التربويّين على اختلاف توجّهاهم فأفردوها بالبحث والدراسة، وقبل تتبّع ما جاء فيها من آيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة والعمل على استنباطها فإنّه يلزم البحث في مفهومها في اللغة العربيّة والفلسفة والتربيّة المعاصرة ثمّ في القرآن والسنة ذاتهما، على أن يتمّ عرض بعض النماذج لتلك المبادئ في التربيّة المعاصرة والفكر التربويّ الإسلاميّ.

## المطلب الأول: تعريف مبادئ التدريس باعتباره مركباً إضافياً

لتعريف مبادئ التدريس باعتباره مركباً إضافياً فإنّ يتعيّن تعريف كلمتي "مبادئ" و "تدريس" لغةً واصطلاحاً.

### الفرع الأوّل: تعريف المبادئ لغة

تدل مادّة (بدأ) في اللغة العربيّة على معانٍ كثيرة منها:

**أولاً- الشروع في الشيء وافتتاحه**، قال ابن فارس: «(بدأ) الباء والداًل والهمزة من افتتاح الشيء، يقال: بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء»<sup>(1)</sup>.

**ثانياً- الخلق على غير مثال سابق**: فالله هو المبدئ: أي الذي أنشأ الأشياء واختراعها من غير سابقٍ مثال<sup>(2)</sup>، وهذا هو المعنى الذي دلّ عليه لفظ (بدأ) في أغلب الآيات التي ورد فيها.

**ثالثاً- النصيب والحظّ**: جاء في مقاييس اللغة: «والبُداءُ النَّصيب، وهو من هذا أيضاً، لأن كلّ ذي نصيب فهو يُبدأُ بذكره دون غيره، وهو أهمُّها إليه»<sup>(3)</sup>، والمعنى واضح بين معنى من حظي بالنصيب الوافر وبين إفراده بالبدء باسمه وبذكره دون غيره.

**رابعاً- السيادة والفضل**: يُقال: «للسَّيِّدِ البَدْءُ، لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِذِكْرِهِ»<sup>(4)</sup>، وهذا قريب من معنى النصيب والحظّ السابقين.

**خامساً- التقديم والتفضيل**: قال الزمخشري: «وبَدَأُوا بفلان: قدّمُوهُ. ومنه: هو بدءُ بني فلان لسيدهم ومُقَدّمهم»<sup>(5)</sup>.

**سادساً- أوّل وأصل الشيء**: فمبدأ الشيء أوّله ومادّته المكوّنة له، مثل النواة للنخل<sup>(6)</sup>.

ونستنتج ممّا سبق ما يأتي:

أ- أنّ البدء يدلّ على السبق.

ب- أن البدء يدلّ على أصل الشيء ومادّته المكوّنة له. وهذا ملحوظ في معنى المبادئ

<sup>1</sup> مقاييس اللغة لابن فارس، 212/1

<sup>2</sup> لسان العرب لابن منظور، 27/1 .

<sup>3</sup> مقاييس اللغة لابن فارس، 213/1

<sup>4</sup> المرجع والصفحة السابقين.

<sup>5</sup> أساس البلاغة للزمخشري، 49/1.

<sup>6</sup> المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية 42/1.

الاصطلاحية فهي أصول وكيّات وغيرها فروع وجزئيات.

ج- أنّ من معاني البدء التقديم والتفضيل، والمبادئ -من هذا المنظور- مقدّمة على الفروع في جميع الفنون، لأنّها أصل لها.

د- أنّ المبادئ -عند عموم الناس- محترمة ومقدّرة، وهذا يعود أيضا إلى معنى التفضيل.

### الفرع الثاني: مفهوم المبادئ في القرآن الكريم

تكرّرت مادّة (بدأ) في القرآن الكريم خمس عشر مرة، كلها بصيغة الفعل، وجاء أغلبها في بدء الخلق:

أولاً- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104].

ثانياً- قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:20].

ثالثاً- قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَتَى تُوَفُّكَونَ﴾ [يونس:34].

وقد يأتي في غيره كما في قوله تعالى:

رابعاً- قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:13].

وبدء الله تعالى للخلق هو أنّه «يُنشِئُهُ من غير شيءٍ ويُجِدُّهُ من غير أصلٍ»<sup>(1)</sup>، وكل ما نسب إلى الله تعالى من البدء في القرآن الكريم فهو بمعنى الإبداع على غير مثال سابق، وبدء الخلق وإعادته سواءً بالنسبة إلى قدرة الله، أما بالنسبة إلى إدراك البشر فالإعادة أيسر من الخلق أول مرة<sup>(2)</sup>، فبدأ المخلوق من العدم وعلى غير مثال سابق أصل، وإعادة خلقه بعد موته فرعٌ بالنسبة لتصوّر البشر.

### الفرع الثالث: تعريف المبادئ في الاصطلاح

أولاً: تعريف المبادئ في الفلسفة

عُرِّفت المبادئ في الفلسفة بتعاريف كثيرة منها:

<sup>1</sup> تفسير الطبري، 178/12

<sup>2</sup> التفسير للزحيلي، 78/11

- أ- «هي التي لا تحتاج إلى البرهان، بخلاف المسائل، فإنها تثبت بالبرهان القاطع»<sup>(1)</sup>.
- ب- جملة الحقائق التي تستند إليها جميع الاستدلالات، وتُسم بأُها كُليّة، أي صادقة على جميع الأشياء، ومُشتركة لدى جميع الأذهان. وضروريّة أي تفرض نفسها على الذهن ولا يمكن نقضها. وأوليّة بمعنى أنّها تسبق التجربة<sup>(2)</sup>.
- ج- المبدأ في المنطق هو القضية التي يُستنبط منها ولا تستنبط هي من قضية أخرى<sup>(3)</sup>.
- د- مبادئ العلم هي قواعده الأساسيّة التي يقوم عليها ولا يخرج عنها. ويطلق المبدأ أيضا على ما يُسلّم به لوضوحه، والمبدأ أيضا قاعدة ومعيّار علمي تبنى عليه قيم الأعمال<sup>(4)</sup>.
- هـ- المبدأ عند اليونانيين هو العلة الأصليّة والموجود الأوّل الذي تصدر عنه الموجودات<sup>(5)</sup>. ويستنتج مما سبق ما يأتي:

- 1- أن المبادئ تُسم بأُها كُليّة وضروريّة وأوليّة، فجميع الاستدلالات تستند إليها.
- 2- أنّ المبادئ لا تحتاج إلى برهان، بل يسلم بها لوضوحها.
- 3- أن المبادئ هي قواعد يقوم عليها غيرها.
- 4- أنّ المبادئ معايير علميّة تُبنى عليه القيم.

#### ثانياً: تعريف المبادئ في الفقه الإسلامي:

تعددت تعاريف المبادئ في الفقه الإسلامي، وسنذكر بعضها:

- أ- أنّها القواعد الفقهية، مثل قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، وقاعدة ما ثبت باليقين لا يزول بالشك وغير ذلك<sup>(6)</sup>.

ب- هي أحد نوعي أحكام الشريعة الإسلامية، فالنوع الأوّل هو أحكام العقيدة والأخلاق

<sup>1</sup> التعريفات لعلي الجرجاني، ص 197.

<sup>2</sup> المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، ص 165، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية لمحمد خياط، ص 20

<sup>3</sup> المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، ص 167.

<sup>4</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة لعمر مختار، 1/168.

<sup>5</sup> مبادئ التغيير الحضاري في فكر مالك بن نبي لفيصل لكحل، ص 27.

<sup>6</sup> علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، ص 92، 207، 209.

والعمل، أمّا النوع الثاني فهو مبادئ الشريعة وقواعدها العامّة مثل مبدأ الشورى ومبدأ المساواة<sup>(1)</sup>.  
تعريف التدريس: قد سبق تعريفه لغة واصطلاحاً.

### المطلب الثاني: تعريف مبادئ التدريس باعتباره لقباً

#### الفرع الأوّل: تعريف مبادئ التدريس في التربيّة المعاصرة

لمبدأ التدريس في التربية المعاصرة تعريفات كثيرة منها:

أولاً- أمّا «مفهوم يساعد المعلّم على توجيه المتعلّمين لتحقيق الأهداف التعليمية»<sup>(2)</sup>

ثانياً- هي «القواعد الأساسية الموجهة لكل من العوامل المسؤولة واللازمة لكفاءة عملية التعليم والتي ينبغي التعرف عليها واستخدامها بهدف تحقيق نوع من التفاعل والتناسق الفعال بين جميع العوامل»<sup>(3)</sup>.

ثالثاً- وهي كذلك علاقات أو فروق مستقرّة أو ثابتة بين متغيرين أو أكثر<sup>(4)</sup>.

رابعاً- «الأسس التي يعتمد عليها المعلم في عملية التعليم حيث يستثمر الوقت المخصص للتعليم استثماراً كاملاً من خلال تنظيم البيئة التربوية لمساعدة الطلاب على بلوغ الأهداف المنشودة التي تقود إلى أقصى تحصيل وأداء ممكنين في المجالات المعرفية والنفس حركية والوجدانية»<sup>(5)</sup>.  
خامساً- أمّا أسس تنظيمية تساعد المتعلّم على تعديل سلوكه أو تشكيل قاعدة لما يستند إليه هذا التعديل من كسب لمعرفة أو اتجاه<sup>(6)</sup>.

سادساً- هي «علاقة ثابتة بين مفهومين، أو أكثر، أو عبارة عن تعميم تم التأكد من صدقه، وإثباته عن طريق التجربة أكثر من مرة، وهو في الأصل فرضية تحتمل الصدق والخطأ تحتاج إلى ما يثبت صحتها عن طريق التجريب والتطبيق في مواقف مختلفة»<sup>(7)</sup>.

---

<sup>1</sup> المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان، ص53، وفي النظام السياسي للدولة الإسلامية لمحمد العوا، ص176-220.

<sup>2</sup> معجم علم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، 81/1.

<sup>3</sup> مبادئ ومهارات التدريس الفعال في التربية الحديثة لعلي سليمان، ص54.

<sup>4</sup> سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي لفتحى الزيات، ص57.

<sup>5</sup> مبادئ تعليمية للمدرسين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية لنايف العطار، ص429.

<sup>6</sup> مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم لإحسان خليل الأغا، ص7، وقد سماها كذلك مبادئ فرعية.

<sup>7</sup> المناهج الحديثة و طرائق التدريس لمحسن عطية، ص96.



سابعاً- هي «عبارة لفظية توضح علاقة متكررة في أكثر من موقف وتشتمل على مجموعة من المفاهيم المترابطة»<sup>(1)</sup>.

ومبادئ التعليم هنا هي مبادئ التدريس تماماً، لأنها تعرّف الأسس والقواعد التي توجه المعلم أثناء العملية التدريسية.

وبتحليل التعريفات السابقة نستنتج ما يأتي:

أ- أنّ المبادئ التدريسية عبارة عن الأسس والقواعد العامة التي تبنى عليها العملية التربوية.

ب- أنّها بمثابة الدلائل والعلامات التي يسترشد بها المعلمون أثناء تنفيذهم للتدريس.

ج- أنّ هذه المبادئ تيسر حدوث التعلم لدى المتعلمين.

د- أنّ التزام المعلمين بهذه المبادئ يُنتج تديساً فعالاً ومنتجاً.

هـ- أنّها أكثر ثباتاً من الفروض لأنها طبقت وجرّبت كثيراً.

و- أنّ المبادئ هي علاقات مستقرة بين متغيرات.

ز- أنّها تقبل التطبيق في المواقف المتنوعة وفي الظروف المتعددة، ولدى الفئات المختلفة.

### الفرع الثاني: تعريف مبادئ التدريس في التربية الإسلامية

لم نجد تعريفاً لمبادئ التدريس في التربية الإسلامية فيما رجعنا إليه من مراجع، ولكن وجدنا تعريفات عديدة للمبادئ التربوية فيها، وسنذكر بعضها ونبني عليه في اقتراح تعريف لمبادئ التدريس المستنبطة من القرآن والسنة:

أولاً- أنّ المبادئ التربوية هي مجموعة القواعد والأسس والأفكار المستنبطة أساساً من القرآن والسنة والتي تقوم عليها النظرية التربوية في الإسلام<sup>(2)</sup>.

ثانياً- أنّها القواعد الأساسية والمنطلقات العامة التي تكوّن في مجموعها التربية الإسلامية<sup>(3)</sup>.

ثالثاً- أنّها صياغات لأمر مستنبطة من القرآن الكريم تستخدم في شكل قواعد تصلح للإفادة منها في العملية التربوية<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> الشامل في المناهج لشادية عبد الحليم وصلاح تمام ، ص 127.

<sup>2</sup> المبادئ والقيم في التربية الإسلامية لمحمد خياط، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 21.

<sup>4</sup> مبادئ تربية الاطفال في القرآن الكريم لمحي الدين إبراهيم، ص 184

رابعاً- أنّها قواعد وأسس عمليّة تربويّة مستنبطة من الآيات القرآنية يتمّ الاعتماد عليها في تربيّة النفس<sup>(1)</sup>.

وبتحليل هذه التعريفات نستنتج ما يأتي:

أ- أنّ المبادئ التربويّة هي جملة القواعد والمنطلقات التي تقوم عليها التربيّة الإسلاميّة.

ب- أنّ هذه المبادئ مستنبطة من القرآن والسنة.

ج- أنّها ملزمة بحكم استنباطها من القرآن والسنة.

د- أنّ هذه المبادئ يُعتمد عليها في تربيّة النفس.

وانطلاقاً ممّا سبق فإنّنا نعرّف مبادئ التدريس في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية بأنّها:

(قواعد عامّة ملزمة، مستنبطة من القرآن والسنة، تنظّم العمليّة التدريسيّة وتوجّه أداءات

المعلّم لمساعدة المتعلّم على تحقيق الأهداف المرغوبة).

- فقولنا "قواعد عامّة" إشارة إلى طبيعة المبادئ الكلّية، ومنه لا يصح تسميّة الجزء الواحد

والفئة الواحدة مبدأً، فالانتقال من المحسوس إلى المجرّد ومن البسيط إلى المركّب ومن المعلوم إلى

المجهول -مثلاً- هي أجزاء وفئات<sup>(2)</sup> في مبدأ التدرّج، فإطلاق اسم المبدأ على أحدها خطأ شائع.

- وقولنا "ملزمة" يفيد وجوب الالتزام بها من طرف المعلّمين بوصف كونها أحكاماً شرعيّة

قطعيّة في ثبوتها ودالاتها.

- وقولنا "مستنبطة من القرآن والسنة" للتفريق بينها وبين المبادئ المشتقّة من الدراسات

التجريبيّة وآراء الخبراء وغير ذلك.

- وقولنا "تنظّم العمليّة التدريسيّة" أي باعتبار دورها التنسيقيّ بين عناصر ومكوّنات التدريس

الأربعة: المعلّم، والمتعلّم، والمنهاج بمفهومه الحديث الشامل للأهداف والمحتويات والطرائق والتقييم، ثم

البيئة بفئاتها الثلاثة، الاجتماعيّة المحليّة والمدرسيّة والصفية.

- وقولنا "توجّه أداءات المعلّم" لبيان تناول هذه المبادئ لجميع مراحل التدريس انطلاقاً

من تخطيط وإعداد الدرس إلى تنفيذه وانتهاءً بالتقييم.

<sup>1</sup> مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة لعزة الشهري، ص28.

<sup>2</sup> مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم لإحسان خليل الأغا، ص7، وقد سمّاها كذلك مبادئ فرعيّة.

- وقولنا "لمساعدة المتعلم على تحقيق الأهداف المرغوبة" لبيان طبيعة توجيهات مبادئ التدريس المنتجة لفاعلية وإيجابية المتعلم في بلوغ الأهداف المسطرة.

### المطلب الثالث: نماذج لمبادئ التدريس في التربية المعاصرة

نذكر هنا نماذج لمبادئ التدريس في التربية المعاصرة، وذلك قبل الشروع في عرض المبادئ التدريسية كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

#### الفرع الأول: نموذج جمعية علم النفس الأمريكية

أولاً: النسخة العربية لمبادئ التعليم والتعلم عند جمعية علم النفس الأمريكية

نشرت جمعية علم النفس الأمريكية وثيقة (أفضل 20 مبدأ من علم النفس للتعليم والتعلم للمراحل من التمهيدي إلى الثانوي)، وهذا بعض ما جاء نسختها العربية:

المبدأ 1: اعتقادات أو تصوّرات الطلبة عن الذكاء والقدرة تؤثر في تعلّمهم وأدائهم المعرفي.

المبدأ 2: ما يعرفه الطلبة مسبقاً يؤثر في تعلّمهم.

المبدأ 3: تعلّم الطلبة ونموهم المعرفي ليسا معدودين بمراحل النموّ العامّة.

المبدأ 4: التعلّم يعتمد على السياق، لذا فإنّ تعميم التعلّم لسياقات جديدة ليس عفويّاً بل

يحتاج إلى تهيئة.

المبدأ 5: اكتساب المعرفة والمهارة يعتمد بشكل كبير على الممارسة.

المبدأ 6: التغذية الراجعة الواضحة والتفسيرية وفي الوقت المناسب تعتبر مهمّة لتعلّم الطلبة.

المبدأ 7: التنظيم الذاتي للطلبة يساعد على التعلّم ويمكن تعليم مهارات تنظيم الذات.

المبدأ 8: يمكن تنمية إبداع الطلبة.

المبدأ 9: يميل الطلبة إلى الاستمتاع بالتعلّم والأداء بشكل أفضل عندما يكونون مدفوعين

للإنجاز من الداخل، بدلا من الخارج.

المبدأ 10: يثابر الطلبة تجاه الأنشطة الصعبة ويتعاملون مع المعلومات بشكل أفضل عندما

يتبنون أهداف إتقان بدلا من أهداف أداء.

المبدأ 11: توقّعات المعلمين من طلابهم تؤثر في فرص الطلبة للتعلّم وفي دافعيتهم وفي نتائج

تعلّمهم.

**المبدأ 12:** وضع أهداف قصيرة المدى (قريبة) ومحددة وذات تحدّ معقول يعزز الدافعية أكثر من تحديد أهداف طويلة المدى (بعيدة) وعمامة وصعبة.

**المبدأ 13:** التعلّم يحدث في سياقات اجتماعية عامة.

**المبدأ 14:** العلاقات الشخصية والتواصل مهمّ لكلّ من عملية التعليم والتعلّم والنموّ الاجتماعيّ العاطفيّ للطلبة.

**المبدأ 15:** الاتزان العاطفيّ يؤثّر في الأداء التربويّ والتعلّم والنموّ.

**المبدأ 16:** يمكن تعلّم وتعليم التوقّعات للسلوك الصّفيّ والتفاعل الاجتماعيّ باستخدام مبادئ سلوك مثبتة علمياً وطرق تدريس فعّالة.

**المبدأ 17:** الإدارة الفاعلة للصفّ تقوم على:

(أ) وضع توقّعات عالية وإبصارها للطلبة.

(ب) تنمية علاقات إيجابية باستمرار.

(ج) توفير مستوى عالٍ من دعم الطلبة.

**المبدأ 18:** التقييم التكوينيّ والتقييم الختاميّ كلاهما مهمّ ومفيد، لكن يحتاجان إلى أساليب وتفسيرات مختلفة.

**المبدأ 19:** مهارات الطلبة ومعارفهم وقدراتهم تقاس بشكل أفضل عن طريق عمليات تقييم ذات أسسٍ في علم النفس وبمعايير محدّدة جيّداً للحصول على الجودة والعدالة.

**المبدأ 20:** فهم بيانات التقييم يعتمد على تفسير واضح ومناسب وعادل<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: مبادئ التدريس كما ذكرها محمد زياد حمدان

عدّ حمدان اثنين وعشرين مبدأً من مبادئ التدريس الحديث وهي:

**1 -** يمثل التلاميذ في التدريس الحديث محور العملية التربوية، دون المعلم أو المنهج أو المجتمع. يعتبر التدريس الحديث تلاميذ المدرسة كممثلين للمجتمع الواسع، وأن مراعاته لرغباتهم وميولهم

---

<sup>1</sup>American Psychological Association, Coalition for Psychology in Schools and Education. (2015). Top 20 principles from psychology for preK–12 teaching and learning <http://www.apa.org/ed/schools/cpse/top-twenty-principles.pdf>

وتعتبر جمعية علم النفس الأمريكية أقدم وأكبر جمعية لعلم النفس في العالم، ومعلوم أن هذا العلم في أمريكا أكثر انتشاراً عن أي مكان آخر في العالم، أنشئت عام 1862م ووصل عدد أعضائها إلى ما يقارب 68320 عضواً في عام 1989م، تعرف اختصاراً بـ (APA)، ينظر: السمات النفسية، لإيهاب مليحة ص52.

وحاجاتهم العلمية والنفسية والاجتماعية يؤدي بطبيعة الحال إلى إنتاج مجتمع مدرسي فاضل، تنعكس نتائج إنجازاته وسلوكه عاجلا أو آجلا على المجتمع العام بالنمو الاجتماعي والاستمرار والتناغم.

**2 -** يلائم التدريس الحديث مبادئه (هكذا) وإجراءاته لحالة التلاميذ العقلية والقيمية والجسمية، فيستخدم مع المتخلفين منهم مبادئاً (هكذا) وطرقاً تختلف عن تلك المستخدمة بطيء التعلم أو العاديين أو ذوي الذكاء المميز.

**3 -** يهدف التدريس الحديث إلى تطوير القوى العقلية والقيمية والجسمية للتلاميذ بشكل متوازن، مراعي أهمية لكل منها في حياة الفرد والمجتمع، ولا يوجه اهتمامه أبداً لتنمية نوع واحد فقط من هذه القوى على حساب الأنواع الأخرى.

**4 -** يهدف التدريس الحديث إلى تنمية كفايات التلاميذ وتأهلهم للحاضر والمستقبل، ولا يحرص نفسه بأي حال في دراسة الماضي وتعليمه لذاته، بل يدرسه كوسيلة لفهم حوادث الحاضر والمستقبل وتنبؤها.

**5 -** يمثل التدريس الحديث مهمة علمية مدروسة، تبدأ بتحليل خصائص التلاميذ وتحديد قدراتهم، ثم تطوير الخطط التعليمية واختيار الوسائل والأنشطة والمواد التعليمية التي تستجيب لتلك الخصائص ومتطلباتها. ويتولى تقييم العملية التربوية من بدايتها إلى نهايتها لتحديد مواطن القوة والضعف فيها للاستفادة من ذلك في المستقبل.

**6 -** يبدأ التدريس الحديث بما يملكه أفراد التلاميذ من خبرات وكفايات وخصائص التلميذ السابقة، ثم يتولى صقلها وتعديلها أو تطوير ما يلزم منها مراعي قدرة كل تلميذ على التعلم وسرعته الذاتية في التحصيل.

**7 -** يهدف التدريس الحديث كعملية ايجابية مكافئة إلى نجاح التلاميذ بإشباع رغباتهم وتحقيق طموحاتهم، لا معاقبتهم نفسياً أو جسماً أو تربوياً بالفشل والرسوب كما هي الحال في الممارسات التعليمية التقليدية، إننا نؤكد بهذه المناسبة بأن كل فرد في المجتمع أياً كان مستوى ذكائه وخلفيته الاجتماعية والاقتصادية يمتلك قدرة وذكاء معينين، كما يستطيع القيام بدور بناء في المجتمع الذي يعيش فيه، متلائماً بالطبع مع خصائصه وطاقاته الفردية، وإن عجز التربية أو عدم محاولتها تشغيل كل الطاقات في المجتمع والاستجابة لها وتنميتها يمثل عاملاً رئيسياً لفشلها في أداء واجبها، واتصافها المتواصل بالتقليدية وعدم الفعالية.

8 - يسمح التدريس الحديث كعملية اجتماعية بتفاعل أفراد الصف على أسس ديمقراطية عادلة ومبادئ الاعتبار والاحترام المتبادل. يشاركون مع خلال التفاعل الاجتماعي بخبراتهم الفردية، ويتعاونون في تخطيط وتنفيذ وتقييم فعالية العملية التربوية التي هم بصدددها. يتم التفاعل الصفّي البناء وتشجيعه في التدريس الحديث من خلال العمليات الآتية:

- ترتيب المعلم لتجهيزات الغرفة بصيغة تسمح معها من رؤية أفراد التلاميذ بعضهم لبعض.  
- تشجيع المعلم لمشاركة التلاميذ باقتراح القرارات التدريسية أو المساهمة في صناعتها.  
- توفير المعلم لجو طبيعي بعيد عن التوتر يشجع تفاعل التلاميذ بعضهم مع بعض فرادى وجماعات.

- اشتراك جميع أفراد التلاميذ في انجاز الأنشطة ومساهمة كل منهم تربويا. حسب قدرته ورغبته.

- تشجيع المعلم لاقتراحات التلاميذ المعارضة له دون استياء أو مقاومة.  
- قيام أفراد التلاميذ بحل مشاكلهم دون الطلب مع المعلم (أو دون تعويده لهم) بالتدخل أو ترجيح كفة عن أخرى(هكذا).

- صياغة الحلول والقرارات الصفية بواسطة الاجماع الحر دون اللجوء إلى القوة أو فرض رأي على آخر.

- اعتبار المعلم نفسه كعضو واحد من الفصل يشارك في قراراته ومسؤولياته، لا متنفذا يستبد بأرائه وخططه واجراءاته.

- اعتبار عملية التقييم وتحديد اجراءاتها ووسائلها وأهدافها مسؤولية لجميع أفراد الفصل.

9 - يراعي التدريس الحديث مبدأ التفريد في مدخلاته وممارساته ومخرجاته، ويوظف التدريس الحديث لتحقيق التفريد المفاهيم الآتية:

- معرفة خصائص أفراد التلاميذ الفكرية والجسمية والعقلية.  
- توفر التجهيزات المدرسية وتنويعها.  
- تنوع الأنشطة والخبرات التربوية التي تحفز مشاركة أفراد التلميذ واقبالهم على التعلم.  
- استعمال المعلم لوسائل تعليمية لفظية وتكنولوجية تتوافق مع أكبر عدد ممكن من أساليب التلاميذ الادراكية في التعلم.

- تنوع أسئلة المعلم من حيث اللغة والمستوى والموضوع من تلميذ إلى آخر ومن مجموعة صغيرة إلى أخرى.

- سماح المعلم لأفراد التلميذ بأن يلعب كل منهم الدور الذي يتوافق مع خصائصه وقدراته، واختيار النشاط التربوي الذي يتناغم مع هذه الخصائص والقدرات.

- تنوع المعلم لمقدار الوقت المسموح به للتعلم من تلميذ إلى آخر حسب حاجة كل منهم المعرفية وسرعتهم الذاتية في التحصيل.

- تنوع المعلم لوسائل التعليمية التي يقرر بواسطتها نوع ومقدار تعلم أفراد التلميذ وفعالية العملية التربوية بشكل عام.

**10** - يتميز التدريس الحديث بالاستخدام المكثف للوسائل التعليمية التكنولوجية وغير التكنولوجية.

**11** - يتميز التدريس الحديث بالاستخدام المكثف والمتنوع لوسائل التقييم بهدف الحصول على تغذية راجعة من التلاميذ بخصوص صلاحية العملية التربوية ومدى فعاليتها، ولتزويدهم بتغذية راجعة أخرى تتعلق بنوع ومقدار إنجازهم.

**12** - يتكون التدريس الحديث كنظام تربوي من خطوات متسلسلة وأعمال سلوكية هادفة ومتداخلة يعتمد كل منها على الآخر، ويتأثر به في خصائصه ومعطياته. يتألف هذا النظام من ثلاثة أجزاء متتابعة. [المدخلات، العمليات، المخرجات].

**13** - يستخدم التدريس الحديث بشكل مكثف منهج الاستقراء في التربية، ويتم هذا بواسطة ما يأتي:

- التدرج في التربية من المحسوس إلى المجرد.

- التدرج في التربية من البسيط إلى المركب.

- التدرج في التربية من المعلوم إلى المجهول.

- التدرج في التربية من الجزء إلى الكل.

- تقديم الحقائق قبل المسميات والعموميات.

- تقديم التجارب والأمثلة التوضيحية قبل المبادئ والأحكام والقوانين والنظريات.

- الاستخدام المكثف لطريقة المقارنة ولمظاهر التشابه والاختلاف بين الأشياء.

- 14 - يستفيد التدريس الحديث كعلم تطبيقي من نتائج الأبحاث والدراسات العلمية والتربوية المختلفة، ويراعي باستمرار تعديل وتجديد مبادئه وممارساته على أساس هذه النتائج.
- 15 - تتميز قنوات الاتصال في التدريس الحديث بالانفتاح والتشعب بحيث تربط بين المعلم كعضو مساهم في العملية التربوية وأفراد التلاميذ كل حسب قدرته اللغوية والفكرية.
- 16 - يتصف التدريس الحديث بكونه عملية جشتالية شاملة تأخذ في اعتبارها كافة مؤثرات وعوامل العملية التعليمية من معلم وتلاميذ وأسرة ومنهج وبيئة مدرسي وتنظيمها معا بصيغة تسمح لكل واحد بأداء<sup>(1)</sup> دوره حتى أقصاه.
- 17 - يراعي التدريس الحديث في أفراد التلاميذ القدرة الذاتية على التعلم، فلا يحرص دوره في تطوير الفرد وإعداده للمجتمع أو تعليمه مهارات تفيده في حاضره ومستقبله، بل يتعداها لتنمية صيغة الاستقلالية والمثابرة الفطرية على البحث والتعلم المستمرين.
- 18 - يمثل التدريس الحديث عملية نشطة تعتمد على الخبرة الواقعية والعملية للتلاميذ كوسيلة رئيسية لها.
- 19 - يتصف التدريس الحديث بالمرونة والقابلية للتعديل والتغيير تقتضيه ظروف الموقف التعليمي ومجرياته.
- 20 - يهدف التدريس الحديث إلى كشف طاقات التلاميذ وتشجيعهم على استعمالها كما يحثهم على المشاركة والقيام بمسئولياتهم وإثارة ما يعتمل في فكرهم ونفوسهم من آراء وعواطف وميول. وهو بهذا ليس عملية املائية هدفها حشو المعلومات والحقائق العلمية في أذهان التلاميذ.
- 21 - يتصف التدريس الحديث بكونه عملية صقل وبناء إنساني، تستخدم مع التلاميذ مواقف تربوية تتطلب منهم جهدا جادا وفكراً أصيلاً، وهو على هذا الأساس ليس عملية روتينية سهلة ينجح التلاميذ نتیجتها تلقائيا دون عناء، أو باستخدامهم طرقا ووسائل غير سوية، بل إنه عملية تربوية هادفة وأمينة.
- 22 - يتصف التدريس الحديث بالابتكار والتجديد، فهو يشجع تنوع الآراء والحلول وذلك باستخدام ما يأتي:
- توفير وقت كاف لأفراد التلاميذ للتفكير وإنتاج الحلول الفردية.

---

<sup>1</sup> الصواب بأداء



- استخدام عدد وافر ومتنوع من المواد والوسائل التعليمية.
- توفير البيئة التعليمية المشجعة للبحث والتجربة والتحقيق العلمي لكشف صلاحية الآراء والحلول المقترحة.
- توفير البيئة التعليمية المفتوحة التي ترعى دون تحفظ كل جديد.
- توفير البيئة التعليمية التي تستخدم بشكل مكثف الأسئلة المفتوحة ذات الاجابات غير المحددة.
- توفير البيئة التعليمية المحفزة للمبادرات والمسئوليات الفردية.
- توفير البيئة التعليمية المشجعة للتخمين والتنبؤ والافتراض من قبل التلاميذ دون شعورهم بالخوف أو الارتباك أو المعاقبة.
- رعاية السلوك والمقترحات الفريدة للتلاميذ بتحفيزها نفسيا وماديا في الوقت وبالإجراء المناسبين.

- 23** - يتصف المعلم في التدريس الحديث بكونه إنساناً مؤهلاً علمياً وتربوياً ونفسياً، لا موظفاً يؤدي خدمات روتينية لقاء أجر أو راتب شهري.
- يتميز المعلم الانسان في التدريس الحديث بالخصائص الآتية:
- عدم ازدواجية القيم والصفات، فالخير لديه خير دائماً، والشر لديه شر دائماً.
  - الاسترخاء النفسي والمرح والنكته الايجابية غير الناقدة.
  - احترام أفراد التلاميذ وقبوله لهم ومساعدتهم كلما لزم الأمر، دون رفضهم أو تجاهلهم.
  - تعاطفه مع التلاميذ وتفهمه لمشاكلهم وصعوباتهم وتعاونهم معهم لحلها ومعالجتها.
  - الصبر وطول البال وقوة التحمل.
  - معاملة التلاميذ حسب مستواهم دون ترفع أو بعد اجتماعي.
  - تشجيعه لاندماج ومشاركة التلاميذ التطوعية في التعلم.
  - تشجيعه لمبادرات التلاميذ وعدم تقييدهم فكرياً أو حركياً أثناء التعليم
  - قبوله مع أفراد التلاميذ لأخطاء بعضهم البعض دون محاولة تغطيتها أو الشعور بالخجل أو الندم أو الذنب بسببها<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> التدريس الحديث أصوله وتطبيقاته لمحمد زياد حمدان، ص 136 - 143.

## الفرع الثالث: أهميّة ومصادر اشتقاق مبادئ التدريس

### أولاً: أهميّة مبادئ التدريس

تُعتبر المبادئ التدريسيّة قواعد للممارسة التربويّة الذكيّة والفعّالة، فهي زيادة على ما تحدّثه من تحفيز وتوجيه، فإنّها تفسّر مخرجات العمليّة التربويّة ممّا ييسّر تقويمها، إنّها الأسس التي يقيم عليها المدرّسون قراراتهم فيما يتعلّق بالموادّ الدراسية والإجراءات التربويّة وطرق استثارة دافعية المتعلّمين، وتساعد في اتّخاذ القرارات المناسبة لمساعدتهم، و«بصفة عامة يمكن القول أنّ المدرسين الذين يقيمون النشاط المدرسي في ضوء المبادئ والأسس التربوية هم المدرسون الذين تكمل جهودهم بالنجاح، ومن ناحية أخرى فإن تجاهل هذه المبادئ فيه إهدار للوقت والجهد والمال وتصبح العملية التعليمية عشوائية تفتقر إلى التوجيه والفعالية...»<sup>(1)</sup>، فالعملية التربويّة تتمّ في يسر ونجاح إذا ما توافرت هذه المبادئ، وتنعثّر وتفشل إذ لم تتوافر<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: مصادر اشتقاق مبادئ التدريس:

تتعدّد طرق اشتقاق مبادئ التدريس، فقد تُشتقّ من خلال تجميع آراء الخبراء التربويين، أو من خلال الدراسات المقارنة لأداء تدريس المعلّمين الأكفاء وغير الأكفاء، كما تُشتقّ أيضاً من خلال الدراسات التجريبيّة للتدريس والتعلّم في حجرات الدراسة أو خارجها. إنّّه عندما تبلغ العلاقة بين متغيّرين أو أكثر درجة الاستقرار ثم تُختبر تلك العلاقة بصفة تدريجيّة فإنّها تتحوّل عندئذ إلى مبادئ تفسّر وتنبئ وتتحكّم في الأحداث السلوكيّة. ومن أسباب مصداقيّة مبادئ التدريس أنّها جُربت وطُبقت كثيراً، وأنّها قابلة للتطبيق في المواقف والظروف المختلفة ولدي الفئات المتنوّعة، وأنّها أكثر ثباتاً من الفروض، ومع أنّها ثابتة وعالميّة، فإنّ تطبيقها قد يختلف من جيل إلى آخر ومن موقف إلى آخر داخل نفس الجيل، بسبب اختلاف وتغيّر الظروف<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> سيكولوجية التعلّم لفتحي الزيات، ص 58.

<sup>2</sup> القرآن وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 186.

<sup>3</sup> سيكولوجية التعلّم لفتحي الزيات، ص 57.

## المطلب الرابع: مبادئ التدريس في الفكر التربوي الإسلامي

اخترنا نماذج لمبادئ التدريس في الفكر التربوي الإسلامي، عند القدماء والمحدثين، ونظراً لاختلافهم في تسمية هذه المبادئ فقد اعتمدنا مصطلحات الدراسة مع الحرص على الإشارة إلى اسم المبدأ عند أصحابه.

### الفرع الأول: مبادئ التدريس عند القدماء

#### أولاً: مبادئ التدريس عند محمد بن سحنون

##### أ- مبدأ استثارة دافعية التعلّم لدى المتعلّم

يذكر ابن سحنون<sup>(1)</sup> في كتابه "آداب المعلمين" عند تناوله لفضل تعليم وتعلّم القرآن الكريم بعض النصوص التي تستثير الدافعية في ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:32]، وقول الرسول ﷺ: (حَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(2)</sup>.

##### ب- تعزيز التعلّم بالممارسة العملية

يرى ابن سحنون أنه ينبغي للمعلّم أن يجمع بين النظري والتطبيقي، ففي الصلاة -مثلاً- يُرى متعلّميه كيفية السجود كما يلقّنهم عدده، ويخرج بهم إلى صلاة الاستسقاء عند انحباس المطر، يقول: «يلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة، لأنّ ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها، والقراءة فيها، والتكبير، وكيف الجلوس، والإحرام، والسلام، وما يلزمهم في الصلاة، والتّشهد، والقنوت في الصُّبح... وإذا أجذب الناس واستسقى بهم الإمام فأحبُّ أن يخرج بهم»<sup>(3)</sup>.

##### ج- مبدأ الثواب والعقاب

يتطرّق ابن سحنون إلى مبدأ الثواب والعقاب، فلتعويد المتعلّمين على أداء الصلوات الخمس ينبغي للمعلّم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربوهم عليها إذا كانوا بني

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد بن سحنون التنوخي (202هـ-256هـ)، كان إماماً في الفقه، عالماً بالآثار، ذاباً عن مذهب مالك، من شيوخه أبوه سحنون، سمع من ابن أبي حسان، وعبد العزيز بن يحيى المدني، ولقي بالمدينة أبا مصعب الزهري، وابن كاسب، له نحو مائتي كتاب في فنون العلم، مثل المسند في الحديث وكتابه في المتعلّمين. ترتيب المدارك للقاضي عياض، 431، 424/1، والديباج المذهب لابن فرحون، 169/1-174، وآداب المعلمين لمحمد بن سحنون، ص 15-23.

<sup>2</sup> آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، ص 76، 82، والحديث النبوي في صحيح البخاري، 4/1919 ر 4739.

<sup>3</sup> آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، ص 109، 111.

عشر، وهذا مقتضى قول الرسول ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)، ففي السنوات الثلاث التي تسبق مرحلة الضرب على الصلاة أساليب كثيرة للترغيب فيها<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: مبادئ التدريس عند أبي الحسن علي القاسبي

#### أ- مبدأ استثارة دافعية التعلّم لدى المتعلّم

أجاب القاسبي<sup>(2)</sup> في "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلمين والمتعلّمين" عن سؤال أحدهم عمّا جاء في فضل تعلّم وتعليم القرآن فذكر آيات وأحاديث كثيرة تحثّ على ذلك، مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174]، وقوله ﷺ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)﴾ [يوسف]، وقول النبي ﷺ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(3)</sup>، وهذه النصوص وغيرها تنير لدي المتعلّمين دافعيّتهم نحو التعلّم.

#### ب- مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم

يؤكد القاسبي على عدم جدوى استظهار المحتويات عن ظهر قلب<sup>(4)</sup> دون فهمها، أي أنّ العلوم لا يتحقّق تحصيلها إلاّ بتكامل حفظها بفهمها، فأبي فائدة في حفظ الشعر وما شابهه من مقالات العرب دون تفهّمه؟ والفقّه «إمّا التعلّم به الفهم فيه... والنحو مثله. وكلّ شيء يُحتاج إلى الاستنباط منه فهذا سبيله»، وقد كان الرسول ﷺ يقرأ بالسّورة فيرتلّها. حتّى تكون أطول من أطول منّها، وهذا يدلّ على طول تدبّره ﷺ في قراءته للقرآن<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق ص 109. وينظر تخريج الحديث ص 222.

<sup>2</sup> أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القاسبي (324 هـ - 403 هـ)، كان عالماً بالحديث وعلمه ورجاله فقيهاً أصولياً متكلماً، سمع من أبي العباس الإبياني وأبي الحسن بن مسرور الدباغ، وحمزة بن محمد الكناني وأبي الحسن التلبياني وغيرهم، من تلاميذه أبو عمران الفاسي، وأبو القاسم البيري، وابن الحساري وغيرهم، له مؤلّفات كثيرة منها كتاب الممهد في الفقه وأحكام الديانة وكتاب المعلمين والمتعلمين. ترتيب المدارك للقاضي عياض، 232، 237/1، والديباج المذهب لابن فرحون، 101/2-102. الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين للقاسبي، ص 4-16.

<sup>3</sup> الرسالة المفصلة للقاسبي، ص 74، ص 78، والحديث في صحيح البخاري، 1919/4 ر 4739،

<sup>4</sup> قال ابن منظور: «ظَهَرُ الْقَلْبِ: حِفْظُهُ عَنْ غَيْرِ كِتَابٍ» لسان العرب، 6/80.

<sup>5</sup> الرسالة المفصلة للقاسبي، ص 122-123، والحديث في صحيح مسلم 507/1 ر 733.

## ج- مبدأ الرفق بالمتعلم

اعتنى القابسي ببيان مبدأ لين المعلم ورفقه بالمتعلمين، وإن «من حسن رعايته لهم أن يكون رفيقاً...ولكن إذا أحسن المعلم القيام، وعُني بالرعاية، وضع الأمور مواضعها، لأنه المأخوذ بأدبهم، والناظر في زجرهم عمّا لا يصلح لهم، والقائم على إكراههم على مثل منافعهم، فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم، ولا يُخرجهم ذلك من حُسن رفقهِ بهم، ولا من رحمته إياهم فإنّما هو عوضٌ لهم من آبائهم، فكونه عبوساً أبداً من الفظاظَةِ الممقوتة»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: مبادئ التدريس عند أبي عمرو يوسف بن عبد البرّ

أ- مبدأ تحقيق إيجابية المتعلم وتعليمه طرائق التعلّم الذاتي

تناول ابن عبد البرّ<sup>(2)</sup> في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" هذا المبدأ في أبواب عديدة مثل (باب جامع في الحال التي يُسأل بها العلم)، ففي مجال التعلّم الذاتيّ ساق قول أبي الدرداء رضي الله عنه: «العلم بالتعلم»<sup>(3)</sup>، وفي (باب حمد السؤال والإلحاح في طلب العلم وذم ما منع منه) ذكر في مجال التعلّم بطرح السؤال- قول النبي ﷺ في الرجل الذي أصابه جرح فأمر بالاعتسال فمات: (فَتَلُوهُ فَتَلَهُمُ اللَّهُ، ألم يكن شفاءً العبيّ السُّؤال)<sup>(4)</sup>، وذكر في (باب ما جاء في مساءلة الله عز وجل العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا) في مجال تحقيق المتعلم لإيجابيته بالعمل قول أبي الدرداء: "إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت فماذا عملت فيما علمت؟"<sup>(5)</sup>.

ب- مبدأ تعليم تفكير

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 127، 128.

<sup>2</sup> يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (368 هـ - 463 هـ)، ولد في قرطبة، حافظ المغرب، شيخ علماء الأندلس وكبير محدّثيها في وقته، من شيوخه خلف بن القاسم الحافظ، وأحمد بن عبد الله الباجي، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو محمد بن خزم، وأبو بحر شفيان بن العاص، وأبو داود سليمان بن أبي القاسم المقرئ، وآخرون، ألف كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار، والاستيعاب لأسماء الصحابة، وجامع بيان العلم وفضله، ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لعياض، 252/2-253، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحمدي، 367-368، طبقات علماء الحديث للدمشقي الصالح، 324/3-328.

<sup>3</sup> جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، 421/1، ر 617،

<sup>4</sup> جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، 375/1، ر 526، وينظر تخريج الحديث ص 226.

<sup>5</sup> المرجع السابق، 680/1، ر 1201، قال محققه: «أثر صحيح»

عقد ابن عبد البر في مبدأ تعليم تفكير باباً سماه (طرح العالم المسألة على المتعلم)، وساق فيه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ). فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّحْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هِيَ النَّحْلَةُ)<sup>(1)</sup>، وطرح مثل هذه المسائل ينمي التفكير ومهارته عند المتعلمين.

### ج- مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم

تناول ابن عبد البر مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم في أبواب كثيرة منها (باب دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمستمع العلم وحافظه ومبلغه) الذي ذكر فيه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ)<sup>(2)</sup>، وقال في (باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه): «أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه ولا تدبر لمعانيه فمكروه عند جماعة أهل العلم»<sup>(3)</sup>.

### رابعاً: مبادئ التدريس عند أبي حامد الغزالي

#### أ- مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربية

يفتح الغزالي<sup>(4)</sup> كتاب "أيها الولد" بالتفصيل في هذا المبدأ، يقول ناصحاً تلميذه: «كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتَهَا بِتِكْرَارِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ، وَحَرَمْتِ عَلَى نَفْسِكَ النَّوْمَ، لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ الْبَاعِثُ فِيهِ؟ إِنْ كَانَتْ نِيَّتُكَ نَيْلَ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَجَذَبَ حُطَامِهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا، وَالْمِهَابَةَ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالْأَمْثَالِ فَوَيْلٌ لَكَ تَمَّ وَوَيْلٌ لَكَ، وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ إِحْيَاءَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَهْدِيبَ أَخْلَاقِكَ، وَكَسْرَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، فَطَوِّبِي لَكَ تَمَّ طَوِّبِي لَكَ... خُلَاصَةُ الْعِلْمِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ

<sup>1</sup> المرجع السابق، 480/1 ر764، وينظر تخريج الحديث ص106.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 176/1 ر185، وينظر تخريج الحديث ص158.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 1020/2 ر1945.

<sup>4</sup> أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (405هـ - 505 هـ)، ولد في طوس، برع في المذهب الشافعي والخلاف، والأصوليين، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، من شيوخه أحمد الداكاني، والإمام أبو نصر الإسماعيلي، وأبو المعالي الجويني، له كتب كثيرة منها إحياء علوم الدين، وبداية الهداية، والمنقذ من الضلال، والبسيط في الفقه، والوسيط في الفقه، والتحصيل والمآخذ، واللباب، والمستصفي، والمنحول، والاقتصاد في الاعتقاد، والمعيان، ومحك النظر، وتحافت الفلاسفة، وله رسالة أيها الولد، ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، 71-62/11، المقفى الكبير لتقي الدين المقرئ، 76/7-84.

ماهي؟ اعلم أنّ الطاعة والعبادة مُتَابَعَةُ الشارِعِ في الأوامر والنواهي»<sup>(1)</sup> فالعلم المطلوب شرعاً هو الذي يسعى إلى تحقيق غايات الإسلام وعلى رأسها قيام الإنسان بحق العبوديّة لله تعالى.

### ب- الرفق بالمتعلّم

جعل الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" مبدأ الرفق بالمتعلّم أوّل وظائف المرشد المعلّم فقال: «الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ)، بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية... [وإنّ] من دقائق صناعة التعليم أن يَزَجَرَ المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ»<sup>(2)</sup>، وإحاطة المعلّم بدقائق صناعة التعليم دليل على كفاءته التدريسيّة.

### ج- مبدأ القدوة

أكّد الغزالي عند بيانه لوظائف المرشد المعلّم على أهميّة مبدأ القدوة بالنسبة إليه، فالله تعالى يقول: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة:44]، لذا يجب «أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعلة لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر. فإذا خالف العمل العلم منع الرشد»<sup>(3)</sup>.

## خامساً: مبادئ التدريس عند برهان الإسلام الزرنوجي

### أ- مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس

<sup>1</sup> أيها الولد لأبي حامد الغزالي، ص105، ص117.

<sup>2</sup> إحياء علوم الدين لأبي حامد لغزالي، ص68،69 والحديث في سنن أبي داود، 8/1، قال محققه في الهامش: «إسناده

قوي»، سنن ابن ماجه، 1/114 ر313

<sup>3</sup> إحياء علوم الدين لأبي حامد لغزالي ، ص71.

ذكر الزرنوجي<sup>(1)</sup>. في كتابه "تعليم المتعلم طرق التعلّم" مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس التي يجب على المعلمين الالتزام به في التدريس، فيُرفق بالمتعلّم المبتدئ في القدر الذي يُقدّم له، ويُزاد له كل يوم شيئاً لكن بالرفق والتدرّج، ويظهر هنا التكامل بين مبدئي الرفق بالمتعلّم ومراعاة مبدأ التدرّج في تعليمه وهو ضروري لإنجاح العمليّة التربويّة، كما ينبغي له أن يبتدئ بما هو أقرب إلى فهمه، لأنّه إذا فهم ما يلقنه له معلّمه سهل عليه حفظه، ونلاحظ -هنا أيضاً- التكامل بين مبدأ مراعاة القواعد الأساسيّة لطرائق التدريس ومبدأ الجمع بين الحفظ والفهم<sup>(2)</sup>.

### ب- مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم

اهتمّ الزرنوجي بمبدأ الجمع بين الحفظ والفهم فالمتعلّم لا ينبغي أن يكتب شيئاً لا يفهمه، لأنّ ذلك يورثه كلالاً في طبعه ويذهب بفطنته ويضيع أوقاته، بل يبدأ بفهم المحتوى التعليمي قبل حفظه، وقد علّل ذلك بأنّ مخرجات الاستظهار من غير فهم عبارة عن حسّ ثقيل متلبّد، ونجاح المتعلّم الدراسي عند الزرنوجي له طريق واحد واضح هو «أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ بالتأمّل وبالتفكير وكثرة التكرار... قيل: حفظ حرفين، خير من سماع وقرين، وفهم حرفين خير من حفظ سطرين»<sup>(3)</sup>، فتكامل مسلكي الحفظ والفهم التعليميين طريق المتعلّمين لتحقيق الأهداف المرغوبة.

### ج- مبدأ تحقيق إيجابيّة المتعلّم وتعليمه طرائق التعلّم الذاتي

إنّ عنوان الكتاب يُظهر موقف الزرنوجي من إيجابيّة المتعلّم وتعلّمه الذاتي، وهو أحد وجوه سبق الزرنوجي التربوي، فمن أهمّ سبل تحقيق المتعلّم لإيجابيته أن يوظّف عمليّاته العقلية، لذلك ينبغي أن يكون له لسانٌ سؤالٌ وقلبٌ عقول، كما ينبغي «أن يكون متأملاً في جميع الأوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك، فإنما يدرك الدقائق بالتأمّل، فلهذا قيل: تأمل تُدرك... [و] قيل: رأس العقل أن يكون الكلام بالثبوت والتأمّل»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> برهان الدين ابراهيم الزرنوجي الحنفي، وزرنوج بالفتح والسكون بلد بما وراء النهر، من شيوخه علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني صاحب الهداية وركن الإسلام محمد بن أبي بكر وحماد بن إبراهيم وفخر الدين الكاشاني والمختار ركن الدين الفرغاني. اشتهر له كتاب تعليم المتعلّم فقط، توفي في حدود سنة 610 هـ، ينظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، ص13. الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحي الدين القرشي، ص628/2، كتاب تعليم المتعلّم طريق التعلّم لبرهان الإسلام الزرنوجي، ص21، 18.

<sup>2</sup> تعليم المتعلم طرق التعلّم للزرنوجي، ص100-101.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص101-102.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص104-106.



سادساً: مبادئ التدريس عند بدر الدين بن جماعة

### أ- مبدأ استشارة دافعية التعلّم لدى المتعلّم

ذكر ابن جماعة<sup>(1)</sup> هذا المبدأ في كتابه "تذكرة السامع والمتكلم"، قال: «أن يرغب في العلم وطلبه في أكثر الأوقات بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء، من منازل الكرامات وأنهم ورثة الأنبياء وعلى منابر من نور تغبطهم الأنبياء والشهداء ونحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والأحاديث والأخبار والآثار والأشعار»<sup>(2)</sup>، فإثارة دافعية التعلّم لدي المتعلّمين ينبغي أن تكون مستمرة وهذا يشير إلى أهميتها عن ابن جماعة.

### ب- مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس

تطرّق ابن جماعة إلى مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس، فلا ينبغي للمعلّم أن يلقي إلى المتعلّمين ما لم يتأهلوا له، فذلك بيدّ الذهن ويفرق الفهم، فإن سأله أحدهم شيئاً من ذلك لم يجبه ويفهمه أن ذلك لا ينفعه، فمبهمات مسائل العلوم تؤثر على الفهم سلبياً، ولا بدّ من مراعاة التدريج في تحصيلها، كأن يبدأ المعلّم بتصوير المسائل ثم يوضّحها بالأمثلة وعرض الدلائل عليها لمن لم يتأهل لفهم ذلك، وليحذر أن ينصحهم بتعلّم مالا يتحمّله الفهم أو السنّ، ولا بكتاب يعجز الذهن عن فهمه<sup>(3)</sup>.

### ب- مبدأ التغذية الراجعة

تعرّض ابن جماعة لمبدأ التغذية الراجعة وأكد على أهميتها، فعلى المعلّم أن يطالب المتعلّمين أحياناً بإعادة المحفوظات، ويمتحن مدى ضبطهم لما قدّم لهم من قواعد مهمّة ومسائل غريبة، فمن أجاب ولم يخش عليه شدّة الإعجاب أثنى عليه وشكره بين زملائه ليحتّمهم على الاجتهاد في طلب الازدياد<sup>(4)</sup>، فكلام ابن جماعة يتعلّق بما يسمّى في التربية المعاصرة تغذيةً راجعةً تعزيزيةً، وهي

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد بن جماعة قاضي القضاة وشيخ الإسلام الحموي الأصل (639هـ - 733هـ)، ولد بجماعة، حصل فنونا متعدّدة، مثل علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير من شيوخه ابن البرهان والرشيد العطار وسميع بن عزون ابن أبي السير وابن عبد وعمر بن البراذعي والرشيد بن مسلمة، من كتبه المنهل الروي في الحديث النبوي وكشف المعاني في التشابه من المثاني، وغرة التبيان لمن لم يُسَم في القرآن وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، 18/357-358، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، 18/15-16، والأعلام لخير للزركلي، 5/297-298.

<sup>2</sup> تذكرة السامع لابن جماعة، ص138.

<sup>3</sup> تذكرة السامع لابن جماعة، ص141، 143، 148.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص145.

الملحوظات التي يقدمها المعلم إلى المتعلم بقصد تعزيز استجاباته الصحيحة، فتُسهم في استشارة دافعيته للمزيد من التحصيل، وهو ينبّه إلى أهمية شكر المتعلم والثناء عليه بين زملائه ليتعدى نفع التغذية المرتدة إليهم.

### سابعاً: مبادئ التدريس عند عبد الرحمن بن خلدون

#### أ- مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس

ذكر ابن خلدون<sup>(1)</sup> في مقدمته أنّ تحصيل المتعلمين للعلوم متوقّف على مدى تدرّج المعلم في نقلها لهم، لأنّ «تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيداً إذا كان على التدرّج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا. يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب. ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرِدُ عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفنّ... ثمّ يرجع إلى الفنّ ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هناك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح له مغلقه، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه»<sup>(2)</sup>. فابن خلدون يقترح منهجاً كاملاً في التعليم من ثلاث تكرارات، وبيّن درجة التحصيل الدراسي في كلّ مرحلة منها، ويشير إلى تكامل هذا المبدأ بمبدأ مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية.

#### ب- مبدأ تنويع طرائق التدريس

يتطرّق ابن خلدون إلى مبدأ تنويع طرائق التدريس فيذكر أنّ أهل المغرب مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم كتاب الله فقط، وأخذهم أثناء ذلك بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، أمّا أهل الأندلس فيجمعون إلى ذلك رواية الشعر ويطرّسون في قوانين العربية وحفظها وتجويد الخطّ

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، الحضرمي الإشبيلي الأصل، التونسي ثم القاهري (732هـ - 808هـ)، قاضي القضاة العلامة الحافظ المؤرخ، الفيلسوف، البحاثة، أخذ عن عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن إبراهيم الإربلي، والزواوي وابن العربي وتأدّب بأبيه وأخذ عن ابن جابر الوادي آشي، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، أولها (المقدمة) وهي تعدّ من أصول علم الاجتماع، ومن كتبه شرح البردة وغيرها، ينظر: تاريخ ابن خلدون، 503/7 وما بعدها، نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكي، ص 250-252، والأعلام لخير الدين الزركلي، 330/3.

<sup>2</sup> مقدّمة ابن خلدون، ص 347.

والكتاب، في حين أنّ أهل إفريقيّة يخلطون تعليم القرآن بالحديث في الغالب، ودراسة قوانين العلوم وتلقين شيءٍ من مسائلها. مع تركيزهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وأهل الشرق يعتنون بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيبية<sup>(1)</sup>، فهذه الطرق تخدم هدفاً تعليمياً واحداً هو تحفيظ القرآن، وقد أشار ابن خلدون إلى الفروق الفردية كسبب لهذا التنوع وهو ما سّماه اختلاف الأمصار.

### ج- مبدأ تحقيق إيجابية المتعلم وتعليمه طرائق التعلم الذاتي

ينتقد ابن خلدون بعض طرائق التعليم التي يكون فيها المتعلمون سلبيين «فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه حصل تجد ملكته قاصرة على في علمه إن فاض أو ناظر أو علم، وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك»<sup>(2)</sup>، وإنّ ربطاً ابن خلدون بين اعتماد المعلم لطرائق التلقين وحشو الذاكرة وبين سلبية المتعلمين هو عين ما تحذّر منه التربية المعاصرة.

### ثامناً: مبادئ التدريس عند أبي العباس أحمد الونشريسي

#### أ- مبدأ الثواب والعقاب

يتطرّق الونشريسي<sup>(3)</sup> في "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" إلى هذا المبدأ، ففي بيان طريقة تأديب من أخطأ من المتعلمين ينقل فتوى جواز زجر وتأديب تارك الصلاة إن عاد إلى ذلك إن كان ابن عشر سنين، فإذا شرب المسكر جاز تأديبه عليه، أما ابن خمس فلا يؤدّب إلا بعد أن يُزجر عمّا سبق مرّتين اثنتين، مع مراعاة المعلم لقدر

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 353\_354.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 167.

<sup>3</sup> أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني (834 هـ - 914 هـ)، حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة، كان مشاركاً في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره، أخذ عن أبي الفضل قاسم العقباني والقاضي أبي سالم العقباني، وأخذ عنه أبو عباد بن مريح اللمطي، وأبو زكرياء السوسي، ومحمد بن عبد الجبار، من كتبه إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك و المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس وبلاد المغرب، والقواعد في فقه المالكية، توفي سنة 914 هـ. ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد التنبكي، ص 135، وذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس ابن القاضي، 91/1، والأعلام لخير الدين الزركلي، 269/1.

احتماله<sup>(1)</sup>، وفي أساليب العقاب يذكر ما جاء عن القابسي أنّ الزجر يكون « بالوعيد والتقريع لا بالثتم، كقول بعض المعلمين للصبي يا قَرْدُ! فإن لم يُفدّ القول انتقل إلى الضرب، والضرب بالسوط من واحد إلى ثلاثة ضَرْبَ إيلام فقط دون تأثير في العضو، فلو لم يفد زاد إلى عشر»<sup>(2)</sup>.

### ب- مبدأ الرفق بالمتعلم

في مبحث (صفات المعلم وطريقه ضربه للصبيان) يؤكّد الونشريسي على أهميّة لين ورفق المعلم بمتعلّميهِ، فينبغي أن يكون المعلم ذا هيبة في غير عنف ولا يكون عبوساً مغضباً، أمّا إذا اضطرّ إلى معاقبتهم فليحذر أن يكون دافع ذلك التشقي أو الانتقام لنفسه لأنّ ذلك اعتداء وظلم لهم، فينبغي ألاّ يكون دافع ذلك إراحة قلبه من غيظه، وبنبه أنّ مبدأ الرفق بالمتعلّمين لا ينبغي أن يغيب عن بال المعلمين حتّى أثناء عقابهم لهم<sup>(3)</sup>.

### ج- مبدأ توافر مقومات فعالية التقويم

يتناول الونشريسي هذا المبدأ فيتطرّق إلى تنويع أساليب العمليّة التقويمية كأحد مقومات فاعليّتها، والفتوى هنا تتعلّق بمعلّم «يعرض الصبيان عشية الأربعاء، هل يعرضهم اثنين أو ثلاثة خشية أن لا يستوعبهم في الجمعة أو أفراداً؟»<sup>(4)</sup>، وواضح أنّ المسألة تخصّ فاعليّة أسلوب العرض الجماعيّ في معرفة مدى تحقّق الأهداف التعليميّة، إذ أنّ عرض المتعلّمين جماعة للقدر المحفوظ من القرآن الكريم لا يساعد على التأكّد من حفظ كلّ متعلّم بعينه، لكن قد يضطر المعلم إلى ذلك لضيق في الحجم الساعيّ كما في السؤال الذي أورده الونشريسي، والفتوى التي ينقلها أنّ القضيّة متوقّفة على مدى تأكّد المعلم من حفظ متعلّميهِ، فإن «كان على يقين من حفظهم أرجو أن لا يكون بذلك بأس، وإن لم يكن على يقين من حفظهم فإنه لا يدري من يحفظ منهم، لأن بعضهم عون لبعض ويفتح بعضهم على بعض، فأرى أن يمنعهم من الغرض ويأخذوهم منفردين»<sup>(5)</sup>، والفتوى تمنح المعلمين درجة كبيرة من الحرّيّة في تقويم متعلّميهِم، ولو سمع من الحاذقين مجتمعين ومن

<sup>1</sup> المعيار المعرب للونشريسي، 245/8.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 256/8.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 250/8.

<sup>4</sup> المعيار المعرب للونشريسي، 239/8.

<sup>5</sup> المرجع السابق، 239/8.

غيرهم منفردين مثلاً لما كان في ذلك بأس لمعرفته بهم، وهذا معنى اشتراط كونه على يقين من حفظهم لجواز العرض الجماعي.

## الفرع الثاني: مبادئ التدريس عند المحدثين

أولاً: مبادئ التدريس عند الإمام عبد الحميد بن باديس

### أ- مبدأ تنويع طرائق التدريس

يسمى الإمام ابن باديس<sup>(1)</sup> الأسس التي تقوم عليها العملية التربوية أصول التربية النفسية، وقد ذكر مبدأ تنويع طرائق التدريس في تفسير قوله الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125]، فالله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة التي هي بيان العقيدة بأدلتها، والحقائق ببراهينها، وبيان الأخلاق الكريمة بمحاسنها، والأعمال الصالحة بمنافعها، وأمره ﷺ أن يدعوهم بالموعظة الحسنة، وهي الكلام الذي يلين القلب بما يجويه من ترغيب وترهيب، كما أوصاه ﷺ أن يجادل بالتي هي أحسن لرد الباطل وإبطال الشغب، والله تعالى نوع طرائق الدعوة إليه «ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند الدعوة لأحد أحسن ما يدعى به، وكيف ننتقي ما يناسب ما نريد دعوته إليه: فدعاء الشخص بما يجب مما يلفته إليك، ويفتح لك سمعه وقلبه»<sup>(2)</sup>، وابن باديس يشير إلى أن أولى الناس بهذا هم أهل الدعوة عامة والمعلمين خاصة.

---

<sup>1</sup> عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس (1307 هـ - 1359 هـ / 1889 م - 1940 م)، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر من بدء قيامها سنة 1931م إلى وفاته. ولد في قسنطينة في ثاني الربيعين من سنة 1307 هـ. اتخذ التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي من شيوخه محمد بن المداسي، وحمدان الونيسي، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد النخلي القيرواني، ورشيد رضا، ومحمد بخت المطيعي، أصدر مجلة الشهاب، صدر منها في حياته نحو 15 مجلداً. وكان شديد الحملات على الاستعمار، من كتبه مجلس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومجلس التذكير من كلام البشير النذير، والعقائد الإسلامية، وتحقيق العواصم من القواصم لابن العربي، توفي بقسنطينة متأثراً بمرضه، وقيل مات مسموماً. ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، 289/3، آثار ابن باديس لعمار طالي. 99-72/1. وعبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية لمصطفى محمد حميداتو، 82-61.

<sup>2</sup> تفسير ابن باديس، ص 21 إلى ص 328.

## ب- مبدأ رجاء النجاح الدراسي

يتناول ابن باديس مبدأ رجاء النجاح الدراسي عند شرحه لقول الرسول ﷺ: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)، فقد «جاء هذا الحديث الشريف يحذر من تحقير الناس وتقنيطهم وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم. وهذا الأصل العظيم الذي دل عليه هذا الحديث الشريف يحتاج إليه كل مرب سواء أكان مربياً للصغار أم للكبار، وللأفراد أم للأمم، إذ التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس نفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية، والاحترام والتنشيط وبعث الرجاء إحياء لها وذلك هو غرض كل مرب ناصح في تربيته»<sup>(1)</sup>، إنَّ المطلوب من المعلمين إشعار متعلميهم بقدرتهم على تحقيق الأهداف المرغوبة، وهو يصف هذا بأنه أصل عظيم من أصول التربية، أي قاعدة من قواعدها ومبدأ من مبادئها.

## ج- مبدأ استثارة دافعية التعلم لدى المتعلم

يوظف ابن باديس مبدأ استثارة دافعية التعلم لدى المتعلم ببيان فضله، إنه «لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالماً إلا من كان متعلماً، كما لن يصلح معلماً إلا من قد كان متعلماً. ومحمد ﷺ الذي بعثه الله معلماً كان أيضاً متعلماً: علمه الله بلسان جبريل، فكان متعلماً عن جبريل عن رب العالمين، ثم كان معلماً للناس أجمعين. أرأيت أصل العلم ومن معلموه ومتعلموه؟ ثم أرأيت شرف رتبة التعلم والتعليم»<sup>(2)</sup>، ولا شك أن أول المخاطبين بهذا الكلام هم المتعلمون المنتسبون إلى مدارس جمعية العلماء المسلمين.

ثانياً: مبادئ التدريس عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي

## أ- مبدأ القدوة

<sup>1</sup> مجالس التذكير لابن باديس، ص 82. والحديث في صحيح مسلم، 4/2024 ر 2623.

<sup>2</sup> تفسير ابن باديس، ص 343.

يؤكد الشيخ الإبراهيمي<sup>(1)</sup> على أهمية مبدأ القدوة في مهنة تدريس العلوم، ذلك أن «المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلاً... ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحاً، لأنهم يأخذون منه بالقدوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين»<sup>(2)</sup>، إن ممثلي جمعية العلماء من المنتسبين إلى مدارسها، معلمين ومتعلمين، صورة مُصغرة من الجمعية التي هي رمز الدين الصحيح، «فكونوا- في مظهركم ومخبركم- أمثلةً صحيحةً منها، واعلموا أن كل زلة منكم- وإن صغرت- محسوبةٌ على جمعية العلماء، منسوبةٌ إليها... إن لكل فلتة ولكل كلمة تصدر منكم أثراً في نفوس تلاميذكم، لأنكم محل القدوة عندهم»<sup>(3)</sup>.

### ب- مبدأ الرفق بالمتعلم

يلفت الإبراهيمي انتباه المعلمين إلى ضرورة التعامل مع المتعلمين بلين، فتعليمهم لا يكمل إلا إذا أنسوا واطمأنوا في بيئتهم التعليمية، ولا طريق إلى ذلك إلا الرفق والرحمة، إن من الطباع اللازمة للصغار أنهم يحبون من يتودد إليهم، ويأمنون بمن يعاملهم برفق، فيجب على من يريد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب الطرق أن يتحجب إليهم، ويستقبلهم بوجه مهلل، ويضاحكهم، لأنهم إذا أحبوه أطاعوه، وإذا ملك نفوسهم بطريقة الترغيب حَبَّب إليهم المدرسة والعلم، أما التعامل معهم بجفاء وشدّة فليست من أساليب الإسلام في التعليم، فليحذر «المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلّمي القرآن، وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن،

---

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي (1306 هـ - 1385 هـ / 1889 م - 1965 م)، ولد في سطيف، رحل إلى المدينة المنورة عام 1911م، درس فيها علوم التفسير والحديث، والفقه، والتراجم، وأنساب العرب، وأدبهم، والتقى في موسم الحج عام 1913 بالإمام ابن باديس، وضع الإبراهيمي دستور جمعية العلماء وقانونها الأساسي، وأصبح نائبا لرئيسها، ووجه يوم 15 نوفمبر 1954م نداء إلى الشعب الجزائري، يدعو فيه إلى الالتفاف حول الثورة المسلحة، عاد بعد استعادة الاستقلال واضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته وسياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي، فأنحصر نشاطه في إلقاء أول خطبة جمعة افتتح بها مسجد "كتشاوة" وإصدار بيان 16 أبريل 1964، الذي دعا فيه السلطة آنذاك للعودة إلى جادة الإسلام، بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية، ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، 13-9/1.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 113/2.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 271/3.

فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة»<sup>(1)</sup>، والإمام يربط هنا بين مبدأي الرفق بالمتعلم وإثارة دافعية التعلم لديه.

### ج- مبدأ مرونة التدريس

أكد الإبراهيمي على ضرورة الجمع بين الثبات والمرونة في التعليم، فجمعية العلماء لا ترى بأساً من الإفادة مما تكتشفه الأمم إذا كان يزيد من فعالية العملية التربوية، إنَّ «الأمة تريد تعليمًا عربيًا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليمًا يحمل جرائم الفناء، وتحمله نذر الموت. والأمة تريد تعليمًا عربيًا عليه طابعها، وفيه أثر يديها، وله ما لها من روح، وعليه ما عليها من سمات. إن هذه الأمة تعتقد- وتموت على اعتقادها- أن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني، وشرط في بقائها، وقد التقى على الكفاح في سبيلها الدين والسياسة، فلم يختلف لهما فيه رأي، ولم يفترق لهما قصد»<sup>(2)</sup>، والمقصود أن الاستعانة بآليات واستراتيجيات الأمم الأخرى في التعليم لا يستلزم بالضرورة التنازل عن الثوابت مثل التدريس باللغة الأم.

### ثالثاً: مبادئ التدريس عند عمر التومي الشيباني

#### أ- مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربية

يذكر التومي في كتابه "فلسفة التربية الإسلامية" القواعد التي يقوم عليها التعليم في الإسلام تحت عنوان (المبادئ التي تقوم عليها المناهج الدراسية في التربية الإسلامية)، «فكل ما يتعلق بالمنهج من فلسفة وأهداف ومحتويات وطرق للتدريس وأساليب في المعاملة وعلاقات سائدة في مؤسسات التعليم يجب أن تكون قائمة على أساس من الدين والأخلاق الإسلامية ومشبعة بروح الدين الإسلامي وفضائله ومثله العليا السامية وتستهدف بناء الشخصية المؤمنة والإرادة والخير والضمير اليقظ وهذا المبدأ واجب المراعاة ليس في العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية فحسب، بل في كل ما يحتويه المنهج من علوم عقلية وطبيعية وتطبيقية وأنشطة وخبرات، لأن الجميع يجب أن يسير في إطار الدين والأخلاق ويسعى إلى الغايات الروحية والخلقية»<sup>(3)</sup>، وأسمى تلك الغايات تحقيق العبودية لله تعالى وعمارة الأرض وفق شريعته سبحانه.

<sup>1</sup> المرجع السابق، 113/2.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 284/3.

<sup>3</sup> فلسفة التربية الإسلامية للشيباني، ص 377.



## ب- مبدأ شمول وتوازن التدريس

في معرض تناوله للأهداف والمحتويات، ذكر التومّي أنّ من المبادئ المتعلقة بهما «مبدأ الشمول في أهداف المنهج ومحتوياته. فهو في الوقت الذي تكون فيه أهدافه شاملة لكافة جوانب شخصية المتعلّم فإن محتوياته يجب أن تكون شاملة أيضاً لكل ما يفيد في بناء شخصية المتعلم المتكاملة وفي بناء عقيدته وعقله وجسمه وما ينفع المجتمع في تقدمه الروحي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي من علوم دينية ولغوية وإنسانية وطبيعية وتطبيقية ومهنية وفنون جميلة وغيرها... [وكذا] مبدأ التوازن النسبي بين أهداف المنهج ومحتوياته. فهو في الوقت الذي يجب فيه أن يعطي اهتماماً أكبر لتنمية الجانب الروحي وللعلوم الشرعية فإنه يجب ألا يسمح لذلك الجانب الروحي أن يطغى على بقية الجوانب الهامة أيضاً في الحياة ولا لهذه العلوم الشرعية أن تطغى على بقية العلوم والفنون والأنشطة التي لا غنى عنها بالنسبة للفرد والمجتمع، لأن الإسلام الذي يستوحى منه المنهج الدراسي فلسفته وأهدافه يؤكد أهمية كل من الدنيا والآخرة ويعترف بأهمية كل من الجسم والعقل والروح وبحاجات كل ناحية من هذه النواحي، ويطالب المسلمين بالتزام الاتزان والاعتدال في كل شيء»<sup>(1)</sup>.

## ج- مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم

يذكر التومّي مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم في مبحث (المبادئ العامة التي تقوم عليها طرق التدريس في التربية الإسلامية)، لأنّه نظر إلى الحفظ والفهم على أنّهما طريقتان في التدريس، فكل ما في التربية الإسلامية من اهتمام متكامل بين الحفظ من جهة والفهم والتفكير من جهة أخرى قد وجد المرّبون المسلمون سندهم في تقريره وتأكيدّه «في نصوص دينهم من الكتاب والسنة»<sup>(2)</sup>.

## رابعاً: مبادئ التدريس عند سعيد إسماعيل القاضي

### أ- مبدأ الفروق الفردية

سمّى القاضي في كتابه "التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة" الأسس التي تقوم عليها العمليّة التعليميّة التعلّميّة مبادئ تربويّة، والتربيّة الإسلاميّة تعنى بالفروق الفرديّة بين المتعلّمين والمتربّين لينال الجميع حقوقهم من التربيّة والتعليم، فقد أعطوا مواهب واستعدادات متباينة، وقد جاء ذكر

<sup>1</sup> فلسفة التربية الإسلامية للشيباني، ص 378.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 451، 452.

هذا المبدأ في القرآن والسنة، «فالحق تبارك وتعالى لا يحمل إنساناً فوق طاقته، حتى في العبادات، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:268]... وقد وضع رسول الله ﷺ أصول هذا المبدأ التربوي الهام... فقد كان يخاطب صحابته بلغة يفهمونها، ويخاطب الأعرابي بلغة أخرى وطريقة مناسبة، كما كان يوجه الصغار بأسلوب يناسبهم، غير أسلوب الكبار، وإذا كان اللبيب من صحابته تكفيه الإشارة أو الموعظة الواحدة، إلا أنه ﷺ لا يمل من الإعادة والتكرار لمن لم يفهم من المرة الواحدة - كقوله للمسيء في صلاته: (ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)»<sup>(1)</sup>.

### ب- مبدأ تنويع طرائق التدريس

إنّ ما تنادي به التربية المعاصرة من ضرورة تنويع طرائق وأساليب التربية والتعليم التدريس هو «ما قالت وعملت به التربية الإسلامية، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، منذ أربعة عشر قرناً من الزمان. تلك الأساليب التي عمل بها ودعا إليها المعلم الأول في التربية الإسلامية. فكانت هناك القدوة، والموعظة الحسنة، وكان هناك الترغيب والترهيب، وكان هناك التربية باستخدام وسائل الإيضاح، والتربية بالقصة، وبضرب الأمثال، إلى غير ذلك من أساليب تربوية»<sup>(2)</sup>.

### ج- مبدأ تيسير وترسيخ وسائل التدريس للتعلّم

تولى التربية المعاصرة وسائل التدريس اهتماماً كبيراً لما لها من دور في إحداث التعلّم وترسيخه، فكلمًا تعددت الحواس المستخدمة من طرف المتعلّمين كلما كان التحصيل أسرع وأرسخ، «وللتربية الإسلامية السبق في مجال الإيضاح بالمحسوس واستخدام الوسائل التعليمية في الموقف التربوي. سواء كان ذلك منذ أربعة عشر قرناً على يدي المرابي الأعظم ﷺ، أو على أيدي وتوجيهات علمائنا المرابين المسلمين»<sup>(3)</sup>.

### خامساً: مبادئ التدريس عند محمد عثمان نجاتي

#### أ- مبدأ استثارة دافعية التعلّم لدى المتعلّم

ذكر محمد نجاتي في كتابيه "القرآن وعلم النفس" و"الحديث النبوي وعلم النفس" أسساً وقواعد كثيرة سمّاها مبادئ التعلّم في القرآن والسنة، ومنها هذا المبدأ، إنّه «إذا توافر الدافع القوي

<sup>1</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لسعيد القاضي، ص 69-70. وينظر تخريج الحديث ص 191.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 81.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 83، 84.

للحصول على هدف معين، وتوافرت الظروف المناسبة، قام الإنسان ببذل الجهد الضروري لتعلم الطرق الصحيحة للوصول إلى هذا الهدف. ... ولقد بينت كثير من الدراسات التجريبية التي أجريت حديثاً على الحيوان والإنسان أهمية الدافع في حدوث التعلم. وقد استخدم القرآن في تربيته الروحية للمسلمين أساليب مختلفة في إثارة دوافعهم إلى التعلم. فاستخدم الترغيب والترهيب، واستخدم القصص للتشويق، كما استعان بالأحداث الجارية الهامة التي تثير دوافع الناس وانفعالاتهم وتجعلهم متهيئين لتعلم العبرة من هذه الأحداث»<sup>(1)</sup>.

وقد رغب الرسول ﷺ الناس - في دعوتهم إلى التوحيد - ترغيباً شديداً بالثواب العظيم والفوز بالجنة، واستخدم ﷺ الترغيب لإثارة الدافع إلى القيام بالمأمورات وترك المنهيات، كما استعان ﷺ في ذلك بالقصة لما لها من أثر بالغ في إثارة الانتباه وسرعة التحصيل<sup>(2)</sup>.

### ب- مبدأ تحقيق إيجابية المتعلم وتعليمه طرائق التعلم الذاتي

لمشاركة المتعلم في العملية التعليمية التعلمية بالغ الأثر في التحصيل والإنجاز، حيث «يكون التعلم أفضل وأسرع إذا شارك المتعلم مشاركة إيجابية فعالة في عملية التعلم، وقام بنفسه بالممارسة العملية للسلوك المطلوب تعلمه. أما المشاركة السلبية في عملية التعلم فغير مجدية»<sup>(3)</sup>، وإننا «نجد في القرآن تطبيقاً لمبدأ المشاركة الفعالة، يتضح ذلك من الأسلوب الذي اتبعه القرآن في تعليم المسلمين الخصال النفسية الحميدة، والأخلاق والعادات السلوكية الفاضلة عن طريق تدريبهم العملي عليها بما كلفهم القيام به عبادات مختلفة. فالوضوء وأداء الصلاة في مواعيد معينة كل يوم يعلمان المسلمين النظافة والطاعة والنظام والصبر والمثابرة... فالإيمان الصادق يجب أن يعبر عنه في سلوك المؤمن وعمله وذلك بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، وحب الخير للناس، وبالسبق إلى أداء ما يرضي الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام. فالعمل الصالح، والقيام بما أمرنا به الشرع يثبت التقوى في القلوب، ويقوي السلوك الإسلامي السليم الذي يتفق مع القيم الدينية والفضائل الخلقية الإسلامية، وقد ورد الإيمان في كثير من آيات القرآن مصحوباً بالعمل الصالح. ومن أمثلة ذلك: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> القرآن وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 169.

<sup>2</sup> الحديث النبوي وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 169-174.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 187.

<sup>4</sup> القرآن وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 185.

## ج- مبدأ الثواب والعقاب

سمى نجاتي مبدأ الثواب والعقاب المكافأة<sup>(1)</sup>، وهي مهمة في تدعيم الاستجابات الصحيحة وتثبيتها. لأن الاستجابة التي لا تؤدي إلى النجاح في حل المشكلة تضعف فيتخلى عنها المتعلم. أما الاستجابة التي تنجح في تحقيق الهدف وحل المشكلة فإنها تقوى، ويحتفظ بها المتعلم، وقد أشار النبي ﷺ إلى أهمية المكافأة في تدعيم السلوك المطلوب تعلمه بقوله: (أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَحِفَّ عَرْقُهُ)، وقد كان للترغيب في ثواب الجنة والترهيب من عذاب النار أثر كبير في سلوك المؤمنين، وفي إثارة الدوافع لديهم للإيمان بالله ﷻ، وفي تمسكهم بالتقوى والعمل الصالح<sup>(2)</sup>.

### سادساً: مبادئ التدريس عند سعيد إسماعيل علي

#### أ- مبدأ الرفق بالمتعلم

ذكر سعيد إسماعيل علي في كتابه "السنة النبوية رؤية تربوية" «عدداً غير قليل من القواعد والمبادئ التربوية العامة التي تُفعل من العمل التربوي وتعززه»<sup>(3)</sup>، ومنها مبدأ التيسير على المتعلم والرفق به، والأصل هنا أن الإسلام لا يقبل العسر، والإنسان فيه لا يُحمّل فوق طاقته، ومن هنا فإن النبي ﷺ كان يتبع طريقة تعليمية لا ترهق المتعلم، فلا يقضوا كامل وقتهم في التعلم، بل تترك لهم أوقاتاً للراحة وتجديد النشاط، إن «من التيسير أن يكون المعلم بمن يعلمه رفيقاً رحيماً، وأن يتعامل معه كما يتعامل الأب مع أبنائه، ومن هنا كان وصف الله سبحانه للمعلم الأول رسول الله بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، ووصف الرسول نفسه مؤكداً: (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ)<sup>(4)</sup>.

#### ب- مبدأ مراعاة الفروق الفردية

إنّ التباين والاختلاف في الألوان والألسنة والمشارب والقدرات من سنن الله تعالى في خلقه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]، وقال الرسول ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ،

<sup>1</sup> الحديث النبوي وعلم النفس لمحمد نجاتي، ص 178.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 178-181، وينظر تخرّيج الحديث ص 224.

<sup>3</sup> السنة النبوية رؤية تربوية لسعيد علي، ص 432.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 434-435، والحديث سبق تخرّيجه ص 60.

والسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْحَيْثُ، وَالطَّيِّبُ)، ومراعاة لما بين الناس من اختلاف وتباين، فقد جاء الهدي الإلهي لرسله عليهم السلام أن يحادثوا أقوامهم بما يفهمون، ومن مظاهر مراعاة هذا المبدأ في السنّة النبويّة اختلاف وصايا رسول الله ﷺ باختلاف الطالبين للوصيّة، واختلاف أجوبته ﷺ عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين، واختلاف مواقفه ﷺ باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم، واختلاف تكليفاته ﷺ لمن يكلفهم باختلاف قدراتهم وغير ذلك<sup>(1)</sup>.

### ج- مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس

تناول سعيد علي مبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس باسم التدرّج، فالمعرفة تؤخذ بالتدرّج ليفهمها العقل، وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ فُتْرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)، إِنَّ «عملية التدرّج في التعليم تخضع لمقتضيات، فلما كان معاذ مبعوثاً ليعلم قوماً في منطقة أخرى بعيدة، وليسوا مثلما كان أهل مكة وثنيين، فلا بد من القاعدة الأولى أولاً، ثم ينتقل إلى ما بعدها وهكذا يتّوج العملية التعليميّة بهذا المبدأ الحاكم العدل، وهكذا ينبغي أن تكون الدعوة ويكون التعليم. والتدرّج ذو شقين: شق يتعلق بالكم، وشق يتعلق بالكيف، فالأول يعني أن يعطى المتعلم من العلم المقدار الملائم له ولا يكثر عليه المعلم... والثاني يتعلق بالكيف والنوع، فهنا يجب على المعلم أن يبدأ مع طلابه بالواضح قبل الغامض، وبالبسيط قبل المركب، والجزئي قبل الكلي والعملية قبل النظري»<sup>(2)</sup>.

سابعاً: مبادئ التدريس عند زين محمد شحاتة

#### أ- مبدأ تيسير وترسيخ وسائل التدريس للتعلّم

ذكر شحاتة في كتابه "المرشد في التربية الإسلامية" الكثير من المبادئ المستنبطة من القرآن والسنّة وسمّاها مبادئ التعليم، ومبدأ تيسير وترسيخ وسائل التدريس للتعلّم جاء عند شحاتة تحت

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 436-437 وينظر تخريج الحديث ص 296.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 440-442، والحديث صحيح البخاري 544/2 ر 1425، وصحيح مسلم، 50/1 ر 19.

اسم (استخدام وسائل اتصال غير اللغة اللفظية)، «فقد استخدم الرسول ﷺ الإشارة في توضيح الأشياء والتركيز عليها لتفهم عنه. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا) وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا... كما استخدم الرمال كوسيلة إيضاح، وهي وسيلة يسيرة ولكنها خصبة غنية إذا صادفه استعداداً من المتعلمين وإخلاصاً من المعلم، فقد خطَّ النبي ﷺ حَطًّا مُرَبَّعًا، وَحَطَّ حَطًّا فِي الْوَسْطِ حَارِجًا مِنْهُ، وَحَطَّ حَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: (هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ حَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْحُطُّ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَحْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَحْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا)»<sup>(1)</sup>.

### ب- مبدأ الرفق بالمتعلم

ورد هذا المبدأ عند شحاته باسم (الرفق مع المتعلمين)، فقد أمر الله ﷻ بالرفق والحلم في معاملة الناس، «وأمر موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون، وأن يقولا له قولاً لنا قال تعالى لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (44) [طه]، ولم يكن هناك أعتى ولا أطغى من فرعون، ومع ذلك كان موسى عليه السلام رفيقاً معه في عرض الدعوة، فقال كما يحكي القرآن: ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ (18) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (19) [النازعات]، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً في تعليمه لأصحابه ولمن حوله، ولذا وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]. ويروي أبو هريرة رضي الله عنهم فيقول: بال أعرابي في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا فيه، فقال لهم رسول الله ﷺ: (دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)»<sup>(2)</sup>.

### ج- مبدأ شمول التقويم

<sup>1</sup> المرشد في التربية الإسلامية لزين محمد شحاتة، ص104-105. والحديث الأول في صحيح البخاري، 2032/5 ر4998، وصحيح مسلم، 2287/4 ر2983، وأما الحديث الثاني فهو في صحيح البخاري، 2359/5 ر6054.  
<sup>2</sup> المرجع السابق، ص106، وينظر تخريج الحديث ص293.

تطرق شحاتة إلى هذا المبدأ باسم التقويم المستمر، «فقد كانت الواقعة ربما تحدث ويقر فيه الرسول أمراً ثم ينزل القرآن مقراً هذا الأمر أو معدلاً فيه. فقد حدث أن أطلق الرسول ﷺ بعد استشارته أسرى بدر، ونزل القرآن بعد ذلك ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [الأنفال:67]. وجاء رهط من سادات قريش إلى رسول الله ﷺ فأخذ يعرض عليهم الإسلام. وفي تلك الآونة جاء مسلم أعمى يسأل الرسول ﷺ فانشغل عنه رسول الله ﷺ طمعاً في إيمان هؤلاء الرجال فنزل القرآن معاتباً ومقوماً للموقف: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِي (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)﴾ [عبس]، ... وكان رسول الله ﷺ يُقَوْمُ سلوك أصحابه من حوله في كل لحظة... عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطْبِشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»<sup>(1)</sup>.

ثامناً: مبادئ التدريس عند نايف سالم العطار

أ- مبدأ تعليم تفكير

بسط العطار الكلام في مبادئ التدريس في دراسته (مبادئ تعليمية للمدرسين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية)، وإن «من مبادئ التربية الإسلامية، في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، التفكير والتدبر وقد حث القرآن الكريم على ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم لفهم كتاب الله، وامتنال أوامره وليحرص المربون على إكساب طلابهم هذه المهارة، لحماية الفطرة الإنسانية من الزلل والانحراف، ولذلك كان من أهم أهداف التربية الإسلامية تدريب الإنسان على حسن التفكير والتفكير تفكيراً سليماً وتفكيراً منهجياً أميناً، يرافقه في حياته كلها... ومن الآيات الدالة على التدبر قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29]. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]... أما الأحاديث فمنها قوله: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 106-107، وينظر تخرج الحديث ص 267.

عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشَيْتَهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(1)</sup>، ولتنمية هذه القدرات عند المتعلم يجب على المعلم أن يستخدم الأساليب المتنوعة لإثارة تفكيره وتوفير الجو الصفي الذي تسوده الحرية لتدريبه على طلاقة التفكير والاستنتاج.

### ب- مبدأ تدريس المفاهيم

تطرق العطار إلى مبدأ تدريس المفاهيم، وذكر حرص القرآن والسنة على تعليم المفاهيم وتصحيحها تسهيلاً لعملية التعلم، وتثبيتاً للمفاهيم الصحيحة، وتصحيحاً للمفاهيم الخاطئة، ولكي تستقيم نظرة المجتمع للأمور والمواقف الحياتية، ويتحد تصوُّرهم للمفاهيم والقيم فلا يختلفون، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم عن بعض المفاهيم فبينها الله لهم، مثل قولهم: أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186]. فالله تعالى قريب بعلمه وبإجابته لدعاء الداعين، وعليهم -لاستجابة دعواهم- أن يستجيبوا لما أمرهم الله، وقد حرص النبي ﷺ على تعليم صحابته رضي الله عنهم المفاهيم وتصحيح المغلوط منها، كما «وضح لهم من المسلم والمهاجر قائلاً (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)<sup>(2)</sup>».

### ج- مبدأ التكامل بين المواد الدراسية

إنّ مبدأ التكامل بين المواد الدراسية هو الذي تطرق إليه العطار تحت مسمى (التكامل)، أي تدريس فروع الشريعة الإسلامية على أنها وحدة مترابطة متكاملة، فالله تعالى يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:32] ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89]، وعندما يقول معاذ رضي الله عنه: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. يقول الرسول ﷺ (لَقَدْ سَأَلْتِ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 16-17] ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أَحْبَبْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَدُرُورَةِ سَنَامِهِ؟) (فقلتُ: بلى يا رسولَ الله. قَالَ: (رَأْسُ

<sup>1</sup> مبادئ تعليمية لنايف العطار، ص434-437، وينظر تخريج الحديث ص26.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص448، 450، وسبب نزول الآية في تفسير الطبري، 3/222، وينظر تخريج الحديث ص264.



الأمر الإسلام وعموده الصلوة، وذروة سنامه الجهاد، فالتكامل والشمول في هذا الحديث أن النبي ﷺ تدرج بادئاً بأركان الإسلام ثم أبواب الخير ثم استشهد بآيات من سورة السجدة ثم وضح أهم الأمور، واستخدم الرسول ﷺ الإشارة كواسطة تعليمية، والحوار كأسلوب تدريسي، وتكاملت في الحديث جوانب القرآن والسنة والعقيدة والفقه والعبادات<sup>(1)</sup>.

وبالقراءة التحليلية لما سبق يمكن استنتاج ما يأتي

**أولاً:** اعتناء أعلام التربية الإسلامية بمبادئ التدريس مما يدل على إدراكهم لفوائدها على العملية التربوية وتأثيرها الإيجابي فيها.

**ثانياً:** رجوعهم في اشتقاق هذه المبادئ الى القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يشير إلى حرصهم على المرجعية الإسلامية للنظام التربوي.

**ثالثاً:** أن القدماء منهم يذكرون هذه المبادئ باعتبارها أحكاماً شرعية يجب الالتزام بها.

**رابعاً:** أنهم يربطون بين هذه المبادئ وبين آثارها التربوية ترغيباً في الالتزام بها، فالمعلمون -مثلاً- إذا تبينوا فوائدها حرصوا على بناء أداءهم التدريسية على أساسها، وذلك زيادةً على الإشارة الى صفتها الشرعية ووجوب العمل بها، اقتداءً بطريقة القرآن والسنة في مخاطبة المكلفين بالأحكام الشرعية بتعليلها.

**خامساً:** أن هذه المبادئ محلّ تقدير واعتبار كبيرين في التربية المعاصرة، وهذا من أعظم وجوه السبق العلمي للتربية الإسلامية.

**سادساً:** أن المعاصرين منهم يسمون تلك المبادئ بمصطلحات التربية المعاصرة، إعمالاً لقاعدة عدم المشاحة والتنازع في المصطلحات بعد معرفة معانيها.

وبالجملة، فإنّ هذا الفصل أثبت أن التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية لا يرد فيهما إلاّ دالاً على أعظم غاياته، أي تحقيق العبودية لله تعالى وعمارة الأرض وفق شريعته سبحانه، وهي الغاية التي جاء الإسلام لأجلها، وله مرجعيته الخاصة، ونظراً لما تحمله معانيه من الشدة والاستعصاء، فقد شرع القرآن والسنة التعاون والتآزر فيه، وإنّ العملية التربوية فيهما قائمة على التسليم بدور المعلم والمتعلم، فالمعلم لا يتصور إلاّ فاعلاً، والمتعلم لا يرى إلاّ إيجابياً، وأنّ المبادئ

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص460. والحديث في سنن الترمذي 11/5 ر2616، وسنن النسائي، 214/10 ر11330، وسنن ابن ماجة، 116/5، ر3973، وصححه الأرنؤوط في الهامش، ورواه أحمد، 293/3، ر22016، واللفظ له.

التدريسيّة في القرآن الكريم والسنة النبويّة هي جملة القواعد الكليّة والأصول العامّة التي تقوم عليها العمليّة التربويّة، وقد شرعها الإسلام لتنظيم تلك العمليّة وتوجيه أداءات المعلّمين فيها ومساعدتهم على اتّخاذ القرارات الصقيّة الصحيحة ومواجهة طوارئ المواقف التعليميّة المختلفة، والعمل على إشراك المتعلّمين في سعيهم نحو تحقيق الأهداف المسطرّة، وإنّ أهمّ ما يميّز مبادئ التدريس في القرآن والسنة عنها في التربيّات البشريّة أنّها مستنبطة ممّا أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، بخلاف الثانية التي تُشتقّ من خلال تجميع آراء الخبراء التربويّين وتجارب حجرات الدراسة، وبناءً على ذلك فإنّه يجب الالتزام بها بوصف كونها أحكاماً شرعيّة قطعيّة في ثبوتها ودالاتها.

## الفصل الثاني: المبادئ التدريسيّة المتعلّقة بالأهداف والمحتويات في درس

### القرآن والسنة العديّ

تولي التربية اهتماماً بالغاً للأهداف التعليميّة وما يجسدها من محتويات دراسيّة، فوضع الأهداف هي الخطوة الأولى للعمليّة التربويّة، إذ هي التي تيسّر تصوّر ووضع المناهج التعليميّة، وهي التي تسمح بمراجعتها وتطويرها، كما تسهّل للمعلّم اختيار أنسب الطرائق والأساليب التدريسيّة وأنجع الوسائل التعليميّة، وتمكّنه من اتّخاذ القرارات الملائمة وتنظيم جهود ونشاطات متعلّميّه وتوجيهها. وتساعد على توفير القاعدة التي ينطلق منها التقويم، حيث تمكّنه من تقويم ذاته والتعرّف على مدى فعاليّة أداؤه التدريسيّ، أمّا المتعلّم فتعيّنه على تركيز جهوده على ما هو مطلوب منه دون غيره، وتيسّر له القيام بالتقويم الذاتيّ.

وإنّ مراعاة المبادئ والأصول التي تقوم وتأسّس عليها الأهداف وما يحقّقها من محتويات ضرورة لا تقوم للتربيّة والتعليم قائمة بدونها، والمتتبّع لما في القرآن الكريم والسنة النبويّة من مواقف تدريسيّة يظهر له قيامها على قواعد ومبادئ محدّدة، مثل كون التدريس وسيلة لتحقيق أغراض التربيّة وعلى رأسها تحقيق العبوديّة لله تعالى وعمارة الأرض وفق شريعته في مجال الأهداف التربويّة، ومثل قيام الموادّ الدراسيّة على التكامل والترابط في مجال المحتويات التعليميّة، ونظراً لما بينهما من ارتباط وثيق فإنّنا قسّمنا المبادئ المستنبطة إلى مبادئ يشتركان فيها وأخرى خاصّة بكلّ منهما.

## المبحث الأول: مبادئ التدريس المشتركة بين الأهداف والمحتويات في درس القرآن والسنة العقدي

اشترك بعض المبادئ التدريسية بين الأهداف التعليمية والمحتويات الدراسية أمر طبيعي بالنظر إلى ما بينهما من ارتباط، فالهدف التربوي المرغوب يتحقق ويتجسد من خلال المحتوى الدراسي. وقد تقدّمت الإشارة إلى تصنيف الباحث لمبادئ الأهداف والمحتويات المستنبطة من القرآن والسنة إلى مبادئ يشتركان فيها وأخرى تخصّ كلّ مكّون، وهذا المبحث هو موضع الصنف الأول، وفيه نتطرّق إلى مبدأ شمول التدريس في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وذلك باهتمامه بجميع جوانب شخصيّة المتعلّم، بلا تفريق بين المجال المعرفي والوجداني والمهاري، ويتناول ذلك بتوازن وتعادل، فلا يولي جانباً اهتماماً أكثر من جانب، ثمّ نعرض مبدأ المرونة وما دلّت عليه المواقف التعليمية من أحكام تتيح للعملية التدريسية التكيف مع ما يشهده العالم من متغيّرات على جميع المستويات، وتمكّنه من التأقلم مع الطوارئ الناتجة عن ظواهرها الإنسانية، ويختتم بمبدأ تعليم التفكير وما يمثّله من توجه صريح للإسلام في التربية والتعليم.

## المطلب الأول: مدخل إلى الأهداف التدريسيّة

تنظرُق في هذا المدخل إلى عرض ما له علاقة مباشرة بالمبادئ التدريسيّة الخاصّة بالأهداف التعليميّة مثل تعريفها وأقسامها وأهميّة تحديدها.

### الفرع الأوّل: تعريف الأهداف التدريسيّة

#### أولاً: تعريف الأهداف في اللغة:

الأهداف جمع هدف وهو الغرض، قال ابن منظور: «الهدف كل شيء مرتفع من بناء أو كتيب رمل أو جبل، ومنه سمي الغرضُ هدفًا»<sup>(1)</sup>.

ووضع الأهداف «استراتيجية يستخدمها الأخصائيون الاجتماعيون وبعض المهنيين لمساعدة العملاء على تحديد وتوضيح الأهداف التي يرغبون في تحقيقها أثناء العلاقة المهنية بينهم وبين الأخصائي الاجتماعي، ثم بناء الخطوات التي تُتخذ، وتحديد الوقت اللازم لتحقيق الأهداف المقصودة»<sup>(2)</sup>.

وأبرز خصائص الهدف في اللغة العربيّة هو الظهور، ولذلك يطلق على ما هو مرتفع، مثل الجبال والبنائات، ومثل الأغراض التي تُرمى وغير ذلك، أي أنّه واضح للعيان، وهذا المعنى من أهم شروط جودة الهدف التربويّ، حيث يكون محدّداً وواضحاً في ذهني طرفي العمليّة التربويّة.

#### ثانياً: تعريف الأهداف التدريسيّة اصطلاحاً:

مما جاء في تعريف الأهداف التدريسيّة في الاصطلاح:

أ- الهدف هو «غرض يراد الوصول إليه، وقد يكون عامّاً كأغراض التربية أو المرحلة التعليمية، وقد يكون خاصّاً كأغراض وحدة تعليمية أو درس معيّن»<sup>(3)</sup>.

ب- وهو أيضاً: «وصف للسلوك المتوقع من المتعلم نتيجة لاحتكاكه بمواقف التعلم»<sup>(4)</sup>.

ج- وعرفه موسى بأنّه «وصف لنمط السلوك أو الأداء الذي نتوقع أن يقوم به التلميذ بنجاح نتيجة مروره بخبرة تعليمية وتفاعله مع الموقف التدريسي المعد تفاعلاً جيداً»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> لسان العرب لابن منظور، 345/9.

<sup>2</sup> المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، 2334/3.

<sup>3</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص 149.

<sup>4</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلّي مدكور ص 130.

<sup>5</sup> علم مناهج التربية، لفؤاد موسى، 267.

## الفرع الثاني: أنواع الأهداف التربوية

تُقسم الأهداف التربوية باعتبار الشكل وباعتبار المضمون كما يأتي:

### أ- تقسيم الأهداف التربوية باعتبار الشكل:

تنقسم بهذا الاعتبار إلى أهداف عامة، وأخرى خاصة:

**1- الأهداف التربوية العامة :** والمقصود بها ما يُتوقع من التغيير السلوكي لدى المتعلمين نتيجة لتفاعلهم مع المضامين والخبرات المنهجية المتنوعة، فهذه الأهداف توضع للمناهج التعليمية والمقررات والكتب الدراسية، حيث تُسهم محتوياتها في تحقيقها، ويجب أن تكون في جميع الأحوال واضحة ومحددة، ومثالها «إعداد الإنسان الصالح القادر على المساهمة بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله»<sup>(1)</sup>.

**2- الأهداف التربوية الخاصة:** أي التي تُصاغ في بداية وحدة دراسية أو درس معين أو موضوع ما، وهي التي تُعرف كذلك بالأهداف السلوكية أو الإجرائية<sup>(2)</sup>، مثل تجنب المسلم لذكر عيوب الآخرين.

### ب- تقسيم الأهداف من حيث المضمون:

تنقسم الأهداف التربوية بهذا الاعتبار إلى معرفية ووجدانية وحركية:

**1- الأهداف المعرفية:** وتتناول الجانب السلوكي العقلي، ومستوياتها الستة هي التذكر والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم، والمستويات الثلاثة الأولى لأهداف المجال المعرفي هي المستويات الدنيا، في حين أنّ المستويات الثلاثة الأخيرة هي العليا، وأعلىها مطلقاً مستوى التقويم، وكلّ مستوى يعتمد على الذي هو أقلّ منه، أي الذي قبله، فمستوى الفهم -مثلاً- يعتمد على مستوى التذكر، ومستوى التحليل يعتمد على مستوى التطبيق.

**2- الأهداف الوجدانية:** وهي التي ترتبط بالجانب العقيدّي والشعوريّ، ومستوياتها هي الاستقبال والاستجابة والتقييم والتنظيم وتشكيل الذات، كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والإيمان

<sup>1</sup> مناهج التربية لعلي مذكور ص 130، وعلوم التربية تاريخها فلسفتها مناهجها لأيوب دخل الله، ص 17.

<sup>2</sup> مناهج التربية لعلي مذكور ص 130. علوم التربية لأيوب دخل الله، ص 17.

بأهميّة تطبيق منهج الله ﷻ في الأرض، والافتناع بمبادئ الإسلام وقيمه الثابتة، وجميع مشاعر الحبّ والتقدير والميول والاتجاهات، والتذوق الأدبيّ والجماليّ وغير ذلك.

**3- الأهداف الحركيّة:** وهي التي تتعلّق بجميع أنواع السلوك الحركيّ والمهاريّ، ومستوياتها هي الميل والاستجابة الموجهة والتعويد والاستجابة الظاهرية والتكيف، ومثالها من البسيط غير الإرادي كسماع صوت أو نظرة عابرة، إلى غاية المهارة الحركيّة مثل الاستماع والقراءة والكتابة إلى قيادة السيّارات والطائرات<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: أهميّة تحديد الهدف السلوكيّ وشروطه

#### أولاً: أهميّة الهدف السلوكيّ

لتحديد الهدف السلوكيّ أثر كبير على العمليّة التعليميّة التعلّميّة، ومن وجوه ذلك:

**أ-** التمكين من توجيه القرارات التي تُتخذ بشأن بناء المناهج التعليميّة مثل المجالات التي تجب تغطيتها وما ينبغي التركيز عليه منها، وأي المحتويات أنسب لها وما الخبرات التعليميّة التي يجب أن تتضمنها المناهج.

**ب-** يعين تحديد الأهداف على اختيار أنسب المحتويات الدراسيّة التي تعمل على تجسيدها، وكذا انتقاء الخبرات والأنشطة التعليميّة الملائمة والأكثر فاعليّة في تيسير تحقيق أفضل مستويات العمليّة التربويّة.

**ج-** يساعد تحديد الأهداف بدقّة وضوح على اختيار أنسب طرائق التدريس وأنفع وسائل التعليم لتحقيقها.

**د-** يعين تحديد الأهداف التعليميّة على وضع الأسس للعمليّة التقييميّة، وبذلك ييسّر تقييم المتعلّمين في ضوء ما حقّقه وما وصلوا إليه من تقدّم فيتحقّق معيار الموضوعيّة في التقييم.

**هـ-** يساعد تحديد الأهداف التعليميّة المعلّم والمتعلّم على تكثيف جهودهما نحو تحقيق الهدف المسطرّ، عوض تبديدها أو توجيهها لإنجاز نواتج غير مرغوب فيها.

---

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مذكور ص132. علوم التربية تاريخها فلسفتها مناهجها لأيوب دخل الله، ص18. صياغة الأهداف التربوية والتعليمية لسعادة، 492، 546.

و- يجعل تحديد الأهداف التعليميّة من المتعلّم مقوماً لنفسه، فالأهداف تمنحه محكاً يحكم به على مدى تحصيله ومدى ما أنجزه<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: شروط الهدف السلوكي

هناك شروط محدّدة يجب توفّرها في الهدف السلوكي لكي تتحقّق فوائده المرجّوة، فعلى المعلّمين مراعاة أخذها بعين الاعتبار في صياغاتهم للأهداف التدريسيّة، وهذه الشروط هي:

أ- ينبغي للأهداف السلوكيّة أن تصف نواتج العمليّة التعليميّة التعليميّة، أي النتائج التي يتوقّعها المعلّمون بعد الانتهاء من الدرس، فهي غير معنيّة إطلاقاً بوصف الأنشطة الصفيّة.

ب- ينبغي أن تُركّز على سلوك المتعلّمين لا سلوك المعلّمين، فسلوك المعلّم لا يعنى حدوث تعلّم المتعلّمين وتعديل سلوكياتهم، وقيامه بحلّ التمارين أو إجراء التجارب أو شرح الدرس لا يفيد أبداً حصول التعلّم، فقد يكون المتعلّم شارد الذهن، وقد يعجز المعلّم عن إيصال رسالته التعليميّة.

ج- يجب أن يكون الهدف السلوكي واضحاً، بحيث لا يُختلف في تفسيره، أي يفهمه الجميع بنفس الفهم المراد صياغته، ولا يتحقّق ذلك إلاّ إذا توفّرت الشروط الآتيّة:

1- أن تكون الكلمات التي تُستخدم في صياغة الأهداف السلوكيّة دقيقة وغير قابلة للتأويل بمعانٍ متعدّدة.

2- أن تتحقّق صياغة الأهداف السلوكيّة في أقلّ عددٍ من الكلمات، مع وجوب مراعاة ألاّ يؤدّي ذلك إلى الإخلال بالمعنى المقصود.

3- ألاّ تكون عامّة، فذلك يؤدّي إلى وجود أكثر من هدف فرعيّ أو جزئيّ ومن ثمّة يُختلف في أيّها مقصود بالسعي إلى تحقيقه.

د- أن تكون قابلة للملاحظة والقياس، بأن تكون ملاحظتها ممكنة، فالأفعال في قولنا: "أن يعرف المتعلّم" أو "أن يفهم" أو "أن يفكّر" أفعال غير قابلة للملاحظة بخلاف الأفعال التي في مثل قولنا: "أن يحدّد المتعلّم" أو "أن يبرهن" أو "أن يرسم".

ه- أن تتضمّن الأهداف السلوكيّة ناتجاً تعليمياً واحداً، فذلك من شأنه أن يزيد في وضوحها ويبسّر ملاحظتها وقياسها، ولأنّ المتعلّمين لا يمكنهم القيام بأكثر من شيء واحد في نفس الوقت فإنّه ينبغي تجزئة الأعمال المركّبة إلى أجزاءها التي تتكوّن منها.

<sup>1</sup> علم مناهج التربية لفؤاد موسى، ص 273-274.



و- أن تتضمن الأهداف السلوكية كيفية أداء الناتج المراد تحقيقه والوصول إليه، خاصة إذا كان هناك أكثر من طريقة لذلك، فذلك مما يزيد في دقتها ووضوحها، إن مسائل الطرح أو الضرب في الرياضيات -مثلا - قد تتم باعتماد المتعلمين على عقولهم كما قد يستعينون بالآلة الحاسبة، والنص على طريقة أداء ذلك مهم.

ز- أن تتضمن الحد الأدنى لأداء المتعلمين، فلا ينبغي ترك ذلك من غير أن يحدد تحديداً دقيقاً، كقولنا: " أن يحلّ المتعلم أربعة تمارين من ستة تمارين حلاً صحيحاً ".

ح- أن تحتوي الأهداف السلوكية على فعل مضارع يفيد الاستمرارية ومسبوق بحرف "أن" مثل قولنا: "أن يعدد" أو "أن يذكر" أو "أن يبرهن".

والهدف السلوكي يمكن صياغته بهذه العبارة: أن + الفعل السلوكي المضارع + المتعلم + محتوى المادة العلمية + نوعية الأداء + الحد الأدنى للأداء، مثل قولنا: "أن يحفظ المتعلم الربع الأول من سورة الكهف بما لا يتعدى ثلاثة أخطاء من أي نوع"<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: مدخل إلى المحتويات الدراسية

نتطرق في هذا المدخل إلى عرض ما له علاقة مباشرة بالمبادئ التدريسية الخاصة بالمحتويات التعليمية مثل تعريفها ومداخل تنظيمها ومعايير اختيارها وعلاقتها بعناصر المنهج التعليمي.

### الفرع الأول: تعريف المحتوى الدراسي

#### أولاً: تعريف المحتوى في اللغة:

قال ابن فارس: «(حوى) الحاء والواو وما بعده معتلٌ أصل واحد، وهو الجمع يقال حويت الشيءَ أَحْوِيهِ حَيًّا، إذا جمعته. والحويّة: الواحدة من الحوايا، وهي الأمعاء، وهي من الجمع. ويقولون للواحدة حاوياء... والحواء: البيت الواحد، وكلُّه من قياس الباب»<sup>(2)</sup>.

وفي المعجم الوسيط «(المضمون) المحتوى ومنه مضمون الكتاب ما في طيه. ومضمون الكلام فحواه وما يفهم منه (ج) مضمين»<sup>(3)</sup>.

#### ثانياً: تعريف المحتوى اصطلاحاً:

<sup>1</sup> علم مناهج التربية، لفؤاد موسى، ص 274، 277، ومناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مذكور، ص 130.

<sup>2</sup> مقياس اللغة لابن فارس، 112/2.

<sup>3</sup> المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية 545/1.

عرّفت المحتويات الدراسية بتعاريف كثيرة منها:

أ- المحتويات الدراسية هي «مجموعة الخبرات المتنوعة لتحقيق التنمية الشاملة المتكاملة لدى التلميذ»<sup>(1)</sup>.

ب- وهي أيضاً « مجموعة الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف والمهارات والخبرات الإنسانية المتغيرة بتغير الزمان، والمكان، وحاجات الناس، التي يحتك المتعلم بها، ويتفاعل معها، من أجل تحقيق الأهداف التربوية المنشودة فيها »<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: مداخل تنظيم المحتوى

لتنظيم المحتويات الدراسية مداخل متعدّدة منها:

#### أولاً: التنظيم القائم على أساس منهج المواد الدراسية المنفصلة:

وفيه يكون التركيز منصباً على الموادّ الدراسية، حيث يتضمّن المحتوى عدداً من الموادّ المنفصلة المنظّمة تنظيمًا منطقيًا حسب طبيعة كلّ مادة، والمحتوى هنا يُختار مقدّمًا، وهذا التنظيم يغلب عليه الطابع النظريّ، ويُصاغ في صورة موضوعات، يُدرّس كلّ موضوع في حصّة، وغالباً ما يظهر هذا المحتوى في صورة كتاب يتمّ نقله للمتعلّمين بطريقة تلقينيّة، أي بمعزل عن مشاركة التلاميذ وفاعليّتهم.

#### ثانياً: التنظيم القائم على أساس منهج النشاط:

وقد ظهر كردّ فعل منهج الموادّ الدراسية المنفصلة، فجاء على العكس منه، إنّ ميول وأغراض المتعلّمين هي المحور الذي يُنظّم على أساسه المحتوى، كما يقوم على أساس إيجابيّة التلاميذ وفاعليّتهم، حيث يشاركون في اختيار المحتويات الدراسية وتخطيطها وتنفيذها، فالمحتوى لا يُختار مقدّمًا، ولا يُلتزم فيه بما بين الموادّ الدراسية من حواجز فاصلة، ويُعتمد في تنفيذه على طريقة حلّ المشكلات، وتخطيط وتنفيذ المشروعات.

#### ثالثاً: التنظيم المحوري للمناهج:

وقد ظهر نتيجةً لإهمال التنظيمين السابقين لمعيار التكامل والترابط بين مكونات المحتويات الدراسية والتعامل مع حاجات ومطالب ومشكلات المجتمع، ومن هنا جاء هذا التنظيم مستفيداً من مزايا التنظيمين السابقين مع تجنّب ما بهما من عيوب، فقد نادى بجعل حاجات المتعلّمين محور

<sup>1</sup> المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة، ص 75

<sup>2</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقها لعللي مذكور ص 205، الشامل في المناهج لشادية عبد الحليم وصلاح تمام، ص 125.

الدراسة لا مجرد ميولهم، مع العلم أنّ للحاجة شقين، الشقّ الشخصي الذي يتّصل بالمتعلّم مباشرة، والشقّ الاجتماعي الذي يتصل بالنظام الاجتماعيّ ومتطلّبات الحياة الاجتماعيّة التي يعيشها المتعلّمون، فهذا التنظيم يدور حول مشكلات حياتهم وحاجاتهم بقصد تهيئتهم للمواطنة ومسئوليات الحياة، كما يدور حول الأمور العامّة المشتركة التي ينبغي أن يدرسها كلّ المتعلّمين.

**رابعاً: تنظيم الوحدات:** ويُعنى بتنظيم المحتوى في صورة معلومات وخبرات متكاملة ومترابطة حول المحاور الرئيسة المراد دراستها، وبذلك يتمّ القضاء على ظاهرة التفتت في تنظيم المواد الدراسية المنفصلة خاصّة.

ويقوم هذا التنظيم على أساس تكامل المعرفة الإنسانيّة، فهي متكاملة في مصدرها، أي أنّها من خلق الله، وهي متكاملة كذلك في وظيفتها في الحياة، وفي غاياتها، ويقوم هذا التنظيم أيضاً على أساس تكامل شخصيّة الإنسان، فهو بروحه وعقله وجسمه كلّ واحد لا يتجزّأ، ومصدره واحد وهو الله ﷻ، ووظيفته هي إعمار الحياة، أمّا المعرفة المتكاملة المترابطة فهي وسيلته في إعمار الأرض. إنّه يقوم على أساس ترابط المعرفة والخبرة عند الإنسان، وعلى أساس تكامل المدرسة والحياة، وعلى أساس تكامل الإيجابية والفاعليّة بين المعلّم والمتعلّم وبقية عناصر المنهج، وعلى أساس المشاركة والتعاون والعمل الجماعيّ، وللوصول إلى القدرة على الابتكار يعتمد هذا التنظيم أسلوب حلّ المشكلات والمناقشة وفنّ إدارة المعلومات المتكاملة، كما يعتمد استشراف آفاق المستقبل والاستعداد له، للتمكّن من التعامل مع معطياته<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: معايير اختيار المحتويات الدراسية

في ضوء كمّ المعارف والخبرات المتزايد فإنّ اختيار المحتوى الدراسيّ ينبغي أن يتمّ وفق معايير محدّدة، ومنها:

**أولاً:** ارتباط المحتويات الدراسية بأهداف المنهج التربويّة العامّة والخاصّة، فالمحتويات الدراسية هي التي تترجم هذه الأهداف، وبمرور المتعلّمين بخبراتها يتمكّنوا من تحقيق أهداف المنهج<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعليّ مذكور ص 205، الاتجاهات العملية لعائش زيتون، ص 31، ومن ص 36-41.

<sup>2</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعليّ مذكور ص 216، والمناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة، ص 77، والمناهج الحديثة و طرائق التدريس لمحسن عطية، ص 94.

ثانياً: صدق المحتويات الدراسية وحداثتها ودالاتها، والمقصود بصدق المحتوى دقته العلمية وخلوه من الأخطاء، والمقصود بحداثته أن يتضمن أحدث المعارف العلمية التي ثبت صدقها وصحتها، وأما دلالاته فيُقصد بها أن يكون ذا معنى عند المتعلمين حيث يشعرون بفائدته وواقعيته لارتباطه بميولهم ورجباتهم وقدرته على تحقيق الأهداف التي اختير من أجلها<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: مراعاة المحتويات الدراسية لخصائص المتعلمين وحاجاتهم، وذلك بأن يستجيب محتوى المنهج لخصائص المتعلم ومستوى نضجه ومدى استعداده وحاجاته، ليرتفع مستوى الإقبال عليه والاندفاع لتحصيله<sup>(2)</sup>.

رابعاً: مراعاة المحتويات الدراسية للفروق الفردية بين المتعلمين، فهم غير متساوين في استعداداتهم، ومختلفون في القدرات المعرفية ومستويات الذكاء، وفي بيئاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية، وعلى واضعي المناهج أخذ هذا التباين بعين الاعتبار من خلال تنوع الخبرات التي تتضمنها المحتويات الدراسية بحيث يكون لكل متعلم حظ فيه بواسطة تنوع الأنشطة والنصوص والوسائل التعليمية لكي يجد كل متعلم فيها ما يلبي رغباته ويُسبع حاجاته<sup>(3)</sup>.

خامساً: توازن المحتويات الدراسية بين الشمول والعمق، ويتحقق شمول المحتويات بأن تتضمن الخبرات التي تُعنى بنمو المتعلمين الشامل المتكامل، فتوازن بين الجانب المعرفي والجانب الوجداني والجانب المهاري الحركي، أما عمقه فالمقصود به أن تتضمن تلك المحتويات أساسيات المواد الدراسية مثل المفاهيم والتعميمات وذلك لكي لا يتشتت المتعلم في تفاصيل فرعية لا مسوغ لها، أي أن المعلومات يجب أن تُعرض بالطريقة الوسط، بين السطحية والتفصيل المعمق لموضوعات بعينها على حساب موضوعات أخرى<sup>(4)</sup>.

سادساً: مراعاة المحتويات الدراسية للتعليم السابق، أي أن المحتوى يكمل بعضه بعضاً، حيث تتأسس فيه الموضوعات اللاحقة على السابقة<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة، ص 79 والمناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص 95

<sup>2</sup> المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة، ص 79 والمناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص 95

<sup>3</sup> المناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص 95

<sup>4</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مذكور ص 216، المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة، ص 77

والمناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص 96

<sup>5</sup> المناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص 97

سابعاً: أن يكون المحتوى نظرياً وتطبيقياً، فالتصوّر الصحيح للمعرفة يقتضي أن تكون نظرية وعملية في نفس الوقت، ذلك أنّ المعرفة الذهنية التي لا يترجمها المعلمون إلى سلوكيات عملية هي معرفة مبنية لا يُعتدّ بها<sup>(1)</sup>.

ثامناً: تنفرد بعض الدراسات التربوية بالإشارة إلى بعض المعايير مثل وجوب أن يكون المحتوى متسقاً مع الإسلام، فلا يتضمّن ما يخالف القرآن والسنة نصّاً أو روحاً، وأن تتكامل فيه علوم الوحي وعلوم الكون، إذ هما جميعاً من آيات الله سبحانه<sup>(2)</sup>.

### الفرع الرابع: علاقة المحتويات الدراسية بعناصر المنهج

أولاً- علاقة المحتوى بالأهداف:

ترتبط المحتويات الدراسية بأهداف المنهج من حيث أنّها هي التي تترجم الأهداف التربوية، والمتعلّمون لا يحقّقون تلك الأهداف إلّا عبر المرور بخبراتها، وإذا كان للمحتوى كلّ هذا الأثر فينبغي أن يكون على درجة كبيرة من الشمول والكفاية، فإذا كانت الأهداف التربوية غنية، والمحتوى فقيراً، فإنّه يصعب على المعلم ذي الخبرة المحدودة أن يحقّق أهدافاً عليا، لذلك لا بدّ من ملاءمة المحتويات للأهداف على جميع المستويات<sup>(3)</sup>.

ثانياً- علاقة المحتوى بطرائق التدريس:

تؤكد الدراسات التربوية أنّ اختيار طرائق التدريس في ضوء إلى الأهداف التربوية فقط لا يحقّق فاعلية التدريس المرجوة، فعلاقة الارتباط المتبادل هي بين الأهداف والمحتويات والطرائق والوسائل والتقييم التربوي، وأنّه من الصعوبة التخطيط لأيّ مكوّن من مكوّنات المنهج بمعزل عن غيره، فبالمحتويات الدراسية يمكن للمعلّمين أن يختاروا أنسب الطرائق التي تيسّر نقلها للمتعلّمين<sup>(4)</sup>.

ثالثاً- علاقة المحتوى بالأنشطة والوسائل: للأنشطة والوسائل التعليمية دور كبير في وصول المادّة العلمية للمتعلّمين واستيعابها وتطبيقها، والمتعلّمون -بدون ممارستهم للأنشطة- سيصبحون

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها علي مدكور، ص 218.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 216.

<sup>3</sup> الشامل في المناهج لشادية عبد الحليم وصلاح تمام، ص 128.

<sup>4</sup> الشامل في المناهج لشادية عبد الحليم وصلاح تمام، ص 128. مباحث في طرائق تدريس العلوم الشرعية لحسام العبدلي،

مجرد أوعية لتخزين ما ينقله المعلمون، كما أنه يصعب تحقيق الأهداف بدون وسائل جيدة وملائمة، فالمحتوى الدراسي هو الذي يوجه المعلم في عملية اختيار ما يناسبه من أنشطة ووسائل تعليمية<sup>(1)</sup>.

**رابعاً- علاقة المحتوى بالتقويم:** تساعد المحتويات الدراسية المعلمين على تحديد نوعية التقويم المناسب، فكما أن التقويم التربوي ليس على مستوى واحد بل مستويات متعددة، فإن المحتويات التعليمية تتفاوت من معلومة إلى معلومة أخرى، وكما أن التقويم التربوي يتناول ما يحفظه المتعلمون من محتويات مقررة، فإنه يجب أن يتناول كذلك فهمهم واستيعابهم لذلك، وأن يتطرق أيضاً إلى قدراتهم على تطبيقه وتمكّنهم من توظيفه في حلّ مشكلاتهم الحياتية<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: مبدأ شمول وتوازن التدريس

الشمول والتوازن خاصيتان من خصائص الشريعة الإسلامية، وستتطرق هنا إلى ما يتعلق بهما كمبدأ تقوم عليه العملية التدريسية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

#### الفرع الأول: مبدأ شمول وتوازن التدريس في القرآن الكريم

المقصود بالشمول في التدريس تشكيل شخصية المتعلم في جميع جوانب نموها المختلفة، العقلية والجسمية والنفسية، أما التوازن فيعني أن يتجه التدريس إلى تطوير تلك الجوانب دون توجيه الاهتمام الى جانب بعينه فقط، وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تدلّ على هذا المبدأ منها:

#### أولاً- النصوص الدالة على مبدأ شمول وتوازن التدريس دلالة مباشرة:

أ- قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:129].

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:151].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران:164]

وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2].

<sup>1</sup> الشامل في المناهج لشادية عبد الحليم وصلاح تمام ، ص128.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص128.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ مَعْنَاهُ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ وَيُبَلِّغُهُمُ الْوَحْيَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أَيُّ بِحَسَبِ قُوَّتِهِمُ النَّظَرِيَّةَ ﴿الْكِتَابِ﴾ أَيُّ الْقُرْآنِ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أَيُّ مَا تَكْمَلُ بِهِ نَفْسُهُمْ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَالْمَعَارِفِ الْحَقَّةِ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بِحَسَبِ قُوَّتِهِمُ الْعَمَلِيَّةِ وَالْمَعْنَى يَطَهِّرُهَا عَنْ دَنْسِ الشَّرِكِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي<sup>(1)</sup>. وَمَهُمَا اخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِي تَفْسِيرِ مَا وَرَدَ فِي الْآيَاتِ مِنْ مَفْرَدَاتِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّرَكِّيَّةِ، فَإِنَّ وَאו الْعَطْفَ الْمُقْتَضِيَةَ لِلْمَغَايِرَةِ<sup>(2)</sup> تَدَلُّ عَلَى خَاصِّيَّةِ الشُّمُولِ فِي الْمَجَالَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّجِهَ التَّعْلِيمُ إِلَى تَنْمِيَّتِهَا، كَمَا أَنَّ التَّوَاظُنَ فِي ذَلِكَ الشُّمُولِ ظَاهِرٌ لِعَدَمِ تَرْكِيزِ الْآيَةِ عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِمَجَالِ بَعِيْنِهِ دُونَ غَيْرِهِ فِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ.

إِنَّ الْآيَاتِ بَيَانٌ أَنَّ لِلْمَرْبِيِّ وَظَائِفَ أَهْمَهَا التَّرَكِّيَّةَ أَيُّ التَّنْمِيَّةَ وَالتَّطْهِيرَ، وَالتَّعْلِيمَ أَيُّ نَقْلِ الْمَعْلُومَاتِ إِلَى الْعُقُولِ<sup>(3)</sup>.

ب- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

وَمَعْنَى الْآيَةِ مَا تَرَكْنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَيْئًا مِنْ ضُرُوبِ الْهُدَايَةِ الَّتِي نَرْسِلُ الرُّسُلَ مِنْ أَجْلِ بَيَانِهَا إِلَّا بَيَّنَّا فِيهِ، فَقَدْ ذَكَرْنَا فِيهِ أَصُولَ الدِّينِ وَأَحْكَامَهُ وَحِكْمَهَا وَأَرْشَدْنَا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْقُوَى الْجَسْمِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الَّتِي سَحَّرْنَاهَا لِلْإِنْسَانِ<sup>(4)</sup>.

ج- قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، أَيُّ تَبْيَانِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ بِالنَّصِّ وَالدَّلَالَةِ، فَمَا مِنْ حَادِثَةٍ كَبِيرَةٍ وَلَا صَغِيرَةٍ إِلَّا وَرَدَتْ فِيهَا حُكْمٌ قَدْ بَيَّنَّهُ فِي قُرْآنِهِ نَصًّا أَوْ دَلِيلًا<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> تفسير أبي السعود، 162/1.

<sup>2</sup> تفسير الخازن، 300/1.

<sup>3</sup> أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع لعبد الرحمن النحلاوي، ص 139.

<sup>4</sup> تفسير المراغي، 119/7.

<sup>5</sup> أحكام القرآن للجصاص، 10/5.

لقد بيّنت الآية شمول تبيان القرآن الكريم للأشياء بلفظ (كلّ) وهو من ألفاظ العموم، و﴿تَبَيَّنَا﴾ «مفعول لأجله منصوب»<sup>(1)</sup>، أي نزلنا عليك القرآن من أجل بيان كلّ شيء، فالقرآن الكريم تناول جميع الأشياء وبيّن جميع ما تناوله من الأشياء في شمول متوازن.

إنّ الأصل الأصيل للفظ الكتابة -مثل لفظ القراءة- هو الجمع والضمّ مطلقاً، فقولنا الكتاب أو القرآن، كقولنا "الكلام الجامع للعلوم" أو "العلوم المجموعة في كتاب"، وقد ا وصفه الله تعالى بأنّه ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(2)</sup>.

وعلم النحو والتفسير والعقيدة وأصول الفقه والتاريخ وغيرها كلّها مستنبطة من القرآن الكريم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خير الأولين والآخريين"<sup>(3)</sup>.

وإذا كانت شخصية الإنسان متعدّدة الجوانب، فلا شك أنّ مقتضى عموم الآية أن يتناول تلك الجوانب كلّها بلا تمييز، في شمول وتوازن تامين، وإنّ التربيّة الإسلاميّة لم تستثن جانباً واحداً من جوانب الشخصية سواء من الناحية الفكرية أو العقلية أو الوجدانية أو الاجتماعية أو الجسدية أو الجمالية أو الخلقية، بل تحرص على تزويده بجميع الاتجاهات والمعارف والقيم والخبرات الضرورية<sup>(4)</sup>، وانطلاقاً من هذا فإنّ ابن باديس كان «يهدف إلى بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة، والشخصية المتكاملة عنده هي ما اكتملت فيها جوانبها المختلفة: الجانب الأخلاقي والعقلي والعملية والعضوي وهذا ما يذهب إليه المرّبون المعاصرون»<sup>(5)</sup>.

هذا، وإنّ الشمول والتوازن بمفهوما التربيّ ضروريّان لتهيئة المتعلّمين إلى القيام بحقّ عبودية الله ﷻ وعمارة الأرض وفق شريعته تعالى، إذ أنّ هذه المهمة تتطلّب نمواً وسواءً كاملين في شخصيّة الإنسان العابد الذي تهدف التربية الاسلاميّة إلى إعداده.

### ثانياً- النصوص الدالة على مبدأ شمول وتوازن التدريس دلالة غير مباشرة

يظهر المبدأ جلياً في مواقف القرآن التعليميّة، وسندكر بعض نصوص ذلك:  
أ- المجال المعرفي: قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19] وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

<sup>1</sup> الجدول في إعراب القرآن لصافي محمود، 373/7.

<sup>2</sup> النبأ العظيم لمحمد دراز، ص13.

<sup>3</sup> الاتقان للسيوطي، ص661 والأثر رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد للهيثمي، 247/7.

<sup>4</sup> جودة التعليم من منظور إسلامي للحسن باشوية، ص13.

<sup>5</sup> آثار ابن باديس لعمار طالبي، 104/1.



وَزَرَ أُخْرَى ﴿ [فاطر:18] فالآية الأولى من باب تعليم الحقائق والثانية من باب تعليم المبادئ.  
**ب- المجال المهاري:** قال الله تعالى في شأن سيدنا داود عليه السلام: ﴿أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ:11]، أي وجعلنا الحديد في يده سهلاً يصوره كما يشاء، فيعمل منه الدروع والآلات الحربية، ويجعل حلقاتها على قدر الحاجة إليها، فلا هي ضيقة ضعيفة، ولا هي واسعة ينال صاحبها من خلالها الأذى، وهذا تعليم من الله في إتقان نسج الدروع<sup>(1)</sup>، ففي الآية تعليم لمهارة صناعة السلاح بل وإجادتها بالنص على دقائق تلك الصنعة.

**ج- المجال الوجداني:** قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53] فالآية تدعو العصاة إلى الإنابة إلى الغفور الرحيم مما اقترفوا من الذنوب، ذلك أن التوبة إلى الخالق سبحانه وتعالى من شأنها أن تحدث التغيير وتنقل التائب إلى الإيجابية بالتأثير في اتجاهاته وميوله ومواقفه، والآية نموذج لمسلك مخاطبة الوجدان الذي اعتمده القرآن الكريم في تقرير العقيدة.

### الفرع الثاني: مبدأ شمول وتوازن التدريس في السنة النبوية

يظهر الشمول والتوازن في التربية والتعليم جلياً في السنة النبوية، ومن الأحاديث التي تدل على ذلك:

#### أولاً- النصوص الدالة على مبدأ شمول وتوازن التدريس دلالة مباشرة:

أ- قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقد بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل: (فلا تفعل، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَفُمْ وَتَمَّ، فَإِنَّ لِحَدِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ)<sup>(2)</sup>.

إن الشمول يظهر في الحديث صريحاً في النهي عن الاقتصار على رعاية الجانب الروحي وذلك في قوله ﷺ: (فلا تفعل)، والأمر بالاهتمام بباقي الجوانب صريح كذلك في قوله ﷺ: (صُمْ وَأَفْطِرْ)، وقوله ﷺ: (وَفُمْ وَتَمَّ)، وقوله ﷺ: (فإنَّ لِحَدِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا) إلى آخر ما ذكره الحديث، أما التوازن فيظهر في المعادلة والمساواة الكاملتين بين المجالات المذكورة حيث لم يوص الرسول ﷺ عبد

<sup>1</sup> تفسير المراغي 6/22.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 697/2 ر 1874 واللفظ له، وصحيح مسلم 812/2 ر 1159.

الله رضي الله عنه بتخصيص جانب من الجوانب بالاهتمام دون باقي الجوانب، كما يظهر أيضاً في تكرار التوكيد بالصيغة ذاتها (عليك حقاً) في جميع تلك الأبعاد.

ب- عن سلمان، قال: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ. حَتَّى يُعَلِّمَكُمْ الْحِرَاءَةَ. فَقَالَ: أَجَل. إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِي أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ. أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ. وَنَهَى عَنِ الرُّوثِ وَالْعِظَامِ» وَقَالَ: (لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ) (1).

إن استهزاء المشرك مما يتعلمه الصحابة رضي الله عنهم عند رسول الله ﷺ ليس سوى ترجمة لاستغراب المشركين من نوعيّة التعليم في الدين الجديد، ذلك أن مدرسة النبوة أحاطت بجميع مجالات حياة الصحابة رضي الله عنهم بالرعاية والتنمية.

### ثانياً- النصوص الدالة على مبدأ شمول وتوازن التدريس دلالة غير مباشرة

يظهر المبدأ جلياً في مواقف السنّة التدريسيّة، وسنذكر بعض الأحاديث في ذلك:

أ- المجال المعرفي: قال الرسول ﷺ في بيان الإحسان: (أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنَّكَ إِنْ لَا تُكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (2)، وهذا من باب تدريس المفاهيم التي تُصنّف في المجال المعرفي.

ب- المجال المهاري: قوله ﷺ: (ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ آبَاءَكُمْ كَانَ رَامِيًا...) (3)، ففي هذا حضّ على الرمي ببيان أنّ سيّدنا إسماعيل عليه السلام كان رامياً، والحديث يتناول المجال الحركي.

ج- المجال الوجداني: عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ. فَنَظَرَ إِلَى جُدْرَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ رِاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا (4)، وهذه طريقة عمليّة في تعليم الصحابة رضي الله عنهم حبّ الأوطان، ومحلّ المجال الوجداني الانفعالي.

وإنّ من أهمّ نتائج الالتزام بمبدأ الشمول والتوازن في التربيّة الاسلاميّة، أن يُنشأ المتعلّم على تحصيل جميع العلوم التي تمكّنه من عبادة الله تعالى وعمارة الأرض، بلا فصل بين العلوم الشرعيّة والعلوم الكونيّة، أو العلوم الدينيّة والعلوم الدنيويّة، بحيث تكون كلّ الأهداف التربويّة العامّة والجزئيّة في المنهج هي أهداف دينيّة، بلا فرق بين تدريب المتعلّم على تلاوة آية من القرآن أو قراءة حديث

<sup>1</sup> صحيح مسلم 224/1 ر 262، وفي رواية أحمد: «قال بعض المشركين وهم يستهزئون به: إنّي لأرى صاحبكم يعلمكم...» مسند أحمد 107/39 ر 23703.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 4/1793 ر 4499، وصحيح مسلم، 1/40 ر 10.

<sup>3</sup> صحيح البخاري 3/2743 ر 1062، وقد ذكره في (باب التحريض على الرمي).

<sup>4</sup> صحيح البخاري 2/666 ر 1787.

نبيّ، أو إعانته على حلّ مسألة حسابيّة أو مساعدته على إحدى مهارات الرياضة البدنيّة، وإنّ تقسيم الأهداف التربويّة إلى أهداف دينيّة متعلّقة بالقرآن والحديث والسيرة النبويّة وغير ذلك، وإلى أهداف متعلّقة باللغات والعلوم والرياضيات إلى آخره، إنّ ذلك لا يمتّ إلى الإسلام بصلة، لأنّها تفصل بين الدين والدنيا، ونشاط الإنسان في الإسلام كلّ عبادة الله، ما دام متّجهاً به إليه سبحانه ومنه فإنّ «تقسيمنا للأهداف إلى أهداف دينية، وأهداف أخرى غير دينية، ما هو إلا أثر من آثار اتباعنا لمناهج الغرب التي تفصل بين الدين والدنيا، وبالتالي بين تعليم الأمور الخاصة بالعلوم الشرعية، والأمور التي تتصل بالعلوم الكونية، وهذا التقسيم لا يتفق مع الإسلام جملة وتفصيلاً»<sup>(1)</sup>.

إنّ التدريس في القرآن والسنة يتناول كلّ أبعاد شخصيّة المتعلّم باعتبارها أجزاء لوحدة متكاملة، ولقد جاءت جلسات النبيّ ﷺ التعليميّة محقّقةً للتكامل بين هذه المكونات بواسطة العناية بجميع أبعاد الشخصيّة، الدينيّة والخلقيّة والفكريّة والجسميّة، وهو ﷺ في ذلك ينطلق من نظرة الإسلام إلى كل من الروح والعقل والجسد باعتبار كياناً واحداً ممتزجاً مترابطاً اسمه الانسان<sup>(2)</sup>.

وإنّ وصف جميع العلوم النافعة بالشرعيّة لا يستلزم تساويها في المرتبة، لأنّ «التكامل بين العلوم المختلفة لا يعني أنّها جميعاً في مرتبة واحدة من حيث علاقتها بالحقيقة ومن حيث أهميتها وأولويتها، فتكامل أعضاء الجسم البشري في أدائها لوظائفها لا تجعل أطراف الجسم في أهمية القلب والدماغ مثلاً»<sup>(3)</sup>.

وهكذا يتبيّن من خلال هذه الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة أنّ مبدأ الشمول والتوازن مبدأً تدريسيّاً أصيلاً، وأنّه متفرّع عن سعي الإسلام إلى تربيّة الإنسان تربيّة شاملة ومتوازنة لتمكينه من تحقيق هدفه الذي خلقه الله من أجله والذي يتمثّل في عبادته عزّ وجلّ وعمارة الأرض وفق منهج الله تعالى وشريعته.

#### المطلب الرابع: مبدأ مرونة التدريس

نتطرّق هنا إلى عرض موقف التدريس في القرآن والسنة من مبدأ المرونة التي تسمح بتطويره وتكيّفه مع الطارئات.

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مدكور، ص 134.

<sup>2</sup> التربية المستمرة وتعليم الكبار لدخل الله، ص 152.

<sup>3</sup> منهجية التكامل المعرفي لفتحي ملكاوي، ص 50.

## الفرع الأول: مبدأ مرونة التدريس في القرآن الكريم

يُقصد بهذا المبدأ أنّ التدريس -بالإضافة إلى ثباته فيما يهدف إلى تحقيقه من مقومات الدين وقيمه- فإنّ مرونته تيسّر تطويره بما يتناسب مع ما قد يشهده العالم من متغيّرات، وتمكّنه من التكيّف مع ما يحدث من طوارئ في المواقف التعليميّة، وسنذكر هنا بعض نصوص القرآن الكريم التي تثبت اعتماد التدريس فيه لهذا المبدأ.

أولاً - قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11].

إنّ هذا ناموس إلهي اجتماعي يتقلّب البشر وفقه بين الصلاح والفساد، فإذا كانوا ضعافاً أذلةً فإنّ حالتهم لا تتبدّل من السوء إلى الحسن إلا إذا رجعوا عمّا هم فيه وساروا في طريق الاستقامة والصلاح<sup>(1)</sup>.

وإنّ الله تعالى « لا يغير نعمة أو بؤسى، ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم»<sup>(2)</sup>.

وإنّ شروط التغيير (أن يعرف المسلم نفسه بالتدقيق وألا يغالط نفسه في معرفة نفسه)<sup>3</sup>. فحال الناس لا تتغيّر إلا وفق هذا الناموس الإلهي الثابت، وإنّه لمن أكد الفرائض أن يتعهّد الفرد والجماعة حالهما بالنقد والتقييم الذاتيين بالنسبة إلى ما تحقّق من غايات مرغوبة ومسطّرة، فُتُبّت عوامل القوّة، وتُصلح أسباب الخلل، وليس لمراجعة المناهج الدراسيّة بهدف تطويرها والزيادة من فاعليّتها إلاّ هذا المعنى.

ثانياً - قال سبحانه: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:2].

لقد وُصفت النفس هنا باللّوامة لمبالغتها في لوم صاحبها على التقصير في تقوى الله وطاعته، ويُعبّر عنه في الاصطلاح الشرعي بالمحاسبة<sup>(4)</sup>، ففي الآية ثناء على النفس التي تلوم صاحبها وإن لم يقصّر في فعل الخير، وعلى هذا «فمفهوم النقد الذاتي بمعنى مراجعة النفس أو النشاط فردياً كان

<sup>1</sup> التفسير الحديث لدروزة 525/5.

<sup>2</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، 2050/4.

<sup>3</sup> دور المسلم ورسالته لمالك بن نبي، ص 59.

<sup>4</sup> تفسير ابن عاشور، 338/29.

أو جمعياً، ثم محاسبتها هو روح القرآن المكثفة»<sup>(1)</sup>.

وفي مجال الحذر والخوف من تطوير تدريس العلوم الشرعيّة، فإنّه ينبغي التفريق بين العلم الشرعيّ وبين التعليم الشرعيّ، فالأوّل محتواه متعلّق بنصوص القرآن والسنة، والثاني متعلّق بتنظيم ذلك المحتوى والتأليف فيه وهو عمل بشريّ محض فتصحّ مراجعته وتطويره<sup>(2)</sup>، بشرط أن يتمّ ذلك بسيادة محليّة وبعيداً عن الاملاءات الخارجية.

وصلاح التعليم الذي هو أساس كل إصلاح مشروطٌ عند ابن باديس بالعودة به إلى مدرسة النبوة «ولن يصلح هذا التعليم إلّا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم ﷺ وفي صورة تعليمه، فقد صح عنه ﷺ فيما رواه مسلم أنّه قال: (إنّما بعثت معلماً)، فماذا كان يعلم وكيف كان يعلم»<sup>(3)</sup>، وقد ذكر الامام هنا مجالين، أوّلهما ما كان الرسول ﷺ يعلمه، والثاني كيفية تعليمه ﷺ لذلك، فالجمل الأوّل هو المقصود بالعلوم الشرعيّة وما تهدف إلى تحقيقه المتّسم بالثبات، أمّا كيفية تدريس تلك العلوم ففي القرآن والسنة من الطرق والأساليب ما يكفي للتعليم والتعلّم، لكنّه مجال يتّسع لتقبّل تجارب الأمم الأخرى.

#### الفرع الثاني: مبدأ مرونة التدريس في السنة النبويّة

سنذكر هنا بعض الأحاديث التي تدلّ اعتماد مدرسة النبوة لمبدأ المرونة.

أولاً - قال رسول الله ﷺ: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنِ الْغِيلَةِ. حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ)<sup>(4)</sup>.

وقوله ﷺ لمن عزل عن امرأته إشفاقاً على ولدها: (لَوْ كَانَ ذَلِكَ ضَارًّا، ضَرَّ فَارِسَ وَالرُّومَ)<sup>(5)</sup>. لقد أوشك النبيّ ﷺ أن ينهى عن مباشرة الرجل زوجته وهي ترضع، لكنّه ﷺ لم يفعل ذلك لما رأى أنّ تجارب الأمم الأخرى تكذب اتّقاء العرب له<sup>(6)</sup>، وذلك إشارة واضحة إلى مشروعية

<sup>1</sup> الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية لعبد الله النفيسي، ص15.

<sup>2</sup> تطوير العلم الشرعيّ لمحمد الدويش، ص45 وما بعدها.

<sup>3</sup> آثار ابن باديس لعمار طالبي. 217/3، وينظر عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية لمصطفى حميدان، ص134، وأمّا الحديث فالذي في صحيح مسلم (وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبَيِّنًا)، 1104/2 ر1478، أمّا رواية (إنّما بعثت معلماً) فقد ضعفها العراقيّ في تخرّيج أحاديث إحياء علوم الدين 77/1، ولم يشر عمار طالبي إلى هذا.

<sup>4</sup> صحيح مسلم 1066/2 ر1442.

<sup>5</sup> صحيح مسلم 1067/2 ر1443.

<sup>6</sup> شرح مسلم لعياض، 624/4

الإفادة من معارف وتجارب الأمم الأخرى المتعلقة بالمتغيرات الخاضعة لتطور المعرفة البشرية، والتدريس في أهدافه المتطورة وما يجسدها من محتويات وفي آلياته وأدواته مثل الطرائق والوسائل والتقويم من هذا الباب، ولو مضى الرسول ﷺ فنهى عن الغيلة لكان ذلك دليلاً أيضاً على مشروعية الإفادة من علوم وخبرات الأمم الأخرى لأنه استدلالٌ بموقف العرب من الغيلة يومئذ.

وما ذُكر هنا في الغيلة يصدق على جميع ما جاء عن النبي ﷺ في العلاج لدى الطبيب غير المسلم وإنارة المسجد بالقناديل وحفر الخندق في الحرب وغير ذلك<sup>(1)</sup>.

ثانياً - قال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)<sup>(2)</sup>.

إنَّ تجديد الدين في الحديث يتمُّ بأنَّ « يصحح لها أحكام دينها »<sup>(3)</sup>، وهذا التصحيح الذي أشار إليه الرسول ﷺ في معرض المدح لمن وقع على يديه لا يمكن أن يحدث دون مراجعة ونقد وتقويم للذات بالنظر إلى أهداف واضحة ومسطرة .

إنَّ الدعوة إلى تعهد المناهج التعليمية بالمراجعة تنطلق من قناعة مأمور بها بنصِّ الحديث، والمراجعة هنا واجبة لتوقّف التجديد المأمور به عليها، لأنَّ ما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به فهو واجب<sup>(4)</sup>.

ونشير إلى أنَّ إجماع الأمة العمليِّ على الاستفادة من خبرات الأمم الأخرى في إصلاح المناهج وغيرها دليلٌ على مشروعية ذلك في الإسلام، ومعلوم أنَّ كلَّ ما أجمعت عليه الأمة فهو منصوص عن الرسول ﷺ وإن خفي ذلك على بعض الناس<sup>(5)</sup>، كما أنَّ اتفاق جميع المجتهدين على حكم في واقعة دليلٌ على وجود مستند شرعي يدلُّ قطعاً على ذلك الحكم<sup>(6)</sup>، وهذا الاتفاق ما زال مستمرّاً دون خلاف، فأصلاح مناهج التعليم في العالم الإسلامي في الأهداف والمحتويات والاستراتيجيات يحدث باستمرار دون نكير، بخلاف ما إذا تعلّق الأمر بالتغيير في منطقة الثوابت فإنَّ ذلك لا يحدث إلاَّ مصاحباً بالانتقاد والاحتجاج، ولذلك فقد « سعت الجمعية إلى إصلاح

<sup>1</sup> ينظر الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين لإبراهيم الرئيس، ص 292.

<sup>2</sup> سنن أبي داود، 349/6 ر 4291، وصححه الأرنؤوط.

<sup>3</sup> شرح سنن أبي داود لابن رسلان، 86/17.

<sup>4</sup> مناهج التعليم في العالم الاسلامي لقطب سانو، ص 51.

<sup>5</sup> مجموع الفتاوى لابن تيمية، 194/19 و 195/19.

<sup>6</sup> علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، ص 48.

أساليب التعليم، فقضت في تعليمها بقسميه المكتبي والمسجدي على تلك الأساليب العتيقة العقيمة التي كان يباشر بها التعليم، والتي ما زالت مثاراً للشكوى والتذمر في مكاتب التعليم ومعاهد العلم بغير الجزائر، ولم تستطع تلك المكاتب والمعاهد التخلص منها مع ظهور فسادها»<sup>(1)</sup>.

**ثالثاً -** كان النبي ﷺ يخطب يومَ جمعةٍ فقال للناس: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَحَطَ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّتِ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِينَا. فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اسْقِنَا). مَرَّتَيْنِ، وَأَيْمُ اللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ، فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى، فَلَمَّا انصَرَفَ، لَمْ تَزَلْ تُمَطِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ: تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يَحْسِبْهَا عَنَّا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا)<sup>(2)</sup>.

يتناول هذا الحديث مظهراً من مظاهر مرونة التدريس في مدرسة النبوة، وهو قدرته على التكيف مع الطوارئ التي تحدث أثناء تنفيذ الدرس، والمتوقع أن مبدأ المرونة يحمي العملية التربوية مما قد تجرّه طوارئ الأحداث من سلبيات أو خلل، فما أصاب الناس من قحط جعل النبي ﷺ يقطع خطبته اهتماماً بذلك، ثم إنه لما هدمت السيول البيوت وقطعت السبل، قطع ﷺ الخطبة مرة أخرى ودعا، والشاهد هو استجابته الفورية لحاجتهم مع ما للكلام والإمام يخطب من أحكام خاصة يشير إليها مثل قوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَعَوْتَ)<sup>(3)</sup>.

لقد كان الرسول ﷺ يقطع خطبته للحاجة العارضة، أو سؤال من أحد من الصحابة رضي الله عنهم، فيجيبه، ثم يعود فيتّم خطبته، ونزل لأخذ الحسن والحسين رضي الله عنهما، فرقي بهما المنبر، وأتم خطبته، وكان يدعو الناس وهو يخطب: تعال يا فلان، اجلس يا فلان، صل يا فلان، وقد يأمر الناس بحسب الحال في خطبته، فإذا رأى ذا فاقة أمر الحاضرين بالصدقة وكان ينتظر اجتماع الناس يوم الجمعة، فإذا اجتمعوا خرج إليهم<sup>(4)</sup>، وهذا هو التدريس المرن في أجلى صورته.

**رابعاً -** عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (قَدْ تُوِّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ، فَهَلُمَّ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ)، قَالَ: فَصَفَّفْنَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَهُ صُفُوفٌ<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> آثار الإمام الإبراهيمي لطالب الإبراهيمي، ص 1/191.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 347/1 ر 975، وصحيح مسلم 612/2 ر 897.

<sup>3</sup> صحيح البخاري 316/1 ر 892، وصحيح مسلم 583/2 ر 8510.

<sup>4</sup> زاد المعاد لابن القيم 413/1، و 414/1.

<sup>5</sup> صحيح البخاري 443/1 ر 1257، وصحيح مسلم 657/2 ر 953.

إنّ ظاهر الحديث يشير إلى أنّ النبي ﷺ قد بادر إلى الصلاة على النجاشي دون تأخير كما يشير إليه حرف الفاء<sup>(1)</sup>، فهو ﷺ لم يؤخّر صلاة الجنازة إلى أقرب صلاة جامعة مثلاً، وإنّما ترك ما كان منشغلاً به حينها، وجمع الناس وصلّى عليه، وهذه هي المرونة التي تمكّن التدريس من التكيف مع ما يطرأ من أحداث غير متوقّعة، ولم نقف عمّا كان يفعله الرسول ﷺ حينئذ، غير أنّ ذلك ليس شرطاً لصحة الاستدلال بالحديث على المقصود، وذلك لأنّ حياته ﷺ كلّها مواقف تبليغيّة وتعليميّة، فدلّ ذلك على أنّ المواقف التدريسيّة في حياته ﷺ تتسم بالمرونة، فيمكن للمعلّمين - من خلال ما سبق - أن يغتنموا الحصص الدراسيّة باقتطاع جزء منها، فيثيروا موضوعات الأحداث الهامّة في الوطن والعالم، والتذكير بالمناسبات الشرعيّة والوطنية، ويعلموا المتعلّم حسن التصرف عند ظهور الأوبئة المعدية أو حدوث الزلازل مثلاً، كما يمكنهم أن يتعاملوا برفق ومرونة مع ما يحدث أثناء الحصّة من شغب المشاغبين.

**خامساً -** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: (مَا لَكَ). قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا). قَالَ: لَا. قَالَ: (فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ). قَالَ: لَا. فَقَالَ: (فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا). قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ. فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ. وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ. قَالَ: (أَيُّ السَّائِلِ) فَقَالَ: أَنَا. قَالَ: (خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ). فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعْلَى أَفْقَرٍ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ، أَهْلُ بَيْتِ أَفْقَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي. فَصَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: (أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ)<sup>(2)</sup>.

يصرّح الحديث أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا في أحد مجالس الرسول ﷺ التعليميّة عندما جاءه الرجل يسأله، كما يصرّح بأنّه ﷺ انتقل من موضوع ذلك المجلس إلى الموضوع الذي شغل الرجل، ولم ينته الموقف الجديد إلا بعد أن تيقن السائل من نجاته من الهلاك الذي كان يخشاه. إنّ ما جاء في هذه الأحاديث إرشاد إلى كيفية التكيف مع الطوارئ التي يصعب التنبؤ بها لأنّ الموقف التدريسي تتداخل فيه أدوار المعلم والمتعلّم والإجراءات والوسائل، فتتعدّد محاولات

<sup>1</sup> ينظر إفادة الفاء للتعقيب ص 213.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 684/2 ر 1834 وصحيح مسلم 781/2 ر 1111.



دراسته وضبطه والتنبؤ بما يمكن أن يحدث، خاصّة مع وجود المكوّنات الإنسانية غير القابلة للضبط<sup>(1)</sup>.

ويقول الشيخ الإبراهيمي إنّ: «الأمة تريد تعليمًا عربيًّا يساير العصر وقوّته ونظامه، لا تعليمًا يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت، والأمة تريد تعليمًا عربيًّا عليه طابعها، وفيه أثر يديها، وله ما لها من روح، وعليه ما عليها من سمات، إن هذه الأمة تعتقد - وتموت على اعتقادها - أنّ لغتها جزء من كيانها السياسي والديني، وشرط في بقائها، وقد التقى على الكفاح في سبيلها الدين والسياسة، فلم يختلف لهما فيه رأي، ولم يفترق لهما قصد»<sup>(2)</sup>، إنّ كلام الإبراهيمي يبيّن دقة التوازن بين الثبات على الأصالة في صورة الاستعداد للموت على الاعتقاد أنّ العربيّة شرط بقاء، وبين المرونة في صورة الرغبة في مواكبة التطور.

ولقد ذكر ابن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب" في مبحث "لماذا نسعي إلى إصلاح التعليم" كيف «كان أساطين العلماء يهتمون بتحسين التعليم»<sup>(3)</sup>.

وهكذا يظهر من خلال عرض هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة أنّ مبدأ مرونة التدريس مبدأ إسلاميًّا أصيل، وأنّ توظيفه بضوابطه ضروريًّا لمواكبة الانفجار المعرفي، كأنّ تُراجع مناهج التعليم بسيادة محليّة لا بالإملاءات الخارجيّة، وأنّ لا يتطرّق إصلاحها إلى ما يتّسم بالثبات في الأهداف والمحتويات، كما تُظهر المواقف التدريسيّة المتعدّدة مرونة كبيرة تمكّن التدريس من التكيّف والتأقلم مع أيّ ظرف طارئ ممّا يزيد من فعاليّته.

### المطلب الخامس: مبدأ تعليم التفكير

نتناول هنا موقف التدريس في القرآن الكريم والسنة النبويّة من مبدأ تعليم المتعلّمين لممارسة التفكير وتوظيف مهاراته في مواقفهم الحياتيّة.

### الفرع الأوّل: مبدأ تعليم التفكير في القرآن الكريم

المقصود بتعليم التفكير تزويد المتعلّمين بفرص ممارسة نشاطات التفكير ودفعهم إلى ذلك،

<sup>1</sup> المعلم واستراتيجيات التعليم الحديث لعاطف الصيفي، ص 19.

<sup>2</sup> آثار الإمام الإبراهيمي لطالب الإبراهيمي، 284/3.

<sup>3</sup> أليس الصبح بقريب لابن عاشور، ص 10.

وكتاب الله المجيد يحفل بالنصوص الدالة على وجوب الاعتناء بتعليم التفكير وتنمية مهارته، وسنذكر بعض ما ورد في ذلك:

أولاً - قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)﴾ [البقرة]

تبين الآيات الكريمة أنّ اليهود الذين عاصروا الرسول ﷺ ليسوا فريقاً واحداً، إذ الفرقة الأولى هي الضالة المضلّة، والفرقة الثانية المنافقون، والفرقة الثالثة الذين يجادلون المنافقين، والفرقة الرابعة العامة الأميون، وقد «بين الله تعالى أن الذين يمتنعون عن قبول الإيمان ليس سبب ذلك الامتناع واحداً بل لكل قسم منهم سبب آخر ومن تأمل ما ذكره الله تعالى في هذه الآية من شرح فرق اليهود وجد ذلك بعينه في فرق هذه الأمة، فإنّ فيهم من يعاند الحق ويسعى في إضلال الغير وفيهم من يكون متوسطاً، وفيهم من يكون عاماً محضاً مقلداً»<sup>(1)</sup>.

إنّ الآيات الكريمة ترشد المسلمين إلى أنّه لا ينبغي معاملة اليهود على أنّهم فئة واحدة، إذ أنّ مخاطبة أحبارهم غير مخاطبة منافقيهم، ومخاطبة أولئك غير مخاطبة عوامهم. والنصّ نموذج لتنمية<sup>(2)</sup> مهارات التفكير الناقد الذي يُعرّف بأنّه «حكم منظم ذاتياً يهدف إلى التفسير والتحليل، والتقييم، والاستنتاج، وإلى جانب ذلك فإنه يهتم بشرح الاعتبارات المتعلقة

<sup>1</sup> تفسير الرازي، 148/4

<sup>2</sup> اختلف في الطرق التي من شأنها أن تحقق تعليم التفكير بفعالية، فذهب بعض المنظرين إلى أفضلية تعليمه من خلال برامج وموادّ دراسية مستقلة، فتكون له مادة كما أنّ للرياضيات والتاريخ واللغات موادّها، وذهب آخرون إلى أنّ دمج مهاراته في محتويات الموادّ الدراسية أنسب لتعليمه، وبين هذين الرأيين اتجاه ثالث وسط، يدعو إلى الجمع بين الاتجاهين السابقين بأن يُعلّم التفكير بشكل مستقلّ، أي إفراده بمادّة خاصّة به، على أن يأخذ منحىً تكاملياً مع المحتويات الدراسية، تعليم التفكير النظرية والتطبيق لصالح أبو جادو ومحمد نوفل، ص 45-47، ويتبع ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وما ورد في سنة الرسول ﷺ من آيات وأحاديث في مجال تعليم وتنمية التفكير، فقد تبين لنا أنّ منهجها في ذلك هو دمج مهاراته فيما جاء فيهما من مضامين.

بالأدلة والبراهين، والمفاهيم، والطرق والمقاييس التي يستند إليها الحكم الذي تم التوصل إليه»<sup>(1)</sup>.

ومهارات التفكير الناقد التي وردت في الآيات الكريمة هي:

أ- مهارة المقارنة: وتعني «العمل على تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين المعلومات المعطاة، أو المعلومات التي يتم البحث والاستقصاء عنها»<sup>(2)</sup>.

ب- مهارة التصنيف: والمقصود بها «العمل على تجميع المفردات في مجموعات بناء على خصائصها المشتركة»<sup>(3)</sup>.

ج- مهارة الترتيب: وهي «إخضاع العناصر أو المفردات إلى تنظيم تبعاً لمعيار معيّن، أو هي عبارة عن تسلسل للمفردات وفقاً لمعيار محدد سلفاً»<sup>(4)</sup>.

وبتحليل طريقة الآيات في تنمية مهارات التفكير نستنتج الآتي:

**1- أنّ الآيات الكريمة تقارن بين اليهود بواسطة تحديد ما يشتركون ويختلفون فيه، فهم من ناحية ينتمون إلى الفرقة الرئيسة المسماة اليهود، غير أنّهم من ناحية أخرى فئات أربع تميّز كلُّ فئة عن الأخرى بخصائص معيّنة، وهذه الخصائص تتعلق كلّها بموقف اليهود من الرسالة التي جاء بها رسول الله ﷺ، ومثل هذه الطريقة من شأنها أن تنمي مهارة المقارنة لدى المتعلّمين.**

**2- أنّ الآيات الكريمة تقسم اليهود إلى أربعة فئات، فئة المضلّين، وفئة المنافقين، وفئة المجادلين للمنافقين، وفئة عوامّ اليهود، ولكلّ فئة ما يميّزها في الموقف من الإسلام، مثل تميّز أفراد الفئة المضلّة باشتراكهم في تحريف كلام الله تعالى من بعد ما عقلوه وما ينتج عنه من تغيير لأوصاف رسول الله ﷺ في التوراة، وفي هذا تنمية لمهارة التصنيف عند المتعلّم.**

**3- أنّ ترتيب الفئات في الآيات الكريمة جاء وفق معيار معيّن هو الكيد للرسالة الجديدة ولرسول الله ﷺ والمسلمين، فالفئات الأربع تشترك كلّها في ذلك، غير أنّ درجة الكيد ليست واحدة، ولنا أن نتصوّر الفرق بين فئة الأحبار المحرّفة لما في التوراة والمعيّرة لما فيها من وصف**

---

<sup>1</sup> تعليم التفكير النظرية والتطبيق لصالح أبو جادو ومحمد نوفل، ص 229، وقد ذكرا أنّ التعريف جاء ثمرة لاجتماع عدد كبير من الخبراء الباحثين بدعوة من الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) نظراً للاختلاف الكبير في مفهوم التفكير الناقد.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 88.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 89.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 90.

للسور سورة وآية الرجم<sup>(1)</sup>، وبين فئة عوامّ اليهود الأميين المقلّدين، وهذا تعليم للتفكير بواسطة تنمية مهارة الترتيب.

4- أن مهارات التفكير - في القرآن الكريم - مكّمة لبعضها بعضاً، فالمقارنة الجيدة لما في مجال اليهود من فئات متعدّدة نتج عنه تصنيفٌ صحيح ومناسب لتلك الفئات، ونتج عن ذلك التصنيف الترتيب الموضوعي لها.

5- إن ما ذكره الرازي من أن التأمل في طريقة الآيات الكريمة في تناول فرق اليهود يؤدّي إلى التأكّد من وجود ذلك بعينه في فرق الأمة الاسلاميّة هو نموذج عمليّ لما يمكن لطرائق القرآن الكريم أن تُحدثه من تعليم وتنميّة للتفكير ومهاراته عند المتعلّمين، فما استنبطه الرازي من تصنيف هذه الأمة ليس سوى أثراً لتوظيف ما في الآيات من مهارات.

والمقصود أن الآيات تنمي هذه المهارات الثلاث التي تسهّل تنظيم ما لدى المتعلّم من معلومات، وذلك من خلال المقارنة الجيدة لما بين عناصرها من أوجه شبه واختلاف، ثمّ تصنيفها تصنيفاً صحيحاً يولّد ترتيباً موضوعياً وفق معيار محدّد، فيسهل إصدار الأحكام واتّخاذ القرارات.

ثانياً- قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَأُتْعَنَ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنْ آمَنَتْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (24)﴾ [سورة يس].

تقصّ الآيات قصّة الرجل الذي جاء من أطراف المدينة مسرعاً حين بلغه أنّ قومه عقدوا النية على قتل الرسل لينصحهم بالعدول عن ذلك، والنصّ نموذج لتعليم التفكير الإبداعي الذي يُعرّف بأنّه «نشاط عقليّ مركب وهادف توجهه رغبة قوية في البحث عن حلول أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقاً»<sup>(2)</sup>، وذلك من خلال تنمية بعض مهاراته، ومّا جاء منها في الآيات:

أ- مهارة الطلاقة: وتُعرّف بأنّها « قدرة الفرد على توليد عدد كبير من البدائل أو المترادفات أو الأفكار أو المشكلات أو الاستعمالات عند الاستجابة لمثير معين، والسرعة والسهولة في

<sup>1</sup> تفسير البغوي، 113/1

<sup>2</sup> تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات لجروان، ص76.

توليدها، وهي في جوهرها عملية تذكر واستدعاء اختيارية لمعلومات أو خبرات أو مفاهيم سبق تعلّمها»<sup>(1)</sup>.

**ب- مهارة المرونة:** وهي «قدرة الفرد على توليد أفكار متنوعة أو حلول جديدة ليست تقليدية أو روتينية أو متكررة، وتشمل توجيه خط سير التفكير كاستجابة لمتطلبات الموقف»<sup>(2)</sup>.

**ج- مهارة الأصالة:** وهي «القدرة على إبداء وتوليد أفكار جديدة، وفريدة وخلاقة»<sup>(3)</sup>.

وبتحليل طريقة الآيات في تنمية تلك المهارات نستنتج الآتي:

**1- أن تلك الأفكار والحجج كثيرة خاصة بالنسبة إلى قلة عدد الآيات التي تذكر قصته، فهو يدعوهم إلى اتباع المرسلين، ويثبت لهم الرسالة، وينبّههم إلى أنّهم لا يسألونهم أجراً، وأنهم مهتدون، ثم يستدلّ على التوحيد بحجج كثيرة، ويثبت البعث، وهذا يشير إلى مهارة الطلاقة.**

**2- أن أفكاره وحججه متنوعة، ففي مجال القناعات الشخصية استغلّ سمعته الحسنة بين قومه في الشهادة للرّسل بالرسالة، وفي مجال حالات قومه النفسية فقد سعى إلى طمأننتهم بتبرئة الرسل عليهم السلام من السعي إلى متاع الدنيا، وأنّ من آمن بهم سيحظى بالهداية، وفي مجال استحقاق الخالق تعالى للعبادة فقد ربطها بتليّة داعي الفطرة، وهكذا، وهذا يشير إلى مهارة المرونة.**

**3- أن بعض ما طرحه يتّسم بالجدة والتفرد فيه بالنسبة إلى قومه، فما قدّمه الرجل من حجج في إثبات كلامه يتميّز بوضوح عمّا انتشر بين قومه، وقد أراد إثبات التوحيد ونفي الشرك فاستدلّ على ذلك بأنّ غير الله ﷻ محتاج ومفتقر وحادث، وفي إنكاره على نفسه اتّخاذ آلهة «إشارة إلى أن**

---

<sup>1</sup> تعليم التفكير النظرية والتطبيق لصالح أبو جادو ومحمد نوفل، ص 77، والطلاقة أنواع مثل الطلاقة اللفظية التي تتعلّق بسرعة توليد وإنتاج الكلمات، وطلاقة الأفكار وتشير إلى سرعة توليد الأفكار، وطلاقة الأشكال وتعني قدرة الفرد على رسم عدد من الامثلة بسرعة وغيرها، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات لجروان، ص 160.

<sup>2</sup> تعليم التفكير ومهاراته، لسعيد عبد العزيز، ص 158، والمرونة أنواع مثل المرونة التكيفية بأن يقدر الفرد على التكيف مع تغير الظروف، ومرونة التحرّر من الجمود أي تحويل خط سير التفكير وعدم بقاءه جامداً، ومرونة إعادة تفسير المعلومات أي القدرة على طرح الفكرة بعدة صور ومعاني، والمرونة التلقائية وهي قدرة الفرد العفوية على تغيير حالته الذهنية بالقيام بشيء بطريقة مختلفة، تعليم التفكير ومهاراته، لسعيد عبد العزيز، ص 159.

<sup>3</sup> تعليم التفكير النظرية والتطبيق لصالح أبو جادو ومحمد نوفل، ص 166، وهي مرادفة للإبداع نفسه، والفرد المبدع هو ذو التفكير الأصيل غير المقلّد للآخرين. نفس المرجع والصفحة السابقين.

غيره ليس بإله لأن المتخذ لا يكون إله»<sup>(1)</sup>، فأين استدلالهم بالتطير من ذلك؟ وهذا يشير إلى مهارة الأصالة.

4- أن الرجل كان يتمتع بمرونة كبيرة فيما تعلق بالأمر التي هي خارج منطقة ثوابت الدين، فقد انتصر للرسول بأن شهد لهم بالرسالة ونفى الشرك عن الله تعالى وأثبت البعث والرجوع إلى الله تعالى ولم يدهن في ذلك، ولكنه لم ير مانعاً من استخدام اسم الرحمن بدل لفظ الجلالة، وذلك لأن قومه يفعلون ذلك، رجاء إيمانهم<sup>(2)</sup>، وهذا هو المقصود باشمال مهارة المرونة على خاصية التكيف مع ظروف ومتغيرات الموقف لإنجاح التواصل والحوارات.

5- تُظهر الآيات الكريمة أن الرجل كان يتميز بالسرعة والسهولة والسلاسة في عرض حججه وأفكاره، وهذا يشير إلى مهارة الطلاقة.

إنّ الإنسان مدعوٌ إلى التفكير فيما يدركه من معلومات ويُحصّله من محتويات، فالحيوان يمتاز «عن الجماد بالإدراك، والإنسان يمتاز عن الحيوان بالعقل، والعقل هو القوة الروحية التي يتم بها التفكير. وتفكير الإنسان هو نظره في المعلومات التي أدرك حقائقها، وعرف نسب بعضها لبعض إيجاباً وسلباً، وأدرك ارتباط بعضها ببعض نفيّاً وثبوتاً. وترتيب هذه المعلومات بمقتضى ذلك الارتباط على صورة مخصوصة، ليتوصّل بها إلى إدراك أمر مجهول. فالتفكير اكتشاف المجهول من طريق المعلوم، والمفكر مكتشف ما دام يفكر<sup>(3)</sup>، فحثّ المتعلمين على النظر والاستدلال والتفكير من أبرز ما تميّزت به مدارس جمعيّة العلماء.

### الفرع الثاني: مبدأ تعليم التفكير في السنّة النبويّة

في السنّة النبويّة نصوص كثيرة تنمّي مهارات تفكير المتعلمين ومن ذلك:

أولاً- أتى شابُّ النبيّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ائذّن لي بالزّنى، فأقبلَ القومُ عليه، فزجّروه وقالوا: مه. مه. فقال: (ادّنه) فدنا منه قريباً، قال: فجلّسَ قال: (أحْبِبْهُ لِأَمِّكَ؟) قال لا والله، جعلني

<sup>1</sup> تفسير الرازي، 55/26، وينظر تفسير ابن عاشور، 362/22.

<sup>2</sup> وقريب من هذا ما جاء في صحيح البخاري في حديث صلح الحديبية: فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتُ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ). صحيح البخاري 977/2 ر 2581. وينظر مبدأ رجاء النجاح الدراسي ص 282.

<sup>3</sup> تفسير ابن باديس، ص 101.

الله فداءك. قال: (ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ). قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قال لا والله، جَعَلَنِي اللهُ فداءك. قال: (ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ). قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِأَخْنِكَ؟» قال لا والله، جَعَلَنِي اللهُ فداءك. قال: (ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ). قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قال لا والله، جَعَلَنِي اللهُ فداءك. قال: (ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ). قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قال لا والله، جَعَلَنِي اللهُ فداءك. قال: (ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ). قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وقال: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ) فلم يَكُنْ بعد ذلك الفتى يَلْتَفِتُ إلى شيءٍ<sup>(1)</sup>.

يقوم الصحابة رضي الله عنهم إلى شاب يزجرونه لجرأته على استئذان الرسول ﷺ في الزنا، لكن الرسول ﷺ يدينه منه ليحاوره، ولا ينتهي الموقف إلا وقد تاب الشاب من الفاحشة. والحديث نموذج لحلّ المشكلات التي تعرّف بأنّها «السلوكات والعمليات الفكرية الموجهة لأداء مهمة ذات متطلبات عقلية معرفية»<sup>(2)</sup>، فقد سعى الرسول ﷺ إلى إيجاد حلّ لما يعانیه ذلك الشاب بواسطة إشراكه في العملية.

وتحليل طريقة الحديث في تنمية مهارات التفكير يفيد الآتي:

أ- أنّ تنمية مهارة حلّ المشكلات في السنّة النبوية تتناول المشكلات الواقعية لا الافتراضية، فالشاب يعاني من الرغبة في ارتكاب المحذور، وهذا قد يحدث لأيّ فرد في المجتمع، ومن ناحية أخرى، فإنّ هذا يشير إلى أنّه ينبغي للمعلّم أن يعتمدوا واقع المتعلّمين وحياتهم معياراً في تحديد أبعاد المشكلة لجذب انتباههم واستشارة دافعية التعلّم لديهم بدل التمثيل بالأمثلة غير الواقعية.

ب- يُظهر الحوار بين الرسول المعلم ﷺ وبين الشاب أنّ المتعلّم -في طريقة حلّ المشكلات- إيجابي وفاعل، أي أنّه هو المطالب بتطوير الحلول التي تقتضيها المشكلة.

ج- أنّ إجابات الشاب المتعلّم تكشف عن إحاطته بالمخاطر الاجتماعية للجريمة، ممّا ساعده على الوصول إلى الحلّ المتمثل في ترك الزنا، وهذا يشير إلى أهميّة تمكين المتعلّمين المتعلّمين من الإحاطة بالمعطيات المتعلقة بالمشكلة، لأنّهم كلّما أدركوا تفاصيلها كلّما ازداد احتمال نجاحهم في تطوير الحلول لها موظّفين لمهارات تفكيرهم.

<sup>1</sup> مسند أحمد، 545/36 ر 22211، قال محققه الأرثوذكس في الهامش: «إسناده صحيح...».

<sup>2</sup> تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات لفتحي جروان، ص 86، والتعلم المستند إلى المشكلات يهدف إلى تزويد المتعلمين بما يلزم من إرشادات ومصادر لتطوير مهارات حل المشكلات التي تواجههم، تعليم التفكير النظرية والتطبيق لصالح أبو جادو ومحمد نوفل، ص 291.

د- يظهر الحديث أنّ الرسول ﷺ اكتفى بطرح الأسئلة على الشاب مثل سؤال (أَحْبَبُهُ لِأُمِّكَ؟)، أو بتقرير إجابات الشاب مثل (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ)، وهذا يشير إلى أنّ دور المعلم في طريقة حلّ المشكلة هو تيسير تطوير المتعلّم للحلّ، ويتحقّق ذلك بتوجيهه وإعطائه المعالم الهادية التي تدلّ المتعلّم على المقصود.

هـ- يُظهر الحديث أنّ الشابّ باقتناعه في الأخير بأضرار الزنا يكون هو الذي توصّل إلى حلّ مشكلته، أمّا دعاء الرسول ﷺ فقد جاء بعد اتّخاذ الشابّ قرار الامتناع عن الفواحش، كما تدلّ عليه رواية "فقال يا رسول الله، ادع الله لي، قال: فوضع رسول الله ﷺ يده عليه..."<sup>(1)</sup>، فمبادرة الشابّ بطلب الدعاء من الرسول ﷺ مشعرٌ باقتناعه وعزمه على ترك هذه المعصية.

و- أنّ في الحديث أثراً تربوياً لطريقة حلّ المشكلات وهو عزم الشابّ على ترك ما تجرّأ في طلبه من النّبِيِّ ﷺ، وهو قول الراوي: "فلم يكنْ بعد ذلك الفتى يَلْتَفِتُ إلى شيءٍ"، فتطوير الشابّ المتعلّم لحلّ مشكلته بتوجيه من الرسول المعلم ﷺ نتج عنه اقتناعه بقبح هذه الجريمة، أمّا وصف ذلك بـ "عدم الالتفات" الدالّ على شدّة بغض جريمة الفاحشة إلى درجة عدم الاكتراث بها بعد أن كان مصراً على ارتكابها فيعبر عن درجة فاعليّة طريقة السنّة في توظيف طريقة حلّ المشكلات.

ثانياً- قالت امرأة للنبي ﷺ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحْجَّ، أَفَأَحْجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ؟)، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: (أَقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) <sup>(2)</sup>.

وقال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، قَالَ: فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى) <sup>(3)</sup>.

يُسأل الرسول المعلم ﷺ عن المرأة تموت ولم تحجّ ولم تصمّ، هل يُحجّ ويُصام عنها، ويأتي جوابه ﷺ ليؤكد ما اشتهر عن القرآن والسنّة من أسلوب إشراك المتعلّم وتفعيل دوره، فيجيب ﷺ وهو يعلم السائلين -ومن حضر ذلك الموقف- أصول التفكير الصحيح الذي يمكن من العبور إلى إدراك الأشياء انطلاقاً من أشباهاها.

<sup>1</sup> الجامع لشعب الإيمان للبيهقي، 295/7، 5032، وأشار المحققان في الهامش إلى ضعف إسناده.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 657/2، 1754.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 690/2، 1852،، وصحيح مسلم، 804/2، 1184.



إنَّ الرسول ﷺ ذكرَ عللَ الأحكام والأوصاف المؤثرة فيها، ليبيّن ارتباطها بها، وأنها تتعدّى بتعدّي أوصافها وعللها، كما قرّب ﷺ الأحكامَ بذكر نظائرها وأسبابها، وضرب الأمثال لها»<sup>(1)</sup>.

ومثل ذلك قول عمر رضي الله عنه: يا رسولَ الله، صنعتُ اليومَ أمراً عظيماً، قبّلتُ وأنا صائمٌ، قال: (أرأيتَ لو مَضَمَضْتَ مِنَ المَاءِ وَأَنْتَ صَائِمٌ؟)، قلتُ: لا بأسَ به، قال (فَمَهْ) <sup>(2)</sup>، وسواء أكانت الهاء في قول الرسول: (فَمَهْ) هاءَ سكتٍ، أو كان أصل (مَهْ) "ما" الاستفهامية وقد حذف ألفها وجيء بهاء السكت عوضها، سواء كان هذا أو ذاك فإنَّ المعنى أنَّه لا فرق بين تقبيل الصائم لزوجته وبين تمضمضه فما وجه سؤالك واستغرابك يا عمر؟ <sup>(3)</sup>.

فندريب السائلين والحاضرين على التفكير مقصود في الحديث، ويتعلّق الأمر هنا بالتفكير المنطقيّ الذي هو «نشاط ذهني مركب مبني على التأمل والتدبر، الحسي (المادي) والمعنوي، والصورى، والمجرد، أحكامه وتفسيراته قائمة على المنطق بكافة صورته وأشكاله وقواعده ورموزه ودلالاته المبنية على السبب والبرهان»<sup>(4)</sup> وذلك من خلال تنمية بعض مهارته مثل مهارة المقارنة ومهارة الاستدلال التي تُعرّف بأنّها: «عملية تفكيرية تتضمن وضع الحقائق أو المعلومات بطريقة منظمة بحيث تؤدي إلى استنتاج أو قرار أو حل مشكلة»<sup>(5)</sup>.

وبالتأمل في طريقة الأحاديث في تعليم التفكير نستنتج الآتي:

أ- أنّ تعليم التفكير المنطقيّ يتمّ بواسطة تنمية مهارته، فمهارة المقارنة تُنمى من خلال التأمل فيما بين المعلوم والمجهول من أوجه شبه، ومهارة الاستدلال تُنمى بتدريب المتعلّم على تنظيم ما لديه من معلومات بحيث يتيسّر له الاستنتاج وحل المشكلات واتخاذ القرارات، وهذا ما يُعرف في القرآن الكريم بالاعتبار والاتعاظ والادّكار.

<sup>1</sup> إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، 1/152.

<sup>2</sup> سنن أبي داود، 4/60، ر 2385، وسنن النسائي، 3/293، ر 3036. قال الأرنؤوط «إسناده صحيح... وقوله: هَشَشْتُ: معناه نشطت وفرحت لفظاً ومعنى، أي: بالنظر إلى أمراتي، والهشاش في الأصل: الارتياح والخفة والنشاط»،

<sup>3</sup> شرح سنن أبي داود لابن رسلان، 10/426.

<sup>4</sup> سلسلة التفكير وأنماطه (3) لرزوقي وسهيل، ص 204، وفيه أنّ التفكير المنطقي ينمي القدرة العقلية التي تمكّنه من الانتقال المقصود من القضايا المعلومة إلى غير المعلومة مسترشداً بالقواعد الموضوعية بنشاط وفاعلية.

<sup>5</sup> تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات لجروان، ص 256.

ب- تشير الأحاديث إلى أنّ فهم السائلين عن رسول الله ﷺ تمّ بيسر وجودة وسرعة كما يظهره اكتفاؤهم بجواب الرسول ﷺ وعدم طرحهم أسئلة أخرى، وهذا يدلّ -من ناحية- على فعالية طريقة السنّة في الإيضاح، ويدلّ -من ناحية أخرى- على فضل تعليم التفكير وتنمية مهاراته في حلّ مشكلات المتعلّمين الحياتية.

ج- أنّ الأحاديث تؤكد ما سبق من أنّ تعليم التفكير قائم أساساً على إيجابية المتعلّم وفعالتيته ومشاركته، وذلك من خلال ما يبذله من تأمّل واستدلال يتعلّقان أولاً بالإحاطة الدقيقة بالمحسوس ثمّ الانتقال عبر ذلك إلى إدراك وتصوّر المجرّد.

د- أنّ الخبرات التي ينطلق منها السائلون في الحديث حسيّة مثل حكم إبطال المضمضة للصوم، أو عاديّة مثل مسلمة قضاء المدين لما عليه، أمّا الخبرات التي يتمّ العبور إليها فهي إمّا قريبة من المجرّدة مثل حكم قبلة الصائم زوجته، أو المجرّدة المحضة مثل وجوب قضاء دين الله، وذلك لأنّ الفهم الجيّد والسريع والسهل في التفكير المنطقيّ متوقّف على إدراك الفهم الدقيق للمقدّمات، أي ما ينطلقون منه من المعطيات والقضايا المعلومة لديهم.

ثالثاً- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ). فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْبَبْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هِيَ النَّخْلَةُ) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا»<sup>(1)</sup>.

إنّ ذكر الأئمة لهذا الحديث في باب (طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم)<sup>(2)</sup>، أو باب (طرح العالم المسألة على المتعلّم)<sup>(3)</sup>، أو باب (طرح المسألة على الأصحاب ليختبر ما عندهم من العلم)<sup>(4)</sup>، يدلّ على أنّهم فهموا أنّ سؤال الرسول ﷺ كان يهدف إلى إخراج ما عند الصحابة من أجوبة قد يكون أحدها الحلّ الصحيح للمسألة.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 64/1 ر 131، وصحيح مسلم 2164/4 ر 2811.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 34/1.

<sup>3</sup> جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، 479/1.

<sup>4</sup> شرح السنة للبغوي، 307/1.

والحديث نموذج لتوظيف استراتيجية العصف الذهني التي تعتمد على نوع من التفكير الجماعي والمناقشة بهدف إثارة وتنويع الأفكار التي يمكن أن توصل إلى حلّ المشكلة<sup>(1)</sup>، وقول ابن عمر رضي الله عنه: (فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ) معناه «أي ذهب أفكارهم إلى أشجار البوادي وكان كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البوادي»<sup>(2)</sup>، وهذه هي مرحلة إثارة الأفكار المتنوعة. ولقد حرصت جمعية العلماء على تشجيع المنتسبين إلى مدارسها على التفكير باستقلالية، لأنّ التفكير إذا كان لازماً للإنسان في شؤونه كلّها «فهو لطلاب العلم ألزم من كل إنسان فعلى الطالب أن يفكر فيما يفهم من المسائل وفيما ينظر من الأدلة تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره وإنما يعرف تفكير غيره ليستعين به ثم لا بد له من استعماله فكره هو بنفسه. بهذا التفكير الاستقلالي يصل الطالب إلى ما يطمئن له قلبه ويسمى - حقيقة - علماً، وبه يأمن الوقوع فيما أخطأ فيه غيره، ويحسن التخلص منه إن وقع فيه»<sup>(3)</sup>.

إنّ ما سبق عرضه من آيات كريمة وأحاديث نبوية يُظهر أنّ الإسلام يسعى إلى تربية أجيال مفكّرة، وأنّ ذلك مقتضى عقيدة الإسلام الرافضة للتقليد والاتباع، كما يُبرز أنّ طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية في تعليم التفكير هي دمج مهاراته في المحتويات الدراسية المتنوعة، وهي طريقة عملية واقتصادية.

---

<sup>1</sup> العصف الذهني وتنمية التفكير الإبداعي لبادي سوهام، ص 13.

<sup>2</sup> شرح النووي على مسلم، 145/17.

<sup>3</sup> آثار ابن باديس لعمار طالي. 204/4.

## المبحث الثاني: المبادئ التدريسية الخاصة بالأهداف في درس القرآن والسنة العقدي

سبق عرض المبادئ التدريسية التي تشترك فيها الأهداف التربوية والمحتويات الدراسية في المبحث السابق، وهذا موضع عرض المبادئ المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الخاصة بالأهداف التعليمية، وأولها مبدأ تحقيق التدريس لغايات التربية باعتباره وسيلة لها، فالعملية التدريسية في الإسلام تهيئة للمتعلم لتمكينه من القيام بما خلقه الله له، والثاني مبدأ واقعية تلك الأهداف وقابليتها للتحقيق العاكس لواقعية الإسلام عقيدةً وشرعيةً، ثمّ المبدأ الثالث المتعلق بوضوح الهدف في أذهان واضعي المناهج والمعلمين والمتعلمين وغيرهم، فبقدر ذلك يقوى احتمال تحقيق ما سطر من غايات.

## المطلب الأول: مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربية

كانت الأهداف التربوية –وستظل– مثار جدل كبير بين الاتجاهات التربوية، وستناول هنا نظرة الإسلام إلى العملية التدريسية وموقعها من الغاية التي جاءت الشريعة لتحقيقها.

### الفرع الأول: علاقة التدريس بالتربية في الإسلام

#### أولاً: علاقة التدريس بالتربية

المقصود بهذا المبدأ أنّ التدريس –في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية– جزء من التربية الإسلامية ووسيلة من وسائلها فلا يمكن فصل أهدافه عن غاياتها، وذلك «لأنهما يحملان معنى واحدا خاصة عندما يكون هذا التعليم مثاليا تماما، مثلما كان الحال زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده»<sup>(1)</sup>.

إنّ التربية الإسلامية «هي عملية تهدف إلى إيصال المرثى إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها، فهي تشمل جميع جوانب النفس الإنسانية، أي جميع جوانب الشخصية الإنسانية، وهي تستعين بوسائل منها "التعليم"، فالتعليم وسيلة للتربية، ومدلوله أضيق من مدلولها، لأنه مرتبط بموضوع معين»<sup>(2)</sup>، فدور التدريس – في الإسلام – هو السعي إلى تحقيق غايات التربية.

وقد أكّدت جمعية العلماء على التزامها بهذا المبدأ، ومّا جاء عن ابن باديس هنا أنّ: «كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علماً وعملاً فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية، والمثال الكامل لذلك كله هو حياة محمد ﷺ في سيرته الطيبة»<sup>(3)</sup>، أمّا الإبراهيمي فقد أعلن –في بيان موقف الجمعية من التعليم– أنّها «تريد أن «تنشئ من أبناء الأمة جيلاً قرآنياً يتقن حفظ القرآن وأداءه، ويحسن فهمه والعمل به ويتخلق بأخلاقه ويتربى على هديه، ثم ينشر بواسطته دين الله في أرض الله»<sup>(4)</sup>.

وبعبارة أخرى، فإنّ العملية التربوية مثل بناء، في طابقه الأول توجد النشاطات والممارسات التعليمية كالتدريس، وفي الطابق الثاني توجد النظرية التربوية التي تهدف إلى توجيه وإرشاد الممارسات

<sup>1</sup> التربية المستمرة وتعليم الكبار رؤية إسلامية لأيوب دخل الله، ص 150.

<sup>2</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي المذكور، ص 31.

<sup>3</sup> مجالس التذكير لابن باديس، ص 328.

<sup>4</sup> آثار الإمام الإبراهيمي لطالب الإبراهيمي، 1/192.

التعليمية، وفي الطابق الأعلى توجد فلسفة التربية التي تُعنى بما يدور في الأسفل، تحلل المفاهيم وتحدد المعاني التي تدخل في بناء النظرية في الطابق الثاني، وتوجه الممارسات التعليمية في الطابق الأول<sup>(1)</sup>. وهذا هو سبب اختلاف المناهج التعليمية في العالم، في أهدافها ومحتوياتها، إذ أنه لكل مجتمع فلسفته العامة التي توجه التربية، كما تحدد توجهاته في السياسة والاقتصاد وغيرها، فالفلسفة التربوية تطبيقاً للنظرة الفلسفية في ميدان التربية، أي أنها تمثل جانباً من جوانب تطبيق الفلسفة العامة وتعنى بتطبيق مبادئها ومعتقداتها في معالجة مختلف المشكلات التربوية العملية<sup>(2)</sup>.

إنّ النظم التعليمية السائدة في عالمنا العربي والإسلامي هي في غالبها نظم مستمدة من التجربة الغربية، وهي غير منسجمة مع أهداف وغايات الإسلام التي تتطلع إليها الشعوب الإسلامية، كما أنه تتأثر بالأزمة التربوية العالمية في شتى مجالاتها فتنعكس آثار ذلك على البلاد الإسلامية بطريقة أشد وطأة، وإنّ من نتائج طغيان الجانب التعليمي على الجانب التربوي في المناهج المعاصرة أن ظهر ذلك الفراغ الروحي والأخلاقي<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: بين الأهداف التدريسية والأهداف التربوية

إنّ الفرق بين الأهداف التربوية (الأهداف الأغراض) والأهداف التعليمية (الأهداف الوسائل) أنّ الأولى هي التغيرات التي نريد حصولها في سلوك الفرد وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية، أما الأهداف التعليمية فهي المهارات المحددة التي نريد تنميتها من خلال تعليم محتوى دراسي معين، والأهداف التربوية توجه الأهداف التعليمية وتعطيها الشرعية اللازمة، أما الأهداف التعليمية فتعمل على تجسيد غايات الأهداف التربوية عبر الممارسات العملية<sup>(4)</sup>.

ومثال الأهداف الأغراض تهيئة الانسان إلى القيام بحق العبودية وعمارة الأرض، ومثال الأهداف الوسائل أن يعدد المتعلم أركان الإيمان.

وفيما خصّ الأهداف الأغراض (النهائية)، فإنه يدور في التربية المعاصرة جدل كبير حول ماهيتها وتصنيفها، ويظهر هذا الجدل في تساؤل فلاسفتها عن أيّ الأهداف التربوية التي يجب تحديدها، وهل تتصل هذه الأهداف بغايات الحياة الرئيسة أم يُكتفى بأهداف سلوكية عملية تتعلق

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لمذكور، ص36.

<sup>2</sup> فلسفة التربية الإسلامية لعمر الشيباني، ص16.

<sup>3</sup> نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة لفتحي ملكاوي، ص13، مشكلات التربية في البلاد الإسلامية لعباسي مدني، ص281.

<sup>4</sup> أهداف التربية الإسلامية للكيلاني، ص18.

بموضوع دارسيّ واحد في موقف تدريسيّ معيّن، وهل هذه الأهداف ضروريّة للتربية أم أنّه يمكن الاستغناء عنها<sup>(1)</sup>.

وإنّ في الوقت الذي يدعو فيه البعض إلى الاكتفاء بتسيخ الآداب العامّة وأشكال السلوك عوض الأهداف التربويّة، فإنّ البعض الآخر لا يرى داعياً لها مطلقاً، بحجة أنّ تلك الأهداف قد يساء فهمها ويختلف في تفسيرها، والحل -حسبهم- هو أن تعمل التربية على مساعدة الفرد على انفرادٍ ليطوّر أهدافه الخاصّة التي تساعد على النمو، لقد ذكر جون ديوي أن عمليّة التربية عملية نموّ متواصل، وأن غايتها زيادة القدرة على النمو في كل دور من أدوار الحياة، ثمّ راح يستعرض بطلان ما خالف هذه الفكرة، فنقد من قال إنّ التربيّة إعدادٌ، أو إنّها تدريب للقوى، ثمّ قال: «والحق إنّ الفكرة القائلة بأنّ النموّ والتقدم يرميان إلى هدف نهائي لا يتغير ولا يتبدّل هي آخر أمراض العقل البشري في انتقاله من نظرة جامدة إلى الحياة إلى نظرة مفعمة بالحركة...»<sup>(2)</sup>، فكلامه صورة حقيقيّة لحجم التضادّ والاختلاف بين التربيّة في الإسلام وغيره.

وقد جاء المؤتمر العالميّ الأول للتعليم الإسلاميّ حاسماً في هذه القضية إذ ذكر في مقرّراته: «أنّ هدف التعليم الإسلاميّ هو تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته، ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه»<sup>(3)</sup>، وهو غرض التربية الإسلاميّة العام الذي جاء الإسلام لتحقيقه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

فالعلاقة بين الأهداف الأغراض المتّسمة في الدين الإسلاميّ بالثبات، وبين الأهداف الوسائل التي هي وسائط لتحقيق تلك الغايات، هي الكاشفة عن أهمّ الفروق بين التربيّة في القرآن الكريم والسنة النبويّة وباقي التربيّات.

## الفرع الثاني: مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربيّة في القرآن الكريم

في القرآن الكريم آيات كثيرة تدلّ على سعي التدريس إلى تحقيق أهداف التربيّة منها:

<sup>1</sup> أهداف التربية الإسلامية للكيلاني، ص 22 و ص 23.

<sup>2</sup> التربية والديموقراطية، ص 58 لجون ديوي، وأهداف التربية الإسلامية للكيلاني، ص 23-24.

<sup>3</sup> انعقد المؤتمر في مكة المكرمة، في فترة ما بين 12 و 20 ربيع الأول 1397هـ، الموافق 31 مارس و 8 إبريل 1977م، تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز، وقد حظي هذا المؤتمر بالذكر والتقدير، ينظر التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية لموسي ص 42، ومقومات الفكر التربوي الإسلامي، في ظل المتغيرات إبراهيم شوقار، ص 151.

أولاً- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا عَلَّمَهُمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقُصُصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)﴾ [الأعراف].

والمعنى اتل عليهم نبأ الذي آتيناه حجج التوحيد وأفهمناه أدلته حتى صار عالماً بها، فلما تركها وراء ظهره باختياره لحقه الشيطان وتمكن منه، فالرجل ركن إلى الدنيا ومال إليها وجعل كلَّ حظه من حياته التمتع من لذائذها الجسدية، ولم يوجه إلى الحياة الروحية عزمًا، فكان هذا مصيره، ذلك أن من شأن من يؤتى الآيات أن تسمو نفسه في سلم الكمال لما فيها من الهداية إلى سبيل الخير الحاضرة على عمل النافع، بشرط أن يتلقاها بنية صادقة، أما من تلقى تلك الآيات بغير قصد أو بنية كسب المال والجاه فلن يستفيد منها شيئًا وسرعان ما ينسلخ منها<sup>(1)</sup>.

إنَّ العلم في الإسلام لا يُطلب ولا يُبذل إلا لتحقيق العبودية، ولذلك يكثر في القرآن ذكر العلم في سياق بيان وحدانية الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:18]، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:55]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39)﴾ [الدخان].

ولا شك أن علم الرجل كان كبيراً، لكنّه بتوجيه عزمه إلى متاع الدنيا بدل تحقيق العبودية لم يعد عالماً في مفهوم الإسلام للعالم، فلم يرفعه الله سبحانه وتعالى إلى منازل العلماء، بل صار كالكلب يلهث، محمولاً عليه ومتروكاً.

ومما اتفق عليه علماء الإسلام أن من أهمّ مواصفات العالم «ألاً يقصد بتعليم العلم الدنيا وحدها ونيل الشهرة والمكانة عند الناس، وألاً يكثر التردد على الحكام»<sup>(2)</sup>.

إنَّ التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية ليس غايةً في حدّ ذاته، وأهدأه هي تحقيق غايات الإسلام باعتباره وسيلة له، فلا يُتصور استقلاله لا عن الشريعة الإسلامية ولا عن التربية فيها.

<sup>1</sup> تفسير المراغي، 108/9.

<sup>2</sup> مشكلات التربية في البلاد الإسلامية لعباسي مدني، ص 90.



ثانياً- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (173) ﴿ [ البقرة].

إن الآية نموذج لمواقف القرآن التعليمية الدالة على ارتباط الأهداف السلوكية بالأهداف الأغراض، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ «استئناف بياني»<sup>(1)</sup>، ذلك أن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات فجاء هذا الاستئناف مبيناً المحرمات وهي أضداد الطيبات، لتعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وإنما سلك طريق بيان ضد الطيبات للاختصار فإن المحرمات قليلة»<sup>(2)</sup>.

ونرى أنّ ذلك يتعدى بيان الطيبات والمحرمات إلى بيان العلاقة بين العلم بأحكام الأطعمة المباحة والمحرمة وبين شكره وعبادته وتوحيده سبحانه، فالآية الأولى تؤكد أنّه «إن صح أنكم تخصونه بالعبادة، وتقرون أنه مولى النعم، فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر»<sup>(3)</sup>، ولذلك قدّم ضمير ﴿إِيَّاهُ﴾ على فعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾ «للإشارة إلى اختصاصه تعالى بالعبادة وحده»<sup>(4)</sup>، أمّا الآية الثانية فهي تصرّح أنّ الذي حرّم الحنائث هو الله سبحانه، فالتشريع «من خصائص الألوهية»<sup>(5)</sup>، والسؤال هو ما علاقة العلم بتلك الأحكام الفقهية بشكر تعالى وتوحيده؟

والجواب أنّ الهدف السلوكي لا يكسب شرعيته إلا إذا كان خادماً للهدف الغرض، أي أنّ فقه ما في الآيتين من حلال وحرام والعلم به لا يرفع صاحبه عند الله تعالى إلا إذا كان قصده شكر الله تعالى، فتصبح دراسة العلوم وتدريسها وسيلةً لتحقيق عبودية الله تعالى في الأرض، والمعلم إذا أراد صياغة الهدف السلوكي للموضوع قال مثلاً: "أن يعدّ التلميذ الأطعمة المحرّمة ومتى تُباح"، ولكن ماذا يعني فقه تلك المحرمات إذا لم تُقدّم المعلم والمتعلم إلى شكر المنعم المستحق للعبادة؟

<sup>1</sup> ينظر معنى الاستئناف البياني ص 123.

<sup>2</sup> التحرير والتنوير، 115/2.

<sup>3</sup> تفسير المراغي، 124/11.

<sup>4</sup> معالم في الطرق لسيد قطب، ص 80.

<sup>5</sup> التحرير والتنوير، 115/2.

أما لماذا خصّ الله تعالى الشكر بالذكر دون غيره من المقامات فلأنه «إن كنتم تريدون أن تعبدوا الله فاشكروه، فإن الشكر رأس العبادات»<sup>(1)</sup>.

وفي ذكر أداة الحصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالِدَّمَ وَحَيْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ عند عدّ المحرّمات لطيفة تربوية تتمثل في حثّ وتشجيع واستثارة دافعية التعلّم لدى المتعلّمين على تحصيل ما حرّم الله عزّ وجلّ بحفظ الآيات الكريمة وفهم معانيها، فكأنّ أسلوب الحصر ذاك مؤذن بسهولة تحصيل ذلك، فالمحرّمات في القرآن الكريم قليلة جدّاً والإحاطة بها لا تتطلب جهداً كبيراً.

### الفرع الثالث: مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربيّة في السنّة النبويّة

في السنّة أحاديث كثيرة تثبت هذا المبدأ منها:

أولاً- ما أخبرنا به الرسول ﷺ أنّ أول الناس حساباً يوم القيامة: (رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ)<sup>(2)</sup>.

وقال الرسول ﷺ: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(3)</sup>.

وقال ﷺ: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ)<sup>(4)</sup>.

إنّ هذه الأحاديث تُبرز العلاقة والارتباط القويين بين مجاليّ التعليم والتعلّم وبين السعي إلى ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ ورضاه، ففي الحديث الأوّل لم يُقلْ للرجل (وعلمت العلم ليقال إنك معلم

<sup>1</sup>التحرير والتنوير، 115/2.

<sup>2</sup>صحيح مسلم 1514/3 ر 1905.

<sup>3</sup>أبو داود 504/5 ر 3664 (باب في طلب العلم لغير الله عزّ وجلّ)، وابن ماجه: 169/1 ر 252، قال الأرئوط في تحقيق سنن أبي داود: «حديث صحيح لغيره»، وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (412/2).

<sup>4</sup>سنن الترمذي 32/5 ر 2654 (باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا) وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذلك القوي عندهم تُكَلِّمُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ حَفْظِهِ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي 60/3، وسنن ابن ماجه، 170/1 ر 253، وذكر الأرئوط أنّ حسن لغيره.

... لأن أساس الشيء إذا لم يكن على الإخلاص فيبعد بناؤه أن يكون على وجه الاختصاص<sup>(1)</sup>، فلا يصدق مفهوم المعلم على من بذل علمه لغير تحقيق عبودية الله تعالى.

وفي الحديثين الأخيرين تقريع وتوبيخ عظيمان لمن أتجه عزمه في الدراسة والتدريس لغير مرضاة الله تعالى، وقد ذم الإسلام التباهي بالأصوات عند قراءة القرآن الكريم واستظهاره، كما ذم حفظه لتلاوته على الموتى بأجرة وغير ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة<sup>(2)</sup>.

فهذه الأحاديث النبوية تظهر العلاقة بين التربية والتدريس، وتظهر أيضا العلاقة بينهما وبين الإسلام، فهما وسيلتان يستخدمهما لتحقيق مقاصده.

ثانياً- كان للنبي ﷺ قصعة يُقال لها العَرَاءُ يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى، أتى بتلك القصعة -يعني وقد تُردّ فيها- فالتقوا عليها، فلما كثروا جثى رسول الله ﷺ، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال النبي ﷺ: (إن الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً) ثم قال رسول الله ﷺ: (كُلُوا مِنْ حَوَائِئِهَا، وَدَعُوا ذُرُوعَهَا، يُبَارِكْ فِيهَا)<sup>(3)</sup>.

إنّ الهدف السلوكي للموقف هو أن يتعلم المسلمون أدب الأكل، غير أنّ النبي ﷺ يعلمنا أنّ العملية التربوية لا تنتهي هنا، أي أنّ هذا الهدف الإجرائي هو مجرد حلقة لا قيمة لها خارج سلسلة الهدف الغرض المتمثل في عبادة الله تعالى، لأنّ «العبودية عبارة عن نهاية التواضع والخضوع»<sup>(4)</sup>، أي أنّ الجثو للأكل -باعتباره هدفاً سلوكياً- ليس مقصوداً لذاته، بل المقصود هو الجثو للأكل تواضعاً لله الجبار، ولذلك وصف المعلم ﷺ نفسه بالعبد ونفى عن نفسه التجبر، والتواضع لله والخضوع له من مقامات العبودية، ويؤكد هذا امتناعه ﷺ عن الأكل متكئاً تواضعاً لله وتذلاً له، وهو ما اختاره الله تعالى لأنبيائه وصفوته من خلقه<sup>(5)</sup>، وقول الأعرابي "ما هذه الجلسة؟" إشارة إلى

<sup>1</sup>مرقاة المفاتيح للقاري 418/1.

<sup>2</sup>مجالس التذكير لابن باديس، ص 203.

<sup>3</sup>سنن أبي داود، 594/5 ر 3773، سنن ابن ماجه، 2/1086 ر 3263. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، 1740 ر 359/1.

<sup>4</sup>تفسير الرازي 240/2.

<sup>5</sup>شرح ابن بطال على صحيح البخاري، 474/9.

حقارتها في رأيه، وقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا) تقويم لخبرات الأعرابي، ومعناه جعلني «متواضعا سخيا، وهذه الجلسة أقرب إلى التواضع وأنا عبد والتواضع بالعبد أليق» (1).

وقريب من هذا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ: لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: (أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا) (2)، فقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن سبب قيامه الليل مع أَنَّ الله تعالى قد غفر ذنبه، أي أَنَّ قيام الليل وسيلة لمغفرة ما تقدم وتأخر من الذنب، وقد امتنَّ الله عليه بذلك، فما وجه المداومة عليه حتى تتفطر قدماه ﷺ؟، فارتقى بها النبي ﷺ في مقامات العبودية بأن علمها أَنَّ غاية الغايات من قيام الليل هو شكر الله تعالى، وشكره عز وجل لا يتوقف بمغفرة الذنوب بسبب قيام الليل، بل ينبغي أن يكون ذلك باعثا على مضاعفته، إِنَّ «الفاء في قوله: (أَفَلَا أَكُونَ) مسبب عن محذوف، أي أترك قيامي وتهجدي لما غفر لي، فلا أكون عبداً شكوراً، يعني غفران الله إياي سبب لأن أقوم وأتهجد شكراً له، فكيف أتركه؟ كأن المعنى: كيف لا أشكره وقد أنعم علي، وخصني بخيري الدارين فإن الشكور من أبنية المبالغة، يستدعي نعمة خطيرة. وتخصيص العبد بالذكر مشعر بغاية الإكرام والقرب من الله تعالى، ومن ثم وصفه به في مقام الإسراء، ولأن العبودية تقتضي صحة النسبة، وليست إلا بالعبادة، والعبادة عين الشكر» (3).

وبالجملة فإنَّ النبي ﷺ بنصه على «استحباب سجود الشكر عند تجدد نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة» (4) يعلمنا عدم الاكتفاء بما نحققه من نجاحات، كأن يتمكن المتعلم من تحقيق جميع الأهداف التعليمية المرغوب فيها، لأنَّ ذلك حلقة لا تكتمل أهميتها إلا بوصولها بسلسلة الشكر الدال على الافتقار إليه تعالى والطمع في مزيد تفضله سبحانه.

و يشير الشيخ الإبراهيمي إلى اعتماد مدارس جمعية العلماء هذا المبدأ فيقول في معرض ارتباط التعليم بالتربية في الإسلام: «وكانت الطريقة التي بنت عليها جمعيتنا أصول هذه النهضة هي الجمع

<sup>1</sup> مرقاة المصابيح للقاري، 152/8.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 1830/4 ر 4557، واللفظ له، قال البغا: (تتفطر: تتشقق)، وصحيح مسلم (2172/4 ر 2820)

<sup>3</sup> شرح المشكاة للطبي، 1201/4.

<sup>4</sup> شرح صحيح مسلم النووي، 101/17، وروى أبو داود أَنَّ النبي ﷺ كان إذا جاءه أمرٌ سرورٍ -أو يُسرُّ به- خرَّ ساجداً شاكراً لله تعالى. سنن أبي داود، 404/4 ر 2774، وصححه الأرنؤوط لغيره، وسنن الترمذي، 141/4 ر 1578، وسنن ابن ماجه: 403/2 ر 1394 وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود 180/2، و

بين التربية والتعليم، لأن العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزّتهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم، وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أمهم، والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية، وأن الجمع بين التربية والتعليم هو وظيفة النبوة التي بيّنها الوحي في آية ﴿وَيُرَكِّبْكُمْ وُيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

ومن أسباب تأخر التعليم في العالم الإسلاميّ حسب ابن عاشور «عرو التعليم عن مادة الآداب، وتهذيب الأخلاق، وشرح العوائد النافعة وغيرها، وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد»<sup>(2)</sup>.

إنّ مجموع ما مرّ من النصوص - وهو غيظ من فيض - يؤكّد أنّ أعظم أهداف التدريس في الإسلام هو تحقيق أعظم غايات التربية الإسلامية المتمثلة في إعداد المتعلّم لتحقيق العبوديّة والقيام بحقّ الخلافة، وهذا يعني استحالة فصل الأهداف الوسائل عن الأهداف الأغراض في الإسلام، وإنّ المعلّمين عندما يدركون هذا تمام الإدراك، فإنّ مستوى دافعيتهم للإنجاز يرتفع، وإنّ المتعلّمين عندما يستقرّ هذا في أذهانهم فإنّ مستوى دافعيتهم إلى التحصيل العلميّ يزيد.

### المطلب الثاني: مبدأ واقعية الأهداف التدريسيّة

يتعامل الإسلام مع الإنسان انطلاقاً من طبيعته وقدراته التي هو عليها في حياته، وستتناول هنا واقعية الأهداف التدريسيّة وقابليّتها للتحقيق في القرآن والسنة.

### الفرع الأول: مبدأ واقعية الأهداف التدريسيّة في القرآن الكريم

المقصود بهذا المبدأ أنّ الأهداف التربويّة لا تكون جيّدة إلا إذا كانت ملائمةً للمتعلّمين، وذلك بأن تناسب مستوياتهم النمائيّة، وتأخذ ما بينهم من فروق فرديّة بعين الاعتبار، ومواقف القرآن التدريسيّة قائمة في التعامل مع المتعلّم على هذا المبدأ، ومن الآيات التي جاءت في ذلك:

أولاً - قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

<sup>1</sup> آثار الإمام الإبراهيمي لطالب الإبراهيمي، 173/4. والآية من سورة [البقرة: 151]

<sup>2</sup> أليس الصبح بقريب لابن عاشور، ص 108.

ومعنى الآية: إذا ظهر الحق في الاعتقاد بدلائل التوحيد والقدرة على إعادة بعث الإنسان، فاتَّبَعوا الدين الذي شرعه الله تعالى، فهو دين الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها، حيث خلقهم على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره<sup>(1)</sup>.

والسؤال هو ما العلاقة بين الهدف التربوي المتمثل في إقامة الوجه للتوحيد واتباع الدين وبين ذكر الفطرة التي خلق عليها الإنسان؟

والجواب أنّ الهدف المرغوب إذا كان مناسباً وموافقاً لأصل ما فُطر عليه الإنسان صار هدفاً واقعياً وسهلاً التحقيق، كما أنّ مستوى الدافعية لإنجازه سيكون مرتفعاً، وقد أمر الله «بمتابعة دين الإسلام، والثبات عليه، والإخلاص في العمل الذي اشتمل عليه لأنه فطرة الله التي أودع النفوس والعقول عليها، والاعتراف بمضمونها، والشعور الصافي بمدلولها»<sup>(2)</sup>.

فالفطرة - وهي القوة المودعة في الإنسان التي تؤهله للهداية وقبول الدين<sup>(3)</sup> - دور في اتخاذ الإنسان لقرار الخضوع لله تعالى، ومعلوم أنّ مسلك مخاطبة القرآن والسنة للفطرة في إثبات العقيدة من أعظم المسالك، وأقوى ما رُدّ به على القائلين بأنّ أوّل الواجبات النظر هو أنّ عاقبة الناس يهتدون بالفطرة، وإنّ «قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وحديث (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)<sup>(4)</sup> ظاهران في دفع هذه المسألة من أصلها»<sup>(5)</sup>.

وفي نصب ﴿فِطْرَتِ﴾ على الإغراء<sup>(6)</sup> زيادة بيان لهذا، ففيه لفت الانتباه إلى أهمية ما أودعه الله سبحانه في الإنسان من استعداد لقبول العبودية له تعالى، إنّ «الأسلوب هنا يريد أن يلفتك لسبب النصب، وللعمل المحذوف هنا، لتبحث عنه بنفسك فكأنه قال: فأقم وجهك للدين حنيفاً والزم فطرت الله التي فطر الناس عليها. لذلك يسمي علماء النحو هذا الأسلوب أسلوب الإغراء، وهو أن أغريك بأمر محبوب وأحثك على فعله»<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> التفسير المنير للزحيلي، 88/11.

<sup>2</sup> التفسير المنير للزحيلي 88/11، وينظر أيضاً تفسير الزمخشري، ص 830، وتفسير ابن عطية، 336/4، وتفسير النسفي، 699/2، وتفسير أبي السعود، 60/7، وتفسير المراغي، 45/21، وتفسير ابن عاشور، 89/21 وغيرهم.

<sup>3</sup> شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 546/2.

<sup>4</sup> ينظر الحديث ص 120.

<sup>5</sup> فتح الباري، 70/1.

<sup>6</sup> الإغراء أن يُنبّه المخاطب على أمر محبوب ليفعله، النحو الواقي لعباس حسن، 136/4.

<sup>7</sup> تفسير الشعراوي، 11418/18.

والمقصود أنّ الأهداف التربويّة في الإسلام هي أهداف واقعيّة يمكن تحقيقها لمناسبتها لأصل الخلق التي فطر الله الناس عليها، وهي قوّة مملوكة لجميع الناس.

ثانياً- قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:32].

أي أوحينا إليك الكتاب ثم أورثناه هذه الأمة التي هي في العمل ثلاثة أقسام، من قصر في العمل بالكتاب وأسرف على نفسه، ومن تردّد بين العمل به ومخالفته، ومن تقدم إلى ثواب الله بعمل صالح الأعمال بتوفيق الله، وقد زيد رسول الله ﷺ تبشيراً بدوام كتابه وأنّ أمته سيعملون به ولا يهجرونه<sup>(1)</sup>، فالهدف التربويّ هنا هو أن يدرك المتعلّمون أهميّة القرآن الكريم والعمل به، والآية تبرز واقعيّة التربيّة الإسلاميّة في المجال الانفعالي بإقرارها لما بين الناس من تفاوت فطريّ وعمليّ، وتصنّفهم بحسب تفاوت مراتبهم<sup>(2)</sup>.

وقد بدأت الآية بالفريق المسرف على نفسه، وسواء كان ذلك «لأنه الأكثر عددا»<sup>(3)</sup>، أو «لدفع توهم حرمانه من الجنة وتعجيلا لمسرتّه»<sup>(4)</sup> وهو ما نرجّحه، فإنّه- في الحالتين- يشير بوضوح إلى أنّ التعامل مع الأفراد ينبغي أن يكون باعتبار ما هم عليه في واقعهم قبل تعديل سلوكاتهم، لا باعتبار ما ينبغي أن يكونوا عليه في المستقبل بعد تعديل سلوكاتهم.

ونرى أنّ البداية بذكر الظالم لنفسه إشارة- والله أعلم- إلى أنّ هذا الفريق هو أولى الفئات بالاهتمام والرعاية والرفق، خاصّة في مجال التدريس، فالمعلّمون-عموماً- يفضلون التعامل مع أنبغ المتعلّمين وأحسنهم خلقاً، ويتذمّرون من المشاغبين المسبّين للضغوط المهنيّة، ولعلّ ما يؤيّد هذا أنّ الآية الكريمة وصفت هذا الفريق بأنّه ظالم لنفسه، أي أنه أساء إلى نفسه لا إلى غيره، وفاعل هذا- في العادة- يكون أقرب إلى إثارة الشفقة منه إلى أن يُتذمّر منه.

وفي الآية الكريمة لطيفة تربويّة تتمثل في الإشارة إلى النقطة التي تنطلق منها التربيّة والتعليم في الاسلام، والنقطة التي ينتهيان عندها، أمّا نقطة الانطلاق فهي حالة الفريق الظالم لنفسه، كما هو

<sup>1</sup> تفسير المراغي، 130/22، تفسير ابن عاشور، 311/22.

<sup>2</sup> واقعية منهاج التربية الاسلامية وتطبيقاتها لأحمد نجات، ص 16

<sup>3</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، 2944/5.

<sup>4</sup> تفسير ابن عاشور 312/22.

في واقعه، وأما نقطة النهاية فهي صورة الفريق السابق بالخيرات الذي سبق غيره إلى مرضاة الله وثوابه بقيامه بحق العبودية، تماماً كما يتوقع له ويرجى.

لقد أشار القرآن الكريم إلى علاقة التدريس بالربانية في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، فالتدريس في القرآن والسنة يأخذ بيد المتعلم إلى هذا المقام العظيم، غير «أنّ هذا الربانية التي يرشدنا إليها القرآن الكريم، باعتبارها نقطة الوصول لا الابتداء، ليست إلا الغاية التي ينبغي أن تسعى التربية في الاسلام إلى تحقيقها وتجسيدها في شخصية الانسان موضع العملية التربوية، وإذا كان المنطلق هو الانسان كذلك فإنه ليس الانسان الرباني وإنما الانسان كما هو في الواقع وفي المرحلة الحضارية التي يمر بها»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ واقعية الأهداف التدريسية في السنة النبوية

يظهر مبدأ واقعية الأهداف التدريسية وقابليتها للتحقيق جلياً في أحاديث الرسول ﷺ، وسنذكر بعضها:

**أولاً- قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(2)</sup> [الروم: 30]**

يخبرنا الرسول ﷺ أنّ الله تعالى خلق الناس على استعداد نفسي لقبول الإسلام، فإذا وُلد الطفل لأبوين مسلمين عمّقا فيه هذا القبول، وإذا وُلد لأبوين كافرين صبغاه على غير ما طُبِع عليه، فالأبوان هما اللذان يهودان الطفل أو ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه، تماماً كما تُقَطع أذن الناقة بعد أن تولد كاملة الأعضاء سليمتها<sup>(3)</sup>.

إنّ هذا الحديث مثل آية الروم يبرز الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن أذهان المعلمين، ويتعلّق الأمر بوضع المتعلم وحالته عند الانطلاق في العملية التعليمية التعلمية، وذلك في قول الرسول ﷺ: (فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)، فهم مطالبون بصقل فطرته وجلاتها لتسهيل

<sup>1</sup> النموذج القرآني للتربية لعمر نقيب ص 31.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 1/456 ر 1292، صحيح مسلم، 4/2047 ر 2658.

<sup>3</sup> فتح المنعم للاشين، 10/187 وما بعدها.



استجابته، فإذا لم يأخذوا بعين الاعتبار ما للوالدين والبيئة من تأثير عليه صعب عليهم تفهّمه وانتهى بهم الأمر إلى اليأس والتدمر منه.

ثانياً - قوله ﷺ للصحابة وقد قاموا للإنكار على من بال في المسجد: (لَا تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدْرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)<sup>(1)</sup>، وفي رواية (دَعُوهُ... فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)<sup>(2)</sup>.

كان الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول ﷺ في مجلس تعليمي إذ دخل أعرابي وراح يبول في المسجد، وعندما قاموا للإنكار عليه نهاهم النبي ﷺ عن أن يقطعوا عليه بوله، وأمر بصب دلو من ماء عليه، وشرع في تعليم الفريقين، أما الأعرابي فعلمه أن للمسجد آداباً، فهي مؤسسة لذكر الله سبحانه تعالى وقراءة كتابه المجيد وإقامة الصلاة، وأما من قام إليه من الصحابة رضي الله عنهم فعلمهم التيسير على المتعلمين والرفق بهم (فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ).

والحديث نموذج رائع لواقعية التدريس في مدرسة النبوة، فمن ثار من الصحابة رضي الله عنهم لردع الأعرابي رؤوا في فعلة الأعرابي سوء أدب يجب إنكاره بأي طريقة، أما الرسول المعلم ﷺ فرآه سلوكاً ينبغي تعديله، فاغتنم الحدث وشرع في تعليمه، حيث بدأ ﷺ من وضع الأعرابي كما هو عليه في واقعه في باديته.

ولما جذب أعرابي الرسول ﷺ من رداءه حتى أثرت حاشيته في صفحة عنقه ﷺ وقال: اعطني من مال الله، التفت إليه الرسول ﷺ ضاحكاً وأمر له بعتاء<sup>(3)</sup>.

إن مجموع هذه الأحاديث وغيرها يظهر تقدير الرسول المعلم ﷺ لطبائع الأعراب وما يتميزون به من خصائص، وبالجملة فقولته ﷺ: (من سكن البادية جفا) «يبين أحوال الأعراب، فليعتن الداعية بهم على حسب حالهم»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 2242/5 ر 5679، وصحيح مسلم، 236/1 ر 285 واللفظ له، قال البغا: «ومعنى (لَا تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ): لا تقطعوا عليه بوله»، صحيح البخاري، 2270/5 ر 5777.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 2270/5 ر 5777.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 2188/5 ر 5472، صحيح مسلم، 730/2 ر 1057.

<sup>4</sup> فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لسعيد القحطاني 966/2، والحديث رواه أبو داود، 480/4 ر 2859، والترمذي 523/4 ر 2256، وسنن النسائي، 475/4 ر 4802، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، 1055/2 ر 6124.

وسبب جفاء الأعراب أنّ «سكان البادية لا يخالطون العلماء إلا قليلاً، فلا يتعلمون مكارم الأخلاق، ورأفة القلب على صلة الأرحام والبر، والغالب عليهم أن طباعهم كطباع الوحوش، لقلة علمهم ولبعدهم عن الناس»<sup>(1)</sup>. وعبارة "طباعهم كطباع الوحوش" تتكرّر بحروفها في كتب شرح الحديث<sup>(2)</sup>، ومعلوم أنّ تأثير البيئة يطال الجميع<sup>(3)</sup>، ووصف الإنسان باعتباره مدعواً إلى الإسلام<sup>(4)</sup> أو متعلماً بذلك مخالفة صريحة لهدي القرآن والسنة في التعامل مع الناس انطلاقاً من واقعهم بلا تشنيع ولا تقبيح، أمّا تقدير ظروفه وأخذها بعين الاعتبار فيشجّع الدعاة والمرتّبين على المضيّ في تحقيق أهداف الدعوة والتربيّة دون ضيق ولا ملل.

إنّ الإسلام يتعامل مع «هذا الإنسان الذي نعهده، هذا الإنسان بقوته وضعفه، بنوازعه وأشواقه، بلحمه ودمه وأعصابه، بجسمه وعقله وروحه... إنه ليس الإنسان كما يريد خيال جامع، أو كما يتمناه حلم سابح مع قضايا ذهنية من قضايا المنطق الشكلي، كما أنه ليس الإنسان الذي يضعه المنطق الوضعي أسفل سافلين، ويجعله مخلوق من هذه "المادة" الصماء»<sup>(5)</sup>.

إنّ صور واقعيّة التدريس في القرآن والسنة تتعدّد بتعدّد أحوال المتعلّم وظروفه، فقد تبدو في درجة مناسبة أهدافه للفطرة الإنسانيّة، وقد تظهر في مدى تقديرها لسنّ ومستوى نضج المتعلّمين في مختلف أبعاد شخصيّاتهم، كما تتجلّى في مستوى ملاءمتها لظروفهم الاجتماعيّة وما تتركه عليهم بيئتهم من آثار وغير ذلك من الصور<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، 966/2.

<sup>2</sup> مثل شرح المشكاة للطبي، 2580/8، ومرقاة المفاتيح للقاري، 255/7، وتحفة الأحوذى للمباركفوري، 440/6 وغيرها.

<sup>3</sup> ينظر ما كتبه عبد الرحمن بن خلدون عن أثر الهواء في أخلاق البشر مقدمة ابن خلدون، 194/1، والإنسان والبيئة لعبد الله الدبوبي، ص 37.

<sup>4</sup> كتاب القحطاني في الأصل أطروحة دكتوراه عن فقه الدعوة في صحيح البخاري.

<sup>5</sup> خصائص التصور الإسلامي ومقوماته لسيد قطب، ص 182، والأهداف لا تكون جيّدة إلا إذا كانت «واقعية وقابلة للتحقيق وليست مجرد تعبير عن مطامح وأمنيات صعبة التحقق، وتبعاً لذلك تراعي حاجات المتعلمين وقدراتهم وميولهم واتجاهاتهم... وظروف البيئة التي توجد فيها المدرسة إلى آخره. والأهداف التي لا تراعي هذه الأمور تبقى بعيدة المنال وغالباً ما يكون مصيرها الفشل وعدم التحقق أو تأدية الدور المطلوب منها» القياس والتقويم في التربية والتعليم هادي مشعان ربيع، ص 46.

<sup>6</sup> فلسفة التربية الإسلامية للشيباني، ص 316 وما بعدها.

وما سبق من آيات وأحاديث يؤكد أصالة واقعية الأهداف التربوية كمبدأ تدريسي، فهي ممكنة التحقيق لأنها موافقة لما جُبل عليه المتعلم، وانطلاق التدريس في القرآن والسنة من واقع الإنسان كما هو عليه إلى تهيئته لتحقيق غاية وجوده ليس سوى ترجمة عملية لمبدأ الواقعية في أجلى صورته.

### المطلب الثالث: مبدأ وضوح الأهداف التعليمية

لوضوح الأهداف التعليمية-العامة والخاصة- أهمية قصوى في نجاح العملية التربوية، وسنتطرق هنا إلى مدى مراعاة المواقف التدريسية في القرآن الكريم والسنة النبوية لهذا المبدأ.

### الفرع الأول: موضعه الهدف التعليمي في القرآن الكريم

إنّ محلّ بيان الهدف من الكلام -في العادة- هو أوله، لا وسطه أو آخره، وللقرآن الكريم في أوائل سوره القرائن الكثيرة الدالة على غاية الكلام وهدفه، ومثله في ذلك السنة النبوية، فلم يبق إلاّ البحث عن موضع الهدف أثناء السورة.

إنّ المواقف التدريسية في القرآن الكريم موزعة فيه مثل عامة موضوعاته، من غير تبويب معهود للإنسان، ذلك أنّ «الانتقال من غرض إلى غرض في آي القرآن، لا تلزم له قوة ارتباط، لأن القرآن ليس كتاب تدريس يرتب بالتبويب وتفريع المسائل بعضها على بعض»<sup>(1)</sup>.

ومن هنا يتأكد البحث عن الأساليب والقرائن التي جاءت في القرآن مُعرِّفةً بمواضع الأهداف الخاصة أثناء السور، لتيسير استنباطها والكشف عن خصائصها في سياقاتها.

والاستئناف نوعان، ابتدائي وبياني، والابتدائي انتقال في الكلام من غرض إلى غرض آخر دون انقطاع تامّ بينهما، وقد يظهر في عطف جملة على جملة، أو في عطف جملة على جملة، وقد تكون الجملة قصّة معطوفة على قصّة، ومهمّة المفسّر هو البحث عمّا يربط بين الكلامين السابق واللاحق<sup>(2)</sup>، مع أهمية الأخذ بعين الاعتبار الوحدة البنائية للقرآن الكريم الذي هو « بمثابة الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة أو الآية الواحدة، وإذا كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه فذلك التعدد ضرورة لا غنى عنها في التعلم والتعليم، والتنزيل لتغيير الواقع وإبداله »<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> تفسير ابن عاشور، 465/2.

<sup>2</sup> لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، ص 169.

<sup>3</sup> الوحدة البنائية للقرآن المجيد لطفه جابر العلواني، ص 14.

ولا بدّ من التفريق بين «الاستئناف الابتدائي الذي يتخذ فيه الكلام اللاحق وجهة غير وجهة الكلام السابق، دون أن تنقطع بينهما الصلات، وبين الاستئناف البياني الذي يسير فيه الكلام في نفس وجهة الكلام السابق مع كون الثاني رفعا للإبهام أو التباس قد يقع في فهم ذلك السابق»<sup>(1)</sup>.  
 وقريب من هذا ما ذكره الشاطبي<sup>(2)</sup> في طرق معرفة ما هو مقصود للشارع تعالى ممّا ليس مقصوداً له، فمن ذلك « مجرد الأمر والنهي الابتدائي التصريحي، فإن الأمر معلوم أنه إنما كان أمراً لاقتضائه الفعل، فوقوع الفعل عند وجود الأمر به مقصود للشارع، وكذلك النهي معلوم أنه مقتض لنفي الفعل أو الكف عنه، فعدم وقوعه مقصود له، وإيقاعه مخالف لمقصوده، كما أن عدم إيقاع المأمور به مخالف لمقصوده»<sup>(3)</sup>.

فقد قيّد الأمر والنهي - في إفادتهما ما هو مقصود للشارع سبحانه - بأن يكونا ابتدائيين وتصريحيين، وما يهمننا هنا هو القيد الأول، أي كونه ابتدائياً، ومعناه «قصد الشارع الأمر به أو النهي عنه ابتداءً وأصالةً ولم يؤت به تعصيماً لأمر أو نهي آخر. وبعبارة أخرى: يكون المأمور به أو المنهي عنه مقصوداً "بالقصد الأول" لا "بالقصد الثاني"»<sup>(4)</sup>.

فموضع الغرض الجديد عند ابن عاشور يوجد حيث وُجد الاستئناف الابتدائي، ومقصود الشارع عند الشاطبي - في الأمر والنهي - يوجد حيث وُجد الأمران والنهيان الابتدائيان المقصودان بالقصد الأول، والاستئناف البياني - عند ابن عاشور - لا يتضمن غرضاً جديداً لأنّ وجهته هي وجهة الاستئناف الابتدائي تفسيراً له ورفعاً لما قد يقع في فهمه من التباس، والأمر والنهي - عند

<sup>1</sup> لسانيات النص لمحمد خطابي، ص 188، ومن أمثلة الاستئناف البياني قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: 19]، قال ابن عاشور: «استئناف بياني ناشئ عن جملة ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ فإن هلاك فئة كاملة شديدة القوة والمرة أمر عجيب يثير في النفوس السؤال: كيف تهلك فئة مثل هؤلاء؟؟ فيجاب بأن الله الذي قدر على خلق السماوات والأرض في عظمتها قادر على إهلاك ما هو دونها» التحرير والتنوير، 213/13.

<sup>2</sup> أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي (790هـ)، الفقيه الأصولي المفسر المحدث، أخذ عن ابن الفخار، وأخذ عنه البلنسي وأبو القاسم السبتي وأبو عبد الله التلمساني وغيرهم، له تأليف نفيسة مثل الموافقات والاعتصام، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، 333/1، وفهرس الفهارس للكتاني، 191/1.

<sup>3</sup> الموافقات للشاطبي، 134/3.

<sup>4</sup> نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني، ص 298.

الشاطبي- إذا كانا تبعيين لم يفيدا قصد الشارع تعالى أصالة، لأن المقصود بهما تعضيد الأمر الابتدائي.

ومثال ذلك الأمر بالسعي إلى الجمعة، والأمر بترك البيع في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:9]، فأول الأمرين هو ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وثانيهما هو ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، ومقصود الشارع إنما يُطلب في الأمر الأول الابتدائي، لأن الأمر بترك البيع قصد به تعضيد الأمر بالسعي إلى الجمعة، فهو بالتبعية لا بالأصالة<sup>(1)</sup>.

وهذا مدخل هام في تحديد وتصنيف وصياغة الأهداف التعليمي في القرآن الكريم، نظراً لكونه منهاج حياة غير مرتّب على ما عهد البشر من ترتيبٍ للكتب، فطريقة تمييز الأغراض والمقاصد الأصلية عن التبعية ييسر تحديد الأهداف الإجرائية لمختلف المواقف التدريسية المثبوتة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

وقد لاحظنا أنّ من عادات القرآن والسنة أن يأتي الهدف فيهما مقروناً بأساليب إثارة الانتباه والتشويق، مثل أسلوب النداء وأساليب التهكم كقوله سبحانه وتعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:138]، والابتداء بذكر ما يرضي الله تعالى ويغضبه نحو ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: 148]، والابتداء بالإشارة إلى ما طُرح على الرسول ﷺ من أسئلة مثل ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة:4]، وإثارة الاهتمام بضمون ما يأتي نحو ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:151] والابتداء بضرب الأمثال كما في: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد:35]، والابتداء بالقسم مثل ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [النحل:63]، والابتداء بالتهديد بالعقاب كما في قوله سبحانه: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الأحزاب:60]، والابتداء بالدعاء نحو ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: 17] وغير ذلك.

فإذا أضيف إلى هذه الأساليب أنّ مضنّة الهدف التربوي أثناء السورة هو مواضع الاستئناف الابتدائي اكتملت وتهيأت آليّة البحث عنه، وهذا امتداد لعناية الكتاب الحكيم بخاصية وضوح الغايات، وامتداد أيضاً لتفعيله لإيجابيّة المخاطب والمتعلّم، إذ أنّ إدراكه لهدف الكلام باعث له على الإصغاء والتركيز وإثارة لدافع التعلّم لديه.

<sup>1</sup> الموافقات للشاطبي، 134/3، ونظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي للريسوني، ص298.

## الفرع الثاني: مبدأ وضوح الأهداف العامة في القرآن والسنة

في الكتاب والسنة آيات وأحاديث كثيرة تحدّد وتوضّح أهداف الإسلام العامة منها:

أولاً- قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:9].

إنّ اللام في قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾: هي «لام كي، والتقدير ليخرج الناس»<sup>(1)</sup>، وقال الطبري<sup>(2)</sup>: «﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: لِيُخْرِجَكُم أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ ظُلْمَةٍ الكفرِ إِلَى نورِ الإيمانِ، ومن الضلالةِ إِلَى الهدى»<sup>(3)</sup>.

والآيتان تضمنت أركان الدعوة الثلاثة، الداعي والمدعوّ وموضوع الدعوة، وتنصّان على الغاية من الدعوة إلى الله تعالى المتمثّل في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ليكون هدف ركن موضوع الدعوة أي تبليغ الإسلام واضحاً في ذهني ركنيها البشريين، أي الدعاة والمدعوّين.

وما قيل في الآيتين يُقال فيما شابههما من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، وقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:165]، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك:2] وغيرها<sup>(4)</sup>.

وهذه النصوص تُذكر عادةً في الاستدلال على مقاصد الشريعة، وهذا يعني أنّ الإسلام قصد وعمد إلى الإعلان عن أهدافه وغاياته للمخاطبين.

<sup>1</sup> إعراب القرآن للنحاس، ص476.

<sup>2</sup> هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224هـ - 310هـ)، من أهل أمل طبرستان، سمع محمد بن عبد الملك وأحمد ابن منيع، ومحمد بن حميد، وغيرهم، وحدث عنه أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي وغيرهما، كان فقيهاً في أحكام القرآن، عارفاً بالقراءات، عالماً بالسنن وأقوال الصحابة والتابعين، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، له تاريخ الأمم والملوك، وتفسير القرآن وغيرهما، ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، 548/2-553، وتاريخ الإسلام للذهبي، 165-160/7.

<sup>3</sup> تفسير الطبري، 391/22.

<sup>4</sup> ينظر الموافقات للشاطبي، 12/2.

ثانياً- قال الرسول ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (1).

إنَّ الحديث يوضح أحد الأهداف العامة من بعثته ﷺ، وهو إتمام الأخلاق الحميدة، مستعملاً لام التعليل التي هي أوضح حروف الجرِّ الدالة على العلة (2). فالحديث تعليل للرسالة النبوية بتقويم وإشاعة مكارم الأخلاق (3)، ومن حكم اعتناء النصِّ الشرعيِّ بذكر مقاصد الأحكام الشرعية أن «النُّفُوسَ إِلَى قَبُولِ الْأَحْكَامِ الْمَعْقُولَةِ الْجَارِيَةِ عَلَى ذَوْقِ الْمَصَالِحِ، أَمِيلٌ مِنْهَا إِلَى فَهْرِ التَّحَكُّمِ وَمَرَاةِ التَّعَبُّدِ» (4)، فإدراك المجتمع المدرسيِّ عموماً وطرفي العملية التعليمية التعلمية خصوصاً لأهداف التعليم من شأنه أن يبعث فيهم داعي التضحية والبدل.

وإذا كان الإسلام باعتباره خاتم الرسالات وأكملها يمثل الكمال الديني، فإنَّ أهمَّ أهداف التربية الإسلامية هو بلوغ الكمال الانساني باعتباره خليفة الله في الأرض، وإنَّ مكارم الأخلاق من تمام ذلك الكمال كما يشير إليه الحديث (5).

ثالثاً- قوله ﷺ لأبي طالب (يَا عَمِّ، أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمُ الْحَرْبَةَ)، قال: ماهي؟ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (6).

إنَّ الرسول ﷺ كان يريد من قومه كلمة واحدة موجزة في كلمات قليلة، لكنَّها معبرة عن هدف الإسلام بأقصى درجات الوضوح والتحديد، أن يقولوا: (لا إله إلا الله).

إنَّ الهدف لا يكون متميزاً من المنظور التربوي إلا بتوقُّر الخصائص التي تؤهِّله لذلك، ولا شك أنَّ الوضوح يأتي في مقدِّمة تلك الخصائص، فالرسول ﷺ كان يحدِّد لنفسه ولغيره أهدافاً واضحة

<sup>1</sup> مسند أحمد/ 513/14 وذكر محقِّقه الأرنؤوط صحته، وأخرجه مالك بلاغا بلفظ (بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ) الموطأ، 75/2، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة 112/1 ر 45.

<sup>2</sup> النحو الوافي لعباس حسن، 238/2

<sup>3</sup> أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص 81.

<sup>4</sup> المستصفي للغزالي، ص 633/2، وينظر مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية لحمد البيوي، ص 625.

<sup>5</sup> التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية لحمد مرسى، ص 53.

<sup>6</sup> رواه الترمذي في سننه، 365/5 ر 3232، وقال: «هذا حدث حسن صحيح»، وسنن النسائي 90/8 ر 8716، والرواية

لأحمد في المسند، 483/2 ر 2008 وقال أحمد شاکر في تحقيقه له: «إسناده صحيح»، وقال محققا موارد الظمان: «إسناده

جيد» موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للهيثمي، 453/5 ر 1757، لكن الأرنؤوط ضعفه في تحقيقه لمسند أحمد 458/3

2008، وضعفه الألباني وذكر أنه في "مسلم" مختصراً، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 373/9 ر 6651.

يسعون لتحقيقها<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: مبدأ وضوح الأهداف الخاصة في القرآن والسنة

سنذكر بعض ما جاء في القرآن والسنة من نصوص تثبت اعتماد التدريس فيهما لمبدأ وضوح وتحديد الهدف الخاص، بحسب مجالات الأهداف السلوكية ومستوياتها.

#### أولاً- وضوح الهدف في المجال المعرفي

##### أ- مستوى المعرفة: تعلم مفهوم الجنة.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:35].

الاستئناف في الآية ابتدائي، وقد عدّد الله تعالى صفات الجنة حتى «صارت كالمشاهدة»<sup>(2)</sup>، وإّما صارت كذلك بسبب طريقة القرآن الكريم في تعليم المفاهيم وتقريبها للأذهان، على ما يأتي بيانه، وضرب المثل في الآية الكريمة هو نفسه الذي يثير الانتباه ويدلّ على موضوعها الجديد بما لما له من وقع وأثر، إنّ تعليم المفاهيم من أهداف المجال المعرفي في أول مستوياته، والمطلوب من المتعلم هنا «هو تذكّر المعلومات أو المعارف أو الحقائق أو المفاهيم»<sup>(3)</sup>، ويمكن للمعلم أن يصوغ الهدف السلوكي كما يأتي: "أن يوضّح المتعلم مفهوم الجنة".

##### ب- مستوى التحليل: المقارنة بين مفهومي الإسلام والإيمان.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ. شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ. لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ. وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ. وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ. وَتَصُومَ رَمَضَانَ. وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ. يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ حَيْرِهِ وَشَرِّهِ)<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> التميز في صناعة الأهداف وتحقيقها في ضوء الهدى النبوي لخالد الشمران ولبنى الرشدان، ص 167.

<sup>2</sup> تفسير ابن عاشور، 155/13.

<sup>3</sup> صياغة الأهداف لسعادة، ص 171.

<sup>4</sup> البخاري، 27/1، 50، ومسلم، 37/1، 8 واللفظ له



يتناول هذا المقطع من حديث جبريل عليه السلام بيان مفهومي الإسلام والإيمان، وإن من الأهداف الخاصة في المجال المعرفي لتدريس العقيدة الإسلامية أن يتمكن المتعلم من التمييز بينهما، ومن أفضل طرق تحقيق ذلك أن يتمكن من المقارنة بين أركانهما.

وقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... " وصف لمشهد الموقف التعليمي، أمّا قوله رضي الله عنه: "إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ... " فهي بمثابة المثيرات للانتباه، فكم من موقف تعليمي يعلوه الصخب فإذا دخل غريب عن المؤسسة حجرة الصف فإذا بالمتعلمين كأنّ على رؤوسهم الطير، «وكل هذه الأوصاف مع ما سيأتي من صنيع الرجل كانت مبعث استغراب الصحابة»<sup>(1)</sup>، وفي سؤال الرجل الغريب المثير للانتباه "أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ" و"أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ" إعلام للصحابة رضي الله عنهم بأنّ رسول الله ﷺ سيتكلّم عن الإسلام وعن الإيمان، فهذا بمثابة الإيضاح والتحديد للهدف.

والمطلوب من المتعلم في هذا المستوى أن يقارن بين الإسلام والإيمان، وذلك من خلال تحليلهما إلى العناصر المكوّنة لكلّ منهما، ليدرك ما يميّز أحدهما عن الآخر، ويمكن للمعلم أن يصوغ الهدف السلوكي كالاتي: أن يقارن المتعلم بين مفهومي الإسلام والإيمان.

### ثانياً- وضوح الهدف في المجال الوجداني

أ- مستوى الوسم بالقيمة (تشكيل الذات): تجنّب الجهر بالسوء.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾

[سورة النساء: 148].

إنّ الآية الكريمة تبغّض للناس صفة جهر الفرد بعيوب الناس وسيئاتهم، لما لها من آثار خطيرة على المجتمع، ذلك «أن الجهر بالسوء يبدأ في أول الأمر اتهامات فردية - سباً وقذفاً- وينتهي انحلالاً اجتماعياً، وفوضى أخلاقية»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> فتح المنعم للاشين، 18/51.

<sup>2</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، ص796.

والآية استئناف ابتدائي وبيان لغرض جديد هو تحريم الجهر بالسوء<sup>(1)</sup>، وعنصر التشويق فيها هو ابتداؤها بذكر ما لا يحبّه الله تعالى، أي ما لا يرضاه، ولهذا أثر كبير في لفت انتباه المسلم إلى ما يأتي من الكلام لحرصه على نيل رضا الله عزّ وجلّ وتجنّب سخطه.

إنّ الاتصاف بالقيمة أعلى مستويات المجال الوجدانيّ حيث يتمّ الاهتمام بتشكيل صفات الذات عند المتعلّم ليتكوّن لديه نظام من القيم يتحكّم في سلوكه<sup>(2)</sup>، ويمكن للمعلّم أن يصوغ الهدف السلوكيّ كما يأتي: أن يتجنّب المتعلّم ذكر عيوب الناس وسيئاتهم.

### ب- مستوى إعطاء القيمة ( التقييم ): تقدير تضحّيات الصحابة رضي الله عنهم.

قال رسول الله ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ)<sup>(3)</sup>.

وعلة هذه الفضيلة ما قارن إنفاقهم من مزيد الإخلاص وصدق النيّة، وعظم موقعه، من حيث إنّ الانفاق قبل عزّ الإسلام وقوّة أهله أعظم، «هذا في الإنفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل أرواحهم ومهجهم وفراغهم بين يدي رسول الله ﷺ وغير ذلك»<sup>(4)</sup>، لأجل هذا جاء الحديث ناهياً عن سبهم رضي الله عنهم، معللاً ذلك النهي بما قدّموه من تضحّيات عظيمة.

ومن أساليب لفت الانتباه إلى ما يأتي من الكلام البدء بالنهي عن السبّ الذي يعلم المسلم عظم جرمه، وكذلك تكرير ذلك النهي، والمتوقّع بعد أن يدرس المتعلّم هذا الحديث أن يكتسب اتجاهها يدفعه إلى توقير واحترام الصحابة رضي الله عنهم تقديراً لبذلهم الكبير.

وهذا المستوى -في المجال الوجداني- يهتم بالقيمة التي يعطيها المتعلّم لأمر معيّن<sup>(5)</sup>، ويمكن للمعلّم أن يصوغ الهدف السلوكيّ كالآتي: أن يقدر المتعلّم تضحّيات الصحابة رضي الله عنهم في خدمة الإسلام.

### ثالثاً- وضوح الهدف في المجال المهاريّ الحركيّ

#### أ- مستوى الإبداع (الأصالة): تعلّم تلاوة القرآن الكريم.

<sup>1</sup> تفسير ابن عاشور، 5/6.

<sup>2</sup> صياغة الأهداف لسعادة، ص 532.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 3/1343 ر 3470، وصحيح مسلم 4/1967 ر 2540 واللفظ له.

<sup>4</sup> شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 12/3841. وفيه أنّ النصيف نصف مكيال المدّ.

<sup>5</sup> صياغة الأهداف لسعادة، ص 517.

قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾. [سورة المزمل: 4].

والمعنى تلبث في قراءة القرآن وتمهّل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي يأتي بعده ليكون ذلك عوناً على تفهمه وتدبره<sup>(1)</sup>، والأمر بترتيل القرآن غرض جديد<sup>(2)</sup>.

إنّ هذا المستوى - في المجال المهاريّ الحركي - يركّز علي إيجاد أنماط من الحركات التي تلائم مشكلةً أو وضعاً معيّنين، والمطلوب من المتعلّم هنا أن يبدع ويبتكر، «فبعد قيام الطالب بأداء المهارة ألياً، ثم تطبيقها بدقة وسرعة واتقان، ثم الحكم على أداء مهارات غيره فإنه يكون قادراً في مرحلة متطورة أخرى على أن يبدع في القيام بمهارة أو أكثر عن طريق خبرته الطويلة والدقيقة فيها»<sup>(3)</sup>.

وإنّ مدارس وكتاتيب القرآن الكريم لتبدع في تحقيق الأهداف المهاريّة، ذلك أنّها خرّجت ما لا يُحصى ممّن يملأ مسامع الدنيا من كبار القراء، فقد التحقوا بها صغاراً، وما زالوا يكتسبون المهارة تلو الأخرى، ويتخطّون المستوى إلى غيره، حتى أصبحوا قادرين على إبداع وابتكار ما يميّزون به. ويمكن للمعلّم أن يصوغ هدف الدرس كما يأتي: أن يتلو المتعلّم الآيات تلاوةً مجوّدة.

#### ب- مستوى الاستجابة الموجهة: تعلم أداء الصلاة.

قال الرسول ﷺ للمسيء في صلاته: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ. ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ. ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا. ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا. ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا. ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا. ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا)<sup>(4)</sup>.

إنّ الحديث يتناول تعلّم مهارة أداء الصلاة بواسطة المحاولة والخطأ، فقد كان للأعرابي ثلاث فرص يجرب فيها خبراته، ولما تبين أنّه لا يعرف غير ما أظهره علّمه الرسول المعلّم ﷺ طريقة الصلاة الصحيحة.

وبخصوص عنصر التشويق المصاحب لإعلان الهدف الإجرائي للموضوع، فقد جاء في رواية أحمد (... فدخل رجل، فصلّى في ناحية المسجد، فجعل رسول الله ﷺ يرمقه...) <sup>(5)</sup>، ولا شك أنّ الجالسين مع رسول الله ﷺ قد أثارهم انشغال النبي ﷺ بصلاة الأعرابي.

<sup>1</sup> النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 208/1.

<sup>2</sup> تفسير ابن عاشور، 260/29.

<sup>3</sup> صياغة الأهداف لسعادة، ص 596.

<sup>4</sup> البخاري، 1/274، 760، ومسلم، 1/298، 397 واللفظ له، وسيأتي تناوله بالتفصيل في صفحة

<sup>5</sup> مسند أحمد، 31/333، وحسن الأرنؤوط إسناده.

إنّ مستوى الاستجابة الموجهة في المجال النفس حركي يهتم «بالمراحل الأولى لتعليم المهارة الصعبة، تلك المراحل التي تستعمل التقليد، مثل إعادة التلميذ لمهارة معينة قام بها المعلم، ومرحلة التجربة والخطأ أو المحاولة والخطأ...»<sup>(1)</sup>.

ويمكن للمعلم صياغة الهدف في هذا المستوي كما يأتي: أن يؤدي المتعلم صلاة الظهر بطريقة صحيحة<sup>(2)</sup>.

إنّ ما سبق من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تؤكّد أنّ وضوح الأهداف التدريسية مبدأ تدريسي إسلامي أصيل، وأنّه متفرّع عن وضوح الإسلام في أصوله ومصادره وغاياته ووسائله، كما يؤكّد أن فكرة مباشرة الموقف التعليمي انطلاقاً من توضيح الهدف من عادات القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يشير إلى درجة أهمية هذا المبدأ بالنسبة إلى لجان صياغة المناهج التعليمية ومفتشي التعليم والمعلمين والمتعلمين على السواء.

---

<sup>1</sup> صياغة الأهداف لسعادة، ص 567.

<sup>2</sup> يمكن لأساتذة العلوم الإسلامية ومعلمي التربية الإسلامية أن يقدّموا درس الوضوء والصلاة وغيرها عملياً، والإدارة مطالبة بتسهيل ذلك، ويكفي أن يجتمع المتعلمون في ساحة المدرسة ليشاهدوا كيفية وضوء وصلاة أحدهم ثم يناقشوا الخطأ والصواب في ذلك مثلاً.

### المبحث الثالث: المبادئ التدريسية الخاصة بالمحتويات في درس القرآن والسنة العقديّ

عرضنا المبادئ الخاصة بالأهداف التعليميّة، وهذا موضع تناول المبادئ المستنبطة من الكتاب والسنة المتعلّقة بالمحتويات الدراسيّة، وأولها مبدأ تدريس المفاهيم وما له من دور رئيس في تسهيل العمليّة التعليميّة التعلّميّة بالنظر إلى الوتيرة السريعة لتزايد حجم المعارف، ومبدأ ترابط الموادّ الدراسيّة وتكاملها، ممّا يسهل تهيئة الانسان النموذج للقيام بحقّ العبوديّة وعمارة الأرض وفق الشريعة، ثمّ مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم باعتبار أنّ التدريس في القرآن الكريم والسنة النبويّة عمليّة تذكّر من جانب وتنميّة للتفكير ومهاراته من جانب آخر.

## المطلب الأول: مبدأ تدريس المفاهيم

اعتنى التدريس الحديث بتدريس المفاهيم بسبب دورها الفعّال في إحداث وتثبيت التعلّم، وسنتطرق هنا إلى موقف التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية من ذلك.

### الفرع الأول: مبدأ تدريس المفاهيم في القرآن الكريم

تؤكد الاتجاهات التربوية على ضرورة تدريس المفاهيم، لأنها تساعد على التعلّم بما تُيسّره من إيجاد للعلاقات بين العناصر المختلفة فيتمكّن المتعلّم من التعرّف على أوجه التشابه بين معلوماته السابقة وبين معلومات المواقف الجديدة، ويستثير دوافعه للتحصيل، كما يزيد من فهمه للمادة العلمية ويساعده على الربط بين الحقائق العلمية، ونذكر هنا بعض ما جاء في القرآن من آيات تتناول تعليم المفاهيم وطرائقها في ذلك.

#### أولاً: - مفهوم لا إله الا الله في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ فَرَارٍ (26) ﴾ [سورة إبراهيم]

تذكر الآيات أنّ كلمة التوحيد كالنخلة، أصلها ثابت في الأرض وفرعها عالٍ في السماء، تُثمر كلّ حين بقدره ربّها وتسخيره، فكلمة لا إله إلاّ الله في قلب المؤمن والأعمال الصالحة الناتجة عنها تُرفع إلى الله عز وجلّ، وكلمة الكفر في قلب الكافر كشجرة الحنظل مُرّة ولا خير فيها، ولا أصل لها في الأرض ولا فرع لها في السماء<sup>(1)</sup>.

وبتحليل طريقة الآيات في تعليم المفاهيم نستنتج ما يأتي:

أ- يتكوّن (مفهوم الكلمة الطيبة) من اسم (رمز) هو (الكلمة الطيبة) ومن دلالة لفظية لذلك الاسم وهي (إفراد الله تعالى بالعبادة)، والآية نموذج للمفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام ولم تكن متداولة في اللسان العربيّ.

<sup>1</sup> أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، 56/3.

ب- يبدأ الموقف التدريسي لمفهوم (الكلمة الطيبة) باستفهام يفيد التعجب من عدم العلم بذلك مع أنه مما تتوقّر الدواعي على علمه<sup>(1)</sup>، وفي هذا تشويق وإثارة لانتباه المخاطب، وذلك من ضروريات اكتساب المفاهيم الذي يُشترط له إيجابية المتعلّم وفعالته وتركيزه.

ج- أنّ القرآن الكريم يوظّف أمثلة الانتماء وأمثلة عدم الانتماء في تيسير اكتساب المفاهيم، فالنخلة وطبيها وعلوّها وثبات أصلها وحضور ثمارها هي الأمثلة، وشجرة الخنظل وخبثها واجتثاثها وعدم إثمارها هي اللأمثلة.

د- أن رمز (الكلمة الطيبة) هو أحد رموز (مفهوم لا إله إلا الله) المتعدّدة في القرآن الكريم، مثل كلمة التقوى والكلمة الباقية وكلمة الله العليا<sup>(2)</sup>، فالرموز متنوّعة ومدلولها واحد، والذي يظهر لنا هنا أنّ القرآن الكريم كما أنّه يوظّف أمثلة الانتماء وأمثلة عدم الانتماء في تيسير اكتساب المفاهيم، فإنّه يوظّف تنوع رموزها لنفس الغرض، حيث تتعدّد منطلقات المتعلّم في اكتساب المفاهيم، فالمقصود هو تكثير احتمالات تعلّمها بالتمكين من توظيف الكثير من الخبرات السابقة الضرورية في التحصيل، فإذا أُضيف إلى هذا ضرورة قراءة القرآن الكريم في إطار وحدته البنائية، ظهرت فعالية الطريقة القرآنية في تدريس المفاهيم.

هـ- أن هذه الآيات وظّفت جذر (ط.ي.ب) في بيان مفهوم لا إله إلا الله، وقد تكرّر هذا الجذر في كتاب الله تعالى خمسين مرّة، وقد دلّ فيها على رضا الله تعالى وثوابه أو ما ترتضيه الفطرة السليمة، فهو يدلّ على الأزكى والأفضل من الأشياء، والحلال المستطاب الذي لا يضرّ الأبدان والعقول، والكلام الحسن، وما تستلذه الحواسّ والنفوس، والبلد حسن الهواء، والتراب الذي لا نجاسة به، وكلّ ما يستطاب في جنات النعيم<sup>(3)</sup>، والمتعلّم يوظّف هذه المدلولات أثناء تكوينه لمفهوم الكلمة الطيبة، بحيث تكون بمثابة الخبرات المألوفة التي ينطلق منها، فتساعده على اكتساب المفهوم الجديد في دلالاته على إفراد الله تعالى بالعبادة، وهذا يؤكّد من ناحية أخرى على أهميّة دراسة مفاهيم القرآن الكريم في إطار وحدته البنائية.

<sup>1</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور ، 223/13.

<sup>2</sup> قال تعالى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:26]، و قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:28]، قال ﷻ: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة [التوبة:38]، وينظر تفسير ابن كثير، 346/7، 225/7، 155/4.

<sup>3</sup> الخبيث والطيب في ضوء القرآن الكريم لعبد العزيز الربيعي، ص 21-25.

و- أنّ القرآن الكريم وظّف هنا طريقة ضرب المثل تسهيلاً لعبور الذهن من الحسيّات إلى المجرّدات<sup>(1)</sup>، وهو ما يُعرف باستراتيجية المماثلة<sup>(2)</sup> أو المتشابهات، فقد شُبّه مفهوم لا إله إلا الله وهو (المشبّه أو الهدف) بالنخلة وهي (المشبّه به أو المماثل) في كونها «لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين»<sup>(3)</sup> وهو وجه الشبّه (عملية المقابلة)، وهذا يسهّل اكتساب المفهوم، ثم إنّ القرآن يولي بيئة المتعلّم أهميّة قصوى، فقد اختار النخلة كمشبّه به في تقريب مفهوم كلمة التوحيد، وذلك لأنّ النخلة مألوفة لدى العرب، وإحاطة المتعلّم بتفاصيل الخبرات الحسيّة ضروري للعبور إلى المعقولات.

ز- في مجال تفعيل دور المتعلّم في دراسة المفاهيم، فإنّ الآيات تعتمد إثارة تفكيره بدفعه إلى المقارنة بين الهدف (النخلة) والمماثل (شجرة الحنظل) وذلك كما هما في بيئته، والمطلوب هنا التدقيق في خصائص كلّ منهما، فكّلما زادت الإحاطة بتفاصيل ذلك كلّما تيسّر إدراك المتعلّم للمفهوم مجرّداً، ثمّ تأتي عملية التصنيف للهدف والمماثل، ولا شك أنّ المقارنة الجيدة تولّد تصنيفاً جيّداً، فتوظيف مهارة المقارنة والتصنيف - وهما من مهارات التفكير المحورية - من شأنه أن يُسهم بفعالية في تيسير تكوين وتطوير المتعلّم للمفاهيم.

---

<sup>1</sup> قال الرزي: «في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذُكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة. وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب»، مفاتيح الغيب، 123/19.

<sup>2</sup> استراتيجية المماثلة أو المتشابهات تقوم على توضيح ومقارنة المفاهيم المراد تدريسها بالمفاهيم الموجودة في بيئة المتعلّم المعرفية، ينظر: أثر استراتيجيات المتشابهات في اكتساب المفاهيم لعبد الرزاق زيدان وأنوار شاكر، ص 258. وعناصر المماثلة هي الهدف أي المفهوم الجديد، والمماثل أو النظير أي المفهوم الذي يقارن به المفهوم الجديد، وعملية المقارنة حيث يبحث عن التماثلات القائمة بين الهدف والمماثل، أثر استراتيجية المماثلة في تدريس العلوم في اكتساب المفاهيم العلمية لكوثر الحراشنة ص 416.

<sup>3</sup> الأمثال في القرآن لابن قيم، ص 229.



خصائص المماثل (المشبه به) في بيئة المخاطب		خصائص الهدف (المشبه به) مجرداً	
النخلة (الأمثلة)	شجرة الحنظل (اللامثلة)	لا اله إلا الله (الأمثلة)	كلمة الشرك (اللامثلة)
الطيبة (في الطعم والرائحة والمنظر)	الخبث (في الطعم والرائحة والمنظر)	نافعة	ضارة
ثبات الأصل	لا أصل لها	قوية، (أصلها التوحيد) ثابت في قلب المؤمن	ضعيفة
علو الأغصان	مجتنة ومقتلعة	فروعها (الأعمال الصالحة) متصلة بالسماء	فروعها (الأعمال السيئة) لا تصعد إلى السماء
حضور الثمار	غير مثمرة أصلاً	استمرار ثمارها (الأعمال الصالحة)	غير مثمرة أصلاً

جدول رقم "1" لأثر مهاري المقارنة والتصنيف في تكوين المفهوم. من تصميم الباحث.

### ثانياً- مفهوم البرّ في القرآن الكريم

أ- قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. [البقرة: 177]

ب- قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾. [البقرة: 189]

تذكر الآية الأولى ما وقع من الخلاف بين المسلمين وأهل الكتاب بعد تحويل القبلة، حيث رأى الكتائبون أنّ الصلاة يلزم أن تكون إلى قبلتهم التي صلّى إليها بعض الأنبياء عليهم السلام، ورأى المسلمون أنّ الصلاة لا تقبل إلا بالاتجاه إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فأبان الله تعالى للناس أنّ مجرد توجيه الوجه -في الصلاة- جهة المشرق والمغرب ليس في ذاته هو البرّ المقصود، وإمّا البرّ الحقيقيّ هو الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكته واليوم الآخر إيماناً قلبياً صادقاً كاملاً مقروناً بالعمل الصالح، والآية الثانية تتناول تصحيح مفهوم البرّ عند المشركين، فبعد أن أعلمهم الله سبحانه

وتعالى بخطهم في ظنّ البرّ إتيانَ البيوت من ظهورها، بين لهم البرّ الحقيقيّ المتمثّل في تقوى الله عزّ وجلّ التي تؤدّي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة<sup>(1)</sup>.

وبتحليل طريقة القرآن الكريم في تدريس المفاهيم نستنتج ما يأتي:

**1-** أنّ مفهوم البرّ يتكوّن من اسم (رمز) هو (البرّ) ومن دلالة لفظيّة لذلك الاسم وهي (الإيمان والعمل الصالح)، والآيتان نموذج للقرآن الذي عُني بالتصحيح الجذريّ للمفاهيم السائدة في الجزيرة العربيّة.

**2-** أنّ أعمال البرّ (أي جزئياته) كثيرة، وهي «منحصرة في خلال ثلاث: صحّة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأولى بالإيمان بما فصل وإلى الثانية بإيتاء المال وإلى الثالثة بإقامة الصلاة»<sup>(2)</sup>، لتنتهي جميع أعمال البرّ وصوره إلى الإيمان بالله تعالى، وهذا هو البناء الهرمي للمفهوم، فحقيقة البرّ لا يمكن إدراكها دون إدراك مفاهيم العقيدة والعمل والخلق، ومفهوم الخلق - مثلاً - لا يُدرك دون مفهوم خصلة الصبر وغيره، ومفهوم الصبر - مثلاً - لا يفهم جيّداً إلا بدراسة أمثله، والمقارنة بين الإيجابية منها والسلبية<sup>(3)</sup>.

**3-** - أنّ التمعّن في الآية الأولى يكشف عن خريطة مفاهيميّة في غاية الدقّة والوضوح كما سيأتي في نهاية التحليل، ومن أدوارها هنا أنّها تسهّل اكتساب المفهوم بتنظيم مفرداته المتناثرة.

**4-** في حال كثرة جزئيات المفهوم، فإنّ القرآن الكريم يذكر مجالها الرئيس مع التمثيل ببعض جزئياته، فلمّا كان كلّ ما يقرب إلى الله تعالى داخلاً في مسمّى البرّ، فإنّ القرآن الكريم سمّى مجالاته الرئيسة وهي الإيمان والعمل والأخلاق، وممّا مثل به للأول الإيمان بالله تعالى، وللثاني بالصلاة وللثالث بالوفاء بالعهد والصبر، وهذا يشير - من ناحية أخرى - إلى أهميّة التمثيل في اكتساب وتصحيح المفاهيم.

**5-** أنّ القرآن الكريم يعتمد التدرّج في اكتساب المتعلّمين للمفهوم، وذلك عبر طريقة المماثلة حيث ينتقلون ممّا يعتادونه من حسّيات في بيئتهم المعرفيّة إلى المعاني المجرّدة.

<sup>1</sup> التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي، 459/2، 538/2.

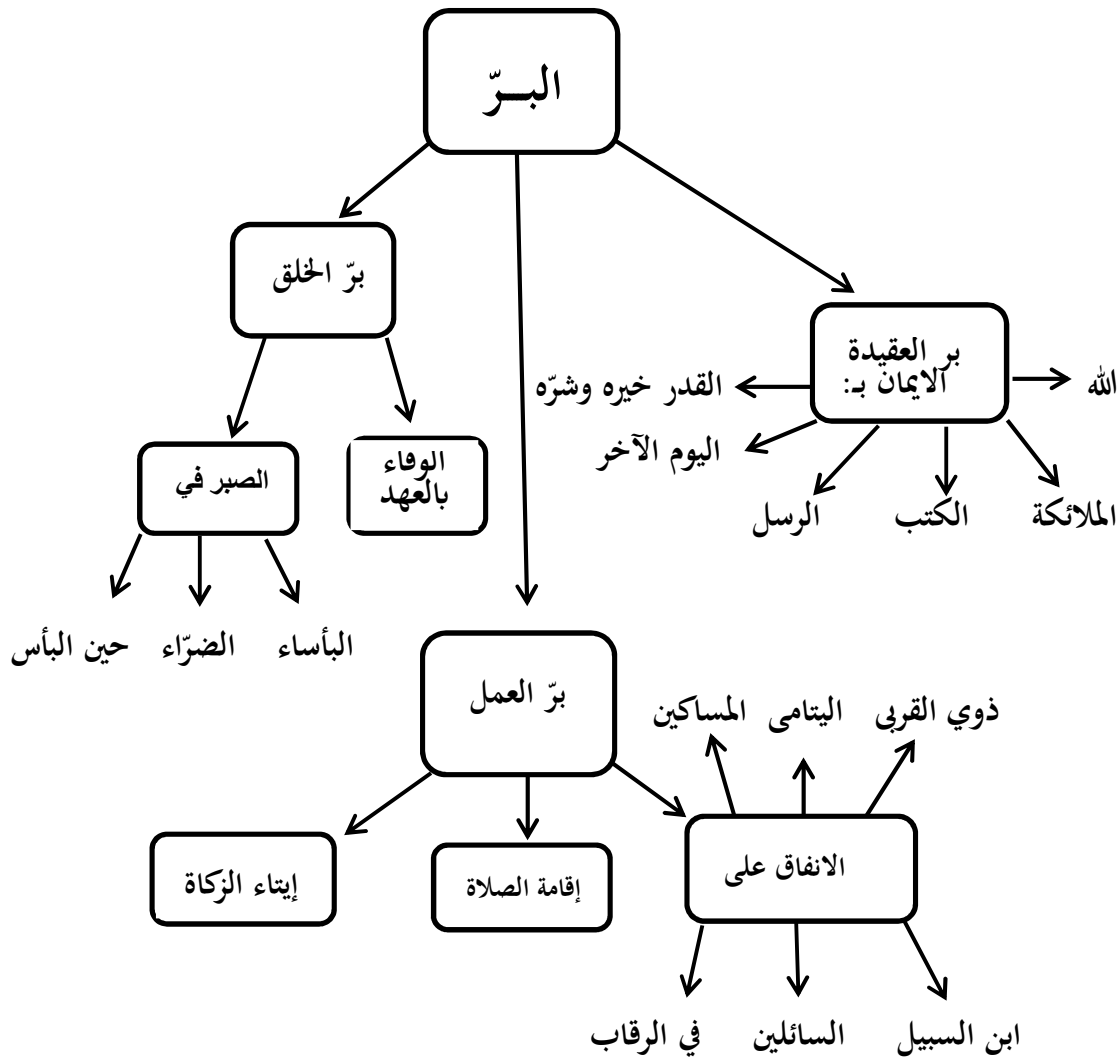
<sup>2</sup> تفسير أبي السعود، 194/1.

<sup>3</sup> الأمثلة الإيجابية هي التي تحمل الصفات المميزة والثانوية للمفهوم ويشترك فيها أعضاء المجموعة، وتُسمّى أيضاً أمثلة الانتماء أو الأمثلة، والأمثلة السلبية هي التي لا تحمل الصفات المميزة للمفهوم والتي لا تشترك فيها أعضاء المجموعة، وتُسمّى كذلك أمثلة عدم الانتماء أو الأمثلة، أثر استخدام الأمثلة الايجابية والسلبية في اكتساب المفاهيم، لأحمد سعد وأنور عبد الرحمن، ص30.

6- أن القرآن يُعنى بإيجابية المتعلّم، فالكلام في الآية الأولى موجّه لضمير المخاطب ﴿تُؤَلِّمُوا﴾ و﴿جُوهَكُمْ﴾، وفي الآية الثانية اعتناء ظاهر بما سألوا عنه الرسول ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾، زيادة على توظيف ضمائر المخاطب ﴿تَأْتُوا﴾، ﴿تَأْتُوا﴾، ﴿وَأْتُوا﴾، ﴿وَأْتُوا﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وعندما يشعر المتعلّم بأنه معنيٌّ ومقصودٌ بالخطاب فإنّ مستوى الانتباه والتركيز سيرتفع عنده.

7- أن القرآن الكريم -في تصحيح مفهوم البرّ- عرض أمثلة عدم الانتماء (حصر البرّ في شكليات العبادات) وأمثلة الانتماء (الايان والأعمال الصالحة)، وهذه طريقة فعّالة في تسهيل اكتساب المفاهيم بواسطة الإكثار من الأمثلة خاصّة لصغار المتعلّمين.

8- أن القرآن الكريم -في التمثيل لمفهوم البرّ- بدأ بأمثلة عدم الانتماء مثل تولية الوجه قبل المشرق والمغرب وإتيان البيوت من ظهورها، ثم عرض أمثلة الانتماء مثل الايمان بالله وتقواه.



شكل "2" خريطة مفهوم البرّ في القرآن الكريم من تصميم الباحث

## الفرع الثاني: مبدأ تدريس المفاهيم في السنة النبوية

نذكر هنا بعض الأحاديث التي تثبت اعتبار السنة لهذا المبدأ:

### أولاً: مفهوم المفلس.

عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (1).

يسأل النبي ﷺ أصحابه عن المفلس فيجيبون بأوصافه في العادة والعرف الدنيوي، فيعلمهم أنه الهالك الهالك التام الذي يأتي بالطاعات يوم القيامة وعليه حقوق لغيره، فتؤخذ حسناته لغرمائه ثم يأخذ هو من سيئاتهم ثم يلقي في النار (2).

وبتحليل طريقة الحديث في تدريس المفاهيم نستنتج ما يأتي:

أ- أن مفهوم المفلس في النص يتكوّن من اسم (رمز) هو (المفلس) ومن دلالة لذلك الاسم وهي (الظالم المجرد من حسناته يوم القيامة).

ب- أن الحديث بدأ بالتمثيل لمفهوم المفلس بأمثلة الانتماء وهي الصلاة والصيام والزكاة، ثم بأمثلة عدم الانتماء وهي الشتم والقذف وأكل مال الغير وسفك الدماء وضرب الغير، وقد تقدّم أن آية البر بدأت بأمثلة عدم الانتماء، وهذا يشير إلى أنّ الأمر فيه سعة، وأنّه متروك لتقدير المعلمين.

ج- أن السنة النبوية تعتمد التدرّج في بيان المفاهيم، حيث انتقلت من معنى المفلس كما هو في عرف المخاطبين وبيئتهم المعرفية إلى مدلوله الشرعي.

د- أنّ الصحابة رضي الله عنهم أجابوا على سؤال الرسول ﷺ (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) بما يملكون من معارف فقالوا: (الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ)، ويظهر أنّ بعض العلماء فهموا من ذلك ارتكاب الصحابة رضي الله عنهم لخلاف الأولى، فقد «أجابوا بما عندهم من العلم بحسب

<sup>1</sup> صحيح مسلم، 4/1997، 2581.

<sup>2</sup> فتح المنعم للاشين، 10/50، 51.

عرف أهل الدنيا كما يدل عليه قولهم "فينا" وغفلوا عن أمر الآخرة، وكان حقهم أن يقولوا: "الله ورسوله أعلم" لأن المعنى الذي ذكروه كان واضحا عنده ﷺ»<sup>(1)</sup>.

ومعلوم أنّ الرسول ﷺ لا يقرّ الأمة على خلاف الأولى، خاصة عندما يتكرّر ذلك عدّة مرّات، مثل سؤال الرسول ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَا قَالَ)؟ وقول الصحابة رضي الله عنهم: نَعَمْ، سَلَّمَ عَلَيْنَا، قَالَ: (لَا، إِنَّمَا قَالَ: السَّأْمُ عَلَيْكُمْ...) (2)، ومثل سؤال النبي ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي؟) فأجاب الصحابة رضي الله عنهم بقولهم: قَتَلُ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ، قَالَ: (إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلِ) (3)، فهذه المعاني التي ذكروها رضي الله عنهم كانت واضحة عند رسول الله ﷺ دون أن ينكر عليهم ذلك.

والذي يظهر لنا أنّ إجابات الصحابة رضي الله عنهم تتوقّف على مجال السؤال، فإذا تعلّق السؤال بما يملكونه من معارف وخبرات فإنّهم يجيبون بما عندهم من العلم، على نحو ما سبق من الأمثلة، أما إذا تعلّق بما لا يُعرف إلا بالوحي فإنّهم حينئذ يحيلون العلم إلى الله ورسوله ﷺ، ومثال ذلك سؤال الرسول ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟) وجوابهم رضي الله عنهم: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (4)، وسؤال النبي ﷺ (هل تدري حقّ الله على عباده، وما حقّ العباد على الله؟) وجواب معاذ رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم (5).

أمّا تفسير ذلك من المنظور التربويّ ففيه التفصيل الآتي:

- 1- إذا كان الأمر ممّا لا يعرف إلا بالوحي فيكون المقصود حينئذ لفت انتباه المتعلّمين لما يأتي من الكلام من ناحية، وتحديد الهدف التدريسيّ من ناحية أخرى.
- 2- إذا كان الأمر يتعلّق بما هو معروف عند الصحابة رضي الله عنهم فالمقصود حينئذ توظيف معلوماتهم السابقة في التحصيل، أي الانطلاق منها والبناء عليها، فمقارنة المتعلّم بين أوجه تشابه واختلاف معارفه السابقة والمعارف اللاحقة تيسّر حدوث تعلّمه ورسوخه، خاصة عندما يتعلّق الأمر بتدريس المفاهيم، بالإضافة إلى عنصريّ إثارة الانتباه وإيضاح الهدف التعليميّ السابقين.

<sup>1</sup> مرقاة المفاتيح للقاري، 313/9، وينظر تحفة الأحوذى للمباركفوري، 86/7.

<sup>2</sup> الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان، 256/2 ر 503. قال محققه: صحيح على شرط الشيخين.

<sup>3</sup> مسند الإمام أحمد، 333/29 ر 17797، وفي الهامش تصحيح المحقّق له.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، 29/1 ر 53، وصحيح مسلم، 17/47 ر 1.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، 1049/3 ر 2701، وصحيح مسلم، 58/1 ر 30.

هـ - أن قوله ﷺ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي) يفيد أن ما يأتي بعده كاشف عن مفهوم المفلس في الاطار الشرعي، غير أن هذا لا يعنى شطب مفاهيم (المفلس) في اللغة والفنون المختلفة، ثم إنه لا بد من التفريق بين الألفاظ التي عدل الشارع دلالتها فقط وبين الألفاظ التي أحل الشارع مكانها ألفاظ أخرى ونهى عن استخدامها كلفظ "راعنا"، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 104]، فالآية الكريمة تدل «على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتفويض والعرض...»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: مفهوم تأثير القرآن الكريم في النفوس

قال الرسول ﷺ: (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيبٌ وريحها طيبٌ. والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيبٌ ولا ریح لها. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيبٌ وطعمها مرٌّ ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرٌّ أو خبيث وريحها مرٌّ)<sup>(2)</sup>.

يشبه النبي ﷺ المؤمن المداوم على قراءة القرآن الكريم بالأترجة لذيذة الطعم طيبة الريح، فهو حسن الظاهر والباطن، ينفع نفسه وينفع غيره بقراءته، ويشبه المؤمن غير القارئ للقرآن الكريم بالتمرّة يتلذذ أكلها بطعمها ولا يجد من بجواره ريحها، ويشبه المنافق المرائي بقراءته للقرآن بالريحانة ينتفع الناس بطيب ريحها مع ما في طعمها من مرارة، ويشبه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة لا يستلذ بها أكلها ولا من معه لأن طعمها مرٌّ وريحها قبيح<sup>(3)</sup>.

والحديث يظهر أن الكتاب العزيز «له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ. ومنهم من لا نصيب له البتة، وهو المنافق الحقيقي. ومن تأثر ظاهره دون باطنه، وهو المرائي. أو بالعكس، وهو المؤمن الذي لم يقرأه»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 57/2.

<sup>2</sup> صحيح البخاري واللفظ له، 1290 ر 5059، وصحيح مسلم، 797/1، والأترجة فاكهة قريبة من البرتقال، والريحانة كل نبت طيب الريح، والحنظلة نبت تمتد على الأرض ويضرب المثل بمرارته، فتح المنعم للاشين، 607/3، وتحفة الأحوذى للمباركفوري، 134/8.

<sup>3</sup> المنهل الحديث للاشين، 19/4.

<sup>4</sup> شرح مشكاة المصابيح للطبي، 1636/5.

وقد جعل رسول الله ﷺ «طيب الطعم دائراً مع العمل، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة. والمجدي على المرء هو عمله. أما التلاوة وحدها فإنها لا تجدي. فلنناقش يتلو القرآن ولكنه في الدرك الأسفل من النار»<sup>(1)</sup>.

وبتحليل طريقة الحديث في تدريس المفاهيم نستنتج ما يأتي:

أ- يتكوّن هذا المفهوم من اسم هو (تأثير قراءة القرآن في النفوس) ومدلول له هو (ما تتركه مداومة قراءة القرآن من آثار في باطن وظاهر القارئ).

ب- تنوّع طرائق تعليم المفاهيم في السنّة النبوية، فكما وظّفت أمثلة الانتماء وأمثلة عدم الانتماء في مفهوم المفلس، فإنها وظّفت هنا طريقة ضرب المثل أو ما يُعرف في التربيّة المعاصرة باستراتيجية المشابهات، حيث نجد مجموعة أهداف (مشبّهات) مثل المداوم على قراءة الكتاب المجيد، ومجموعة مماثلات (مشبّهات بها) مثل ثمرة الأترجة، وعمليات المقابلة (وجوه الشبه) مثل طيب الطعم والريح.

ج- لخبرات المتعلّم السابقة في الحديث دور رئيس في اكتساب المفهوم، ذلك أنّ المطلوب منه هنا هو النظر في أوجه الشبه بين المشبّه به (المماثل) والمشبّه (الهدف) للتمكّن من تصوّر المعاني المجردة، فجودة وسهولة وسرعة إدراك المتعلّم لمفهوم تأثير مداومة قراءة القرآن على النفس البشرية متوقّفة على قدر إحاطته بخصائص الأترجة والتمرّة والريحانة والحنظلة.

د- يكشف الحديث عن العلاقة المتينة بين تدريس المفاهيم وتعليم التفكير وأهميّة التكامل بينهما في تحقيق الأهداف، حيث يظهر ذلك جلياً في دفع الحديث للمتعلّم إلى توظيف بعض مهارات التفكير المحوريّة مثل مهارتي المقارنة والتصنيف، فالثمار والنبات منها طيب الطعم والريح، ومنها طيب الطعم فقط، ومنها طيب الريح فقط، ومنها قبيحهما، والمؤمنون منهم من يديم قراءة القرآن الكريم ومنهم من لا يفعل، والمنافقون منهم من يقرأه رياءً ومنهم من لا يقرأه أبداً، فالمقارنة الصحيحة للمشبّهات بها باعتبارها خبرات سابقة تسهّل تصنيفها وفق معيار انتفاع الناس من طعمها وريحها، وذلك ييسّر عملية العبور من شاطئ الحسيّات إلى شاطئ المعقولات، حيث يسهل تصوّر تأثير مداومة قراءة الكتاب المجيد في النفوس من خلال مقارنة المشبّهات بالمشبّهات بها، ثمّ تصنيف المشبّهات بالنظر إلى معيار الانتفاع بمداومة قراءة القرآن الكريم.

<sup>1</sup> مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، ص 206.

وهكذا يظهر من خلال ما سبق أصالة مبدأ تدريس المفاهيم، فالقرآن الكريم والسنة النبوية عنياً بهذا المبدأ أيما عناية، ويدلّ على ذلك الكمّ الهائل من المفاهيم المنتشر فيهما، كما يدلّ عليه ما فيهما من إشارات واضحة إلى طرائق تدريس تلك المفاهيم من جانب وتوظيفها في تنظيم معارف الاسلام وتسهيل تحصيلها من جانب آخر.

### المطلب الثاني: مبدأ تكامل الموادّ الدراسيّة

ظهرت تنظيمات المناهج المختلفة كردّ فعل على تنظيم الفصل بين الموادّ الدراسيّة، وسنعرض هنا موقف التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية من التكامل في ذلك.

### الفرع الأول: مبدأ تكامل الموادّ الدراسيّة في القرآن الكريم

المقصود بمبدأ التكامل بين الموادّ الدراسيّة هو أن يُراعى في تصميم المناهج التعليميّة تقديم محتوياتها مترابطةً ومتكاملةً غير مفتتة ولا مجزأة، ثمّ أن يدرّس المعلّمون تلك المحتويات في إطار من التكامل بحيث يدرك المتعلّمون العلاقات التي تربط بين المقرّرات دون إزالة ما بينها من حواجز تفرضها طبيعة كلّ مادّة، والقرآن الكريم يزخر بالمواقف التدريسيّة الدالّة على هذا المبدأ بأجلى الصور، وسنكتفي بنموذج واحدٍ يفصّل الأمر.

قال الله ﷻ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

إنّنا إذا افترضنا أنّ الآية هي النصّ المؤطر<sup>(1)</sup> لحصّة مادّة الفقه الاسلامي، يتعلّق موضوعها بأخذ الزينة للصلاة، فإنّنا نجد أنّه لم يأت مبتوتاً، بل متكاملًا مع غيره، أي أنّه مرتبط داخلياً على مستوى مادّة الفقه في حدّ ذاتها حيث نجد الآية قد تطرقت كذلك إلى تحريم الإسراف مثلاً، ومرتبطة بربط مادّة الفقه بغيرها من الموادّ الشرعيّة كأصول الفقه مثلاً، ثمّ إنّّه مرتبط خارجياً من خلال التكامل مع الطبّ مثلاً على ما يأتي بيانه، وإنّ فكرة تكامل المحاور تظهر بتلقائية شديدة في أعمال المفسّرين وشرّاح الحديث، كما تظهر في عموم دروس ومحاضرات التفسير والحديث، وهذا يؤكّد أصالة المبدأ.

ومن الموادّ الدراسيّة المذكورة في الآية عدا مادّة الفقه:

<sup>1</sup> النصوص المؤطرة في كتب العلوم الإسلامية في التعليم الثانوي الجزائري تُطلق على الآيات والأحاديث التي يتخذها الأستاذ محوراً في الحصّة، ينطلق منها ويرجع إليها وينتهي بها الدرس.



أولاً- مادّة أسباب النزول: ويتعلّق الأمر بما كان من طوافٍ بعضهم بالبيت عراة ونزول قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في ذلك<sup>(1)</sup>.

ثانياً- مادة العقيدة: ومّا ذكر منها في الآية لازم المحبة والكرهية المناسب اللائق بالله تعالى<sup>(2)</sup> ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

ثالثاً- مادّة أصول الفقه: ومّا جاء منها في الآية صيغ الأمر والنهي<sup>(3)</sup> ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

رابعاً- مادّة الأخلاق الإسلامية: حيث نعت الآية الكريمة عن الاتصاف بخلق الإسراف ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

خامساً- مادّة الحديث النبويّ: إذ لا غنى للمعلم عنها في تناول موضوعات القرآن الكريم، كالاستشهاد بقوله ﷺ: (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ مِنْ تُرْتِينِ لَهُ)<sup>(4)</sup>.

سادساً- مادة علم النفس: ومنها في الآية دوافع السلوك<sup>(5)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

سابعاً- مادّة الطبّ: وجاء منها الإرشاد إلى ترك الإكثار من الأكل<sup>(6)</sup> ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وهكذا نرى أنّ موضوع التزيّن للصلاة في موقف الآية التدريسي لا يتناول منفصلاً عن غيره من الموضوعات، وبافتراض أنّ الهدف السلوكي في مستوى الفهم هو: أن يفسّر المتعلّم الحكمة من الأمر بالتجمل عند الصلاة، فإنّ على المعلم -لكي يحقق التكامل- أن يراعي ما يأتي:

أ- أن يركّز على التزيّن للصلاة دون غيره باعتباره موضوع الحصّة الدراسية.

ب- أن يحيط بجميع أبعاد التكامل في النصّ المؤطر على أن يختار منه ما يسهم في إيضاح

التزيّن للصلاة أكثر من غيره، ومن ذلك في الآية سياقها الذي وردت فيه بأن يدرك ما يربطها بما

<sup>1</sup> أسباب نزول القرآن للواحدي، ص228.

<sup>2</sup> قال ابن عاشور: «وقد علم المسلمون أن المحبة والكرهية تستحيل حقيقتهما على الله تعالى، لأنهما انفعالان للنفس نحو استحسان الحسن، واستنكار القبيح، فالمراد لآزمهما المناسب للإلهية، وهما الرضا والغضب» التحرير والتنوير، 6/5.

<sup>3</sup> إرشاد الفحول للشوكاني، 453/1، 454.

<sup>4</sup> المعجم الأوسط للطبراني، 144/9 ر9368، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، 173/1 ر652.

<sup>5</sup> هي القوى الباعثة للنشاط عند الكائن الحيّ التي تبتدئ سلوكه وتوجّهه نحو الهدف، القرآن وعلم النفس لمحمد نجاتي، ص27.

<sup>6</sup> تفسير القرطبي، 192/7. وينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليوسف أحمد، ص703.

قبلها وبما بعدها، وعلاقتها بالسورة التي وردت فيها، ثم ربط الموضوع بما ورد في الآية من مواضيع منتمة لمواد أخرى شرعية وغير شرعية، مع الحرص على استغلال جميع ذلك في إيضاح وبسط الموضوع المقصود.

**ج-** أن يكون الهدف الخاص نُصب عيني المعلم والمتعلم، حيث يتناول المعلم الموضوع وأدلتته وما يربطه به لتحقيق تمكين المتعلم من تفسير حكمة الأمر بالتجمل عند الصلاة، فوضوح الهدف هو الذي يحول دون الخروج عن المقصود.

وأول أبعاد التكامل على الاطلاق هو ربط الآيات الكريمة المتناولة للتزین في الصلاة بما يشبهها في القرآن الكريم، كأن يتطرق المعلم إلى قوله سبحانه تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 28]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، وذلك « لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً »<sup>(1)</sup>.

**د-** في ربط المعلم لموضوع الحصة الدراسية داخلياً وخارجياً، يقدم ذكر سبب النزول للآية لتيسير فهمها وتسهيل حفظها وفهم حكمة التشريع فيها<sup>(2)</sup>.

**هـ-** في تطرقه إلى الأحكام المتعلقة بأخذ الزينة في الصلاة، يربط المعلم ذلك بمادة أصول الفقه، فيذكر شيئاً عن صيغ الأمر وقرائن دلالتها على الوجوب أو غيره، مع التطبيق على الموضوع الرئيس ليزداد وضوحاً.

**و-** لأنّ التزین والتجمل مظنة التكبر والخيلاء، فإنّه يمكن للمعلم أن يربط الموضوع بالأخلاق الإسلامية، فالله سبحانه وتعالى لا يحب الإسراف لأنه صفة للمترفين المغضوب عليه في الدنيا، المحرومين من النعيم يوم القيامة.

**ز-** إذا رغب في ربط الموضوع بمادة العقيدة الإسلامية أشار إلى جوهر الصلاة وحقيقتها، وقد قال رسول الله ﷺ (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى يُنَاجِي رَبَّهُ)<sup>(3)</sup>، فالمصلي عبد يقف بين يدي خالقه سبحانه وتعالى، « والعبد يناجي ربه فيستحب أن يتجمل له »<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> تفسير القاسمي، 487/6.

<sup>2</sup> المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه، ص 136، 141.

<sup>3</sup> رواه البخاري في باب: (المصلي يناجي ربه عز وجل)، 198/1، 508، صحيح مسلم، 390/1، 551.

<sup>4</sup> الذخيرة القرآني، 113/2.

ح- لربط الموضوع بالسنة مجال رحب، فيذكر من الأحاديث ما كان أقرب إلى الموضوع مع التركيز على ما يحقق الهدف الخاص، ذلك أن «منزلة السنة من القرآن أنها مبينة وشارحة له تفصل جملة، وتوضح مشكله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتبسط ما فيه من إيجاز»<sup>(1)</sup>.

ط- باعتبار اللغة العربية من علوم الشريعة الآلية، فإنه يمكن للمعلم أن يربط موضوع الفقه بها، كأن يشير إلى ما في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ من مجاز مرسل<sup>(2)</sup>.

ي- يمكن للمعلم أن يربط الموضوع ببعض العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يرشد إلى تجنب الإفراط في الأكل، لأن (في كثرة الأكل كظّ المعدة وبتن الثخمة، ويتولد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل... قال علماؤنا: لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة)<sup>(3)</sup>.

ل- في قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يمكن ربط الموضوع بعلم النفس لأن فيه إشارة ظاهرة إلى أنّ دوافع السلوك فطرة وغريزة في الإنسان<sup>(4)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ تكامل المواد الدراسية في السنة النبوية

سنذكر هنا نموذجاً واحداً نبين فيه قيام التدريس في مدرسة النبوة على هذا المبدأ.

قال رسول الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُذْيِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟<sup>(5)</sup>.

إذا اعتبرنا الحديث نصّاً مؤطراً لموضوع عدم قبول الصدقة من الكسب الحرام، فإننا نجد أنه جاء متكاملًا داخل مادة الفقه نفسها باعتبار أنه (لا يحلّ الانتفاع إلا بالطيب)<sup>(6)</sup>، وجاء متكاملًا

<sup>1</sup> دفاع عن السنة لمحمد أبو شهبه، ص 11.

<sup>2</sup> البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة، 279/2.

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 1923/7.

<sup>4</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلی مذكور، ص 89.

<sup>5</sup> صحيح مسلم، 703/2 ر 101.

<sup>6</sup> كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلی المنوفي، وبهامشه حاشية العدوي لعلی العدوي، 275/4.

مع موادّ أخرى نذكر منها: مثل مادّة العقيدة الذي تظهر في وحدة الرسالة السماويّة، ومرتبطة كذلك بالتركيّة حيث ذكر الرسول ﷺ شروط الدعاء المستجاب ومنها انتفاء «المانع من الاجابة من أكل الحرام...»<sup>(1)</sup>، كما يظهر التكامل واضحاً في ارتباط السنّة بالكتاب المجيد حيث استشهد الرسول ﷺ ببعض آياته.

**أولاً- مادّة التفسير:** حيث استشهد الرسول ﷺ بآتي البقرة والمؤمنون.

**ثانياً- مادّة العقيدة:** وجاء منها في الحديث تنزّه الله ﷻ عن النقص في ذاته وصفاته وأفعاله، ووحدة الرسالة السماويّة وذكر الرسل عليهم السلام.

**ثالثاً- مادّة التزيّة،** حيث ذكر الرسول ﷺ شرط الدعاء المستجاب.

**رابعاً- مادّة أصول الفقه:** حيث تناول الحديث الصيغ الدالة على التخيير أو الإباحة<sup>(2)</sup> في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، كما أنّ القول بعدم قبول الصدقة من الكسب غير المشروع إغلاق لباب الكسب الحرام وسدّ لذرائعه<sup>(3)</sup>.

**خامساً- مادّة البلاغة:** حيث تكرر أسلوب النداء.

وإذا افترضنا أنّ الهدف الخاصّ في مستوى التذكّر هو أن يعرف المتعلّم حكم التصدّق بالمال الحرام، فإنّ المعلّم يتناول عناصر الموضوع الفقهيّ رابطاً له بما جاء في النصّ المؤطرّ ومركّزاً على ما يساعده على تحقيق الهدف، ومما يساعد المعلّم على تحقيق فكرة التكامل ما يأتي:

**أ-** الحديث يرشد المعلّم إلى أهميّة ربط الموادّ بالقرآن الكريم، فتكون الحصّة نابضة بالحياة، لما لكتاب الله تعالى من وقع وأثر في النفوس.

**ب-** في الجانب الوجداني، يستغلّ المعلّم مكانة العقيدة في القلوب، فيربط تحريم الشريعة للخبائث بسيرة المرسلين الأطهار عليهم السلام.

**ج-** في أصول الفقه عونٌ للمعلّم على زيادة بسط الموضوع وربطه بالواقع المعاش، فالإسلام لا يبيح التعامل مع المؤسسات الربويّة حتى وإن كانت النية هي التصدّق بالفوائد سداً للذريعة.

<sup>1</sup> نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن وهف القحطاني، ص 169.

<sup>2</sup> الموافقات للشاطبي، 228/1.

<sup>3</sup> فتح المنعم للاشين، 367/4.

د- في مجال التزكية، فإنّ المعلّم يمكنه الكشف عن بعض حكم الإسلام من الخبائث،  
فالله تعالى لا يستجيب لدعاء المنتفعين بالمحرّمات، ولا يقبل صدقاتهم.  
هـ- وفي مادة البلاغة تكرر أسلوب النداء ثلاث مرّات لفتناً للانتباه، فليستغلّ المعلّم ذلك  
بربطه بالتأكيد على شناعة الانتفاع والتصّدق بالخبائث.

إنّ النصوص السابقة تؤكّد أصالة مبدأ التكامل بين الموادّ الدراسيّة، فهو يتفرّع عن نظرة  
الإسلام إلى الوجود على أنّه وحدة متكاملة ومتناسقة، وعن نظره إلى الإنسان على أنّه وحدة  
مترابطة رغم تعدّد قواه الجسميّة والروحيّة والعقليّة، ولقد تكرر غير مرّة أنّ غاية غايات التربيّة  
الإسلاميّة هي إيصال الإنسان إلى درجة كماله المعدّ لها، وهذا لا يتصوّر تحقيقه إلّا إذا اعتمدت  
وسائلها - ومنها التدريس - مبدأ التكامل.

### المطلب الثالث: مبدأ الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم

تربط الكثير من الدراسات التربويّة بين اعتماد مسلك الحفظ في التعليم وبين التدريس  
التقليديّ الذي ثبت فشله، كما يُنسب هذا إلى الإسلام بغير وجه حقّ، وسنعرض هنا حقيقة  
اعتماد التدريس في القرآن والسنة للجمع بين مسلكي الحفظ والفهم.

### الفرع الأوّل: المحتويات التعليميّة بين الحفظ والفهم

إنّ الحفظ معناه استظهار المحفوظ عن ظهر قلب، نصّاً ودون تغيير، حيث « يطلب المعلم من  
الطالب حفظ قصيدة أو سورة قرآنية أو موضوع معين إلى الحد الذي يمكنه من إعادة ذلك الموضوع  
أو القصيدة أو السورة القرآنية أمام المدرس بشكل مضبوط»<sup>(1)</sup>.

أمّا الفهم فيقصد به أن يدرك ويستوعب المتعلّمون ما يستقبلونه من معلومات، حيث لا  
يعتمد المتعلّمون «الطرائق القديمة في التدريس كالحفظ والتلقين والتسميع، وحشو أذهان التلاميذ  
بالمعلومات دون فهم، ويجعلونهم كالبيغاوات يرددون ما يسمعون وإذا سألتهم لا يجيبون»<sup>(2)</sup>.

أمّا مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم فالمقصود به أن يعمل المتعلّمون على الجمع بين حسنيّ  
هذين المسلكين في التعليم، أي تحقيق التكامل بين الحفظ والفهم في المقرّرات التي يعود استظهارها  
بالفائدة على حدوث التعلّم وترسيخه، لأنّه «إذا كان الحفظ ضرورياً في بعض المواقف التعليميّة

<sup>1</sup> المناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص 391.

<sup>2</sup> المناهج الدراسية الحديثة لفرج المبروك، ص 208، والتربية المعاصرة قضايا وحلول لخالد غنيم، ص 126.

وبعض أساسيات المعرفة فإن الحفظ هذا لا بد أن يقوم على الفهم، لأن حفظ المفهوم أيسر من حفظ المجهول وأبقى في الذهن، فالفهم يعين على الحفظ وإذا ما كان حفظ المادة مقروناً بفهمها فإن ثباتها في الذهن سيكون لمدة أطول مما كانت غير مفهومة، لأن الحفظ الذي لا يستند إلى الفهم يكون أكثر عرضة للنسيان»<sup>(1)</sup>، وهذه إحدى طريقتي الحفظ، أما الطريقة الثانية فهي أن يحفظ المتعلمون المحفوظات على أن يفهموا مضامينها مع مرور الوقت و بالتدرج.

وفي التربية المعاصرة تنحصر مفاهيم التعلم التي كان لها الأثر الكبير في التدريس وفي صياغة المناهج التعليمية فيما يأتي:

**المفهوم الأول- التعلم عملية حفظ وتذكر:** حيث يُنظر لعقل الإنسان هنا على أنه مخزن للمعلومات تُخزن فيه بواسطة الحفظ لتوظف وقت الحاجة، ولقد كان لهذا المفهوم أكبر الأثر في التخطيط للمناهج التعليمية حيث قُسمت المعارف إلى موادّ دراسية، وقُسمت الموادّ إلى موضوعات ليسهل تصنيفها واستظهارها.

**المفهوم الثاني- التعلم عملية تدريب للعقل:** فالعقل يُنظر إليه هنا باعتباره مقسماً على عدّة ملكات مثل ملكة التفكير وملكة التذكر وملكة التخيل، والتعلم ليس سوى نتيجة وثمرّة لتدريب هذه الملكات العقلية.

**المفهوم الثالث- التعلم عملية تعديل للسلوك:** أي أنّه تعيّر شبه دائم في سلوك الإنسان ويُستدلّ عليه من الآداء الذي يصدر عن الفرد، وينشأ هذا التغيّر والتعديل من الممارسة، والمقصود هنا -طبعاً- التغيّرات السلوكية الثابتة، أما التغيّرات المؤقتة فليست دليلاً على حدوث التعلم<sup>(2)</sup>.

هذا، وإنّ من أهمّ ما تتجه إليه الانتقادات التي تطال المناهج التعليمية التقليدية «حشو عقل الطالب بكمية كبيرة من المعلومات. والامتحانات التي تقيس بشكل كبير قوة الحفظ والذاكرة والتذكر لدى الطالب أكثر من قياس مهاراته وقدراته على التحليل والتركيب والتفسير والابداع»<sup>(3)</sup>. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحفظ لا يزال يحظى بالكثير من التقدير والاهتمام في التربية المعاصرة، وأنصاره يدعون الطلاب من جميع الأعمار إلى استظهار القصائد، ويعلّلون ذلك بأنّ

<sup>1</sup> المناهج الحديثة و طرائق التدريس لمحسن عطية، ص391.

<sup>2</sup> فلسفة التربية الاسلامية للشيباني، ص436، ونظريات التعلم والعمليات العقلية، للربيعي والشمري، ص5.

<sup>3</sup> تطوير المدرسة لمدحت أبو النصر، ص101.

الحفظ يحسّن المفردات، وينمّي الكلمات الوصفية التي قد تُوظّف في الحياة، لأنّه إذا قرأ شخص كلمة في رواية، فإنّه قد يتذكّرها أو لا يتذكّرها لاستخدامها لاحقاً، لكن عندما يودّعها ذاكرته في سياقها الصحيح فإنّه من الأرجح أن تكون جاهزة لديه لاستعمالها في التحدّث أو الكتابة، والحفظ زيادة على ذلك يبني وينمّي القدرة على بناء الجملة الإنكليزية المعقّدة، وييسّر استيعاب أنماطها الإيقاعية الجميلة، وأخيراً فإنّ عرض المحفوظات بصوت عالٍ يعلم التحدّث، وينمّي التعبير والطلاقة والمهارات التي يحتاجها لإجراء مقابلات العمل، وبالجملة فإنّ الحفظ وقراءة المحفوظات يعلم المتعلّم «الوقوف صامداً بدون اهتزاز أو قضم للأظافر أو فرك للأنف أو تدوير للشعر»<sup>(1)</sup>.

وتذكر يانا وينستين في مقالها (الحفظ مقابل الفهم) أنّ تقنيات التدريس في هونغ كونغ واليابان والصين تعتمد دمج حفظ المعلومة بفهمها، أي أنّهما يتمّان في وقت واحد، وأنّ هناك طريقة أخرى تتمثّل في حفظ للمعلومات على أن تُفهم لاحقاً أكثر فأكثر، وتشير إلى النقاش الكبير حول ما إذا كان ينبغي للأطفال أن يحفظوا جداول الضرب عن ظهر قلب أم لا، لكنّ الراضين لطريقة الحفظ «عندما يقولون إنهم يريدون أن يتعلّم المتعلّمون من خلال الفهم بدل الحفظ، عندما أسمع ذلك، كثيراً ما أفاجأ، لأنّني أفهم ذلك على أنه إنكار لأهمية الذاكرة، في حين أنه ليس هناك أي طريقة أخرى—فيما أعتقد— لإحداث التعلّم سوى الترميز والاستعادة من الذاكرة»<sup>(2)</sup>.

وإذن، فالموقف العنيف ضد الحفظ عن ظهر قلب ليس محل اتفاق في التربية الغربية، إذ أنّ أقلّ ما يقال هنا إنّ الحفظ كمسلك تعليمي فيه اختلاف بين الاتجاهات التربوية المعاصرة، ومن المثير للدهشة والحيرة أن تقتصر بعض المصادر التربوية العربية على ذكر رأي الاتجاه الراض لهذا المسلك دون الإشارة—ولو من بعيد— إلى رأي المؤيدين والمدافعين عنه، أي أنّها تعرض القضية على أنّها من

---

<sup>1</sup> تحفيظ الشعر: الأساليب والموارد لسوزان وايز بوير

<https://welltrainedmind.com/a/poetry-memorization-methods-and-resources/?v=fa3c7f2b5dae> , بتاريخ 10.102019

وهي كاتبة ومؤرّخة، من مواليد 1968 بفرجينيا (و.م.أ)، من المدافعين عن مسلك الحفظ، موقعها على الانترنت: susanwisebauer.com و Facebook @Susan.Wise.Bauer

<sup>2</sup> Yana Weinstein , Memorizing versus Understanding. <https://www.learningscientists.org/blog/2018/2/16-1>

المسلّمات في التربيّة المعاصرة (1).

وقد ادّعى بعض الباحثين «أنّ المسلمين كانوا يعنون بحفظ المادة ويهملون فهمها»<sup>(2)</sup>، والحقيقة أنّ للتربية الإسلاميّة الأصيلّة مسلكها الخاصّ في اعتمادها لطريقة الحفظ، فالقرآن الكريم وأصول اللغة كانا من الموادّ الأساسيّة التي يبدأ المتعلّم بحفظهما، ولا ينظر المتعلّمون إلى غيرهما حتى يفرغوا منهما، غير أنّه كما يقول الأبراشي: «مع عناية علماء الإسلام بالحفظ والذاكرة لم يهملوا مطلقا العناية بالتفكير فيما يُحفظ وشرحه وتحليله وفهمه حقّ الفهم، فقد جعلوا الحفظ وسيلة لا غاية لقلّة من يجيد القراءة والكتابة في بدء الإسلام»<sup>(3)</sup>.

وكلام الأبراشي في شرح وبيان موقف التربيّة الإسلاميّة من مسألة استظهار العلوم في غاية الأهمية، غير أنّ وصفه لحفظ القرآن الكريم بأنّه وسيلة لا يصحّ، وذلك لأنّه هدف من أهداف التربيّة الإسلاميّة بلا ريب، وعلى هذا تُحمل النصوص الكثيرة الواردة في حفظ القرآن الكريم وتحفيظه، وأمّا ما يعود على حافظه من فوائد مثل الثروة اللغوية وفصاحة اللسان والطلاقة ونموّ الذكاء وغير ذلك فهي من آثار ونتائج الحفظ ولا يُقال إنّها المقصود للشرع بالأمر بحفظ كتاب الله تعالى، كما أنّ تفسيره لاعتماد علماء الإسلام لطريقة الحفظ بقلّة من يجيد القراءة والكتابة في بدء الإسلام محلّ نظر كذلك، إذ الثابت - كما ذكر هو ذاته - استمرار اعتماد هذه الطريقة حتى بعد انتشار القراءة والكتابة، بل مازالت الأسر ترسل أبناءها إلى الكتاتيب تحضيراً لدخولهم المدرسة.

والمقصود أنّ مسلك الحفظ - المستمدّ من القرآن والسنة - ليس وسيلةً يُلجأ إليها وقت الحاجة، بل هو مبدأ من مبادئ التدريس، «فالتربية الاسلاميّة إذا كانت تهتمّ بالحفظ في العلوم

---

<sup>1</sup> وقد تبالغ دراسات أخرى فلا تذكر للحفظ إلا جانبه المظلم فتربطه بممارسات السلطات القمعية وأساليبها التي تستخدمها في الضبط الاجتماعي «التي تقوم على السيطرة على الأطفال عن طريق التلقين وحشو الذاكرة بالمعلومات الكمية وليس النوعية التي تجعل التلاميذ يأخذون المعلومات كمسلمات دون فهم أو نقد، والتلقين هو أسلوب من أساليب السيطرة على أذهان التلاميذ التي تجبر الطلاب على التسليم والعجز والخضوع» سوسيولوجيا العنف والإرهاب لإبراهيم الحيدري، <https://books.google.dz>، التاريخ 15.10.2019، وينظر: المناهج الدراسية الحديثة أسسها وتطبيقاتها لفرج المبروك، ص208، والتربية المعاصرة قضايا وحلول لخالد غنيم، ص126، تطوير المدرسة لمدحت أبو النصر، ص101، ونحن لا ننكر دور حشو الذاكرة في تمكّن الاستبداد وتراجع الحرّيّات، لكنّ الاقتصار على سلبّيّاته وعدم الإشارة إلى تنوع المذاهب فيه وعرضه على أنّه عائق أمام الإبداع والابتكار يثير الدهشة والارتباب.

<sup>2</sup> فلسفة التربية الاسلاميّة للشيباني، ص425.

<sup>3</sup> التربية الاسلاميّة وفلاسفتها لعطية الأبراشي، 207-209.



الشرعية واللغوية والأدبية لارتباطها بالرواية والنقل، فإنها لم تحمل الفهم والتفكير... وقد وجد المرثون المسلمون سندهم في تأكيد هذه المبادئ أو العوامل كلها في نصوص دينهم من الكتاب والسنة»<sup>(1)</sup>.

وقد ورد النصّ على هذا المبدأ في القانون الداخلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فجاء في «المادة: 77: تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدرّج في أهم مراكز القطر، ويحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي والنحو والصرف وحفظ القرآن مع تفهيم مفرداته...»<sup>(2)</sup>.

إنّه لا بدّ من إعادة النظر فيما يُنشر هنا وهناك من انتقاص وازدراء لطريقة الحفظ، واعتبارها مرادفةً لعبارة منقّرة مثل التلقين والحشو، وربطها بالممارسات التقليديّة البالية، وترديد البعض لذلك دون تبيّن لما يردّدون، ومّا يؤكّد ذلك:

**أولاً-** أنّ النظر إلى الحفظ على أنّه مقابل للفهم يقوم على أساس افتراض التضادّ بينهما وهذا غير صحيح، لأنّهما طريقتان متكاملتان، ولا يصحّ ازدراء الحفظ ولا الدعوة إلى نبذه بناءً على بعض الممارسات التربويّة الخاطئة.

**ثانياً-** أنّ النظر في سيرة أفذاذ وعباقره علماء المسلمين المشهورين بالحفظ في جميع المجالات يهدم دعوى أنّه يُضعف القدرات العقليّة.

**ثالثاً-** أنّ الدعوة إلى طرح ونبد طريقة الحفظ منافٍ لمبادئ التربيّة المعاصرة ذاتها، ذلك أنّ التدريس وفق الذكاءات المتعدّدة وبمراعاة الفروق الفرديّة يقتضي إتاحة فرصة التعلّم للجميع، بمن فيهم أصحاب الذكاء اللغوي الموصوفين بالقدرة على تذكّر المعلومات وقوّة الحفظ وإدراك معاني وتضمينات الكلمات، أمّا حصر المتعلّمين في طريقة واحدة دون مراعاة لما بينهم من فروق فهو هضم لحقّهم.

**رابعاً-** أنّ الحفظ وسيلة لتنميّة القدرات العقليّة والتفكير، وذلك لما للثروة اللغويّة من علاقة وطيدة بالنموّ العقلي، فعلماء النفس والتربيّة يرون أنّ النموّ العقليّ للإنسان مرتبط بنموّ اللغوي، وأنّه كلّما اتّسعت وتطوّرت لغته ارتقت قدراته العقليّة، فينمو ذكاؤه ويقوى تفكيره<sup>(3)</sup>. والمقصود أنّ الحفظ من أهمّ مسالك التعليم الأصيلة عند المسلمين، والرسول ﷺ قد أمر بحفظ

<sup>1</sup> فلسفة التربية الإسلامية للشيباني ص 424، 451.

<sup>2</sup> آثار الإمام الإبراهيمي لطالب الإبراهيمي، ص 88/1.

<sup>3</sup> الملكة الفقهية لعبد الله القاضي، ص 422-445، الذكاء والذكاءات المتعددة لوليد العيد، ص 191، وفاعلية برنامج مقترح

في تنمية المهارات المعرفية لدى طفل عمره سنتين لعقيلة عيسو، ص 42.

كتاب الله المجيد والإكثار من تلاوته كي لا يتفلت من صاحبه، كما أمر بحفظ سنته ﷺ وأدائها، واتبع المسلمون هذا المسلك التعليمي، فزيادة على حفظ القرآن والحديث فقد حفظوا العلوم التي استنبطت منهما والعلوم التي أعانت على فهمهما<sup>(1)</sup>، ونظرا لما للاستظهار من أثر كبير في تحقيق ذلك فقد «احترم الربون المسلمون الذاكرة القوية واعتبروا تنمية القوة الحافظة هدفا للتربية الاسلامية»<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم في القرآن الكريم

نذكر هنا بعض الأدلة من القرآن الكريم التي تثبت قيام التدريس فيه على هذا المبدأ.

أولاً- قال الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114].

وقال تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)﴾ [القيامة].

كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل عليه السلام بالوحي قرأ معه وتابع في القراءة لحرصه ﷺ على حفظه وعدم نسيانه، ولما كان نطق اللسان بالقراءة يضعف عمل القلب بالوعي والحفظ نهي الله سبحانه رسوله ﷺ عن أن يعجل بقراءة القرآن حينئذ<sup>(3)</sup>.

والمعنى «﴿لَا تُحْرِكْ﴾ يا محمد، ﴿بِهِ﴾ بالقرآن. ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل أن يتم وحيه. ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ بلسان جبريل عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بيان ما أشكل عليك من معانيه»<sup>(4)</sup>.

فظاهر الآيات الكريمة أنّ الرسول ﷺ كان يتابع جبريل عليه السلام فيما يقرأ من القرآن حرصاً منه على ألا يتفلت منه وذلك لكمال اعتنائه باستظهار الكتاب المجيد، وذلك أمر محمود في ذاته «وعطف جملة ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ يشير إلى أن المنهي عنه استعجال مخصوص وأن

<sup>1</sup> الملكة الفقهية: لعبد الله القاضي، ص 439.

<sup>2</sup> فلسفة التربية الاسلامية للشيباني، ص 423.

<sup>3</sup> تفسير ابن باديس، ص 343.

<sup>4</sup> تفسير البيضاوي، 266/5.

الباعث على الاستعجال محمود...إيماء إلى أن رغبته في التعجل رغبة صالحة»<sup>(1)</sup>، فالحفظ - في الإسلام - في حد ذاته مطلوب ومحمود.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فهو الإشارة البينة أن الحفظ الشرعي لا يتحقق إلا بجمع ما بين إدراك وفهم معاني المحفوظ وبين استظهار ألفاظه، ذلك أن معناه: زدني يا رب علماً «بالقرآن ومعانيه»<sup>(2)</sup>، وزدني «فهما ومعرفة»<sup>(3)</sup>، وبالجملة فالعلاقة بين حفظ القرآن وزيادة العلم والفهم علاقة مطّردة «لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علماً به»<sup>(4)</sup>.

ومعنى قوله سبحانه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ «أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه»<sup>(5)</sup>، فهو ضمان لتعليم النبي ﷺ معاني ما يحفظه من القرآن الكريم، ذلك أن الله سبحانه وتعالى: «تكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه...﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا»<sup>(6)</sup>.

إن الآيات الكريمة - كما نرى - نصّ في بيان موقف الإسلام من قضية الحفظ والفهم، فالرسول ﷺ لم يحفظ القرآن الكريم إلا وقد تبين معانيه ومقاصده.

ثانياً - قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا

الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]

إن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ يعني: القرآن، ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر، ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه. وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم، وهم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به، يحفظونه ويقروونه. ووصفهم بالعلم، لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور، 245/5

<sup>2</sup> تفسير النسفي، 385/2.

<sup>3</sup> التفسير المنير للزحيلي، 649/8.

<sup>4</sup> تفسير الماوردي، 429/3.

<sup>5</sup> تفسير أبي السعود، 67/9.

<sup>6</sup> تفسير ابن كثير، 278/8.

<sup>7</sup> تفسير القرطبي، 354/13.

ووجه الاستدلال بالآية على أهمية الحفظ أنّ فيها تشريفاً عظيماً من الله تعالى لمن استقرّ كتابه المجيد في صدره بأن يسرّ له حفظه واستظهاره عن ظهر قلب، فهو من أسباب حفظ الله ﷻ لكلامه العزيز، أمّا وجه دلالة الآية على أهمية الفهم فهو أنّها وصفت من استقرّ الكتاب المجيد في صدره بأنهم ﴿أَوْثُوا الْعِلْمَ﴾، فحافظ القرآن على الوجه الشرعيّ للحفظ لا يكون إلاّ من أهل العلم والفهم، ثمّ إنّ الذي استقرّ في صدور أصحاب القرآن هو ﴿آيَاتُ بَيِّنَاتٍ﴾ قال ابن كثير<sup>(1)</sup>: «أي: واضحة في الدلالة على الحق، أمراً ونهياً وخبراً»<sup>(2)</sup>، ومعنى هذا أنّ معاني ومقاصد الكتاب المجيد واضحة في أذهان من يستظهرونه، فهم يستظهرون ألفاظه ويفهمون معانيه.

**ثالثاً- قال الله عزّ وجلّ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**

[ص:29]

إنّ الله تعالى أنزل كتابه المجيد على الناس ليتدبّروا ويتفكّروا في أسراره ومعانيه اللطيفة، وليتعظ ذوو العقول والبصائر، وفي الآية دليل على وجوب معرفة معاني كتاب الله<sup>(3)</sup>. ولا شك أنّ أصحاب القرآن الذين يحفظونه هم أوّل المعنّيين بذلك، فالحفظ في القرآن الكريم لا يتصوّر بدون إدراك معاني المحفوظات.

ويربط ابن باديس بين تدبّر وفهم القرآن وبين تحصيل علومه والانتفاع بخيراته الجمّة فيقول في تفسير الآية الكريمة « فعلينا أن نحضر قلوبنا عند سماعها، ونستعمل عقولنا في فهمها، ونحمل أنفسنا على الاتعاظ بها، فإذا صدقت النية وأخلص التوجه فتح على العبد من وجوه العلم والعمل- بإذن الله- بما لم يكن له في بال. وإن الله وصف هذا الكتاب بأنه مبارك، لزيادة خيراته وتيسيره للذاكرين- ترغيباً لنا في فهمه وتدبره، واستنزال الخيرات واستزادة البركات منه. فأقبل- يا أخي- على القرآن: على استماعه وعلى تفهمه، والزم ذلك حتى يصير عادة لك ومملكة فيك»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> هو إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصري الشيخ عماد الدين (700هـ - 774 هـ)، نشأ بدمشق، وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الأمدي وابن عساكر وابن الرضي وطائفة، وأجاز له من مصر الدبوسي والوائي والختني لازم المزي وأخذ عن ابن تيمية، من كتبه تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية وطبقات الشافعية واختصار علوم الحديث، أضر في أواخر عمره. : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، 373/4-375، والأعلام لخير الدين الزركلي، 320/1.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 286/6.

<sup>3</sup> تفسير القرطبي 192/15، وتفسير الخازن 40/4.

<sup>4</sup> تفسير ابن باديس، ص 235.

رابعاً- قال الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 68].

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَاهُ﴾ [محمد: 24].

إن الآيات إنكار واستقبح لعدم تدبرهم لآيات القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما جاء فيه من موجبات الإيمان<sup>(1)</sup>، فالآيات تستقبح عدم تصوّر معاني القرآن وإدراكها، ولا شك أنّ الذين يستظهرونه عن ظهر قلب دون فهم معانيه أولى بذلك الإنكار.

خامساً- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ

انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 127]

إن الآية الكريمة إخبار عن المنافقين أنّهم إذا أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ سورة تلقّتها ثم تولّوا وانصرفوا عن الحقّ، وذلك عقاب لهم بسبب أنّهم لا يفهمون الدلائل، أي لا يتطلّبون الهدى بالتدبر والتأمل فيفهموا<sup>(2)</sup>، فالآية تربط بين ضلال المنافقين وبين كونهم «لا يفهمون عن الله خطابه»<sup>(3)</sup>، ومعنى هذا أنّ القرآن الكريم لا يهتدي به إلا من يدرك ويستوعب معانيه ويفهمها، وهذه دعوة صريحة للفقهاء والفهم والادراك لكتاب الله المجيد المطلوب حفظه.

ومن الآيات التي ورد فيها الحضّ على الفهم قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَنَكُمْ شَيْعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِينِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

وبالجملة فإنّ لفظة الفقه ذُكرت في القرآن الكريم «حوالي عشرين مرة، وأكثرها في الفعل المضارع بمعنى الفهم، لا شيء غيره، ونصل من الفهم إلى أدقه وهو فهم القلب وسيلة التعقل في الاستعمال القرآني، فالفقه حتى أواخر عصر النبوة هو: الفهم الفطن الحاذق»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> تفسير المسعودي 207/2.

<sup>2</sup> تفسير ابن عاشور، 69/11.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير، 241/4.

<sup>4</sup> إشكالية التعامل مع السنة النبوية لطفه جابر العلواني، ص 119، ومختصر المفاهيم المفتاحية لعبد الكريم بليل، ص 112.

إنَّ «سر القرآن ليس في هذا الحفظ الجاف الذي نحفظه، ولا في هذه التلاوة الشلاء التي نتلوها، وليس من المقاصد التي أنزل لتحقيقها تلاوته على الأموات، ولا اتخاذه مكسبة، والاستشفاء به من الأمراض الجسمانية. وإنما السر كل السر في تدبره وفهمه، وفي اتباعه والتخلق بأخلاقه. ومن آياته ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29] ومن آياته ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 3] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155] ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153]»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: مبدأ الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم في السنة النبوية:

نذكر هنا بعض الأحاديث التي تثبت قيام التدريس في مدرسة النبوة على هذا المبدأ. أولاً- قال النبي ﷺ: (نَصَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَفَقِهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَفَقِهٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ)<sup>(2)</sup>.

يشير الحديث إلى فضل حفظ أحاديث الرسول ﷺ وتبليغها، فهو يدعو لمن فعل ذلك بالبهجة والسرور والمنزلة بين الناس والنعيم في الآخرة، فرب حامل فقه آداه إلى من هو أفقه منه، فيكون المبلِّغ المنقول إليه أضبط وأفهم وأتقن للحديث ممن سمعه وبلَّغه<sup>(3)</sup>.

والدعاء بنضارة الوجه يشير إلى فضل من حفظ الأحاديث ليبلِّغها وإن لم يفهم معانيها، غير أنَّ الحديث بتناوله لاحتمال أن يكون المستمع أفقه من الناقل فإنه يشير إلى « وجوب التفقه والحث على استنباط معاني الحديث واستخراج المكنون من سره »<sup>(4)</sup>، فالمسلك المثالي - في الحديث - هو الجمع بين حفظ السنة وفهمها.

ثانياً- قال الرسول ﷺ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قِيلَتِ الْمَاءُ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءُ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِثْمًا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ

<sup>1</sup> آثار الإمام الإبراهيمي لطالب الإبراهيمي، ص 160/1.

<sup>2</sup> رواه أبو داود، 501/5 ر 3660، قال محققه الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، سنن الترمذي، 34/5، ر 2657، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 61/3 ر 2658، وفي رواية ابن ماجه عن أنس: « نَصَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَاهَا » سنن ابن ماجه، 159/1، ر 236.

<sup>3</sup> شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 683/2، مرقاة المفاتيح للقاري، 444/1.

<sup>4</sup> معالم السنن للخطابي 187/4.

ماءٌ وَلَا تُنْبِتُ كَأَنَّ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ<sup>(1)</sup>.

يشبه الحديث مَنْ بلغهم ما جاء به الرسول ﷺ من العلم والدين بالأرض المتنوعة، فمنهم العالم الفقيه العامل المعلم لغيره فهذا مثل الأرض الطيبة التي انتفعت بالغيث ونفعت به الناس والحيوان، ومنهم الجامع الحافظ للعلم، دون أن يتفقه فيه، وإن كان قد نقله إلى غيره كما سمعه، فهذا مثل الأرض الصلبة التي استقر فيها الماء فانتفع به الناس، ومنهم من بلغه الشرع فلم يؤمن، ولم يقبل، فهذا مثل السبخة التي لا تقبل الماء في نفسها وتفسده على غيرها، فلا يحصل منها إنبات ولا نفع، فالنوع الثاني من الأرض لا يقبل الانتفاع في نفسه لكنه يمسك الماء فينتفع به الناس والدواب، وكذلك النوع الثاني من الناس، قلوبهم حافظة لكنهم لا يملكون أفهام ثاقبة، وليس لهم رسوخ في العقل يستنبطون به الأحكام والمعاني، وهذا الصنف هو الذي قال فيه الرسول ﷺ (نضّر الله امرأً)<sup>(2)</sup>، فمن يحفظ السنّة ويبلغها مأجور بلا ريب، لكن الحافظ الفاهم أفضل.

إنّ مجموع ما ذكر من نصوص يدلّ على فضل الحفظ في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، كما يدلّ على أنّ هذا الفضل لا يكتمل إلا بجمع الفهم إلى ما حفظ، فيتعيّن التكامل بينهما، ذلك أنّ مثل من استغرق وقته في تكرير ما في ذاكرته كمثل الأرض التي جمعت الماء لغيرها ولم تنتفع به، ولا ريب أنّ ذلك غير مؤهل للقيام بحقّ العبادة وعمارة الأرض، فلا بدّ من الفهم الثاقب إلى جانب القوة الحافظة.

**ثالثاً-** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ)<sup>(3)</sup>.

وعن أبي عبد الرحمن قال: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرَأُ مِنَّا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ الْعِلْمِ

<sup>1</sup> صحيح البخاري واللفظ له، 42/1 ر 79، وصحيح مسلم، 4/1787، 2282.

<sup>2</sup> المفهم للقرطبي، 6/83، شرح مسلم للنووي، 15/48.

<sup>3</sup> تفسير الطبري بتحقيق شاکر، قال: «هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير». 80/1.

وَالْعَمَلُ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ<sup>1</sup>، والمعنى أنهم لا ينتقلون إلى العشر التالية حتى يتعلموا أحكامها ومعانيها ويعملوا بها<sup>(2)</sup>.

إن ابن مسعود رضي الله عنه يذكر منهج الرسول ﷺ في تحفيظ القرآن الكريم للصحابة رضي الله عنهم، حيث كان ﷺ يعلمهم عشر آيات وبعد حفظها وفهم معانيها ينتقل إلى عشر آيات أخرى، «واستمر المسلمون في اعتماد هذه الطريقة على الرغم من انتشار الكتابة فيما بعد. فكانوا لا يترددون في أن يكتبوا كل ما يسمعونه أو يحفظوا ما يكتبونه لينفعوا وينفعوا (هكذا) ومعلوم أن الانتفاع لا يتم إلا بعد الفهم، والفهم يحتاج إلى شيء من الحفظ»<sup>(3)</sup>.

والتابعي أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه يذكر طريقة تحفيظ الصحابة القرآن للتابعين رضي الله عنهم أجمعين، وهي نفس الطريقة التي حفظوه بها على يدي الرسول ﷺ، وقد قالوا: «أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر»<sup>(4)</sup>.

وهذا يدل على أن «في المصادر الإسلامية التاريخية إشارات على أن المشتغلين بالتعليم في القرون الأولى، انتبهوا للقدرات العقلية واشتغلوا بتصنيفها. وأولى الإشارات المباشرة هي تصنيف سفيان الثوري... وتابعه في التصنيف تلميذه المباشر عبد الله بن المبارك»<sup>(5)</sup>، ويدل كذلك على تسلسل مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم من عصر النبوة إلى القرون المتتالية.

والمقصود أن هذا المسلك من المسالك التعليمية الأصيلة في الإسلام، فقد جاء عنه ﷺ الأمر بحفظ كتاب الله وتعاهد حفظه، والأمر بحفظ سنته ﷺ وأدائها كما هي، ثم اتبعت الأمة هذا المسلك، فعُتوا بحفظ القرآن والسنة، ثم انتقلوا إلى حفظ ما استنبط منهما من علوم أو كان معيناً على فهمهما من لغة العرب، وتواترت وصايا العلماء للمتعلّمين مؤكدةً مكانة الحفظ ودوره في إتقان العلم، وكتب التراجم وأداب طلب العلم ملأى بذلك<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> مسند أحمد، 23482، 466/38، قال الأرنبوط: «إسناده حسن... أبو عبد الرحمن: هو السلمي، واسمه عبد الله بن

حبيب، من كبار التابعين»

<sup>2</sup> الفتح الرباني لأحمد البنا، 9/18

<sup>3</sup> التربية المستمرة وتعليم الكبار لأيوب دخل الله، ص 85.

<sup>4</sup> جامع بيان العلم 476/1 ر 758.

<sup>5</sup> أهداف التربية الإسلامية للكيلاني، ص 86.

<sup>6</sup> الملكة الفقهية لعبد الله القاضي، ص 439.



وقد كان هذا المبدأ واضحاً تمام الوضوح عند ابن باديس، يقول في شرح حديث (حَيَّرَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(1)</sup>: «والحديث صريح في فضل من جمع بين تعلم القرآن وتعليمه لغيره وأنه خير من غيره، وإنما ثبتت له هذه المزية لأن المراد من متعلمه من حفظه وفهمه وعمل به والمراد من معلمه من يلقنه غيره ويفسره له ويرشده إلى العمل به»<sup>(2)</sup>، فتعليم وتعلم القرآن الكريم لا يتحقق إلا بالجمع بين مسلكي الحفظ والفهم، وهو ما يُتَوَقَّع معه الوصول إلى مقام العمل بأحكامه.

إنّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي سبق عرضها تؤكد على أنّ مبدأ الجمع بين الحفظ والفهم مبدأ إسلامي أصيل، وأنّ التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية يتخذ موقفاً وسطاً بين التقليديين الذين يعملون على حشو ذهن المتعلمين بالمعارف ليتذكروها ويستظهِروها في الامتحانات ووقت الحاجة، وبين خصومهم الذين يرفضون الحفظ والاستظهار مبدئياً غير آبهين بفوائده الجمة.

وبالجمله، فقد ظهر لنا في هذا الفصل أنّ للأهداف التربوية والمحتويات التعليمية أصول تقوم عليها، وأتّهما قد اشتركا في مبدأ الشمول والتوازن الذي يحقّق ما يسعى الإسلام إليه من تربية شاملة ومتوازنة لتمكينه من تحقيق عبادة الله تعالى والخلافة في الأرض، ومبدأ المرونة الذي يضمن مواكبة التدريس للتقدّم البشري، ومبدأ تعليم التفكير وتنمية مهاراته لتهيئة الإنسان العابد لمواجهة مشكلات الحياة وحلّها.

وفيما تعلق بمبادئ الأهداف خاصّة، فالتدريس في القرآن والسنة يسعى إلى تحقيق غايات التربية التي تسعى بدورها إلى تحقيق غايات الإسلام، وهي أهداف ممكنة التحقيق لأنّها متناغمة مع ما جُبل عليه المتعلم، ولأنّها تنطلق من واقع الإنسان كما هو عليه إلى تهيئته لتحقيق غاية وجوده، كما أنّها تعكس - في وضوحها - وضوح الإسلام في أصوله ومصادره وغاياته ووسائله.

أمّا فيما تعلق بمبادئ المحتويات خاصّة، فقد ظهرت خدمتها لغاية الإسلام العظمى، إذ أنّ اعتماد نظام التكامل في المناهج التعليمية هو أفضل ما يلائم نظرة الإسلام إلى الوجود وأنّه وحدة متكاملة ومتناسقة، ونظرته إلى الإنسان وأنّه وحدة مترابطة رغم تعدّد قواه الجسميّة والروحيّة والعقليّة، بالإضافة إلى مبدأ تعليم المفاهيم لتنظيم الكمّ الهائل من المعارف وتسهيل الإحاطة بها، وأخيراً فإنّ التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية - بقيامه على الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم -

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 1919/4 ر 4739.

<sup>2</sup> مجالس التذكير لابن باديس، ص 203.

قد اتخذ موقفاً وسطاً بين التقليديين الذين يعملون على حشو ذهن المتعلمين بالمعارف واستظهارها وقت الحاجة وبين خصومهم الذين يرفضون الحفظ غير آبهين بفوائده الجمّة، وذلك من أجل السعي إلى التهيئة المثاليّة للفرد العابد.

الباب الثاني: مبادئ التدريس المتعلّقة بالأداء التدريسيّ في درس  
القرآن والسنة العقديّ

## الفصل الأول: مبادئ التدريس المتعلقة بالأداء التدريسي في درس

### القرآن والسنة العقدي

لطرائق التدريس وأساليبه ووسائله أهمية كبيرة في العملية التربوية، إذ بها ينفذ الدرس، وبقدر تمكن المعلمين منها يكون التحصيل الدراسي للمتعلمين.

وقد حظي الأداء التدريسي باهتمام الباحثين، وهذا يشير إلى أهمية هذا المكون من ناحية، لكنّه يشير - من ناحية أخرى - إلى كمّ انشغالات وقلق المجتمع المدرسي عندما يصيب الخلل هذا العنصر الرئيس من عناصر المنهج، وما يتركه من آثار بالغة السوء على مخرجات العملية التعليمية التعلّمية، وهو أحد عوامل إحساس الباحث بمشكلة الدراسة.

وهذا الفصل يتناول الأصول والقواعد التي يقوم عليها الأداء التدريسي، لأنّه إذا كان تنفيذ الدرس يتوقّف بنسبة كبيرة على الطريقة والأسلوب والوسيلة، فإنّ هذه الثلاث تتوقّف - بدورها - على مدى قيامها على مبادئها وأسسها، ولا يمكن تصوّر نجاح معلّم في مهنته إذا لم يقدّم أداءه على أصوله وقواعده.

ويكشف تتبع المواقف التعليمية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية أنّ الأداءات فيها قائمة على أسس محدّدة، تتناسب مع أهدافها التعليمية ومحتوياتها الدراسية، وهي التي سنتطرّق إليها في هذا الفصل متمثلة في المبادئ المتعلقة بالإجراءات التي يساعد بها المعلّم المتعلّمين على الوصول إلى الأهداف المسطّرة، والمبادئ المتعلقة بنمط كلّ معلّم في تنفيذه للدرس، وأخيرا المبادئ التي تخصّ الوسائل التعليمية.

## المبحث الأول: المبادئ المتعلقة بطرائق التدريس في درس القرآن والسنة العقديّ

لطرائق التدريس مبادئ إذا نفذ المعلّمون دروسهم على أساسها قويت احتمالات نجاحهم فيها، فهي التي توجّه أداءهم في المواقف التعليميّة، وتيسّر اتّخاذهم للقرارات الصحيحة والمناسبة فيها، وقد يستظهر المعلّم جميع طرائق التدريس، قديمها وحديثها، غير أنّ ذلك لا يشفع له إذا أهمل ما تقوم عليه من أصول وقواعد، ولم يبال بما يكملها من أسس ترتكز عليها باقي عناصر المنهج التعليميّ.

وإنّ طرائق التدريس في القرآن الكريم والسنة النبويّة هي مرآة عاكسة لأهدافهما التعليميّة ومحتوياتهما الدراسيّة، وذلك لأنّها قائمة على أسس وقواعد تظهر بوضوح تامّ في مواقفهما التدريسيّة، فمضامين العقيدة الإسلاميّة - على سبيل المثال لا الحصر - لم تُعرض فيهما إلّا بالطريقة التي تثير تفكير المتعلّمين وتستدعي إيجابيّتهم وفاعليّتهم، ذلك أنّه القناعات والاتّجاهات والميول - في الاسلام - يستحيل عرضها بالتلقين والحشو.

وهذا المبحث يتناول مبادئ طرائق التدريس المستنبطة من الكتاب والسنة، فهي فيهما تقوم على إثارة تفكير المتعلّمين بدل التلقين، والتنويع بدل اعتماد الطريقة الواحدة، وتعزيز إحداث التعلّم بالممارسة العمليّة بدل إرهاق المتعلّم بالدروس النظرية، ثمّ مراعاة الأسس والقواعد التي تقوم عليها هذه الطرائق.

## المطلب الأول: مدخل إلى طرائق التدريس

تتطرق في هذا المدخل الى عرض ما له علاقة مباشرة بالمبادئ التدريسية الخاصة بطرائق التدريس مثل تعريفها وتصنيفها وأنواعها ومعايير اختيارها وعلاقتها بمكونات المنهج.

### الفرع الأول: تعريف طرائق التدريس.

#### أولاً: تعريف الطرائق لغةً:

وقال ابن منظور «والطريق: ما بين السكّنين من النّحل... والطريقة: السيرة. وطريقة الرجل: مذهبه. يقال: ما زال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة. وفلان حسن الطريقة، والطريقة الحال. يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة»<sup>(1)</sup>.

«(الطريق) المطروق و - الممرّ الواسع الممتد أوسع من الشارع. ومسلك الطائفة من المتصوّفة (ج) طُرُق... (الطريقة) الطريق و - السيرة. و - المذهب. وفي التنزيل العزيز في قصة فرعون ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى﴾ و - الطبقة (ج) طرائق»<sup>(2)</sup>.

فالطريق تُطلق على السبيل وتُجمع على طرق، أما الطريقة فتُطلق على السيرة والمذهب والحالة وتُجمع على طرائق، وهذا هو مستند من يرى أنّ الأصحّ أن يُقال طرائق التدريس لا طرق التدريس<sup>(3)</sup>.

#### ثانياً: تعريف طرائق التدريس اصطلاحاً:

لطرائق التدريس تعريفات عديدة منها:

أ- «هي مجموع الأداءات التي يستخدمها المعلم لتحقيق سلوك متوقع لدى المتعلمين، وهي إحدى عناصر المنهج»<sup>(4)</sup>.

ب- وتعرّف بأنها «سلسلة فعاليات منظمة يديرها في الصف معلم يوجه انتباه طلاب إليه، ويشاركهم في هذه الفعاليات لتؤدي بهم إلى التعلم»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> لسان العرب لابن منظور، 221/10.

<sup>2</sup> المعجم الوسيط، 556/2.

<sup>3</sup> طرائق التدريس لا طُرُق التدريس لعبد الله الدليل.

<sup>4</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص 209.

<sup>5</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص 209.

ج- طرائق التدريس هي «جميع أوجه النشاط الموجه الذي يقوم به المدرس في إطار مقتضيات مادة تدريسه وخصائص نمو تلاميذه وطروف بيئته بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التعلّم المرغوب والتغيير المنشود في سلوكهم، وبالتالي مساعدتهم على اكتساب المعلومات والمعارف والمهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرغوبة»<sup>(1)</sup>.

د- وعُرفت أيضاً بأنها «الاجراءات المخططة التي يؤديها المدرس لمساعدة المتعلمين في تحقيق أهداف محددة وتتضمن كافة الكيفيات، والأدوات والوسائل التي يستخدمها المدرس في أثناء العملية التعليمية تحقيق لأهداف محددة»<sup>(2)</sup>.

فطريقة التدريس باعتبارها عنصر من عناصر المنهج التعليمي هي جميع الأداءات والاجراءات المتسلسلة والمنظمة، أي أنّها ليست عشوائية بل نتيجة لتخطيط محكم، ولذلك يعبر عن ذلك كله بالاستراتيجيات، والقصد منها إحداث التغيير المرغوب في التعلم بجودة ويسر وسرعة.

### الفرع الثاني: تصنيف طرائق التدريس وأنواعها.

#### أولاً: تصنيف طرائق التدريس

لطرائق التدريس تصنيفات عديدة باعتبارات عديدة ومن ذلك:

أ- التصنيف الذي يعتمد المحور الذي تدور حوله الطريقة وبموجبه فإنّ طرائق التدريس إمّا أن تتمركز حول المعلم مثل طريقة المحاضرة، أو تتمركز حول المتعلمين مثل طريقة المناقشة الجماعية.

ب- التصنيف الذي يعتمد نوع التنفيذ، ومن أمثلته أن تكون الطريقة إلقاءية مثل المحاضرة أو عمليةً مثل طريقة المشروع.

ج- التصنيف الذي يعتمد مدى الاهتمام بنشاط المتعلمين، فهناك طرائق لا تركز على نشاطهم مثل طريقة الإلقاء، وهناك طرائق يكون نشاط المتعلمين فيها نشاطاً لفظياً مثل طريقة المناقشة وطرح الأسئلة، وهناك طرائق تدريس تهتمّ بإثارة تفكير المتعلم مثل طريقة العصف الذهني<sup>(3)</sup>.

#### ثانياً: أنواع طرائق التدريس

طرائق التدريس كثيرة منها:

<sup>1</sup> فلسفة التربية الاسلامية للشيباني، ص405.

<sup>2</sup> المناهج الحديثة وطرائق التدريس لمحسن عطية، ص342.

<sup>3</sup> الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية لمحسن عطية، ص98، ص99.

أ- **طريقة المحاضرة:** إنّ المحاضرة من طرائق التدريس التقليدية، يستخدمها المدرّسون في كلّ المستويات التعليميّة منذ القديم، وقد تضاغت أهمّيّتها بسبب الانفجار السكاني والتوسّع في التعليم، حيث زادت أعداد المتعلّمين وازدحمت الفصول الدراسيّة، ومن مسلّماتها أنّ المتعلّم كالإناء الفارغ وأنّ المعلّم خازن للمعرفة، وأنّ العمليّة التعليميّة هنا هي عمليّة ملء هذا الإناء بالمعارف. فهو مستقبل سلبيّ، وأنّ مهمّة التدريس هي تهيئته للحياة بإمداده بالخبرات التي تساعد في مستقبله. ومن مزايا طريقة المحاضرة أنّها اقتصادية، فإزدحام الفصول الدراسيّة والمدرّجات الجامعيّة جعل من المحاضرة الحلّ الوحيد في هذا الموقف، كما أنّها تركز على الإعداد المسبق وتحديد الأهداف، وتحضير المادّة التعليميّة وتنظيمها تنظيمًا مناسباً، إلى جانب عرضها لأكبر قدر من الموادّ والخبرات التعليميّة، وقد تسمح المحاضرة بالنقاش وطرح الأسئلة إذا تجنّب المحاضر تفاصيل الموضوع واكتفى بطرح القضايا المثيرة للتساؤل.

ومن عيوبها أنّها تفترض سلبيّة المتعلّمين وأنّهم مستقبلون فحسب، ولا تراعي ما بينهم من فروق فرديّة، وفي غالب الأوقات لا تشجّع على المناقشة والتساؤل، وهي لا تناسب بعض مستويات المجال المعرفيّ مثل التحليل والتفويّم فضلاً عن أن تناسب تعليم المجال المهاريّ. ولأنّ هذه الطريقة لا غنى عنها، فإنّه يمكن التقليل من سلبيّاتها باعتماد المحاضر لإثارة التساؤل المثير للتفكير وتوظيف مهاراته، وفتح المناقشات المضبوطة، وأنّ يعرض المادّة التعليميّة بطريقة مشوّقة، وأنّ يستعين بالوسائل التعليميّة المختلفة المثيرة للإنتباه والتفكير<sup>(1)</sup>.

ب- **طريقة حل المشكلات:** المشكلة هي: «سؤال محير أو موقف مُربك يجابه الشخص، بحيث لا يستطيع الإجابة عن السؤال، أو التصرف في الموقف عن طريق ما لديه من معلومات أو مفهومات أو مهارات جاهزة»<sup>(2)</sup>.

إنّ المشكلة توجد عندما يُواجه الفرد بسؤال لم يُطرح عليه من قبل، أو عندما يجابه بموقف غير عاديّ لأول مرّة، فعليه حينئذ أن يوظّف كل ما لديه من معلومات ومهارات سابقة في قالب جديد، وقد يستطيع عن طريق ذلك أن يتصرّف في الموقف، كما قد يقتضي الأمر اكتساب معارف ومفهومات جديدة من أجل التصرف السديد.

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها عليّ مدكور، ص 237، 238.

<sup>2</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها عليّ مدكور، ص 242.



إنّ الشخص لا يكون مواجهاً بموقف مشكل إلا إذا توافرت الشروط الآتية:

- 1- أن يكون له هدف محدّد يرغب في تحقيقه، حيث يكون لديه دافع لحلّ المشكل.
  - 2- أن توجد عوائق وعقبات تحول دون تحقيق الهدف، وأن تكون المعلومات والمهارات والمفاهيم الجاهزة غير كافية لتجاوز تلك العقبات.
  - 3- أن يفكر الشخص في المشكلة بتأنّ، ويستعين على ذلك بإعادة تنظيم معارفه ومهاراته السابقة، أو بأن يضيف معارف ومهارات جديدة إلى أن يصل إلى استيعاب الموقف.
  - 4- أن يضع مجموعة فرضيّات يراها ملائمة للمشكلة ثم يختبرها لمعرفة مدى ملائمتها لها.
- إنّ المشكلة تتطلّب من المتعلّم تذكّر معلوماته ومهاراته السابقة ليستخدمها في عمليّات التحليل والتركيّب والاستبصار، فهو يضع نفسه في قالب جديد كي يقابل المشكل الجديد<sup>(1)</sup>.
- ج- طريقة العصف الذهني:** هي من طرائق التدريس التي تعمل على استثارة تفكير المتعلّمين ممّا يسهم بفاعليّة في حدوث التعلّم بجودة ويسر وسرعة، والموقف التدريسيّ هنا يزوّد المتعلّمين بمجموعة من القواعد لتوليد الأفكار في جوّ يشترط فيه ما يأتي:
- 1- أن يخلو الموقف من إصدار المتعلّمين للأحكام على زملائهم أو على مقترحاتهم.
  - 2- أن يدور حول مشكلة ما.
  - 3- أن يكون تعاونياً.
  - 4- أن يكون مفتوحاً لتقبّل ومناقشة أفكار جميع المتعلّمين.
  - 5- تقسيم المتعلّمين إلى مجموعات.
  - 6- طرح المشكلة وتوضيحها بعناية.
  - 7- التأكّد من استيعاب جميع المتعلّمين للمشكلة المطروحة للنقاش.
  - 8- تشجيع كلّ متعلّم على المشاركة برأيه لحلّ المشكلة والتذكير بعدم جواز تقويم آراء الغير.
  - 9- تكليف متعلّمين بتدوين الملاحظات، وتحديد الوقت ثمّ إعطاء إشارة البدء والانتهاء.

---

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعللي مذكور، ص242، ص243.

10- لما ينتهي الوقت المحدد للنشاط يقدم المتعلمون تقريراً شفويّاً عن النشاط والجراءات<sup>(1)</sup>.

ولطريقة العصف الذهنيّ مزايا كثيرة منها أنّها سهلة التطبيق بسبب مرونة إجراءاتها، وأنّها طريقة اقتصادية إذ لا تتطلّب سوى حجرة دراسيّة وسبورة، ومن مرونتها أنّ جلساتها لا تتطلّب وقتاً طويلاً بالضرورة، ووهي من أفضل طرائق تعليم التفكير وتنميّة مهاراته، خاصّة مهارات التفكير الابداعي والتفكير الناقد، وإدراك العلاقات التي بين الأشياء وتعدّد الحلول، وتنمي ثقة الشخص بنفسه، كما تنمي جوّ التسامح والتفهم، وتُكسب المتعلمين طلاقة التعبير وسرعة البديهة. ومن سلبياتها أنّها تصلح للعمل الجماعيّ أكثر من العمل الفرديّ، وتقتضي أن يكون المعلمون مدرّبين على هذه الاستراتيجيةّ.

### الفرع الثالث: معايير اختيار طريقة التدريس وعلاقتها بعناصر المنهج

#### أولاً: معايير اختيار طريقة التدريس

لطريقة التدريس الجيدة معايير عديدة منها:

أ- أن تكون قادرة على تحقيق الأهداف المسطرة بأقلّ جهد ووقت.

ب- أن تناسب قدرات المتعلمين واستعداداتهم.

ج- أن تحثّ المتعلم على التفكير واستنتاج النتائج.

د- أن تستثير دافعية التعلّم لدى المتعلمين.

هـ- أن تراعي القواعد الأساسية لطرائق التدريس.

#### ثانياً: علاقة الطريقة بعناصر المنهج

تؤكد الدراسات التربويّة ارتباط عناصر المنهج ببعضها البعض فالأهداف التعليميّة لها دور كبير في اختيار الطريقة التي تساعد على تحقيقها، وللمعلومات التي يتضمّننها المحتوى دور كذلك في تفضيل طريقة على أخرى، وما قيل عن الأهداف والمحتويات يقال عن ظروف الموقف التعليمي وتأثيراتها على اختيار نوع الطريقة على ما يأتي بيانه.

<sup>1</sup> طرق التدريس العامة لوليد جابر، ص172، أهمية استراتيجية العصف الذهني ومهارات حل المشكلات لعابد بوهادي، ص77، 78.

## المطلب الثاني: مبدأ إثارة طرائق التدريس لتفكير المتعلم

تقدم بيان أنّ تعليم التفكير وتنمية مهاراته مبدأ من المبادئ التي يقوم عليها التدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسنتناول هنا مدى اعتماد طرائق التدريس فيهما لإثارة تفكير المتعلمين ودفعهم الى ممارسة مهارته المتنوعة.

### الفرع الأول: مبدأ إثارة طرائق التدريس لتفكير المتعلم في القرآن الكريم

المقصود بالتفكير هنا توظيف مهاراته الدالة على تحقيقه عند المتعلم، فإذا دفعت طريقة التدريس المتعلمين إلى ممارسة مهارتي التحليل والاستنتاج -مثلاً- قلنا إنّها طريقة تثير التفكير، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدلّ على اعتماده لهذا المبدأ منها:

أولاً- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:176].

ثانياً- قال الله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21]

إنّ قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقوله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ صريحان في أنّ غرض القصة والأمثال في القرآن الكريم هو دفع الناس إلى التفكير، فالله تعالى: «يقول لنبى محمد ﷺ فاقصص يا محمد هذا القصص، الذي اقتصصته عليك من نبي الذي آتينا آياتنا، وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم... ليتفكروا في ذلك فيعتبروا ويؤيبيوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النقم والمثالات»<sup>(1)</sup>، فالقصة وضرب الأمثال في القرآن الكريم -كطريقي تدريس- تثيران تفكير المتعلمين زيادةً على دورهما في بيان المحتويات.

ويصرح القرآن أنّ المتوقع من القصة والمثل هو الاعتبار، وقد يُعبّر عنه فيه بالاعتاظ والادكار، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:111]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، وقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

<sup>1</sup> تفسير الطري، 589/10.

[إبراهيم:25]، فالاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها للتعرف على شيء آخر من جنسها، وهذا عين القياس، وقد اطرد ذلك في كتاب الله المجيد حتى أصبح من عاداته<sup>(1)</sup>.

وإذا كان التفكير هنا هو التدبر والتأمل والنظر فيما حلّ بالأمم السابقة تحقيقاً للاعتبار والاتعاظ والتذكر، فإن ذلك لا يتحقق إلا من خلال ما يمارسه العقل من عمليات يُعبّر عنها بالوظائف العقلية مثل الفهم والتمييز والتدبر والاعتبار والتطبيق والتقويم والتفكير والاستدلال، وقد تُسمى مهارات التفكير مثل مهارة التفسير والتحليل والتقويم والاستدلال وغيرها<sup>(2)</sup>.

**ثالثاً- قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (146) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)﴾ [النساء].

الآيات نموذج لمواقف القرآن التدريسية التي ارتبطت الطريقة فيها بإثارة التفكير، ومعناها أنه لما كان المنافقون شرّ أهل النار كان جزاؤهم دركها الأسفل، لأنهم جمعوا بين الكفر والنفاق ومخادعة المؤمنين، ولن يجدوا من ينقذهم من ذلك العذاب، أمّا الذين تابوا من النفاق وندموا على ما فرط منهم وأتبعوا ذلك اجتهاداً في صالح الأعمال واعتصموا بالله تعالى وأخلصوا له فأولئك يجزون جزاء المؤمنين، والله لا يعذب أحداً من خلقه طلباً لنفع أو دفعاً لضرر، بل يجزي بيسير الطاعات رفيع الدرجات<sup>(3)</sup>.

والطريقة المستخدمة هنا هي الطريقة الإلقائية، ورغم الانتقادات الموجهة إليها مثل قيامها على التلقين والحشو وتكريس سلبية المتعلم، وإثارتها للملل، فإنّ هذه الطريقة في القرآن والسنة مُفعمة بالحياة والتفاعل والإيجابية، بسبب إثارتها لتفكير المتعلمين والمخاطبين، ومن وجوه ذلك:

أ- في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ توظيف لأسلوب التهديد للمنافقين<sup>(4)</sup>، غير أن الخطاب فيه موجه للنبي ﷺ وهذا من شأنه أن يثير التساؤل عن حكمة ذلك، فيكون من أثر ذلك

<sup>1</sup> تفسير الرازي، 283/29، 174/6، والتعريفات الفقهية لمحمد البركتي، ص31.

<sup>2</sup> الوظائف العقلية لحمدان الصوفي، ص35، وتنمية مهارات التفكير لعدنان العتوم وآخرين، ص77.

<sup>3</sup> تفسير المراغي، 190/5.

<sup>4</sup> تفسير للقرطبي، 426/4.

أنّ المتعلّم سيُعمل تفكيره في البحث عن ذلك، وقد يكون الجواب أنّ الرسول ﷺ هو الذي ذاق آثار نفاقهم<sup>(1)</sup>.

ب- قوله ﷺ ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه «من المؤمنين»<sup>(2)</sup>، وهذا أمر بديهي ما داموا قد حقّقوا الأمور الأربعة التي اشترطتها الآية لمعيّة المؤمنين، أي التوبة والاصلاح والاعتصام بالله وإخلاص الدين لله تعالى، لكن استعمال لفظ ﴿مَعَ﴾ يثير سؤالاً عن سبب ترك لفظ "من" رغم أن «الأمور الأربعة إذا حصلت فقد كمل الإيمان»<sup>(3)</sup>.

وقد اجتهد المفسّرون في تفسير ذلك، فجاء في تفسير القرطبي أنّه تعالى «حاد عن كلامهم غضبا عليهم فقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: هم المؤمنون»<sup>(4)</sup>.

وعند الثعالبي<sup>(5)</sup> أنّ ذلك أسلوب إضمار والتقدير «فأولئك مؤمنون مع المؤمنين»<sup>(6)</sup>، وفي التحرير والتنوير أنّ «في لفظ "مع" إيماء إلى فضيلة من آمن من أوّل الأمر ولم يصم نفسه بالنفاق لأنّ "مع" تدخل على المتبوع وهو الأفضل»<sup>(7)</sup>، أما ابن عجيبة<sup>(8)</sup> فقال «إنما قال ﴿مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

<sup>1</sup> زهرة التفاسير لأبي زهرة، 1925/4

<sup>2</sup> تفسير القرطبي، 426/5.

<sup>3</sup> تفسير الخازن، 441/1.

<sup>4</sup> تفسير القرطبي، 426/5.

<sup>5</sup> وهو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري الثعالبي (786-872 هـ)، الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع، أخذ العلم عن الإمام أبي والولي العراقي والإمام الحفيد ابن مرزوق، وأبي الربيع سليمان وغيرهم، من تلاميذه الشيخ زروق و ابن سلامة البكري والشيخ العالم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وغيرهم، من كتبه تفسير الجواهر الحسان وروضة الأنوار وكتاب الأنوار ورياض وغير ذلك، ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد التنبكي، ص 257-258، وذييل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس ابن القاضي، 89/3-90، والأعلام لخبر الدين الزركلي، 269/1.

<sup>6</sup> تفسير الثعالبي، 321/2.

<sup>7</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور، 244/5

<sup>8</sup> وهو أبو العباس أحمد بن عجيبة التطواني (1161-1224 هـ)، يروي عن التاودي ابن سودة ومحمد بن أحمد بنيس والشمس محمد بن علي الورزازي التطواني. من كتبه تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية، والأربعين حديثاً في الأصول والفروع، وطبقات الفقهاء المالكية، وغير ذلك، ينظر: فهرس الفهارس لعبد الحيّ الكتاني، 854/2، وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام بن سودة، 104/1.

ولم يقل: منهم، لأنّ التخلص من النفاق صعب، ولا يكون من المؤمنين، حتى يتخلص من جميع شعبه، وهو عزيز...»<sup>(1)</sup>.

هذه بعض اجتهادات المفسرين في محاولة الإجابة عن السؤال المطروح، وبغض النظر عن أقرها إلى الصواب، فإنها بتعددتها وتنوعها تؤكد - بصفة عملية - إثارة طرائق القرآن الكريم التدريسية لتفكير المخاطبين والمتعلمين، إذ أنّ تلك المحاولات ليست إلا تفكيراً بصوت عالٍ أثارته طريقة عرض القضية لدى المفسرين.

**ج- قوله تعالى ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** معناه «وسوف يعطيهم الله الأجر العظيم الذي لا يقدر قدره»<sup>(2)</sup>، والسؤال هنا لم يُوظف أسلوب التنكير فقال: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؟، ومع أنّ المقصود هو ما تمت الإشارة إليه من عظيم أجر الله تعالى، ومع أنّ هذا قد يُفهم من مجرد كون المنافقين التائبين مع المؤمنين، غير أنّ الآية تريد من المتعلم أن يُعمل فكره في تصوّر أجر الله تعالى، «فنكر الأجر ووصفه بالعظم، والتنكير هنا للتعظيم، فكأنه قد أكد عظم هذا الأجر مرتين مرة بما تضمنه معنى التنكير، ومرة أخرى بالتصريح بوصف العظم»<sup>(3)</sup>.

**د- المقصود بقوله تعالى ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ﴾** هو بيان أن «مدار تعذيب المنافقين وجوداً وعدمًا إنما هو كفرهم لا شيء آخر»<sup>(4)</sup>، ولقد اختير أسلوب الاستفهام الإنكاري<sup>(5)</sup> لأنّه يُسهّم في بيان أنّ الله سبحانه لا يعذب الناس لمنفعة أو مضرة من جهة، ويُخرج المتعلم من السلبية واللامبالاة إلى الإيجابية والمشاركة بواسطة دفعه إلى النظر والتأمل في دواعي توظيفه من جهة ثانية.

**هـ- قوله تعالى ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ﴾** أي إذا شكرتم نعمه تعالى وآمنتم به، ففيه تقديم وتأخير، والتقدير: إن آمنتم به وشكرتم نعمه<sup>(6)</sup>، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قدم الشكر على

<sup>1</sup> البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، 581/1.

<sup>2</sup> تفسير المراغي، 191/5.

<sup>3</sup> زهرة التفاسير لأبي زهرة، 1927/4.

<sup>4</sup> تفسير أبي السعود، 247/2.

<sup>5</sup> الاستفهام الإنكاري «يُسأل به عن شيء غير واقع، ولا يمكن أن يحصل، فمدعيه كاذب. وهذا النوع يتضمن معنى النفي،

لأن أداة الاستفهام فيه بمنزلة أداة النفي في أن الكلام الذي تدخل عليه منفي المعنى» النحو الوافي لحسن عباس، 316/2.

<sup>6</sup> تفسير البغوي، 303/2.

الإيمان؟ قلت: لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكراً مبهماً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلاً، فكان الشكر متقدماً على الإيمان، وكأنه أصل التكليف ومداره»<sup>(1)</sup>، ومن المنظور التربوي للمسألة، فإنّ عادات القرآن الكريم تقديم الإيمان على سائر الأعمال، فإذا قدّم هنا الشكر كان ذلك مثيراً للانتباه والسؤال، فيكون أسلوب التقديم والتأخير دافعاً إلى إعمال الفكر.

وهكذا يظهر أنّ الطريقة التدريسيّة في كتاب الله تعالى - وإن كانت إقائيّة- فهي مثيرة للتفكير بالفعل، وما سبق عرضه يؤكّد ذلك بدون تكلف أو اصطناع، وهو امتداد لما صرّحت به آيات القصص وضرب الأمثال من إثارة الطريقتين للتفكير.

### الفرع الثاني: مبدأ إثارة طرائق التدريس لتفكير المتعلّم في السنّة النبويّة

تثير طرائق التدريس في السنّة التفكير، وتدفعه المتعلّم إلى توظيف مهارته، ومّا يدلّ على

ذلك:

أولاً- قال النبي ﷺ: (بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَحَدَهُمُ الْمَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ، فَأَخْطَطَتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلي صَبِيَّةٌ صِعَاژٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيْ أَسْقِيَهُمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِي الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فُقِمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعُونَ عِنْدَ قَدَمِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَابُّهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَبِي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ. وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمِّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقَيْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا فَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْحَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فُقِمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَبِي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا. فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَحِيْرًا بِفَرَقِ أَرْزٍ، فَلَمَّا فَضَى عَمَلُهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ

<sup>1</sup> تفسير الزمخشري، ص 267.

عَلَيْهِ حَقُّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْزَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ الْبَقْرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَاَنْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(1)</sup>.

نص القرآن الكريم على أنّ غاية القصص هي دفع المخاطب إلى التفكير، ولها في السنّة النبويّة نفس الدور، وسيذكر الباحث بعض وجوه إثارة التفكير في القصة المذكورة.

إنّ ملخص الحادثة أنّ صخرة سدّت مدخل غارٍ اضطر ثلاثة أشخاص إلى الاحتماء به من المطر، فاتفقوا على التوسّل إلى الله تعالى بصالح أعمالهم لعلّ الله تعالى يفرجها، فذكر الأوّل أنّه لم يكن يقدّم على والديه أحداً، وقد تأخّر يوماً فقام عند رؤوسهما ينتظر استيقاظهما وأبناؤه يتضاغون أي يصيحون ببكاءٍ من الجوع، فإن كنت تعلم يا ربّ أنّ ذلك كان خالصاً لوجهك فافرج عنّا، ففرج الله لهم ما رأوا به السماء، وذكر الثاني أنّه راود ابنة عمّه عن نفسها فاشترطت مائة دينار، فلمّا جلس منها مجلس الرجل من زوجته قالت اتّق الله ولا تفضّ البكارة الا بالزواج، فقام عنها، فإن كنت تعلم يا ربّ أنّ ذلك كان خالصاً لوجهك فافرج عنّا، ففرج الله لهم فرجة، وقال الثالث إنّهُ استأجر أجييراً بمكيال من أرز، لكنّه تركه ومضى، فلم يزل ينمّيه حتى جمع منه بقرًا، وبعد سنين عاد الأجير يطلب أجره، فسلمه البقر، فإن كان عملي خالصاً لوجهك فافرج ما بقى، ففرج الله عنهم وخرجوا من الغار<sup>(2)</sup>.

إنّ إثارة قصّة أصحاب الغار الثلاثة لتفكير المتعلّم هي أن تدفعه إلى الاعتبار والاعتاظ والتذكّر، فقد جاء في الحديث «الإخبار عما جرى للأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعملوا بأحسنها ويتركوا أقبحها»<sup>(3)</sup>، غير أنّ هذا لا يتحقّق إلا من خلال ممارسة بعض مهارات التفكير المحورية مثل التركيز والملاحظة والمقارنة والتصنيف والتحليل والاستدلال وغير ذلك. وبتحليل طريقة عرض الحديث للقصّة نستنتج مثيرات التفكير الآتية:

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 228/5 ر 5229، وصحيح مسلم، 2099/4 ر 2743 في باب (بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ)

<sup>2</sup> فتح المنعم للاشين، 192/10.

<sup>3</sup> فتح المنعم للاشين، 297/10.



أ- استشكالُ ترك الرجل صبيته يكون: قال ابن حجر<sup>(1)</sup>: «وقد استشكل تركه أولاده الصغار بكون من الجوع طول ليلتهما مع قدرته على تسكين جوعهم فقيل: كان في شرعهم تقديم نفقة الأصل على غيرهم، وقيل يحتمل أن بكاءهم ليس عن الجوع... وقيل لعلهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمق وهذا أولى»<sup>(2)</sup>.

إنّ ما نقله ابن حجر من اجتهادٍ للعلماء في الإجابة عمّا استُشكل هو المقصود بالضبط بإثارة القصة النبويّة للتفكير، لأنّه لو لم يكن فيها ما يثيره لما رأينا تلك المحاولات، والسؤال هو ما لذي يدفع في الحديث إلى ذلك؟

والجواب أنّ ذلك يعود أساساً إلى أساليب الرسول المعلّم ﷺ في سرد القصة، فاجتهاد الفقهاء في حلّ الاستشكال الذي ذكره ابن حجر انصبّ على محاولة التوفيق بين رحمة الرجل لوالديه الشيخين الكبيرين من جانب ورحمته لأبنائه الصبية الصغار من جانب آخر، ولا يدلّ على هذه الثنائية في القصة إلا أسلوب المقابلة<sup>(3)</sup> في قوله ﷺ: «كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ»، والرجل لم يعتبر عمله هذا أفضل أعماله إلاّ لأنّه نجح في تجاوز ما وجده في نفسه من صراع بين انتظار استيقاظ والديه وإطعام صبيته الجوعى، فأسلوب المقابلة هو الذي يحمل هذا التضادّ والتقابل والثنائية.

ب- الاستدلال على صحة بيع الفضولي: يرى من يقول بصحة بيع الفضولي<sup>(4)</sup> أنّ في قصة أصحاب الغار دليلاً على صحة بيع الإنسان مال غيره فضالاً إذا أجازها صاحب الشأن بعد ذلك، فقوله ﷺ على لسان الرجل الثالث: (فَلَمْ أَرَلْ أَرْزَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا) يدلّ على تصرفه

---

<sup>1</sup> وهو أحمد بن علي بن محمد الشهاب أبو الفضل الكناي العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي (773هـ - 852هـ)، يعرف بابن حجر، لازم العز بن جماعة، وحضر دروس الهمام الخوارزمي، وعكف على الزين العراقي وقرأ عليه ألفيته، ولازم البلقيني في الفقه إلى أن أذن له بالإفتاء، من تلاميذه الحافظ السخاوي الذي ترجم له، ومن كتبه الكثيرة فتح الباري في شرح صحيح البخاري والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة توفى بالقاهرة. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، 40-36/2، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، 181/1.

<sup>2</sup> فتح الباري لابن حجر، 510/6.

<sup>3</sup> المقابلة «ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها» البرهان في علوم القرآن للزركشي، 458/3.

<sup>4</sup> الفضولي لغةً من يشتغل بما لا يعنيه. واصطلاحاً «من يتصرف في شؤون غيره، دون أن يكون له ولاية على التصرف. أو من يتصرف في حق غيره بغير إذن شرعي كأن يزوج من لم يأذن له في الزواج، أو يبيع أو يشتري ملك الغير بدون تفويض، أو يؤجر أو يستأجر لغيره دون ولاية أو توكيل»، الفقه الإسلاميّ وأدلّته للزحيلي، 167/4.

في مال الأجير بدون إذنه، «وطريق الاستدلال به يبنى على أن شرع من قبلنا شرع لنا والجمهور على خلافه والخلاف فيه شهير. لكن يتقرر بأن النبي ﷺ ساقه مساق المدح والثناء على فاعله وأقره على ذلك، ولو كان لا يجوز لبينه. فبهذا الطريق يصح الاستدلال به لا بمجرد كونه شرع من قبلنا»<sup>(1)</sup>.

وكلام ابن حجر وغيره من العلماء صريح بأنّ الذي لفت أنظار الفقهاء إلى الاستدلال على صحة بيع الفضولي في القصة هو ثناء الرسول ﷺ على الرجل الثالث، فأسلوبه ﷺ في مدح تصرفات الرجل هو الذي أثار تفكير القائلين بجواز بيع الفضوليّ ونتج عن ذلك التفكير الاستدلال على صحة مذهبهم.

ج- أيّ الثلاثة أنفع لأصحابه: تساءل شراح الحديث عن أيّ الثلاثة كان أنفع للمجموعة في انفراج الصخرة عن الغار، ويشير ابن حجر إلى أنّ صاحب الأبوين دعا الله تعالى فأناز الله الغار بانفراج الصخرة قليلاً، وصاحب الأجير زاد في إنارة الغار وهيئاً وصول من يعينهم من المارة، أمّا صاحب المرأة «فهو أنفعهم لهم فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فضلاً من عمل الأخيرين»<sup>(2)</sup>، ثم ذكر معيار تفضيل صاحب المرأة عن زميليه، فنفع طاعة الوالدين مقصور على صاحبه، ونفع صاحب الأجير متعدّد ودلّ على عظيم أمانته، لكنّ «صاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنّه كان في قلبه خشية ربه وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (41)﴾ [النازعات]، وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ولا سيما وقد قال إنها كانت بنت عمه فتكون فيه صلة رحم أيضاً وقد تقدم أن ذلك كان في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى»<sup>(3)</sup>.

وأول ما يُلاحظ على ما سبق هو أنّ القصة أثارت بالفعل تفكير شراح الحديث فراحوا يبحثون عن أفضل الرجال، لأنّ أصحاب الغار توسّلوا إلى الله تعالى بأفضل ما قدّموه من أعمال في حياتهم، ويُلاحظ كذلك اعتمادهم في المفاضلة بين الثلاثة على معيار واضح، وهو مدى تحقيق العمل المتوسّل به إلى منفعة الغير، وبحسب ما أورده ابن حجر فإنّ طائع الوالدين خرج من السباق

<sup>1</sup> فتح الباري لابن حجر، 409/4، و إرشاد الساري للقسطلاني، 173/5، وعمدة القاري للعيني، 34/12

<sup>2</sup> فتح الباري لابن حجر، 511/6.

<sup>3</sup> فتح الباري لابن حجر، 511/6

رغم بذله الكبير لأنّ منفعته مقصورة على نفسه، أمّا صاحب الأجير فرغم تعدّي منفعته وعظيم أمانته إلا أنّ صاحب المرأة يفضلّه لأنّه جمع بين تعدّي منفعة عمله إلى الغير وخشية الله تعالى. ونرى أنّ عمل صاحب الأجير هو أفضل الأعمال الثلاثة، وذلك طبقاً للمعيار نفسه، فنفق صاحب المرأة تعدّاه إلى بنت عمّه وهي من الأقارب فهو صلة رحم، أما نفع صاحب الأجير فهو متعدّد إلى أحد الأجراء الغرباء الذي عاد إلى المطالبة ببعض الأرز بعد سنوات، وأيضاً فإنّ الأول لم ينو إعانة بنت عمّه ابتداءً، بل إنّه لم يجمع المال إلا لفعل المعصية، وقد يكون تركه للمال للمرأة نوعاً اعتذار وطلب صفح عن مرادته له عن نفسها، بخلاف الثاني الذي قصد تنمية مال أجيده ثم وقاه إيّاه (بِقَرًا وَرَاعِيهَا)، وأمّا ما يتعلّق بخشية الله تعالى فليست بأوضح في حال صاحب المرأة منها في صاحب الأجير، وإذا كان الله تعالى قد شهد لمن خاف مقام ربه ونهى نفسه عن اتباع هواها، فإنّه سبحانه قد شهد أيضاً لمن حقّق مقام التقوى بمجاهدة نفسه التي زوّج لها حبّ شهوة القناطر المقلّبة من الذهب والفضّة، حيث قد بشره سبحانه بجناته ورضوانه<sup>(1)</sup>.

ويظهر أنّ القصة النبويّة لا تفتأ تثير مهارات تفكير قرائها بمرور الزمن، يقول الحويني: «لو أنت الرابع مع أصحاب الغار ماذا كنت تقول»<sup>(2)</sup>، ولو افترضنا أنّ عدد الأشخاص أربعة وأنّ بعضنا هو الرجل الرابع فما عملنا الصالح الذي سنتذكّره وتوقّف عليه الانفراجه الكاملة للصخرة<sup>(3)</sup>؟

والمقصود أنّ دفع القصة إلى ممارسة التفكير لا يخفى، ويظهر ذلك -عملياً- من خلال ممارسة شراح الحديث وقرائه لبعض مهارات التفكير مثل المقارنة والتصنيف والترتيب والتحليل والاستدلال.

ثانياً- قال الرسول ﷺ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ، أَمْسَكَتِ

<sup>1</sup> قال الله تعالى: ﴿رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْتِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ (14) قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مَنَ دُلُّكُمْ ۗ لِلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)﴾ [آل عمران].

<sup>2</sup> ماذا لو كنت الرابع؟ لأبي إسحاق الحويني

2019/8/12 التاريخ <https://www.youtube.com/watch?v=4J1k9FRavms>

<sup>3</sup> ماذا لو كنت الرابع؟ أبو عميرة، حامد، جريدة اليوم المصرية <https://el-yom.com> التاريخ 2019/8/12.

الماء فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَرَزَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا. فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ (1).

في هذا الموقف التعليمي، يضرب النبي ﷺ مثلاً لما جاء به من العلم والدين، فشبهه من بلغهم ذلك بالأرض المتنوعة، فمنهم العالم العامل المعلم لغيره فهذا مثل الأرض الطيبة المنتفعة النافعة، ومنهم الجامع الحافظ للعلم، لكنّه لم يتفرغ للعمل بنوافله، ولم يتفقه فيه، وإن كان قد أدّاه إلى غيره كما سمعه، فهذا مثل الأرض الصلبة التي استقر فيها الماء فانتفع به الناس، ومنهم من بلغه الشرع فلم يؤمن ولم يقبل، فهذا مثل السبخة التي لا تقبل الماء في نفسها وتفسده على غيرها، فلا يحصل منها إنبات ولا نفع (2).

وبتحليل طريقة عرض الحديث للمثل نستنتج مثيرات التفكير الآتية:

أ- تصنيف أنواع الأراضي المستقبلية للغيث وما يشبهها من قلوب مستقبلية لما جاء به الرسول ﷺ من الهدى والعلم، فالأراضي ثلاث، أولها النقيّة الطيبة التي تنتفع بالمطر فتحي وتنبت الكلاً فينتفع الناس والدواب، والثانية الأجادب التي لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن تمسك الماء فينتفع به الأحياء، والثالثة السباخ التي لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، «وتقسيم الناس نوعان: أحدهما ممدوح، أشار إليه بقوله: (مثل من فقه في دين الله تعالى) الخ والآخر مذموم، أشار إليه بقوله: (ومثل من لم يرفع بذلك رأساً)...» (3).

فالحديث يشرك المتعلم في اكتساب حقيقة أقسام الناس بدفعه إلى مقارنتهم -باعتبارهم مشبّهات وأهدافاً- بأنواع الأراضي -باعتبارها مشبّهات بها ومماثلات- في الانتفاع والنفع بالغيث، ثمّ تصنيفهم وفق معيار انتفاعهم ورفعتهم بهدي النبوة وعلمها.

ب- اختلف شرح الحديث في النظر إلى التصنيف الوارد في هذا المثل النبوي، وملخص ذلك أنّ الرسول ﷺ ذكر من الأراضي ثلاثة أنواع هي: النقيّة والأجادب والقيعان، ولم يذكر من الناس

<sup>1</sup> صحيح البخاري واللفظ له، ص 33 ر 79، وصحيح مسلم، 4/1787، 2282، والغيث المطر، ونقيّة أي طيبة، والكلاً العشب، والأجادب من الجذب الذي هو ضد الخصب، وقيعان الأرض التي لا يستقر فيها الماء، وفقه صار فقيها، ومن لم يرفع رأساً بمعنى أعرض عن الهدى والعلم وكفر. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، 9/106 وما بعدها.

<sup>2</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي، 6/83.

<sup>3</sup> عمدة القاري للبدر العيني، 2/120.

إلا اثنين هما: (مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ ) و(مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا)، ومع ذلك فالعلماء يذكرون صنفا يتوسَّط المذكورين، «فإن قلت: ليس في الحديث تعرض إلى القسم الثاني، وذلك أنه قال: فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم وهذا القسم الأول، ثم قال: ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به وهذا هو القسم الثالث، فأين الثاني؟»<sup>(1)</sup>.

وقد جاء في ذلك عدَّة أقوال، أولها أنّ الناس نوعان، من قبل الهدى فعلم وعلم غيره ومن لم يقبل ذلك، والقول الثاني أنّ القسمة ثنائية، في الأرض والناس، فالقسم الأول من الأرض النقيّة والأجاذب، والقسم الثاني القيعان، والناس أيضا قسمان، العالي في الاهتداء، والعالي في الضلال، أما الوسط الذي أسقطه الحديث فقسمان كذلك، أولهما من انتفع بالعلم في نفسه فقط، وثانيهما من لم ينتفع به في نفسه ولكن نفع به غيره، أمّا القول الثالث فيرى أصحابه أن الأراضي ثلاثة أقسام، والناس باعتبار قبول العلم قسمان، مَنْ يقبل ومَنْ لا يقبل، أما في الحقيقة فالناس ثلاثة أقسام كذلك، من يقبل العلم بقدر ما يعمل ولم يبلغ درجة نفع الغير، ومن يقبل وينفع غيره، ومن لا يقبل، ورابع الأقوال-وهو للنووي<sup>(2)</sup>- أنّ الأرض والناس ثلاثة أنواع، فالأول من الأرض ينتفع بالغيث فيحيا بعد موته، وينتفع به الناس والدوابّ، ويقابله من الناس من يبلغه الهدى والعلم فيحفظه ويحيا به قلبه ويعلمه غيره فينتفع وينفع، والقسم الثاني من الأرض ما لا ينتفع بالماء في نفسه، لكنه يمسكه فينتفع به الناس والدوابّ، ويقابله من الناس من له قلب حافظ لكن ليس له ذهن ثاقب ولا رسوخ له في العلم يستنبط به المعاني والأحكام، بل يحفظ العلم حتى يأتي من ينتفع به فيأخذه منه، والقسم الثالث من الأرض هو السباح التي لا تنبت، فهو لا ينتفع بالماء في نفسه ولا يمسكه لغيره لينتفع به، ويقابله من الناس من لا يقبل الهدى والعلم، لا ينتفع به ولا ينفع به غيره، فالقسم الأول من الناس إشارة إلى العلماء، والثاني إلى النقلة، والثالث إلى من لا علم له<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> إرشاد الساري للقسطلاني، 266/1.

<sup>2</sup> هو محيي الدين يحيى بن شرف، الشافعي، (631 هـ - 676 هـ)، ولد بنوى من قرى سورية واليه نسبته، علامة بالفقه والحديث، من شيوخه كمال الدين إسحاق والرضى بن البرهان وابن عبد الدائم وشرف الدين عبد العزيز وغيرهم، ومن تلاميذه صدر الدين سليمان الجعفري وعلاء الدين علي بن العطار وغيرهم، له كتب كثيرة منها المنهاج في شرح صحيح مسلم والتقريب والتيسير في مصطلح الحديث، وحلية الأبرار المعروف بالأذكار النووية، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، 332-324/15، والأعلام لخير الدين الزركلي، 149/1-150.

<sup>3</sup> شرح النووي على مسلم، 48-46/15. عمدة القاري للعيني، 118/2.

وما ذهب إليه النووي هو الأولى بالاعتبار، لأنّ الحديث عدّد من الأرض ثلاثة أقسام، النقيّة والأجاذب والقيعان، وهي المشبّهات بها، فلا بدّ أن يكون الناس ثلاثة أقسام أيضاً ليكتمل عدد المشبّهات فيستقيم التشبيه.

أمّا لماذا لم يذكر رسول الله ﷺ القسم الثاني من الناس الذي يقابل القسم الثاني من الأرض فتفسيره - في رأينا - أنّ النبي ﷺ كان يدفع أصحابه إلى التفكير والنظر، وقد كان من عاداته وهديه ﷺ أن يطرح السؤال للاختبار والفهم، وقد انتبه علماء الحديث إلى فعله ﷺ هذا فجعلوه عناوين لأبواب<sup>(1)</sup>، فقد يكون إسقاط من حفظ ولم يفهم مقصوداً للرسول المعلم ﷺ، أي أنّ ذلك من أساليبه ﷺ في تنمية التفكير، ومعلوم أنّ السنّة النبويّة «ملهمة للإبداع، مولدة لكثير من المهارات، منمية للتفكير وطرقه ومنهجيته»<sup>(2)</sup>، فيكون ما سبق ذكره من اجتهادات شراح الحديث آثاراً تربويّة عمليّة لإثارة المثل للتفكير، ولولا حذف الصنف الثاني لما وجد شراح الحديث ما يدفعهم إلى توظيف مهارات التصنيف والمقارنة والتحليل والاستدلال، وإنّ من عادات السنّة النبويّة أن تدفع المتعلّم إلى تحقيق إيجابيّته، فيكون إسقاط أحد المشبّهات دافعاً له للمشاركة في اكتساب المفهوم.

ولقد دعا الإمام ابن باديس إلى العودة إلى التعليم النبويّ في الشكل والموضوع والمادّة والصورة، كما وجّه النقد إلى طرق التدريس في المغرب الإسلاميّ في اقتصارها على دراسة الفروع الفقهيّة دون الرجوع إلى الأصول، ودون اعتماد للاستدلال والتعليل والقياس<sup>(3)</sup>، فالقرآن الكريم بيّن «أصول الأحكام، وأمّهات مسائل الحلال والحرام، ووجوه النظر والاعتبار، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام، فهجرنا، واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهيّة مجرّدة بلا نظر، جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفتى الأعمار قبل الوصول إليها»<sup>(4)</sup>، فطريقة القرآن والسنّة في بيان محتوياتهما تدفع المتعلّم إلى استخدام الوظائف العقلية والمهارات التفكيرية.

<sup>1</sup> ينظر على سبيل المثال صحيح البخاري باب (طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم) 34/1، وشرح السنة للبعوي: (باب طرح المسألة على أصحاب ليختبر ما عندهم من العلم) 307/1، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (باب: طرح العالم المسألة على المتعلّم) 479/1، اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه للقرطبي: (باب السؤال للاختبار والفهم في العلم وأن لا حياء في أخذه من العلماء أو ممن أخذ عنهم) 64/1.

<sup>2</sup> تنمية التفكير لدى الآخر في السيرة النبوية الشريفة لعبد القادر تومي، ص 117.

<sup>3</sup> آثار ابن باديس لعمار طالي. 108/1.

<sup>4</sup> تفسير ابن باديس، ص 343.

وهذا المبدأ - من ناحية أخرى - نتيجة حتمية لما بين عناصر العملية التربوية من تكامل في القرآن الكريم والسنة النبوية، ذلك أنّ تعليم التفكير مبدأ من مبادئ التدريس قائم بذاته، يتعلّق بالأهداف كما يتعلّق بالمحتويات التعليمية، كما مرّ بيانه، فلا يُتصوّر تدريسه إلاّ بالطريقة التي تحقّق ذلك، فيكون التفكير محور ومرتكز العملية التربوية برمتها، ثم إنّ هناك محتويات تعليمية لا يُتصوّر تحصيلها إلاّ بتوظيف التفكير ومهاراته، ومادّة العقيدة الإسلامية نموذج مثاليّ لهذا.

### المطلب الثالث: مبدأ تنوع طرائق التدريس

تعتمد استراتيجيات التدريس المعاصرة التنوع في طرائق عرض الدروس، وسنتناول هنا موقف القرآن الكريم والسنة النبوية في من ذلك.

#### الفرع الأول: مبدأ تنوع طرائق التدريس في القرآن الكريم

يُقصد بتنوع طرائق التدريس عدم اقتصار المعلم على طريقة واحدة في تنفيذه للدرس الواحد، وقد راعى القرآن الكريم ما بين المخاطبين من فروق في الفهم والإدراك فجاءت طرائقه في عرض قضاياها متنوّعة، وهذه بعض النصوص التي تثبت ذلك:

أولاً - قوله الله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام:46]، ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَآ يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف:58]. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الاسراء:41]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف:27].

إنّ التصريف هو «صرف الشيء من جهة إلى جهة، نحو تصريف الرياح وتصريف الأمور هذا هو الأصل في اللغة، ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين، لأن من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر ومن مثال إلى مثال آخر ليكمل الإيضاح ويقوي البيان»<sup>(1)</sup>، ومن أسباب تنوع وطرائق البيان ما بين الناس من فروق وتفاوت في الإدراك، فدلائل التوحيد «متّحدة في الغاية مختلفة الأساليب متفاوتة في الاقتراب من تناول الأفهام عامّها وخاصّها، وهي

<sup>1</sup> تفسير الرازي، 345/20.

أيضا مختلفة في تركيب دلائلها من جهتي المقدمات العقلية وغيرها، ومن جهتي الترغيب والترهيب ومن التنبيه والتذكير، بحيث تستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول»<sup>(1)</sup>.

والآيات تذكر علة التصريف، فقوله تعالى ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ معناه «كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم»<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: معناه «وبيننا لهم دلائل قدرتنا، وبديع حججنا ليرجعوا عن غيهم»<sup>(3)</sup>، وإن ذلك - من جهة أخرى - بيانا للآثار التربوية لإقامة العملية التربوية على أساس مراعاة مبدأ تنويع طرائق التدريس، فالترام المعلمين بالمبدأ من شأنه أن يسهم في إحداث التعلم وترسيخه.

ثانياً - قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

تُظهر الآية الكريمة أهمية مراعاة ما بين المدعوين إلى الإسلام من فروق، وذلك بتنويع طرق الدعوة، فإذا كان المدعوون صنفاً واحداً اختار الداعي ما بين الحكمة والموعظة الحسنة والجدل والتي هي أحسن، أي ما يلائم حال المدعو، وإذا تنوعت أصنافهم دعا كل صنف بما يناسبه ويحقق الهدف من المراتب الثلاث.

لقد عدّد الله طرائق التبليغ لأنّ «الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام: القسم الأول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة...المشار إليهم بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الأشياء...القسم الثاني: هم أصحاب الفطرة السليمة... المشار إليهم بقوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ﴾...القسم الثالث: هم أصحاب جدال وخصام ومعاودة، وهؤلاء المشار إليهم بقوله: ﴿وَجَادِهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه»<sup>(4)</sup>.

وابن باديس يؤكّد على أهمية عنصر انتقاء واختيار أنسب الطرائق في دعوة المسلمين وغيرهم ويبين آثاره، وأنّ تعليم هذا للمسلمين مقصود للشريعة، يقول: «هذا هو أدب الإسلام في دعوة غير أهله، ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند الدعوة لأحد أحسن ما يدعى به، وكيف ننتقي ما يناسب

<sup>1</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور، 235/7.

<sup>2</sup> تفسير الزمخشري، ص 598.

<sup>3</sup> تفسير المراغي، 33/26.

<sup>4</sup> تفسير الخازن، 107/3.



ما نريد دعوته إليه: فدعاء الشخص بما يجب مما يلفته إليك، ويفتح لك سمعه وقلبه، ودعاؤه بما يكره يكون أول حائل يبعد بينك وبينه، وإذا كان هذا الأدب عاماً في كل تداع وتخطب، فأحق الناس بمراعاته هم الدعاء إلى الله، والمبينون لدينه سواء دعوا المسلمين أو غير المسلمين»<sup>(1)</sup>.

وما سبق يدل على أنّ المعلمين ينبغي أن يراعوا ما بين المتعلمين من فروق فردية وتفاوت في القدرات والخبرات، فينوعوا من الطرائق بحسب ذلك.

**ثالثاً-** قال الله ﷻ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ وَعَدَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ (109) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ (110) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالِدَّمَ وَحُمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِعَيْبٍ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (115) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116)﴾ [سورة النحل].

تناول الآيات ما تعرّض له المسلمون في مكة من فتنة، فمنهم من ثبت على الدين، ومنهم من أظهر للمشركين الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من كفر، والاستئناف فيها ابتدائي<sup>(2)</sup>.

إنّ القرآن الكريم يوظف طرائق كثيرة حتى في الموقف التدريسيّ الواحد، ومّا جاء منها في هذه

الآيات:

<sup>1</sup> تفسير ابن باديس، ص328.

<sup>2</sup> تفسير ابن عاشور، 292/14.

أ- الطريقة الإلقائية: وقد وظّفت لتقرير بعض الأحكام الشرعية التي تتعلق بالقرارات التي يتخذها المسلمون أمام الفتن، وبما أنّهم مطالبون بالانقياد والاستجابة لله تعالى فالإلقاء هنا هو أنسب الطرائق، غير أنّ الطريقة الإلقائية في القرآن الكريم لا تهمّش المتعلّمين، كما يظهر من خلال توظيف بعض الأساليب التي تحقّق إيجابيتهم، مثل أسلوب الالتفات المثير للانتباه ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، وأسلوب الأمر والنهي ﴿فَكُلُوا﴾ و﴿لَا تَقُولُوا﴾، وحثّهم على الانقياد للشرعية بتعليق حقيقة عبادة الله تعالى بطاعته وشكره ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وإثارة دافعية التعلّم لديهم بربط المحتوى الدراسي بمواقفهم الحياتية عن طريق بيان الطيبات والخبائث وحكم حالات اضطرابهم وغير ذلك.

ب- طريقة ضرب الأمثال: وقد وظّفت هنا لبيان مفهوم كفر النعمة ولتحقيق الاتعاض.

ج: طريقة القصة: حيث ذكر الله تعالى خبر من جاءهم رسولهم فكذبوه فحاق بهم العذاب، وذلك تحقيقاً للاعتبار.

### الفرع الثاني: مبدأ تنوع طرائق التدريس في السنة النبوية

مما عرف به الرسول ﷺ في مخاطبة وتعليم الناس أنّه كان ينوّع الطرائق في ذلك، وسنذكر بعض الأحاديث التي تدل على ذلك:

أولاً- قال: قَالَ رَسُولُ النَّبِيِّ ﷺ: (أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ). ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَيِّمًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ). قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ<sup>(1)</sup>.

إنّ الحديث مثال لمواقف السنة التدريسية التي توظّف مبدأ تنوع الطرائق، ذلك أنّ الذين كانوا يحضرون مجلسه ﷺ متفاوتون في مقدار توافر السمات الجسميّة والعقليّة والنفسية التي يميّز بها الفرد عمّن سواه، فكان الرسول المعلم ﷺ « يلوّن الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فكان تارة يكون سائلاً، وتارة يكون مجيباً، ... وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه، وتارة يُصحب كلامه القسم بالله تعالى...»<sup>(2)</sup>.

والحديث مثال لطريقة المناقشة المشهورة في السنة النبوية، ويبدأ باستفهام (أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ)، وسواء أفهم منه أنّ المقصود هو إثارة الانتباه أو الإعلان عن الهدف التعليمي أو الأمرين

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 239/2، 2511، وصحيح مسلم، 91/1 ر 87.

<sup>2</sup> الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة، ص 63.

معاً، فإنّ النتيجة واحدة، وهي أنّ أسلوب الاستفهام هذا سيقوّي تركيز المتعلّم ويشدّه إلى ما يأتي بعده ويستثير لديه دافعيّة التعلّم، فتكون هذه الطريقة محقّقة لمشاركة المتعلّم وإيجابيته، ثم إنّ النبيّ ﷺ يكرّره ثلاثاً فيسمع من لم يسمع في الأولى أو الثانية، وينتبه من لم ينتبه فيهما، ولم يلبث أن ظهر الأثر التربويّ لذلك سريعاً، حيث يبدي المتعلّمون استعدادهم التامّ للحفاظ والفهم (بلى يا رسول الله)، وحينها يستعمل الرسول المعلم ﷺ طريقة الإلقاء المباشر قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور)، ولما كانت شهادة الزور «أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرها فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه»<sup>(1)</sup>، وليس أفضل في لفت الانتباه إلى هذا من أن يجلس الرسول ﷺ وقد كان متكئاً، ولأنّ مراعاة الفروق الفردية ضرورية في حدوث التعلّم فإنّ النبيّ ﷺ لا يكتفي بكل ما مرّ حتى يضيف إليه تكرار عبارة (ألا وقول الزور) ثلاثاً لتأتي استجابة المتعلّمين سريعة متمنّين توقفه عن تكرارها إشفافاً على معلّمهم ﷺ.

ثانياً- عن ابن عباس رضي الله عنه: أنّه تَوَضَّأَ فَعَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَمَضَمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا، أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الْأُخْرَى، فَعَسَلَ بِهَا وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَعَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَعَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُسْرَى، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً أُخْرَى، فَعَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ، يَعْنِي الْيُسْرَى، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ<sup>(2)</sup>.

ودعا عثمان رضي الله عنه بماء فتوضّأ ثم تبسّم ثم قال: هل تدرون ممّا ضحكك؟ قال: توضّأ رسول الله ﷺ كما توضّأت، ثم تبسّم ثم قال: (هل تدرون ممّ ضحكك؟) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (إنّ العبد إذا توضّأ فأتمّ وضوءه، ثمّ دخل في صلاته فأتمّ صلاته، خرج من صلاته كما خرج من بطن أمه من الذنوب)<sup>(3)</sup>.

إنّ الحديثين يظهران اعتماد مدرسة النبوة للطريقة العملية إلى جانب الطرائق الأخرى في التدريس، فالرسول ﷺ توضّأ أمام الناس ليتعلّموا كيفية الوضوء عملياً بعد أن نزل فيه من القرآن

<sup>1</sup> فتح الباري لابن حجر، 263/5.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 65/1، 140.

<sup>3</sup> مسند أحمد، 486/1، 430، وصححه الأرئوط في الهامش.

وحدّثهم ﷺ عنه، تنوعاً في طرائق البيان، والأسلوب العمليّ هنا يأتي لترسيخ ما لدى الصحابة من معارف تتعلّق بالطهارة، كما يأتي لتحقيق التكامل بين طرائق التدريس في مدرسة النبوة، ثم إنّ في إشراك باقي الحواس في تعلّم الوضوء مراعاة للفوارق التي بين المتعلّمين.

وما يلفت النظر هنا قول عثمان رضي الله عنه بعد الوضوء (هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا ضَحِكْتُ؟)، ومثل هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه في حديثٍ آخرٍ من يدخل الجنة: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ) (1)، وفي رواية: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا أَضْحَكُ؟ فَقِيلَ: مِمَّا تَضْحَكُ؟ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَحِكَ (2)، وقول أبي هريرة: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي اِرْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا (3)، فقد حرص الجميع على ذكر ما قد لا تظهر أهميته، وقد استظهر بعضهم أنه ليس من تمام رواية الحديث أن يضحك الراوي (4)، ورأى آخرون أنّ سبب الضحك هو الاستعجاب والسرور من كمال رحمة الله ولطفه، والاقتران بالسنة، وأكدّ غيرهم أنّ الرواة إنّما ضحكوا لملاحظتهم معنى موجب للضحك لا أنه مجرد تقليد وحكاية لفعله ﷺ (5).

ونحن نرى أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا مدرّكين جيّداً لما ينقلونه عن الرسول المعلم ﷺ، ففي حرصهم على سؤال الناس (أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا أَضْحَكُ) بعد تبليغ الحديث إشارة واضحة إلى عدم اكتفائهم بذلك، أي أنّهم كانوا يتطلّعون إلى تبليغ شيء آخر يروونه من صميم الحديث، لقد أصروا على تبليغ طرائق وأساليب التدريس عند رسول الله ﷺ، أي أنّهم لم يفرّقوا بين ذلك وبين تبليغ مضامين سنته ﷺ، وذلك ليقينهم بأنّ لتلك الطرائق والأساليب الأثر البالغ في اكتساب المعارف.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 2402/5، 6202، صحيح مسلم، 174/1، ر 187 واللفظ له.

<sup>2</sup> الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان، 456/16، 7430، وصححه الأرئوط في الهامش.

<sup>3</sup> حديث جريج في البخاري، 1268/3، 3253، ومسلم، واللفظ له، 1977/4، 2550، وينظر تعليق الحويني على

الحديث: <https://www.youtube.com/watch?v=s5oqE6GMt5g> بتاريخ 2019/6/19.

<sup>4</sup> صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي وشرحه مكمل إكمال الإكمال للسنوسي، 350/1

<sup>5</sup> مرقاة المفاتيح للقاري، 257/10، وتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، 417/3.

وبالجمله فالأحاديث تظهر الرسول ﷺ «سائلاً في موقف، ومجيباً في موقف آخر، شرح للصحابة مبادئ الإسلام شرحاً نظرياً، وطبق تلك المبادئ تطبيقاً عملياً...»<sup>(1)</sup>.

وابن باديس يشير إلى أهمية التنوع في طرائق تعليم القرآن الكريم لمواجهة تقاصر همم المسلمين عن حفظه بأن يُنظر في ذلك «من ناحية أسلوب التعليم وما هو الأقرب إلى التحصيل من أي الأساليب»<sup>(2)</sup>.

إنّ القرآن الكريم والسنة النبوية يوليان مبدأ تنوع طرائق التدريس أهمية كبيرة، ويظهر ذلك في النصّ عليه مباشرة، كما يظهر عملياً في المواقف التعليمية، وقد يبدو في الموقف التدريسي الواحد، والمبدأ يأتي مقروناً بتعليقاته التشريعية وآثاره التربوية للدلالة على دوره وفعاليته في التعلّم.

#### المطلب الرابع: مبدأ تعزيز التدريس بالممارسة العملية

أصبحت ممارسة المتعلّمين التطبيقية لما يتعلّمونه نظرياً من ضروريات نجاح العملية التعليمية التعلّمية، فمشاركة أكثر من حاسة في التحصيل الدراسي يسهم في تثبيته، وسنعرض هنا بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من نماذج تدلّ على اهتمامهما بهذا المبدأ.

#### الفرع الأول: مبدأ تعزيز التدريس بالممارسة العملية في القرآن الكريم

يقصد بمبدأ تعزيز التعلّم بالممارسة العملية أن يُدعم ما حصّله المتعلّم نظرياً بالتطبيق، وقد اهتم القرآن الكريم بالممارسة العملية، ومن الأدلة على ذلك:

أولاً- قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)﴾ [الملك].

وجه الاستدلال بالنصّ على المبدأ أنّ مطلع الآية ذكر دليلاً من دلائل قدرة الله تعالى وهو خلق السموات بتناسب تام، ثم دعا من شكّ في ذلك إلى النظر، ولا يتم ذلك الا بتكرار البصر فيها حتى يعلم أن ما جاء عن الله تعالى حقّ «حيث أخبر أولاً بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل

<sup>1</sup> بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، طرق التدريس لعبد الرحمن عبد الله، ص 171.

<sup>2</sup> مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، ص 203.

فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعانية ولا يبقى عندك شبهة ما»<sup>(1)</sup>، فتكرار ملاحظة خلق السموات ممارسة عملية عن طريق الملاحظة، ووظيفتها تأكيد ما سبق تقريره.

ثانياً- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260].

إنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام أحبَّ «أن يرى ميتا عاد حياً، فسأل الله ذلك، ليطمئن قلبه، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة طيور، فيذبحها، ويفرق أجزاءها على الجبال، ثم يدعوها إليه، وحينئذ يرى كيف يعود الميت حياً، ففعل ودعا الطيور إليه، فجاءت صحيحة، كأنها لم تمت أصلاً»<sup>(2)</sup>، فسؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام عن كيفية الإحياء يمثل حقيقة تجريبية يُبنى عليها في توظيف إنتاج المعرفة الكيفية من جهة، وتُعمد -من جهة أخرى- في تنمية التربية التساؤلية لدى المتعلم ليخرج من سلبية التلقين إلى التفاعل الإيجابي الذي يدفع إلى القيام بالاختبار التجريبي، ومعلوم أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، ولذلك طلب المعانية لكيفية الإحياء<sup>(3)</sup>، وهذا هو المقصود بالعروض العملية المرسّخة للمحتوى النظري.

ثالثاً- قال سبحانه: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (122)﴾ [الأعراف].

لقد وُقِّق الله سيدنا موسى عليه السلام إلى قبول تحدي السحرة فثبت الحق وزهق الباطل، ولقد كان ذلك يسيراً سهلاً له عليه السلام وللسحرة وللحاضرين لأنه لم يكن جدلاً عقيماً، بل تم بطريقة عملية، والآيات تُحتم بالآثر التربوي لتلك التجربة ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ «أي وألقي

<sup>1</sup> تفسير أبي السعود، 4/9، وتفسير النسفي، 511/3، والظاهر أنَّ الفعل (أخبر) مبني للمجهول، وقد جاء في تفسير النسفي:

«...حتى يصح عندك ما أُخْبِرَتْ به بالمعانية فلا تبقى معك شبهة فيه»، 511/3

<sup>2</sup> التفسير المنير للزحيلي، 127/1

<sup>3</sup> نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية لأحمد الدغشي، ص 219.

السحرة حينما عاينوا عظيم قدرة الله ساقطين على وجوههم سجداً لربهم، لأن الحق قد بهرهم واضطربهم إلى السجود، حتى كأن أحداً دفعهم وألقاهم»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ تعزيز التدريس بالممارسة العملية في السنة النبوية

تنوّعت مظاهر الممارسة العملية في طرائق التدريس في السنة النبوية وسنذكر بعض الأحاديث التي تدلّ على ذلك:

أولاً- أتى رجلٌ النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف الطهور؟ فدعا بماءٍ في إناءٍ فغسلَ كفيه ثلاثاً، ثمّ غسلَ وجهه ثلاثاً، ثمّ غسلَ ذراعيه ثلاثاً، ثمّ مسحَ برأسه وأدخلَ إصبعيه السَّبَّاحَتَيْنِ في أُذُنَيْهِ ومسحَ بإبهاميه على ظاهرِ أُذُنَيْهِ وبالسَّبَّاحَتَيْنِ باطنِ أُذُنَيْهِ، ثمّ غسلَ رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: (هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم)<sup>(2)</sup>.

إنّ ما يعرفه الأعرابي نظرياً عن الوضوء لم يسعفه في الإتيان به على الوجه الشرعيّ، فقصّد الرسول المعلم ﷺ يسأله، فأجابه ﷺ بالأسلوب العمليّ، «وإنما بين له بالفعل لأنه أبلغ، وأتم في الإرشاد»<sup>(3)</sup>.

ويُظهر الحديث مدى إشباع طرائق التدريس النبوية لرغبات وتحقيق أغراض المتعلّمين، فالرجل يريد تعلّم كيفية الوضوء فقال: (كيف الطهور)، أي (كيف فعل الطهور)<sup>(4)</sup>، فجاءت الإجابة كما أراد، ويظهر أنّ الأعرابي قد حظي بما جاء لطلبه، فلم تشر الروايات -في علم الباحث- إلى أسئلة من الأعرابي بعد أداء الرسول ﷺ الوضوء عملياً أمام عينيه، مع ما في عموم الأعراب من جراءة، وهذا يشير إلى سرعة الإنجاز ودقته في الطريقة العملية.

ثانياً- دخل رجلٌ المسجد فصلى ثمّ جاء فسلم على الرسول ﷺ فردّ السلام وقال: (ارجع فصلّ فإنّك لم تُصلّ) فرجع الرجلُ فصلّى كما كان صليّ. ثمّ جاء إلى النبيّ ﷺ فسلم عليه فقال رسولُ الله ﷺ: (وعليّك السلام) ثمّ قال: (ارجع فصلّ فإنّك لم تُصلّ) حتّى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ.

<sup>1</sup> تفسير المراغي، 32/9

<sup>2</sup> سنن أبي داود، 95/1 ر135، وذكر الأرثوذكس أن الحديث صحيح لغيره، والطهور الوضوء، والسَّبَّاحَتَانِ السبابتان «سميت بذلك؛ لأن المصلي يشيرُ بها إلى التوحيد والتنزيه لله تعالى من الشريك» شرح سنن أبي داود لابن رسلان، 79/2.

<sup>3</sup> المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود لمحمود السبكي، 74/2

<sup>4</sup> شرح سنن أبي داود لابن رسلان، 79/2.

فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسِنُ غَيْرَ هَذَا. عَلَّمَنِي، قَالَ: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ. ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ. ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا. ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا<sup>(1)</sup>).

يتناول الحديث تعلّم مهارة أداء الصلاة بواسطة المحاولة والخطأ، فقد كان للأعرابي ثلاث فرص يجزّب فيها خبراته، ولما تبين أنّه لا يعرف غير ما أظهره علّمه الرسول المعلم ﷺ كيفية الصلاة الصحيحة، فقد «تركه يحاول تصحيح خطئه بنفسه أو يعجز فيسأل، وهذا أصل انبثق عنه أسلوب (التعلم بالمحاولة والخطأ) كما يسمونه في التربية الحديثة»<sup>(2)</sup>.

وتنقل كتب شرح الحديث اختلاف العلماء في قضية استشكال تقريره ﷺ لصلاة الرجل وهي فاسدة ثلاث مرّات وسكوته عن تعليمه فيهنّ، وأجيب عن ذلك بما يأتي:

أ- أنّه ﷺ أراد استدراجه بفعل ما يجمله ثلاث مرّات لاحتمال أن يكون قد نسيه أو غفل عنه فيتذكّره، فالقضية ليست من باب تقرير الخطأ بل من باب تحقّق الخطأ وهذا قول المازري<sup>(3)</sup>.

ب- أنّه ﷺ لم يعلمه في المرّات الأولى لاحتمال أنّه قد يأتي بها صحيحة، وليكون ذلك أبلغ في تعليم الرجل وتعليم غيره وهذا رأي النووي.

ج- وذكر ابن دقيق<sup>(4)</sup> أنّ النبي ﷺ لم يبادر إلى تعليم المسيء في صلاته لأنّ قبول التلقّي عند

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 263/1، 724، صحيح مسلم، 297/1، 397.

<sup>2</sup> أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع لعبد الرحمن النحلاوي، ص213، وفيما يتعلق بنظرية المحاولة والخطأ لعالم النفس الأمريكي إدوارد ثورنديك (1874-1949م)، فالتعلّم فيها هو قيام الكائن الحي بمحاولات عشوائية متكررة لحلّ ما يعترضه من مشكلات، فيخطئ في معظمها ويصيب في بعضها، ومع تكرار المحاولات فإنّه يتعلّم الإبقاء على المحاولات الناجحة والتخلّص من المحاولات الخاطئة، ومن فروض هذه النظرية أنّ الكائن الحي يتعلّم حلّ المشكل عن طريق المحاولة والخطأ، وأنّ التعلّم هنا يحدث تدريجيّاً مع تكرار المحاولات ويقاس بتناقص عدد الأخطاء، وأنّ الاستجابات الأولى للحلّ تتحول إلى قصدية بعد أن تكون عشوائية، سيكولوجية التعلم لفتحي الزيات، ص180.

<sup>3</sup> المعروف بالإمام، الحافظ النظار، بلغ درجة الاجتهاد، أخذ عن أبي الحسن اللخمي وعبد الحميد الصائغ، من تلاميذه أبو محمد البرجيني وابن رشد المفيد والقاضي عياض وغيرهم، من تأليفه شرح التلقين وإيضاح المحصول من برهان الأصول والمعلم في شرح صحيح مسلم. مات بالمهدية ودفن بالمنستير، الديباج المذهب لابن فرحون، 169/1-174. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، 186/1-188.

<sup>4</sup> أبو الفتح محمد بن علي، ابن دقيق العيد (324 هـ - 403 هـ)، الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ، قاض ومجتهد سمع من ابن المقير وحدث عن ابن الجميزي وسبط السلفي والحافظ زكي الدين وغيرهم، روى عنه علاء الدين القونوي وعلم الدين بن الأحنائي وقطب الدين الحلبي، من مؤلفاته إحكام الأحكام، والإلمام بأحاديث الأحكام، تحفة اللبيب في شرح التقريب وشرح الأربعين حديثنا ينظر: تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي، 1481-1484 ر 1168 والأعلام لخير الدين الزركلي، 283/6.



المتعلم يزيد بعد أن يكرّر فعله ويوجّه سؤاله، بل إنّ ذلك مصلحة تمنع من المبادرة إلى تعليمه.

د- وذهب التوريشتي<sup>(1)</sup> إلى أنه ﷺ لم يعلم الرجل تأديباً وزجراً له، لأنه لما رجع لم يستكشف الحال من مورد الوحي وكأنّه اغترّ بما عنده من العلم<sup>(2)</sup>.

وقول التوريشتي فيه نظر، فليس في الحديث ما يشير إلى أنّ الرجل لم يرجع إلى مصدر الوحي ولا إلى احتمال أنّ ذلك كان بسبب اغتراره بعلمه، بل الذي في الحديث خلاف ذلك، فالرجل رجع وأعاد الصلاة ثلاث مرّات تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ، ثم أقسم أنّه لا يحسن غير ما أظهر، وطلب من الرسول ﷺ أن يعلمه، وفي رواية (فَقَالَ الرَّجُلُ فِي آخِرِ ذَلِكَ: فَأَرِنِي وَعَلِّمْنِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُصِيبُ وَأُخْطِئُ)<sup>(3)</sup>، ثم إنّ المعروف عن الرسول المعلم ﷺ هو غيرته على دين الله تعالى وشدة حرصه على تعليم الناس، فلو رأى ﷺ منه غرورا لما أقرّه عليه، أمّا باقي الأقوال فهي متقاربة، فالمازري يرى أنّ التكرار قد يذهب غفلة ونسيان الرجل لما يحسنه من كيفية الصلاة الصحيحة، ويزيد النووي على ذلك أنّ التعليم بعد التكرار أبلغ وأفضل للرجل المتعلم ولغيره ممّن حضر الموقف التعليمي، أمّا ابن دقيق فيرى أنّ المصلحة منعت من الإسراع إلى تصحيح خطأ الرجل المتعلم، ذلك أنّ نسبة القدرة على التحصيل للعلم تزيد بعد التكرار، وحيثما وجدت المصلحة فتمّ شرع الله تعالى. ونرى أنّ تفسير ابن دقيق العيد جدير بالنظر والدراسة، قال في إحكام الأحكام: «وزيادة قبول المتعلم لما يلقي إليه، بعد تكرار فعله، واستجماع نفسه، وتوجه سؤاله - مصلحة مانعة من وجوب المبادرة إلى التعليم. لا سيما مع عدم خوف الفوات، إما بناء على ظاهر الحال، أو بوحى خاص»<sup>(4)</sup> وعند تحليل كلامه نجد فيه ما يأتي:

1- أنّ مقدار قبول المتعلم لما يلقي إليه يزيد وينقص.

<sup>1</sup> وهو أبو عبد الله فضل الله بن حسن شهاب الدين التوريشتي (324 هـ - 403 هـ)، : كان حنفياً وقيل شافعيّاً، عالماً حافظاً يُدعى نعمان الزّمان، روى عن والده والمؤيد الطوسي ومحمود بن أسعد العجلي، وروى تصانيف البغوي عن نور الشريعة الحافظ و"المصاييح" عن أثير الدين محمد، وأخذ التصوف عن الشيخ الشّهْروردِي، من كتبه مطلب الناسك في علم المناسك والميسر في شرح مصاييح السنة، ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، 12/3-13، والأعلام للزركلي، 152/5.

<sup>2</sup> فتح الباري لابن حجر، 281/2، والميسر في شرح مصاييح السنة للتوريشتي 229/1.

<sup>3</sup> سنن الترمذي، 100/2 ر 302، وصحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 177/1.

<sup>4</sup> إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، 262/1

- 2- أن نسبة قبول المتعلم للتحصيل ترتفع بالطريقة العملية.
- 3- أن للتكرار (المحاولة والخطأ) أثر كبير في زيادة قبول حدوث التعلم.
- 4- أن التكرار يدفع المتعلم إلى استجماع نفسه، أي حشد خبراته ومهاراته.
- 5- أن المعيار في الحكم على طرائق التدريس هو مدى تنشيطها للمتعم وتحويلها لإيجابيته، وتلك هي مصلحة المتعلم التي تمنع وجوب بادرة المعلم إلى تعليمه قبل بذل الجهد والمحاولة. فعلى المعلمين أن يوظفوا أسلوب الممارسة العملية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً<sup>(1)</sup>.
- ثالثاً- قول الرسول ﷺ لمالك بن الحويرث وأصحابه رضي الله عنهم (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم... وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم)<sup>(2)</sup>.
- وعن جابر رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: (لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلّي لا أحج بعد حجتي هذه)<sup>(3)</sup>.
- لقد كان الرسول ﷺ يجعل من صلواته ومناسكه مجالاً رحباً لتعليم من حوله، وعندما صنع المنبر صلى عليه والناس ينظرون إليه ثم بين لهم أنه إنما فعل ذلك ليتعلموا الصلاة بالطريقة العملية، قال ﷺ: (يا أيها الناس إني صنعْتُ هذا لتأتموا بي. ولتعلّموا صلاتي)<sup>(4)</sup>، والمعنى «أي تتعلموا صلاتي بالمشاهدة، فإن الصلاة على المنبر يراها كل المصلين بخلاف الصلاة على الأرض فإنه لا يراها إلا بعضهم ممن قرب منه»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> لمعلمي مادة العلوم الإسلامية مجال رحب في تعزيز النظري العملي، كأن يُنزلوا المتعلمين إلى ساحة المدرسة لتأمل بعض آيات القدرة في النبات بعد درس العقيدة، أو لتعلم كيفية الوضوء والصلاة، أو ينظّموا رحلات تعليمية لدور العجزة بعد درس الزكاة والصدقة وغير ذلك.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 226/1، 605، صحيح مسلم، 465/1، 674.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، 943/2، 1297.

<sup>4</sup> البخاري 310/1، 875، صحيح مسلم، 386/1، 544.

<sup>5</sup> فتح المنعم للاشين، 168/3.

وتنقل كتب الحديث عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم عبارات تدلّ على ثبات العلم ورسوخه في أذهانهم بسبب ما حصلوه بالطرائق العمليّة، كقول أبي حميد الساعدي رضي الله عنه جازماً (أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ)<sup>(1)</sup>، وهذا من الآثار التربوية للممارسة العمليّة.

وقد أشار الإبراهيمي إلى اعتماد مدارس الجمعيّة لطريقة السلف في التعليم، والتي منها التمرينات التطبيقية في التدريس، فأسلوب «الجمعية في التعليم الديني في المساجد على إطلاقه العناية بالمعنى والنفوذ إلى صميمه من أقرب طريق يؤدي إليه، وتحليلته للسامعين بالصور العملية التطبيقية [وتدريس اللغة العربيّة يتمّ] بتلقين التلامذة أبسط القواعد في أسهل التراكيب، ثم تمكينها من نفوسهم بالتمرينات التطبيقية...»<sup>(2)</sup>، أمّا ابن عاشور فيرى أنّ من أسباب تأخّر التعليم في العالم الإسلاميّ «إهمال التمرين والعمل بالمعلومات كما هو الغاية من كلّ علم»<sup>(3)</sup>.

إنّ ما سبق من نصوص يدلّ على اعتماد مدرسة النبوة لمبدأ تعزيز التعلّم بالممارسة العمليّة، وما جاء فيه من أحاديث كثيرة دالّة على مداومة الرسول ﷺ عليه يشير إلى أهميّة هذا المبدأ في إحداث وترسيخ التعلّم.

### المطلب الخامس: مبدأ التدرّج

يوصي التربويّون بمراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس بسبب دورها الفعّال في تيسير وترسيخ التحصيل الدراسيّ، وستنطرق إلى موقف القرآن الكريم والسنة من هذا المبدأ.

### الفرع الأوّل: مبدأ التدرّج في القرآن في الكريم

مبدأ مراعاة التدرّج هو الاعتداد بالقواعد الأساسية لطرائق التدريس في خطوات الدرس، كأن ينتقل المعلّم من المحسوس إلى المجرّد، ومن البسيط إلى المركب، وقد اعتنى القرآن بالتدرّج في الدعوة والتربيّة، وتعدّدت مواقفه التعليميّة في ذلك، وسنذكر في كلّ قاعدة بعض ما جاء فيها من أدلّة.

<sup>1</sup> سنن أبي داود، 54/2، ر734، وذكر الأرنؤوط أن إسناده حسن. سنن الترمذي، 105/2، ر304، ابن ماجة: 42/2، ر862، ومثله قول أبي هريرة (إِنِّي لَأَقْرُبُكُمْ شَبَهًا بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) البخاري 276/1 ر770. وقول مالك بن الحويرث: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، صحيح البخاري 282/1 ر785. وقول عبد الله بن مسعود: (أَلَا أُصَلِّي بِكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أبو داود وغيره 65/2 ر748 وذكر الأرنؤوط أنّ رجاله ثقات. وقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أُخْرِمُ عَنْهَا) أي ما أنقص منه، صحيح البخاري، 262/1 ر722، صحيح مسلم 334/1 ر453.

<sup>2</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، 192/1.

<sup>3</sup> أليس الصبح بقريب لابن عاشور، ص112.

**أولاً: التدرّج من المعلوم إلى المجهول:** بأن يبدأ المعلّم مع المتعلّمين من الأشياء الموجودة حولهم إلى الأشياء غير المألوفة لديهم، فيربط الخبرات الجديدة بخبراتهم القديمة لترسخ في ذهنهم ويرتفع لديهم مستوى قابلية التعلّم<sup>(1)</sup>.

أ- قال الله تعالى: قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل: 103].

والمعنى إنّنا لنعلم أن المشركين يقولون: إنّ محمّداً يعلمه بشرٌ وليس ما أتى به وحياً من الله، إنّ اللسان الذي تشيرون إليه أعجمي، فهو عبد روميّ كما تزعمون، وهذا الكتاب لسان عربيّ مبين، فكيف يتعلّم من جاء بهذا القرآن في فصاحته ومعانيه من رجل أعجمي؟<sup>(2)</sup>.

لقد كان المشركون متيقّنين من فصاحة وبلاغة القرآن الكريم، وهم الذين استسلموا عندما تحدّاهم بأن يأتوا بمثل ذلك الكلام، فتدرّجت الآية بهم ممّا هو معلوم عندهم بيقين تامّ إلى المجهول وهو استحالة تعليم الأعجمي للرسول ﷺ هذا الكلام.

ب- قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْعَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)﴾ [سورة الصافات].

والمعنى أنّكم يا أهل مكة تمّرّون على منازل قوم لوط عليه السلام التي فيها آثار عذابهم، بالنهار وأنتم ذاهبون إلى الشام، وبالليل أثناء رجوعكم، أفلا تتدبّرون بعقلٍ واعٍ فتعتبرون بما تشاهدونه في ديارهم من عقاب الله النازل بهم، فتخافوا أن يحلّ بكم ذلك وتصيروا إلى ما صاروا إليه لمخالفتهم رسولهم<sup>(3)</sup>.

فما حلّ بقوم لوط عليه السلام هو المعارف السابقة لقريش، فسارت بهم الآيات ممّا هو معلوم عندهم إلى ما يجهلونه وهو نزول عذاب الله تعالى بمن كذّب رسله عليهم السلام.

**ثانياً: التدرّج من البسيط السهل إلى المركّب الصعب:** ففي بيان قدرة الله تعالى يمكن للمعلّم أن يبدأ بالأمور البسيطة السهلة المألوفة بالنسبة للمتعلم مثل إخراج الأرض للنبات ثم ينتقل

<sup>1</sup> استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية للهاشمي، ص288، وأساليب وطرق التدريس الحديثة، للجبالي، ص7، وأساليب تدريس الرياضيات المعاصرة لنائل الناطور، ص84، وطرائق تدريس القرآن الكريم والتجويد لجمال القرش، ص13.

<sup>2</sup> تفسير المراغي، 14/143.

<sup>3</sup> التفسير المنير للزحيلي، 12/151.

إلى الأمور المركّبة الصعبة مثل إحياء الله تعالى للموتى، وفي تحفيظ القرآن يبدأ بالسورة السهلة ذات الآيات القصيرة المعدودة ثم ينتقل إلى السور الطويلة<sup>(1)</sup>.

أ- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: 57].

تُصوّر الآية مشهد الأرض التي أخرج الله تعالى فيها من كل الثمرات بعد أن كانت هامدة، ثم يأتي التذكير بأنّ الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء من مات من البشر، فالانطلاق ممّا هو بسيط لدى المتعلم مهمّ جدّاً في توجيهه إلى تصوّر ما هو مركّب ومعقّد.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، يشير إلى الأثر التربوي لقاعدة السير من البسيط السهل إلى المركّب الصعب، فالتردّج من شأنه أن يسهم في تحقّق الاعتبار والاتّعاظ الذي يمكن من تصوّر إمكان إعادة بعث من مات.

ب- قال الله سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)﴾ [سورة الأنبياء]

بعد أن ذكر الله تعالى قصّة سيدنا زكريّا عليه السلام وأنّه أوجد منه ولده يحيى عليهما السلام في حالٍ عقم زوجته وكبره، أردف ذلك بذكر قصّة مريم وأنّه أنجب منها عيسى عليهما السلام من غير أب، «وبدأ بقصة يحيى لأن خلق الولد من شخصين فانيين أقرب إلى مناهج العادات من خلق الولد بلا أب، ثم ثنى بقصة عيسى لأنها أغرب من تلك. ومن حسن طرق التعليم والتفهيم التدرّج بالانتقال من الأقرب منالاً إلى أصعب منه، وهكذا صُعداً<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية لعبد الرحمن الهاشمي وآخرون، ص 289، وطرائق تدريس القرآن الكريم والتجويد لجمال القرش، ص 12.

<sup>2</sup> تفسير المراغي، 41/16.

ثالثاً: التدرّج من المحسوس إلى المجرّد: أي أن يسير المعلّم بالمتعلّمين من المعالم الحسيّة إلى المدركات المعنوية، فقاعة الدرس لها صانع والباب له صانع وكذا بالنسبة للكون، والانسان وباقي المخلوقات لا بد لهم من صانع وهو الله سبحانه وتعالى<sup>(1)</sup>.

أ- قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. [سورة الروم:28].

ضرب الله تعالى مثلاً للمشركين فخطبهم هل يرضيكم أن يكون لكم من عبيدكم شركاء يساوونكم في التصرف في أموالكم؟ وأنتم تخافون أن يقاسموكم ما تملكون؟ وإذا كنتم لا ترضون ذلك وتأنفون منه، فكيف تتخذون عبيد الله تعالى شركاء له؟ فمن أساليب القرآن المتميزة «تصوير المعنويات بصور المحسوسات، وضرب الأمثال الواقعية تقريباً للأذهان، وإمعاناً في الإقناع»<sup>(2)</sup>.

ونرى حضور المتعلّمين قوياً في الآية لكي يسهل الانتقال من المحسوس إلى المجرّد، فالمثل المضروب لكم أنتم، وضمائر المخاطب كثيرة جداً بالنسبة إلى قصر الآية: ﴿لَكُمْ﴾، ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، ﴿هَلْ لَكُمْ﴾، ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾، ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾، ﴿فَأَنْتُمْ﴾، ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾، ﴿خِيفَتِكُمْ﴾، ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾، فعلى المعلّمين أن يتأكدوا من وضوح المحسوسات في أذهان المتعلّمين لكي يسهل التدرّج بهم إلى المعقولات، وليس أفضل هنا من طريقة القرآن والسنة حيث يُوظف أقرب ما في بيئة المتعلّم إلى خبراته، وتُختَم الآية بقوله عز وجل: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وهو إشارة إلى الأثر التربوي، فإدراك العقول للمعاني المجرّة بعض نتائج توظيف قاعدة التدرّج من المحسوس إلى المعقول.

ب- قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. [سورة الملك:22].

إنّ معنى الآية هل الذي يمشى وهو يتعثّر في كلّ حين، ويجرّ على وجهه في كل خطوة يخطوها بسبب توعّر دربه، أهدى وأرشد سبيلاً أم من يمشى سالماً من التخبّط على طريق سويّ لا اعوجاج فيه؟ فالمشرك بالله تعالى هو المكبّ على وجهه الذي يمشى عليه في جهنّم، والموحّد هو الذي يمشى

<sup>1</sup> استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الاسلامية لعبد الرحمن الهاشمي، ص 289. وطرائق تدريس القرآن الكريم والتجويد لجمال القرش، ص 13.

<sup>2</sup> التفسير المنير للزحيلي، 84/11.

سويًا ويُحشر على قدميه إلى الجنة، والمقصود بيان الفرق بين المشرك والموحد، وقد ظهر «المعقول بصورة المحسوس، ليكون أبين للحجة، وأوضح لطريق المحجة»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ التدرج في السنة النبوية

قامت مواقف السنة على اعتبار هذا المبدأ، وسنذكر بعض الأحاديث الدالة على ذلك:

#### أولاً: التدرج من المعلوم إلى المجهول :

أ- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ، تَبْتَعِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ، أَحَدْتُهُ فَأَلْصَقْتُهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعْتُهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟) قُلْنَا: لَا. وَاللَّهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا)<sup>(2)</sup>.

جاء بسبي إلى المدينة فيه نساء، فإذا بامرأة تسقي الأطفال التي في السبي، فوجدت صبياً فأخذته فألزمته بطنها وعُرف من السياق أنها كانت قد فقدت ابنها فكانت كلما وجدت صبياً اندفعت نحوه بالرحمة فضمته لصدرها، فسأل الرسول ﷺ الحاضرين مغتتماً لهذا الحدث: أتنظون أنها بهذه الرحمة التي هي عليها ترمي ولدها في النار؟ فقالوا لا والله لا تفعل ذلك طائفة أبداً، فقال رسول الله ﷺ والله الله أرحم بمن مات على الإسلام من هذه الأم بولدها<sup>(3)</sup>.

لقد تدرج الرسول ﷺ بالصحابة في بيان حقيقة رحمة الله تعالى، فاتخذ ما يعلمونه عن الرحمة البشرية منطلقاً نحوها، واغتنم حادثة سقي الصبية من طرف المرأة المفجوعة بفقدان ابنها، ليعبر بهم إلى حقيقة رحمة الله تعالى، فما فاض به المشهد من رحمة الأمومة ليس إلا جزءاً يسيراً بالنسبة لرحمة الخالق تعالى، وهكذا يتمكن المتعلم من إدراك مدى سعة الرحمة التي وسعت وعمت كل شيء.

ب- جاء أعرابي النبي فقال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، فقال: (هل لك من إبل)، قال: نعم، قال: (ما ألوانها)، قال: حمراء، قال: (هل فيها من أورك)، قال: نعم، قال: (فأني كان ذلك) قال: أراه عزق نزعته، قال: (فلعل ابنك هذا نزعته عزق)<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> تفسير المراغي، 21/29.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 2235/5 ر 5653، وصحيح مسلم، 2109/4 ر 2754 واللفظ له.

<sup>3</sup> فتح المنعم للاشين، 316/14.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، 2511/6 ر 6455، وصحيح مسلم، 1137/2 ر 1500.

خشى رجل أن يكون الولد الأسود الذي ولدته زوجته ليس منه، فسأل الرسول ﷺ كيف يولد لي ولزوجتي غلام أسود وليس فينا سواد، وإن قلبي يستنكره، فسأله الرسول ﷺ عن لون ما ولدت إبله، قال حُمْر، قال هل بين أولادها جمل أسمر، قال نعم، قال من أين جاء الأسمر وأبواه لا سمرة فيهما، قال ربما أخذ لونه من أصل بعيد، قال لعن ابنك الأسمر هذا أخذ لون من أصل بعيد فاطمأن الرجل ورجع إلى أهله راضياً مرضياً<sup>(1)</sup>.

إنّ المقيس هو الولد الأسمر، والمقيس عليه هو الجمل الأورق، وإذا كانت جميع الدوابّ صالحة للتشبيه بها فلم اختار النبي ﷺ الإبل تحديداً؟

والجواب أنّ الرسول ﷺ أراد تسهيل تعليم الأعرابي فانطلق من بيئته المعرفيّة، فما يعرفه السائل عن الإبل يفوق بكثير ما يعرفه عن غيرها بحكم عنايته بها لحاجته القصوى إليها، فوظّف الرسول ﷺ تلك الخبرات كمنطلق يتدرّج منه بالسائل إلى ما يجهره.

### ثانياً: التدرّج من البسيط السهل إلى المركّب الصعب:

أ- قال رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: (أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) قَالَ فَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةَ رَبِّنَا<sup>(2)</sup>.

إنّ استغراب الرجل لمشي الإنسان على وجهه يوم القيامة دليل على أنّ المراد الحقيقة لا المجاز، إذ لو فهم الرجل غير الحقيقة لما سأل، ولو كان كذلك وسأل لبين النبي ﷺ المراد.

إنّ تصديق ذلك متوقّف على إيمان الشخص بمطلق قدرة الله تعالى، ومن المهمّ هنا لفت الانتباه إلى أنّ قدرة الخالق سبحانه في الأمور التي ألفها واعتادها الناس حتى تبدّد حسّهم نحوها فلم يرووا ما فيها من دلائل القدرة، (وذلك أن مشي الإنسان على رجله إذا نظر الإنسان فيه، وفكر في القدرة في مطاويه، سلم لفاعلها جل جلاله نفاذ القدرة على كل شيء على الإطلاق)<sup>(3)</sup>.

ومعنى ذلك أنّه ينبغي الانطلاق مما هو بسيط بالنسبة للمتعلم، فإذا أعاد التفكير فيه ودقّق في تفاصيله وظهرت له قدرة الخالق فيه، تدرّج المعلم به إلى ما هو أعقد.

<sup>1</sup> المنهل الحديث للاشين، 80/4.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 2390/5، 6158، وصحيح مسلم، 2161/4، 2806 واللفظ له.

<sup>3</sup> الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة، 200/5.



وقول التابعي قتادة رضي الله عنه: (بَلَى وَعَزَّةَ رَبِّنَا) يشير إلى تفاعله مع طريقة الرسول ﷺ في بيان قدرة الله تعالى، وهو الأثر التربوي لقاعدة التدرج من البسيط إلى السهل.

ب- قالت امرأة للنبي ﷺ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تُحْجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تُحْجَّ، أَفَأُحْجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ؟)، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: (أَفْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) (1).

وقال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، قَالَ: فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى) (2).

يتدرج الرسول ﷺ بالسائل من المعنى السهل والبسيط الذي يدركه، وهو ديون العباد على بعضهم البعض، إلى المعنى الصعب المركب وهو ديون الله على العباد، ونلاحظ أنّ السير هنا يتم بحضور وإيجابية المتعلم السائل كما تدلّ عليه كثرة ضمائر المخاطب (حُجِّي عَنْهَا) (أَرَأَيْتِ) (أُمِّكَ) (أَكُنْتَ) (قَاضِيَتَهُ)، ثم لا بد أن يستحضر ما يمكنه تذكّره من خبرات سابقة لها علاقة بالقضية، و«قوله (أَرَأَيْتِ إلخ) فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه، وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه. وفيه أنه يستحب للمفتي التنبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصلحة وهو أطيب لنفس المستفتي وأدعى لإذعانه وفيه أن وفاء الدين المالي عن الميت كان معلوما عندهم مقررا ولهذا حسن الإلحاق به» (3).

والإمام الإبراهيمي يعتمد التدرج منهجاً في تحصيل اللغات، فيدعو المعلمين إلى «حمل التلامذة على التكلم بالعربية الفصحى ما داموا في المدرسة، وتدرّجهم على الكلمات السهلة، ثم الجمل الفصيحة، ثم التراكيب الجارية على القوانين العربية، فلا يجاوزون مرحلة التعليم الابتدائي إلا وهم عرب "صغار"» (4)، كما أنه يعتبر التزام مدارس الجمعية بمبدأ التدرج أحد مفاخرها، فتعليم اللغة العربية فيها يتم «بتلقين التلامذة أبسط القواعد في أسهل التراكيب» (5).

### ثالثاً: التدرج من المحسوس إلى المجرد:

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 657/2، ر1754.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 690/2، ر1852. 35/3، ر1953.

<sup>3</sup> فتح الباري لابن حجر، 66/4.

<sup>4</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، 264/5.

<sup>5</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، 192/1.

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَعْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفْحَمُونَ فِيهَا) (1).

قال النووي: «ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله» (2).  
إنَّ احتراق الحشرات بالمصايح الكهربائية مشهد مألوف للمتعلّم، وهو يعلم جيدا أنّها لا تريد الهلاك، ولو استطاع هو نفسه أن يمنع احتراق الفراشة بالمصباح لفعل، والمطلوب من المعلّم هو استغلال هذه الخبرات للبناء عليها، والتدرّج منها إلى بيان حقيقة نبي الرحمة ﷺ.

أما من يرى أنّ صواب (فأنا آخذٌ بحجركم) هو (بحجزهم)، بحجّة أنّ المتقدّم هو (إنّما مثلي ومثلك الناس) فهو خطأ، لأنّ الرسول أنّ ﷺ التفت من الغيبة إلى الخطاب، لكي تقع الموعدة من قلوبهم أتمّ موقع (3).

والفتات الرسول المعلّم ﷺ امتداد لعادات القرآن والسنة في التعامل مع المتعلّم حيث يكون حاضراً وفاعلاً وإيجابياً، وهو مسلك معروف فيهما وقد تمت الإشارة إليه مرات، كما أنّ هذا الالتفات يشعر الحاضرين بأنهم هم المعنيون بالمثل، فيعود بهم من جوّ استشعار أركان التشبيه ليتدرّج بهم إلى المعنى المقصود.

ب- قال الرسول ﷺ: (لَللّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ. وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَأَيَسَ مِنْهَا. فَأَتَى شَجْرَةً. فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا. قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ. فَأَخَذَ بِحِطَامِهَا. ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) (4).

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 2379/5، ر6118، صحيح مسلم، 1789/4، ر2284.

<sup>2</sup> شرح مسلم للنووي، 50/15.

<sup>3</sup> مصابيح الجامع لبدر الدين الدماميني، 443/9.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، 2325/5، ر5950، صحيح مسلم، 2104/4، ر2747. واللفظ له.

فقد مسافر راحلته في أرض قفر، وكان عليها ما تزوّد به من طعام وشراب، فبحث عنها حتى انقطع رجأؤه في العثور عليها، وبينما هو مضطجع في ظل شجرة إذ بالراحلة قائمة عنده، فلما أراد أن يشكر الله تعالى قال اللهم أنت عبي وأنا ربك، أخطأ من شدّة فرحه بالنجاة.

والحديث نموذج للانتقال من المحسوس إلى المعقول، ويظهر فيه الاعتناء بمعارف المتعلّمين السابقة كقاعدة يُبنى عليها، فيصوّر الحديث تفاصيل وجزئيات المشهد كما يدركه العربيّ في واقعه، مثل البعير والزاد والأرض القفر وظل الشجر ويأس التائه في الصحراء وفرحة فاقد الرجاء، فهذا المشهد المألوف المتكرّر بجميع دقائقه هو الأساس الذي يُعتمد عليه في عبور المتعلّمين من المحسوسات إلى المجرّدات.

إنّ ما سبق من نصوص يدلّ على اعتماد مدرسة النبوة لمبدأ مراعاة القواعد الأساسية لطرائق التدريس، وقد ظهر ذلك جلياً في مواقفها التدريسيّة حيث قاعدة التدرّج من المعلوم إلى المجهول، بأن يبدأ المعلّم مع المتعلّمين من الأشياء الموجودة حولهم إلى الأشياء غير المألوفة لديهم، وقاعدة التدرّج من البسيط السهل إلى المركّب الصعب، بأن يبدأ المعلّم بالأمر البسيطة السهلة المألوفة بالنسبة للمتعلم ثم ينتقل إلى الأمور المركّبة الصعبة، وقاعدة التدرّج من المحسوس إلى المجرّد، حيث يسير المعلّم بالمتعلّمين من المعالم الحسيّة إلى المدركات المعنوية.

## المبحث الثاني: المبادئ المتعلقة بأساليب التدريس في درس القرآن والسنة العقدي

تهتم الدراسات والبحوث التربوية بأساليب التدريس أيما اهتمام لما لها من دور كبير في تحقق الأهداف التعليمية المسطرة، وإنّ المتتبع لما جاء في كتاب الله سبحانه وفي سنة نبيه ﷺ من مواقف تعليمية ليتبين عنايتهما بأساليب التدريس، كما يتبين له أنّها قائمة على مبادئ وقواعد تظهر فيها الكثير من الخصوصية الإسلامية، وذلك لأن الأساليب تتعلق بشخصية المعلم المصبوغة بصبغة الاسلام، فإذا قامت على مبادئها التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ظهرت فعاليتها في مخرجات العملية التعليمية التعلمية.

وفي هذا المبحث نتناول المبادئ الخاصة بأساليب التدريس متمثلة في مبدأ القدوة، ومبدأ التكرار، ومبدأ الثواب العقاب ومبدأ توظيف فاعلية أساليب بالتدريس.

## المطلب الأول: مدخل إلى أساليب التدريس.

تتطرق في هذا المدخل إلى عرض ما له علاقة مباشرة بالمبادئ التدريسية الخاصة بأساليب التدريس مثل تعريفها وأنواعها ومعايير اختيارها.

### الفرع الأول: تعريف أساليب التدريس.

#### أولاً: تعريف الأساليب لغة:

الأسلوب في اللغة العربية الطريق والفرنّ والمذهب، قال ابن منظور: «والأسلوب: الطريقُ تأخذ فيه. والأسلوب، بالضم: الفنُّ؛ يُقال: أخذ فلانٌ في أساليب من القول أي أفانين منه»<sup>(1)</sup>. وفي المعجم الوسيط: «(الأسلوب) الطريق. ويُقال سلكت أسلوب فلان في كذا طريقته ومذهبه، و- طريقة الكاتب في كتابته. و- الفن. يقال أخذنا في أساليب من القول فنون متنوعة... (ج) أساليب»<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: تعريف الأساليب اصطلاحاً:

عرّف أسلوب التدريس بتعاريف كثيرة ومن ذلك:

أ- أنه «النمط التدريسي الذي يفضلُه معلّم ما»<sup>(3)</sup>.

ب- وهو «الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس»<sup>(4)</sup>.

ج- والأسلوب هو النمط «الذي يتبعه المعلم في تنفيذ طريقة التدريس بصورة تميزه عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون نفس الطريقة»<sup>(5)</sup>.

إنّ أسلوب التدريس يرتبط بشخصية وسمات المعلمين، وهو قد يختلف من معلّم إلى آخر ولو اتبعا نفس الطريقة في عرض الدرس، فطريقة المحاضرة مثلاً قد تُؤدّى من طرف معلّم تسلّطي فتكون نموذجاً للتدريس التقليديّ، وقد تُؤدّى من طرف معلّم ديمقراطي فيعمل على تحقيق إيجابية ومشاركة المتعلّمين وربط موضوع الدرس بحياتهم ومشاكلهم.

#### ثالثاً: الفرق بين طريقة وأسلوب التدريس

<sup>1</sup> لسان العرب، 473/1.

<sup>2</sup> المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية 441/1.

<sup>3</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 21.

<sup>4</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 21، أساليب وطرق التدريس الحديثة لحمزة الجبالي، ص 10.

<sup>5</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 231، أساليب وطرق التدريس الحديثة لحمزة الجبالي، ص 10.

سبق القول إنّ طريقة التدريس هي سلسلة الاجراءات المنظمة التي يؤدّيها المعلّم لتمكين المتعلّمين من تحقيق الأهداف المرغوبة، أمّا الأسلوب فهو نمط وصفة تناوله لتلك الطريقة. فإذا كانت طرائق التدريس هي وسائل الاتصال المستخدمة من طرف المعلّمين لإيصال المحتويات الدراسيّة إلى المتعلّمين، فإنّ أساليب التدريس هي الكيفيّة التي يتناولون بها تلك الطرائق في تنفيذهم للدروس، «ومن ذلك نستنتج أنّ الطريقة أشمل من الأسلوب ولها خصائصها ومميزاتها العامة، ويمكن أن يستخدمها أكثر من معلم، في حين أن الأسلوب خاص بالمعلم، ويرتبط بالخصائص الشخصية له»<sup>(1)</sup>.

## الفرع الثاني: أنواع أساليب التدريس.

### أنواع أساليب التدريس

تتنوّع أساليب التدريس كما تتنوّع طرائقه، ومنها:

أ- أسلوب التدريس المباشر: أي الأسلوب الذي تظهر فيه آراء وأفكار المعلّم الذاتيّة، ويرتبط أحيانا كثيرة بالمعلّم التسلّطيّ، فهو هنا يزوّد المتعلّمين بالخبرات والمهارات التعليميّة التي يراها مناسبة، كما يقوّم مستويات تحصيلهم وفقاً لاختبارات محدّدة، ويتلاءم الأسلوب المباشر مع طرائق تدريسيّة خاصّة مثل طريقة المحاضرة.

ب- أسلوب التدريس غير المباشر: هو الأسلوب الذي يظهر في تشجيع المعلّم للمتعلّمين لإشراكهم في العمليّة التعليميّة لتحقيق إيجابيتهم، فهو يسعى إلى التعرّف على آرائهم ومشكلاتهم ووضع الحلول المناسبة لها، ومن الطرائق التي يُستخدم معها هذا الأسلوب طريقة حلّ المشكلات.

ج- أسلوب التدريس القائم على المدح والنقد: أكّدت بعض الدراسات وجهة النظر التي تفيد أن أسلوب التدريس الذي يراعي المدح المعتدل يؤثّر تأثيراً إيجابياً على التحصيل لدى المتعلّمين، فكلّما تشجّع مثل "حسن" و"ممتاز" و"شكر لك" ترتبط بنمو التحصيل في العلوم في المدارس الابتدائية، كما أن إفراط المعلّم في النقد يؤدّي إلى انخفاض في التحصيل لديهم.

د- أسلوب التدريس القائم على التغذية الراجعة: أكّدت بعض الدراسات أن أسلوب

---

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص21، وأساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات، عدنان أبو دية، ص154، وأساليب وطرق التدريس الحديثة لحمزة الجبالي، ص10، طرائق تدريس التربية الرياضية وأساليبها للربيعي وحمامين، ص155.

التدريس الذي يقوم على التغذية الراجعة له تأثير إيجابي على تحصيل المتعلمين، وأن التلاميذ الذين يُدرّسون به يكونون أقدر على التذكّر من غيرهم، فحدوث التعلّم ورسوخه هنا راجع إلى تتابع تزويد المعلم لهم بمستويات تقدّم تحصيلهم ونموّه.

**هـ- أساليب التدريس القائمة على تنوع وتكرار الأسئلة:** حاولت بعض الدراسات أن توضح العلاقة بين أسلوب التدريس القائم على نوع معيّن من الأسئلة وبين تحصيل التلاميذ، حيث أيدت وجهة النظر التي تقول إنّ تكرار إعطاء المعلم للأسئلة مرتبط بنمو التحصيل لدى المتعلمين، بغض النظر عن الكيفيّة التي تطرح بها هذه الأسئلة، وتوصّلت إحدى هذه الدراسات إلى أنّ تكرار الإجابات الصحيحة يرتبط ارتباطاً موجّباً بالتحصيل الدراسيّ المتعلّم.

**و- أساليب التدريس القائمة على وضوح العرض:** المقصود بالعرض هنا تقديم المعلم للدرس بوضوح يُيسّر فهم واستيعاب المتعلمين له.

**ز- أسلوب التدريس الحماسيّ للمعلم:** يرتبط حماس المعلم في عرض الدرس ارتباطاً وثيقاً بارتفاع مستوى التحصيل الدراسيّ عند المتعلمين، ويكون هذا الحماس أبعد تأثيراً إذا كان متّزناً<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: مبدأ القدوة

أولى الإسلام القدوة اهتماماً كبيراً لما لها من دور وأثر كبيرين في التعليم والتعلّم، وسنعرض هنا بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبويّة من أدلّة في هذا المبدأ.

### الفرع الأول: مبدأ القدوة في القرآن الكريم

تُعتبر القدوة في القرآن من أفضل أساليب التدريس، وذلك لأنّها تطبيق عمليّ ييسّر للمتعلّمين تحقيق الأهداف المنشودة، ويحفّزهم ويدفعهم إلى ذلك، فمشاهدة المتعلّم للسلوك المراد اكتسابه أبلغ من أي أسلوب آخر، والتزام المعلم بهذا المبدأ قد يظهر عندما تسبق أعماله أقواله بلا قصد، ولكن قد يظهر أيضاً إذا عمّد إلى توظيف الاقتداء والنموذج لإحداث التعلّم وتثبيتته، وستناولهما جميعاً بلا تمييز، ومّا جاء في القرآن من آيات في هذا المبدأ:

---

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص232-236، وأساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات، عدنان أبو دية ص155-166، طرائق تدريس التربية الرياضية وأساليبها محمود الربيعي وسعيد حمدامين، ص155-160، وأساليب وطرق التدريس الحديثة لحمزة الجبالي، ص11-15.

أولاً- قال الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35].

يثبت الله تعالى رسوله ﷺ على المضي فيما حمّله من عبء تبليغ الرسالة، فيأمره بالإتساء في ذلك بأولي العزم من الرسل الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من مكذّبيهم من المكاره، وناهم فيه منهم من الشدائد<sup>(1)</sup>، والقرآن في أمره للرسول ﷺ بالصبر يقدم له نموذجاً معروفاً له ﷺ، إنّه صبر أولي العزم من الرسل عليهم السلام كما يقرأ عنه في كتاب الله تعالى، لقد أودى ﷺ كما أودوا عليهم السلام، فإذا صبر كما صبروا نصره الله تعالى كما نصرهم، وهذا هو المقصود بالتعليم بالتمذجة والافتداء والملاحظة.

ثانياً- قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:90].

يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالافتداء بالرسول عليهم السلام في عملهم الذي يرضي الله ومنهاجهم الذي يهتدي سالكه<sup>(2)</sup>.

ومثلها أيضا قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:120]، أي نقص عليك أيها الرسول ممّا جرى للرسول عليهم السلام مع قومهم ما نقوي به قلبك فتتأسى بهم وتصبر على أذى قومك، والنبى ﷺ إذا علم أن حال الأنبياء كلهم مع أتباعهم هكذا فإنّه يسهل عليه تحمل ما يلاقيه<sup>(3)</sup>، فالنص يقدم للرسول ﷺ نماذج للصبر والاحتمال والمضي فيما كلف به من أعباء الدعوة، وهذه حقيقة التعليم بالتمذجة، وفي قوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ إشارة واضحة إلى الأثر التربوي للتعليم بالقدوة.

ثالثاً- قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21].

<sup>1</sup> تفسير الطبري، 176/21.

<sup>2</sup> تفسير الطبري، 391/9.

<sup>3</sup> تفسير للخازن، 508/2.



إنّ الآية خطاب للمؤمنين لكن فيها «تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بالإسوة الحسنة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض»<sup>(1)</sup>، أي أنّ ما كان يوم الأحزاب حيث بلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف لم يكن حجة للشك في وعد الله تعالى، ذلك أنّ هذا الموقف يمكن تجاوزه رغم ما تركه من اضطراب في النفوس، فإذا تطرّق الريب إلى قلوبكم فهذا رسول الله ﷺ بين أظهركم صابر مرابط، وأنتم تشاهدون ذلك بأعينكم فأتى لكم الظنون في الله؟ فالآية الكريمة بحق «أصل كبير في التأسّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسّي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين»<sup>(2)</sup>.

رابعاً- وقال أيضاً ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110].

إنّ أهم ما يلفت الانتباه في الآية الكريمة -فيما خصّ موضوع القدوة- هو قوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ حيث إنّ صيغة المبني للمجهول ﴿أُخْرِجَتْ﴾ «تعبير يلفت النظر. وهو يكاد يشي باليد المدبرة اللطيفة، تخرج هذه الأمة إخراجاً، وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب...أمة ذات دور خاص. لها مقام خاص، ولها حساب خاص»<sup>(3)</sup>.

ثمّ إنّ هذا الإخراج الربّاني موجهٌ ﴿لِلنَّاسِ﴾، ولا معنى لتدبير الله تعالى بإخراج هذه الأمة للإنسانية سوى أنّها النموذج للمجتمع الذي يدعو إليه الإسلام، فالآية بالإضافة إلى تحميل هذه الأمة مسؤولية وعاء تمثيل الإسلام، فإنّها أيضاً تشير إلى أهمية النمذجة في إيصال واقعية الحلّ الإسلامي وإمكانية تحقيقه للإنسانية، وذلك بواسطة «تطبيق النموذج الذي يمكن تطبيقه»<sup>(4)</sup>.

إنّ القدوة من أهمّ أساليب التربية والتعليم، والقرآن لم يحضّ على الاقتداء إلاّ لما له من تأثير

<sup>1</sup> تفسير ابن عاشور، 302/21.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 391/6.

<sup>3</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، 447/1.

<sup>4</sup> مؤتمر حركات الإسلام السياسي في الوطن العربي: الواقع والمستقبل، مداخلة أبي زيد الإدريسي، ص 293.

كبير في إحداث التعلّم وترسيخه، وذلك «لأن فعل الخير والاتصاف بالكمال دعوة إليهما بالعمل، وهي أبلغ من الدعوة بالقول؛ ومن حيث انتشارهما في الناس وسعادة الناس بهما»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ القدوة في السنة النبوية

جاء في السنة أحاديث كثيرة تظهر اعتدادها بهذا المبدأ منها:

أولاً- عن مالك بن الحويرث قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شبيبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلاً، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فلما ظن أننا قد اشتهدنا أهلنا -أو قد اشتقنا- سألنا عمّن تركنا بعدنا، فأخبرنا، قال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم. ومروهم) وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها (وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم)<sup>(2)</sup>.

أقام بعض الأعراب بالمدينة مدة ولما عزموا الرجوع إلى ديارهم كلّفهم الرسول ﷺ بمهمة تعليم قومهم ما تعلّموه من أحكام الشريعة، ولقوله ﷺ (وصلوا كما رأيتموني أصلي) علاقة بتلك المهمة، فالرسول ﷺ يبيّن لهم أنّ صلاتهم بين قومهم بصفة صلاته ﷺ هي أفضل طرائق تعلّمهم، وقد رأيتهم مدى يسر تعلّمكم لأدائها من رؤيتكم لي وأنا أصلي، فيسروا تعليم شعائر الإسلام بالعمل.

ثانياً- قوله ﷺ وقد صلى على المنبر (أيّها الناس، إنّما صنعنا هذا لتأتموا ولتعلّموا صلاتي)<sup>(3)</sup>، والمعنى «أي تتعلموا صلاتي بالمشاهدة، فإن الصلاة على المنبر يراها كل المصلين بخلاف الصلاة على الأرض فإنه لا يراها إلا بعضهم ممن قرب منه»<sup>(4)</sup>.

يكشف الحديث أنّ صلاة الرسول ﷺ على المنبر لا سبب لها إلا تمكين من في المسجد من الاقتداء به ﷺ فيها وتعلّمهم كيفيتها منه ﷺ، وهذا هو عين مقصود التربية المعاصرة بالتعليم بالتمذجة والمحاكاة والملاحظة، حيث يُقدّم المعلّم أو أحد المتعلّمين نموذجاً للسلوك المرغوب فيه على أن يقوم الباقيون بملاحظته ومحاكاته.

<sup>1</sup> تفسير ابن باديس، ص 239.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 226/1، ر 605، صحيح مسلم، 465/1، ر 674.

<sup>3</sup> صحيح البخاري 310/1 ر 875، صحيح مسلم، 386/1 ر 544.

<sup>4</sup> فتح المنعم للاشبين، 168/3.

إنَّ تعلُّمَ المقات من الناس<sup>(1)</sup> كيفية الصلاة بالمشاهدة والملاحظة في زمن قياسي (مقدار صلاة ركعتين أو أربع) ليكشف بالفعل عن أهميّة استراتيجية النمذجة والمحاكاة كما يصورها الهدي النبوي. لكن هل حكمة صلواته ﷺ على المنبر "الذي يراه جميع من في المسجد" أمرٌ شديد الغموض والخفاء ويقتضي تفسيراً (لِتَأْتُمُوا وَلِتَعْلَمُوا)؟ والجواب أنه لا ريب أن تلك الحكمة ظاهرة للناس يومئذٍ ولكل من قرأ الحديث بعدهم، إذ أن الصلاة على عالٍ -منبرٍ أو غيره- أمام الناس لا يُصوّر منها غير ذلك، فالمقصود -إذن- هو الكشف عن مدى أهميّة أسلوب الاقتداء والملاحظة والأسلوب العملي في إحداث التعلّم، أي أن الرسول ﷺ بكلامه ذاك يلفت الانتباه إلى أهميّة الأسلوب التي يعلم به الحاضرين الصلاة.

**ثالثاً- سئل النبي ﷺ أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ فقال: (قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ: تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَبِمِينَهُ شَهَادَتُهُ)<sup>(2)</sup>.**

إنَّ الحديث يفسّر قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]، فقد بيّن الرسول ﷺ النموذج للخيريّة في الآية.

ووجه الاستدلال بالحديث أن الرسول ﷺ عدل عن الإجابة بتعداد صفات خير الناس كأن يقول: خير الناس التقى المجاهد المتصدّق مثلاً، عدل عن ذلك إلى الإجابة بتقديم النموذج الذي حقّقها بالفعل، فمجتمع الصحابة هم أفضل المجتمعات التي أخرجها الله تعالى نموذجاً للإنسانية على الإطلاق، أي أنه وظّف أسلوب النمذجة في إجابة السائل عوض الأسلوب اللفظي.

ولو قام المجتمع الإسلامي المنشود لكان خير من يقدم صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، ولتيسر للبشرية التعرف على ذلك بسرعة ووضوح من خلال مشاهدة ذلك النموذج.

وقريب من هذا قوله ﷺ: (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي اللَّهِ عَمْرٌ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بَنْ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ

<sup>1</sup> كانت مساحة المسجد النبوي عند بنائه خمسين وألف من الأمتار المربعة (1050 م<sup>2</sup>)، ستين على سبعين ذراعاً (60 X

70) أي ما يقارب ثلاثين على خمسة وثلاثين متراً (30م X 35م). أطلس الحج والعمرة لسامي المغلوث، ص230.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 2452/6 ر6282، صحيح مسلم 1963/4 ر2533 في (باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

بْنِ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ (1)، فالحديث بتقديمه للمذكورين فيه نماذج يكون قد يسر لجميع من عاصروهم وكذا من قرأ مناقبهم تعلّم مفاهيم الرحمة والشدة في الله تعالى والحياء وغير ذلك، سواء من حيث الوقت أو الجهد أو الجودة.

رابعاً- مما جاء في حديث صلح الحديبية: «فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: (فُؤِمُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ أَحْلِقُوا)، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَفُتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُو خَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا خَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلِقُ بَعْضًا» (2)، وفي رواية أحمد: «قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ دَخَلْتُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَلَا تُكَلِّمَنَّ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، وَاعْمِدْ إِلَى هَدْيِكَ حَيْثُ كَانَ فَأَنْحَرْهُ وَاحْلِقْ، فَلَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى أَتَى هَدْيَهُ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَحَلَقَ، فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ» (3).

اغتم الصحابة رضي الله عنهم بسبب الشروط المجحفة التي اشترطتها قريش وقبلها رسول الله ﷺ، فلما ذكر النبي ﷺ لأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَفْعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ النَّحْرِ وَالْحَلْقِ أَشَارَتْ عَلَيْهِ بِفَعْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا نَحَرَ وَحَلَقَ ﷺ نَحَرَ النَّاسِ وَحَلَقُوا (4).

وقبل التطرق إلى ما في الحديث من دلالة على طريقة المحاكاة والافتداء يستحسن تفسير امتناع الصحابة رضي الله عنهم عن الامتثال لأمر رسول الله ﷺ بالنحر والحلق، فيحتمل أَنَّ الأمر بذلك كان للندب، أو لرجائهم إبطال صلح الحديبية بنزول الوحي، أو تخصيص ذلك بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام، كما يحتمل أن يكون السبب هو استغراقهم في الفكر فيما أصابهم من الدلّ، أو أنهم اعتقدوا أَنَّ الأمر المطلق لا يقتضي الفور فأخروا الامتثال (5).

<sup>1</sup> سنن الترمذي 664/5 ر 3790، سنن ابن ماجة، 107/1، ر 154، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعل بن لبنان، 74/16 ر 7131، واللفظ له، وصححه الأرنؤوط في الهامش.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 974/2 ر 2581.

<sup>3</sup> مسند أحمد، 210/31 ر 18910، وحسن الأرنؤوط إسناده، 219/31.

<sup>4</sup> إرشاد الساري للقسطلاني، 211/6.

<sup>5</sup> فتح الباري، 347/5.

وتفسير موقف الصحابة بالاستغراق في الفكر لما لحقهم من الذلّ هو أقرب الأقوال إلى ظاهر ما جاء في السنّة النبويّة، كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد رضي رسول الله ﷺ بإرجاع أبي جندل بن سهيل رضي الله عنه إلى المشركين « فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: (بَلَى)، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: (بَلَى)، قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدَّيْتَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟»<sup>(1)</sup>، وقول سهل بن حنيف بصيفين: « لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ»<sup>(2)</sup>، وأما باقي الأقوال فبعيدة.

والحديث -بناء على ذلك- نموذج رائع للتعليم بالتمذجة والمحاكاة، ذلك أنّ الأسلوب اللفظي (قَوْمُوا فَأَخْزُوا ثُمَّ اخْلِقُوا) لم يكف في إخراج الصحابة رضي الله عنهم من هول الصدمة، فلما بادر فعمد إلى هديه فحره وحلق شعره ﷺ فعل الصحابة رضي الله عنهم ذلك، ذلك (أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد)<sup>(3)</sup>.

وفي الحديث أيضا بيان ما يوقره أسلوب القدوة من اقتصاد في الجهد والوقت، يدلّ على ذلك قول الراوي: «فَحَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى أَتَى هَدْيَهُ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَحَلَقَ، فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ» حيث وقد أفادت الفاء في قوله "فقام النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ" التعقيب<sup>(4)</sup>، فالصحابه رضي الله عنهم قاموا إلى النحر والحلق مباشرة بعد فعل رسول الله ﷺ لذلك، وهو الأثر التربويّ للمبدأ.

وقد حظي هذا المبدأ بعناية واهتمام جمعيّة العلماء في مسيرتها التعليميّة، فنجد الإبراهيميّ ينبّه المنتسبين الى مدارس جمعيّة العلماء من المتعلّمين والمتعلّمين الى أنّهم صورة مُصغّرة من الجمعيّة التي هي رمز الدين الصحيح، «فكونوا- في مظهركم ومخبركم- أمثلةً صحيحةً منها، واعلموا أن كل زلة منكم- وإن صغرت- محسوبةٌ على جمعيّة العلماء، منسوبةٌ إليها... إن لكل فلتة ولكل كلمة تصدر

<sup>1</sup> صحيح البخاري 974/2 ر 2581، صحيح مسلم 1411/3 ر 1785.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 1161/3 ر 3010، صحيح مسلم 1412/3 ر 1785 واللفظ له.

<sup>3</sup> فتح الباري لابن حجر، 347/5.

<sup>4</sup> المقصود بالتعقيب « عدم المهلة - ويتحقق بقصر المدة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف، نحو: وصلت الطائرة فخرج المسافرون. وأول من خرج النساء فالرجال.. فخرج المسافرين- في المثال- يجيء سريعًا بعد وصول الطائرة، وخرج الرجال يكون بعد خروج النساء مباشرة من غير انقضاء وقت طويل في الصورتين» النحو الوافي لحسن عباس، 573/3.

منكم أثرًا في نفوس تلاميذكم، لأنكم محل القدوة عندهم»<sup>(1)</sup>، ويقول: «إن المعلم لا يستطيع أن يربّي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلاً... ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحاً، لأنهم يأخذون منه بالقدوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين»<sup>(2)</sup>، ويحذّر من القدوة والنموذج السيئ الذي يلاشى معه التعليم بقوله: «لا أحق منا: نلقن أبناءنا الخلاف في الدين والدنيا بأعمالنا ونقول لهم بألسنتنا اتّحدوا، وإن صالحة يأخذها الابن عن أبيه بطريق القدوة خير من ألف نصيحة باللسان»<sup>(3)</sup>.

إنّ الآيات والأحاديث السابقة هي بعض ما ورد في القدوة، وهذا يدلّ على أهميّة موقعها في مدرسة النبوة، وليس ذلك إلاّ لما لهذا المبدأ التدريسيّ من دور كبير في إحداث التعلّم وتثبيته.

**المطلب الثالث: مبدأ التكرار.**

أكّدت الدراسات الكثيرة دور وتأثير التكرار<sup>(4)</sup> الكبيرين في العمليّة التعليميّة العلميّة، وستتناول هنا اهتمام القرآن الكريم والسنة النبويّة بهذا المبدأ.

### الفرع الأول: مبدأ التكرار في القرآن الكريم

يقصد بهذا المبدأ ترديد المعلومة عدّة مرّات بقصد تمكين المتعلّمين من والفهم والإدراك، وقد اهتمّت الدراسات بظاهرة التكرار في القرآن الكريم، وستتناوله هنا باعتباره مبدأ من المبادئ التي تقوم عليها العمليّة التدريسيّة فيه.

#### أولاً: النصوص الدالة على مبدأ التكرار دلالة مباشرة:

أ- قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. [الذّاريات: 55].

وقال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾. [الطور: 29].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21].

إنّ وجه الاستدلال بالآيات الكريمة وما شابهها في القرآن الكريم أنّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ بالاستمرار والدوام في تذكير الناس ولا يتحقّق ذلك إلا بتكرار المطلوب وإعادته.

<sup>1</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، 271/3.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 113/2.

<sup>3</sup> المرجع السابق، 222/4.

<sup>4</sup> بعد نظر طويل في المسألة فقد ترجّح لدينا أنّ التكرار - في التدريس خاصّة - أسلوب لا طريقة، مع تقديرنا لمن يرى أولويّة وصف التكرار بأنّه تقنية تستخدم في مختلف الاكتسابات.

فقد أمر الله رسوله ﷺ «بالدوام على تذكيرهم وأنه لا يؤيسه إصرارهم على الإعراض وعدم اذكارهم بما ألقى إليهم من المواعظ... فالأمر مستعمل في طلب الاستمرار والدوام»<sup>(1)</sup>.

وأمر الله تعالى للرسول ﷺ بتكرار تذكير المشركين والثبات عليه جاء في الآيات الثلاث في سياق بيان إصرارهم على كفرهم، وهذا يشير إلى أهمية الثبات والاستمرار في الوعظ والتعليم، أي يشير إلى أهمية التكرار في إحداث التعلم.

ب- قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: 46].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الاسراء: 41].  
وقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: 27].  
إن قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ «تعجيب لرسول الله من عدم تأثيرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة أي انظر كيف نكرها ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير»<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي «كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير»<sup>(3)</sup>.

فتصريف الآيات الدالة على التوحيد في الآيات الأربع وما شابهها هو تكرير ذكرها بأساليب مختلفة ومتنوعة، والمتوقع - كما جاء في الآيات - أن يشكروا ويتذكروا ويرجعوا، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾، وقال: ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾، وفي آية الأنعام قال سبحانه: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ وقال هنا ﴿ثُمَّ﴾ «لاستبعاد صدوفهم أي إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للإقبال عليها»<sup>(4)</sup>، وإنما استبعد صدوفهم لأن الله تعالى كرر ونوع أساليب عرض آيات وحدانيته وقدرته تعالى، ومقتضى العادة أن التكرار يحدث الاعتبار والتعلم، وما في النصوص السابقة من رجاء للاستجابة بشكر الله والرجوع إليه والتذكر والاعتبار هي آثار تربوية لمبدأ التكرار.

<sup>1</sup> تفسير ابن عاشور، 306/30.

<sup>2</sup> تفسير أبي السعود 134/3.

<sup>3</sup> تفسير البيضاوي، 256/3.

<sup>4</sup> تفسير أبي السعود 134/3.

## ثانيا: النصوص الدالة على مبدأ التكرار دلالة غير مباشرة

تتعدد المواقف التدريسية الدالة على المبدأ دلالة غير مباشرة، فقد يأتي فيها لتأكيد المعلومة وترسيخها في الذهن، وقد يرد لبناء مفهوم أو تقرير حقيقة، كما قد يجيء للتصعيد الانفعالي<sup>(1)</sup>، وغير ذلك.

### أ- التكرار لتأكيد وترسيخ المعلومة:

1- قال الله ﷻ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8)﴾ [التوبة].  
فلفظ "كيف" في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ استفهام أفاد التعجب والاستبعاد، أي على أي وجه يحافظ المشركون على العهود وهم الناقضون المجاهرون بالتعدي، أما في قوله ﷻ: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ فهو كما يقول ابن عطية<sup>(2)</sup>: « تأكيد للاستبعاد الذي في الأولى»<sup>(3)</sup>.

2- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ [القمر: 37].  
وقال الله سبحانه: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ [القمر: 39].

ومعنى الآية الثانية: ذوقوا « شدة عذابي وثمره تحذيري. وهذا التكرار للتأكيد والترسيخ»<sup>(4)</sup>.

### ب- التكرار لبناء المفاهيم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، وقال أيضا: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

<sup>1</sup> أي الحالات النفسية ذات الجذور الانفعالية، وإثارتهما بطريقة معتدلة يهيئ الفرد للاستقبال، مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم لإحسان خليل الأغا، ص 14.

<sup>2</sup> هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الحاربي الأندلسي (481هـ - 546هـ)، الإمام الفقيه القاضي، روى عن أبيه وأبي علي الغساني وابن الطلاع وعبد العزيز ابن عبد الوهاب القيرواني وأبي جعفر الغساني والمازري وابن السيد البطلبيوسي وغيرهم، وروى عنه أبو بكر بن أبي جمرة، وأبو محمد بن عبد الله، وأبو القاسم بن حبيش، وأبو جعفر بن مضاء، وأبو محمد عبد المنعم، وأبو جعفر بن حكيم، وغيرهم. من كتبه الوجيز في التفسير، ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب، 413-412/3، فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني، 2/862-863.

<sup>3</sup> تفسير ابن عطية، 9/3.

<sup>4</sup> التفسير الوجيز للزحيلي، ص 531.



إنّ التكرار الوارد في الآيتين الكريميتين ييسر للمتعلّم بناء وتكوين مفهوم الأمة في الإسلام، فتوافر المعلومات المتعلقة به من شأنه أن ييسر إدراكه.

### ج- التكرار للتصعيد الانفعالي

1- قال الله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)﴾ [الحاقة].

«والألفاظ في السورة بجرسها وبمعانيها وباجتماعها في التركيب، وبدلالة التركيب كله، تشترك في إطلاق هذا الجو وتصويره. فهو يبدأ فيلقينها كلمة مفردة، لا خبر لها في ظاهر اللفظ: «الْحَاقَّةُ»، ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستهوال والاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم: «مَا الْحَاقَّةُ؟» ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام بالتجهيل، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ؟» .. ثم يسكت فلا يجيب على هذا السؤال. ويدعك واقفا أمام هذا الأمر المستهول المستعظم، الذي لا تدريه، ولا يتأتى لك أن تدريه! لأنه أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك»<sup>(1)</sup>.  
إنّ التصعيد الانفعالي يتم بطرح مفهوم «الْحَاقَّةُ»، ثمّ بإلقاء تساؤل حوله «مَا الْحَاقَّةُ؟» ثمّ ذكر التحديّ القائم على صعوبة ذلك المفهوم «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ؟»<sup>(2)</sup>.

2- قال الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)﴾ [القارعة].

إنّ سورة القارعة كلّها عن هذه حقيقة القارعة وما يقع فيها وما تنتهي إليه، والمشهد المعروض هنا لأهوالٍ تتناول آثاؤه الناسَ والجبال، فيبدو البشر صغارا ضئالا في حيرة الفراش المتهافت على الهلاك، وتبدو الجبال التي كانت في الدنيا راسخة كالصوف الذي تعبت به الأنسام، وإنّ من تناسق التصوير أن تُسمّى الآخرة بالقارعة، «لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ "الْقَارِعَةُ" بلا خبر ولا صفة. لتلقي بظلمها وجرسها الإيجاء المدوي المرهوب! ثم أعقبها سؤال التهويل: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾.. فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل، ثم أجاب بسؤال التجهيل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يلم بها التصور»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، 3677/6.

<sup>2</sup> مدى توافر مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم لإحسان خليل الأغا، ص 16.

<sup>3</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، 3960/6.

إنّ التصعيد المعتدل في انفعال المتعلّم الناتج عن أسلوب التكرار من شأنه أن يخرج من حال اللامبالاة ويرفع من مستوى انتباهه ممّا ييسّر له التعلّم وترسيخه.

### الفرع الثاني: مبدأ التكرار في السنّة النبويّة

أولت مدرسة النبوة أهميّة بالغة لمبدأ التكرار، وسنذكر بعض الأحاديث التي جاءت في ذلك:

#### أولاً: النصوص الدالة على مبدأ التكرار دلالة مباشرة:

عن أنس رضي الله عن النبي ﷺ أنّه كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا<sup>(1)</sup>.

إنّ الرسول ﷺ كان يستخدم أسلوب التكرار بسبب تفاوت الناس في سرعة الفهم والاستيعاب، وقول أنس رضي الله عنه "حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ" معناه: «فهما قويا راسخا في النفس»<sup>(2)</sup>، وهو تعليل لاستخدام الرسول ﷺ للتكرار، فالمتعلّمون في حاجة إلى أن يكرّر المعلّم بعض ما عرضه لاستدراك ما قد يفوتهم، إنّ النبي ﷺ كان «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا لِتَفْهَمَ عَنْهُ، وَتَحْفَظَ وَتَنْقُلَ»<sup>(3)</sup>، وقد «أعاد ذلك الكلام ثلاث مرات حتى يفهمه المستمع، ويتقرر في طبعه، ويحفظه، وكذلك ليفعل الوعاظ في كل زمان»<sup>(4)</sup>، فالسنّة وظّفت أسلوب التكرار وبيّنت فائدته التربويّة المتمثّلة في إحداث التعلّم وترسيخه.

#### ثانياً: النصوص الدالة على مبدأ التكرار دلالة غير مباشرة

##### أ- التكرار لتأكيد وترسيخ المعلومة:

**1-** عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَا، فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ، صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسُحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ (وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا<sup>(5)</sup>.

فما جاء من تكرير تحذيره ﷺ من ترك إيصال المال إلى الأعقاب في الوضوء مرّتين أو ثلاث «فيه:

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 48/1 ر94.

<sup>2</sup> مرقة المفاتيح للقاري 420/1.

<sup>3</sup> شرح سنن أبي داود لابن رسلان، 326/17.

<sup>4</sup> المفاتيح شرح المصايح للمظهري 311/1.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، 48/1 ر95، صحيح مسلم، 214/1 ر241.

تكرار المسألة توكيداً لها ومبالغة في وجوبها»<sup>(1)</sup>.

وسياق الحديث يشير إلى أهمية المبدأ، فقول عبد الله رضي الله عنه: "فَأَدْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ" معناه أنه ﷺ بلغ موضعهم الذي كانوا فيه وقد دنا وقت الصلاة الأخرى، وكانوا رضي الله عنهم أحرّوها طمعاً في وصول الرسول ﷺ ليصلوا معه<sup>(2)</sup>، فتركهم لإسباغ الوضوء كان بسبب خشيتهم خروج وقت الصلاة، وهو سبب وجيه للإسراع في الوضوء لدرجة التفريط في إسباغه، وليس هناك أفضل من أسلوب التكرار للفت انتباههم إلى ذلك.

**2-** عن أسامة رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنَتْهُ بِرُحْيِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (يَا أُسَامَةَ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَيُّ لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>(3)</sup>.

لقد أراد النبي ﷺ التأكيد على عظمة ذلك الذنب فأعاد جملة (يَا أُسَامَةَ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) حتى قال الصحابي رضي الله عنه « تمنيت أنه لم يكن تقدم إسلامي. بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عني هذا الذنب»<sup>(4)</sup>، وهذا يُظهر -من ناحية- مقدار ندم الحب بن الحب رضي الله عنهما، ويبرز -من ناحية- أخرى أهمية مبدأ التكرار في التعلّم وأثره التربوي، إن من حيث الجهد أو الجودة أو السرعة.

### ب- التكرار لبناء المفاهيم

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: (أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّ)<sup>(5)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا) قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ) قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> شرح صحيح البخاري لابن بطال، 139/1.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 139/1.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 4/1555 ر 4021، وصحيح مسلم، 97/1 ر 159.

<sup>4</sup> فتح المنعم للاشين، 322/1.

<sup>5</sup> صحيح البخاري 5/2201 ر 5523، صحيح مسلم واللفظ له 541/1 ر 783.

<sup>6</sup> صحيح البخاري 1/197 ر 504، صحيح مسلم واللفظ له 89/1 ر 85.

وقال معاذ رضي الله عنه: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَمُوتَ  
وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (1).

إنَّ الأحاديث الثلاثة تتناول تعليم مفهوم محبة الله للأعمال الصالحة، ولتحقيق ذلك توظف  
مبدأ التكرار، ونلاحظ تكثير وتنوع الأمثلة لذلك المفهوم ليسهل على المتعلمين تكوينه وبناءه.

### المطلب الرابع: مبدأ الثواب والعقاب

تظهر عناية القرآن الكريم والسنة النبوية جليةً بمبدأ الثواب والعقاب في مواقفهما التدريسية،  
والمقصود بهذا المبدأ أن يوظف المعلم الثواب والعقاب بدقة وحذر تامين من أجل استغلال ما فيهما  
من إيجابيات ومحاسن في السعي إلى تحقيق الأهداف التعليمية المرغوبة، وستناول هنا الأدلة التي  
تثبت قيام المواقف التدريسية في القرآن والسنة على مبدأ الثواب والعقاب، ثم نذكر الأدلة التي تضبط  
هذا المبدأ فتحوّل دون وقوع المربين والمعلمين في سلبياته ومحاذيره.

### الفرع الأول: مبدأ الثواب والعقاب في القرآن والسنة

جاء في مبدأ الثواب والعقاب آيات وأحاديث كثيرة منها:

أ- قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ  
مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25].

إنَّ الجنةَ وما فيها ثوابُ الله تعالى لمن آمن وعمل صالحاً، وهو ثواب أخروي.

ب- قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

وفي هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً أن يُحييه حياةً طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما  
عمله في الدار الآخرة (2).

ج- قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا﴾  
[النساء: 145].

إنَّ عقاب المنافقين مناسب تماماً لجمعهم بين الكفر والنفاق ومخادعة الرسول ﷺ والمؤمنين.

<sup>1</sup> الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلّي بن بلبان، 3/100، 818.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 4/601.

د- قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ وَعَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النحل: 106].

إنَّ غضبَ الله تعالى وعذابه الأليم هو عقابٌ مَنْ ارتدَّ عن دينه عزَّ وجلَّ.

ه- قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»<sup>(1)</sup>.

والثواب في الحديث أخروي متنوع، فتقبل الله للصدقة ثواب، وترتيبه سبحانه لها حتى تكون مثل الجبل ثواب، وهناك ثواب دنيوي لا يصرح به الحديث وهو توفيقه ﷺ للتصدق في حد ذاته.

و- قال الرسول ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)<sup>(2)</sup>.  
ومعلوم أنَّ النظر إلى وجه الله ﷺ هو أعظم نعيم أهل الجنة.

ز- قال النبي ﷺ: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُلْقَى فِي النَّارِ. فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ. فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى. فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ. فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)<sup>(3)</sup>.

يظهر الحديث عقوبة من خالف قوله فعله، وهي عقوبة أخروية.

ح- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " حَدِّثْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أَفَّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لَيْشِيءٌ: لَمْ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ " (4).

يكشف الحديث عن موقف الإسلام من العقوبة وأنه لا يلجأ إليها إلا اضطراراً، لأنَّ الأصل في التربية الثواب لا العقاب، وهذا أنس رضي الله عنه قد خدم رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يسمع منه حتى العتاب الذي هو أول مستويات العقوبة.

<sup>1</sup> صحيح البخاري 2702/6 ر 6993 ، صحيح مسلم 702/2 ر 1014، والفلو المهر، المنهل الحديث للاشين، 139/2.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 203/1 ر 529، صحيح مسلم 439/1 ر 633. والآية من سورة ق رقم: 39.

<sup>3</sup> صحيح البخاري 1191/3 ر 3094 صحيح مسلم واللفظ له 2290/4 ر 2989.

<sup>4</sup> صحيح البخاري 2245/5 ر 5691، صحيح مسلم 1804/4 ر 2309 واللفظ له.

## الفرع الثاني: ضوابط الثواب والعقاب في القرآن والسنة

للثواب والعقاب في القرآن والسنة ضوابط تؤثر في فعاليته كمبدأ تدريسي منها:

أ- تقديم أسلوب الثواب على أسلوب العقاب: فلا يلجأ إلى العقاب إلا إذا لم يُجد الثواب، وآخر ما يضطر إليه من أساليب العقاب الضرب، والمشروع فيه هو الضرب غير المبرح، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء:34]، فالآية ترسم نهجاً واضحاً في التعامل مع من يُخشى منهنّ عدم القيام بحقوق الزوجية، إذ أول ما يبدأ به هو الوعظ المؤثر في النفوس، فإذا لم يُجد ذلك فينبغي أن يجرب الهجر والإعراض عن المضاجع، فإن لم ينفذ فالضرب غير المبرح أي غير المؤذي، وقال الرسول ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)<sup>(1)</sup>، فهناك أساليب كثيرة ومتنوعة يجب على الوالدين استخدامها خلال ثلاث سنوات قبل أن يصلوا إلى مرحلة الضرب، لأنّ الحديث «يعني: إذا بلغ أولادكم سبع سنين فأمرؤهم بأداء الصلاة، ليعتادوا ويستأنسوا بالصلاة، فإن لم يفعلوا فلا تضربوهم، فإذا بلغوا عشر سنين ولم يصلوا فاضربوهم على ترك الصلاة»<sup>(2)</sup>.

ب- مضاعفة الثواب دون العقاب: قال الله تعالى: قال الله ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (90)﴾ [النمل]، فمن جاء يوم القيامة بالخصلة الحسنة وقلبه مطمئن بالإيمان فله عنده عشر حسنات أمثالها لمن يشاء ومن جاء بالخصلة السيئة وعليها طابع الكفر، فلا يجزى إلا مثلها<sup>(3)</sup>، وقال الرسول ﷺ: ( يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ)<sup>(4)</sup>.

ج- اقتران المبدأ بالتعليم: تأتي العقوبة في الآيات والأحاديث مفسرة معللة، وذلك لأنّ المقصود هو تعديل السلوك لا التشفي، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ

<sup>1</sup> أبو داود 367/1، أحمد 495، 284/11، 6689 وحسن الأرئوط إسناده.

<sup>2</sup> المفاتيح في شرح المصايح للمظهري 12/2، وأساليب التربية، التأديب بالعقوبة لمحمد حاج عيسى. موقع طريق الاصلاح <https://islahway.com> التاريخ 21.10.2019.

<sup>3</sup> تفسير المراغي، 8/86.

<sup>4</sup> صحيح مسلم 4/2068، 2687.

يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بَعَمَّ لِكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾. [آل عمران: 153]، والمعنى لقد أذقتهم الرسول ﷺ غمًّا بعصيانكم أمره، فأذاقكم الله تعالى غمَّ الانهزام وقتل الأحاب، لكن ما أصابكم قد لحق بكم ﴿لِكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي لأجل أن تتمرّنوا على احتمال الشدائد وتجرّع الغموم، فالتربية تكون بالعمل والمران الذي يكمل به الإيمان وترسخ به الفضائل (1).

إنّ الإبراهيمي يشير إلى أنّ الإنذار - كأسلوب عقابٍ - في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52] يأتي لتحقيق أعلى مراتب العلم وهو التفكير المؤدّي إلى الاعتبار، ذلك أنّ «شأن الإنذار أنه يدعو إلى التأمل وإعمال الفكر، والتأمل يستتبع الفهم، أي وليعلموا، بعد إنذار القرآن إياهم عواقب الجهل بالله والشرك به وبعد تأملهم وتدبرهم في دلائل القرآن وحججه، علمًا يقينًا ما لم يكونوا يعلمونه، أو كانوا يعلمونه علمًا مشوبًا بالشكوك والأوهام، وهو أن الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما...» (2).

ولما أطل معاذ رضي الله عنه الصلاة بالناس قال له النبيّ (يا مُعَاذُ، أَفَتَأَنَّ أَنْتَ... فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَأَى الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ) (3)، فالعقوبة هي لوم معاذ رضي الله عنه على إطالته الصلاة، والتعليم هو الإرشاد إلى بديل السور الطوال في صلاة الجماعة مع تعليل ذلك بوجود الكبير في السنّ والضعيف والمستعجل.

**د- التنويع في الثواب والعقاب:** قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَّإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفْنَاهُمْ كُلَّ مُمْزِقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)﴾. [آل عمران: 153].

<sup>1</sup> تفسير المراغي، 102/4.

<sup>2</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ص 401/1.

<sup>3</sup> صحيح البخاري 142/1 ر 705، صحيح مسلم 339/1 ر 465. والناضح ما يستعمل في السقي. فتح الباري، 200/2.

لقد تنوّعت صور الثواب والعقاب في الآيات الكريمة، فمن الأوّل الجنّات التي عن يمين وشمال وادي أهل سبأ، والرزق الذي يأكلون منه، وطيب هواء البلدة وخلوّها من السباح والبعوض والذباب وسائر الهوام المؤذيات وغير ذلك، ومن أنواع العقوبة على كفرهم إغراق جنّاتهم بماء السدّ، وتبديل الجنّات الطيبة بجنّات ذات ثمار بشعة ومرة، وجعلهم عبرةً لغيرهم من شعوب الأرض<sup>(1)</sup>.

وقال الرسول ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ)<sup>(2)</sup>، فكل ما قد يسبق ضرب الأبناء على الصلاة قبل السنة العاشرة من لوم وحرمان من الجوائز وغير ذلك هو تنويع في العقوبة.

**هـ - فورية الثواب والعقاب:** قال الرسول ﷺ: (أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ)<sup>(3)</sup>، فلا يجوز تأخير أجر الأجراء إذا بلغ وقت أخذهم حقوقهم<sup>(4)</sup>، وإلا تنعّصت حياتهم وضعف مستوى دافعية الانجاز عندهم، ويدلّ عليه - أيضاً - ظاهر قوله ﷺ (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ)<sup>(5)</sup>، فمن عمّر أرضاً بشروط إحياء الموات تملّكها فوراً.

### المطلب الخامس: مبدأ فاعليّة أساليب التدريس

إنّ فاعليّة أساليب التدريس في القرآن الكريم والسنة النبويّة نتيجة مباشرة لقيام العمليّة التربويّة فيهما على مقوّمات محدّدة مثل إشراك المتعلّم والتغذية الراجعة، وسنذكر هنا الأدلّة التي تثبت ذلك.

### الفرع الأوّل: مبدأ فاعليّة أساليب التدريس في القرآن الكريم

تتجلّى فاعليّة أساليب التدريس في القرآن الكريم في قيامها على مقوّمات محدّدة، فقد تظهر في درجة التفاعل فيها، كما قد تظهر في إشراك المتعلّمين في العمليّة التربويّة، وفي بلوغ التبليغ مستوى مثاليّاً من الوضوح، وقد تبدو أيضاً في أسلوب التغذية الراجعة فيها وغير ذلك، وسنذكر هنا بعض نماذج من القرآن الكريم لتلك المقوّمات:

### أولاً: مقوّم التفاعل مع المواقف التعليميّة

<sup>1</sup> تفسير الجلالين ص 430، وتفسير اي السعود، ص 127-129.

<sup>2</sup> سبق تخريجه ص 240.

<sup>3</sup> سنن ابن ماجه 511/3 ر 2444. وهو حسن لغيره كما قال الأرنبوط، ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته 240/1 ر 1055.

<sup>4</sup> المفاتيح شرح المصابيح للمظهري 502/3، وينظر تربية الأولاد وسائل وأهداف لناهد عليش، ص 130.

<sup>5</sup> سنن الترمذي 654/3 ر 1379، سنن أبي داود 680/4 ر 3073. قال الأرنبوط «إسناده صحيح».



قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ [الأنعام:150].

وقال ﷺ: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿﴾ [طه:86].

إنَّ الرسل عليهم السلام كانوا يتفاعلون مع المواقف التي يعلمون فيها أقوامهم، فقد رجع سيدنا موسى عليه السلام «إلى قومه غضبان أشد الغضب. يبدو انفعال الغضب في قوله وفعله، يبدو في قوله لقومه: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، ويبدو في فعله إذ يأخذ برأس أخيه يجره إليه ويعنفه. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وحق لموسى عليه السلام أن يغضب للمفاجأة قاسية. والنقلة بعيدة: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾، تركتكم على الهدى فخلفتموني بالضلال، وتركتكم على عبادة الله فخلفتموني بعبادة عجل جسد له خوار»<sup>(1)</sup>، ولا ريب أنَّ لتفاعل سيدنا موسى عليه السلام فيما يبلغ عن الله تعالى الأثر البالغ في دفع قومه إلى مراجعة النفس وإدراك حجم الخطأ الذي ارتكبه.

### ثانيا: مقوم إشراك المتعلمين في العملية التربوية

مظاهر إشراك المتعلم في القرآن كثيرة مثل حضه على التفكير وتشجيعه على طرح الأسئلة والاهتمام بالإجابة عليها وتعليمه حلّ المشكلات، ومما جاء في ذلك:

#### أ- الحضّ على التفكير:

قال ﷺ: ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿﴾ [الأعراف:184].  
وقال تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿﴾ [الروم:21].

ففي الآيتين وما شابههما «دليل على وجوب استخدام النظر والعقل والفكر، للتوصل إلى الاقتناع الذاتي الحرّ بوجود الخالق ووحدانيته، وهذا الإعمال للعقل من مقاصد الإسلام، وفرائض القرآن، وأصول الدين»<sup>(2)</sup>، ومن أهم المسالك التي اعتمدها القرآن في إثبات العقيدة إثارة العقل.

<sup>1</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب 3/1374.

<sup>2</sup> التفسير المنير للزحيلي، 7/117.

وقال النبي ﷺ: (لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَإِنِّي لَمِنَ قَرَأَها وَمَ يَتَفَكَّرُ فِيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>)، ولا يخفى ما في الحديث من وعيد لمن لم يتفكر فيها.

### ب- التشجيع على الأسئلة:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:7].

ومعنى الآية: «إن كنتم لا تعلمون هذه الحقائق، فلا تعجبوا في الأمر مجرد أنه يثير عجبكم واستغرابكم، بل تعرفوا الأمر من أهل الذكر والحكمة والمعرفة وأهل الكتاب ليزول عجبكم واستغرابكم»، ودفع المتعلم إلى طرح ما لديه من أسئلة من أجل مظاهر نجاح المعلم في إشراكه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصاب رجلاً جرح في عهد رسول الله ﷺ، ثم احتلم، فأمر بالاعتسال، فاغتسل، فمات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، ألم يكن شفاء العبي السؤل)<sup>(2)</sup>، والعبي هو التحير وعدم الضبط، وشفاءه في الإسلام هو طرح الأسئلة، والمقصود أنه «لا شفاء لداء الجهل إلا التعلم»<sup>(3)</sup>، فطرح المتعلم للأسئلة يحقق إيجابيته، وفي تشجيع المعلم له على ذلك طريق لإشراكه في العملية التربوية وتفعيل دوره فيها.

### ثالثاً: مقوم الوضوح في العرض

يظهر مقوم وضوح العرض في آيات كثيرة منها:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98)﴾ [الأنعام].

وقال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ [الحج:16].

إن التفصيل هو البيان والإيضاح، فقوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ معناه: «قد بيننا الحجج»<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: أي «واضحات في لفظها ومعناها حجة

<sup>1</sup> الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان، 387/2 ر 620 قال الأرئوط: «إسناده قوي على شرط مسلم».

<sup>2</sup> سنن أبي داود، 253/1، وحسنه الأرئوط، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، 805/2 ر 4363.

<sup>3</sup> مرقة المفاتيح للقاري 215/2.

<sup>4</sup> تفسير الطبري، 443/9، وتفسير ابن عطية، 326/2.

من الله على الناس»<sup>(1)</sup>، ومعنى هذا أنّ القرآن الكريم قد بلغ درجة من الوضوح قامت بها الحجّة على المخاطين وانقطع بها عذرهم.

#### رابعاً: مقوم التغذية الراجعة

التغذية الراجعة مبدأ من مبادئ التدريس قائم بذاته وسيأتي تفصيله في مبحث التقويم التربوي<sup>(2)</sup>، وهي هنا إحدى فئات مبدأ فاعليّة أساليب بالتدريس، ومّا جاء فيها:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:52] عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هَذَلِ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾<sup>(3)</sup>.

ومعنى (فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ) أي مال إلى قبول ما اقترحه المشركون، و«إنما مال إلى ذلك طمعاً في إسلامهم، وإسلام قومهم، ورأى أنّ ذلك لا يفوت أصحابه شيئاً، ولا ينقص لهم قدراً، فمال إليه»<sup>(4)</sup>، فالآية الكريمة من القرآن الذي نزل لتصويب اجتهاد الرسول ﷺ.

#### الفرع الثاني: مبدأ فاعليّة أساليب التدريس في السنّة النبويّة

سنتناول هنا ما يثبت هذا المبدأ في السنّة النبويّة:

#### أولاً: مقوم التفاعل مع المواقف التعليميّة

جاء النبي ﷺ قوم حفاة عراة، قال جرير بن عبد الله رضي الله: فَتَمَعَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ. فَدَخَلَ ثُمَّ حَرَجَ. فَأَمَرَ بِبِلَالٍ فَأَدَّنَ وَأَقَامَ. فَصَلَّى ثُمَّ حَطَبَ... فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير 402/5.

<sup>2</sup> ينظر مبدأ التغذية الراجعة ص270.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، 4/1878، ر2413.

<sup>4</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي، 6/284.

<sup>5</sup> صحيح مسلم 704/2، ر1017.

رأى رسول الله ﷺ قوماً يغلب عليهم العري، فتغيّر وجهه ﷺ وظهرت عليه آثار الحزن لما رأى ما بهم من الفقر الشديد، فوعظ الناس، فجاء رجل من الأنصار بربطة ثقيلة من الدراهم أو الدنانير، ثم توالى الناس في إعطاء الخيرات حتى صار وجه رسول الله ﷺ يستنير ويظهر عليه أمارات السرور كأنه فضة مذهبة.

ووجه الاستدلال بالحديث هو قول جرير رضي الله عنه: " فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ " أي تغيّر وظهر عليه آثار الحزن، وقوله: " حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ " أي يستنير وظهر عليه علامات السرور كأنه فضة مذهبة<sup>(1)</sup>، فالعبارتان كاشفتان عن تفاعل الرسول المعلم مع هذا الموقف التدريسي، وقوله رضي الله عنه " ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ " هو الأثر التربوي لمقوم التفاعل مع المواقف التعليمية، فتوظيف المعلمين له في عرضهم لدروسهم من أسباب تحقيق فعالية التدريس.

ثانيا: مقوم إشراك المتعلمين في العملية التربوية

أ- الحضّ على التفكير:

قال النبي ﷺ: (لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَإِنِّي لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾)<sup>(2)</sup>، ولا يخفى ما في الحديث من وعيد لمن لم يتفكّر فيها.

ب- التشجيع على الأسئلة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسول الله ﷺ، ثم احتلم، فأمر بالاعتسال، فاغتسل، فمات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالَ)<sup>(3)</sup>، والعِي هو التحير وعدم الضبط، وشفاءه في الإسلام هو طرح الأسئلة، والمقصود أنه «لا شفاء لداء الجهل إلا التعلم»<sup>(4)</sup>، فطرح المتعلم للأسئلة يحقق إيجابيته، وفي تشجيع المعلم له على ذلك طريق لإشراكه في العملية التربوية وتفعيل دوره فيها.

ج- تعليم حلّ المشكلات:

<sup>1</sup> مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري، 422/1.

<sup>2</sup> الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان، 387/2 ر 620 قال الأرئوط: «إسناده قوي على شرط مسلم».

<sup>3</sup> سنن أبي داود، 253/1، وحسنه الأرئوط، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، 805/2 ر 4363.

<sup>4</sup> مرقاة المفاتيح للقاري 215/2.

أتى شاب النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه، فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: (اذنه) فدنا منه قريباً، قال: فجلس قال: (أثبته لأمك؟) قال لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم). قال: «أثبته لابنتك؟» قال لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم). قال: (أثبته لعمتك؟) قال لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لحالاتهم). قال: (أثبته لحالتك؟) قال لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لحالاتهم). قال: فوضع يده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(1)</sup>.

إن هذا الحديث نموذج لطريقة حل المشكلات، فالرسول ﷺ أشرك الشاب في تطويره لحل مشكلته، فكان يطرح الأسئلة التي توجهه حتى تمكن من ذلك، ولا يخفى في الحديث الدور الكبير لذلك الشاب في هذا الموقف التدريسي.

### ثالثاً: مقوم الوضوح في العرض

عن العرباض رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً دَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ...<sup>(2)</sup>.

إن وضوح موعظة الرسول المعلم ﷺ أسال العيون بدل الدموع و ذلك لأن الخشية استولت على القلوب وأثرت الرقة فيها، وقدم "درفت منها العيون" على "وجلّت منها القلوب" لبيان أن الموعظة أثرت فيهم، وأخذت من الحاضرين بمجامعهم ظاهراً وباطناً<sup>(3)</sup>.

### رابعاً: مقوم التغذية الراجعة

التغذية الراجعة مبدأ من مبادئ التدريس قائم بذاته وسيأتي تفصيله في مبحث التقويم التربوي<sup>(4)</sup>، وهي هنا إحدى فئات مبدأ فاعلية أساليب التدريس، ومما جاء فيها:

<sup>1</sup> مسند أحمد، 545/36، 22211، وصحح الأرنؤوط إسناده.

<sup>2</sup> وسنن أبي داود، 16/7، 4607، سنن الترمذي 44/5، 2676 واللفظ له، وسنن ابن ماجه 28/1، 42، وقال

الأرنؤوط: «حديث صحيح بطرقه وشواهده».

<sup>3</sup> شرح المشكاة للطبي، 633/2.

<sup>4</sup> ينظر مبدأ التغذية الراجعة ص 270.

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ)<sup>(1)</sup>، فالرسول ﷺ بادر إلى تصحيح السلوك الخاطئ الذي صدر عن الواعظ.

وما سبق من آيات كريمة وأحاديث شريفة تؤكد اعتبار المواقف التعليميّة في القرآن الكريم والسنة النبويّة لمقومات فعاليّة أساليب التدريس.

وبالجملة، فإنّ ما سبق عرضه في هذا المبحث يدلّ على أنّ مواقف القرآن الكريم والسنة النبويّة التدريسيّة قائمة على قواعد وأصول واضحة تتعلّق بأساليب وأنماط ضروريّة لتحقيق الفعاليّة عند المعلّمين، فمبادئ القدوة، والتكرار، والثواب والعقاب، وفاعليّة التدريس، أسس يجب على المعلّمين الالتزام بها لما لها من تأثير إيجابيّ على أنشطتهم، ويمكن ملاحظة مناسبة تلك الأساليب وملاءمتها لأهداف المواقف التعليميّة ومحتوياتها الدراسيّة، وملاءمتها أيضاً لمستويات نموّ المتعلّمين، وأدوارها الفعّالة في تحقيق شخصيّة المتعلّم وإيجابيّته الضروريّة لتعديل سلوكه.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 17/1 ر24، صحيح مسلم، 63/1 ر36.

### المبحث الثالث: المبادئ المتعلقة بوسائل التدريس في درس القرآن والسنة العقديّ

تظهر أهمية الوسائل التعليميّة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بجلاء تامّ، ورغم ما تتميز الوسائل التي استعملها رسول الله ﷺ من بساطة بسبب بدائيّة البيئة البشريّة عامّة وبيئة العرب بصفة خاصّ، إلاّ أنّ ذلك لم يحلّ دون أدائها لوظيفتها في تيسير التعلّم وترسيخه. وإنّ تتبّع ما جاء في الوسائل التعليميّة من آيات وأحاديث ليظهر أنّها قائمة أسس وقواعد في غاية الدقّة والأهميّة التربويّتين، وأنّ فاعليّتها متوقّفة بدرجة كبيرة على مدى التزام المستعمل لها بتلك المبادئ والقواعد.

والباحث يتناول هنا مبدأ تيسير وسائل التدريس لعمليّة التعلّم ومبدأ إثارتها لتفكير المتعلّمين ثمّ مبدأ اعتماد العربية لغةً لتدريس العلوم.

## المطلب الأول: مدخل إلى وسائل التدريس

تتطرق في هذا المدخل الى عرض ما له علاقة مباشرة بالمبادئ التدريسية الخاصة بوسائل التدريس مثل تعريفها وأهميتها ومعايير اختيارها.

### الفرع الأول: تعريف وسائل التدريس

#### أولاً: تعريف الوسائل لغة:

الوسيلة في العربية «ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل. والتوسيل والتوسيل واحد. يقال: وسّل فلانٌ إلى ربّه وسيلةً، وتوسّل إليه بوسيلةٍ، أي تقرب إليه بعمل»<sup>(1)</sup>.  
والوسيلة «كلّ ما يتحقّق به غرض معيّن»<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: تعريف الوسائل اصطلاحاً:

تعددت تعريفات وسائل التعليم في الاصطلاح ومن ذلك:

أ- «كل ما يستخدمه المعلم من أجهزة وأدوات ومواد وغيرها داخل حجرة الدراسة أو خارجها، لنقل خبرات تعليمية محددة إلى المتعلم بسهولة ويسر ووضوح، مع الاقتصاد في الوقت والجهد المبذول»<sup>(3)</sup>.

ب- والوسائل التعليمية هي أيضاً «كل أداة أو مادة يستعملها المعلم لكي يحقق للعملية التعليمية جواً مناسباً يساعد على الوصول بتلاميذه إلى العلم والمعرفة الصحيحة وهم بدورهم يستفيدون منها في عملية التعلم واكتساب الخبرات»<sup>(4)</sup>.

ج- وهي «أداة أو جهاز أو حركة تساعد المعلم على إيصال المعلومة إلى ذهن التلميذ وتزويده بخبرة أو أكثر دون عناء أو تعب»<sup>(5)</sup>.

د- وهي كذلك: «الأنشطة الاجرائية العملية التي يمكن استخدامها لتحويل المعاني المجردة إلى إحساسات يشعر بها المتعلم أثناء معالجة الحقائق والمفاهيم والمبادئ الشرعية بما يساعد على بقاء أثر

<sup>1</sup> الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل الجوهري، 1841/5.

<sup>2</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة لعمر مختار، 2441/3.

<sup>3</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص330.

<sup>4</sup> الوسائل التعليمية لحمزة الجبالي، ص90.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص128.



التعلم عند المتعلم من جهة وبما يساعد على نموه السليم من جهة أخرى»<sup>(1)</sup>.  
إنَّ أهمَّ ما يلاحظ في الوسائل التدريسيَّة أنَّ المعلِّمين يستعينون بها على تيسير العمليَّة  
التعليميَّة على المتعلِّمين بحيث يحدث التعلُّم ويرسخ مع الاقتصاد في الجهد والوقت.

### الفرع الثاني: أهميَّة الوسائل التدريسيَّة ومعايير اختيارها

#### أولاً: أهميَّة الوسائل التدريسيَّة

مظاهر أهميَّة الوسائل التدريسيَّة في تحسين عمليَّة التعليم والتعلُّم كثيرة منها:

أ- إثراء التعليم: لقد أكَّدت الدراسات والأبحاث أنَّ للوسائل التعليميَّة دوراً جوهرياً في إثراء  
التعليم بإضافتها لأبعاد ومؤثِّرات خاصَّة ومتميِّزة، وإنَّ هذا الدور يتضاعف بسبب التطوُّرات التقنيَّة.  
ب- اقتصاديَّة التعليم: أي جعل العمليَّة التعليميَّة التعلُّميَّة اقتصاديَّة بدرجة أكثر، وذلك من  
خلال رفع نسبة التعلُّم بالنسبة إلى ما يُنفق عليه، فدور الوسائل التدريسيَّة هو تحقيق أهداف قابلة  
للقياس ذات مستوى فعَّال من حيث التكلفة في الوقت والجهد والمصادر.

ج- تساعد على زيادة خبرات المتعلِّمين وتثير اهتمامهم وانباههم واستعدادهم للتعلُّم.

د- تساعد على إشراك جميع حواس المتعلِّمين، حيث يؤدي ذلك إلى ترسيخ التعلُّم وتثبيتته،  
كما تيسِّر إيجاد علاقات وطيدة بين ما يكتسبونه من معارف وخبرات، وما يترتَّب على ذلك من  
بقاء أثر التعلُّم.

هـ- تساعد الوسائل التدريسيَّة على اجتناب الوقوع في اللفظيَّة، أي استعمال المعلِّمين  
لألفاظ ليس لها عند المتعلِّمين نفس الدلالة التي عندهم، فباستخدام هذه الوسائل تكتسب الألفاظ  
أبعداً أخرى تزيد من التقارب بين معانيها في أذهان المعلِّمين والمتعلِّمين جميعاً.

و- تيسِّر تعليم وتعلُّم المفاهيم.

ز- تزيد من إيجابية المتعلِّمين ومشاركتهم في العمليَّة التربويَّة ممَّا يسهم في تحقيق الأهداف  
المسطَّرة، فهي تنمِّي القدرة على التأمل والملاحظة والتفكير لحلِّ المشكلات.

ح- تساعد المعلِّمين على مواجهات ما بين المتعلِّمين من فروق فرديَّة<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: معايير اختيار الوسائل التدريسيَّة

<sup>1</sup> التدريس في مدرسة النبوة لمحمد وزان، ص 201.

<sup>2</sup> الوسائل التعليمية لسمير جلوب، ص 14-16.

تُختار الوسائل التدريسيّة وفق معايير منها:

- أ- ارتباطها بالأهداف السلوكيّة المحدّدة التي تسعى العمليّة التربويّة إلى تحقيقها.
- ب- ملاءمتها لأعمار المتعلّمين وما لديهم من خبرات سابقة، ومناسبتها لظروف بيئتهم وأوضاعهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وما يتعلّق بخصائصهم الجسميّة والعقليّة والوجدانيّة.
- ج- بساطتها ووضوحها، وخلوّها من التعقيد والمؤثرات التشويشيّة والدعائيّة غير المرتبطة بالمحتوى التعليميّ لاحتتمال تشتيت ذلك تركيز المتعلّمين.
- د- جذبها لانتباه المتعلّمين، حيث تُستغلّ خصائصها في ذلك، مثل استعمال الألوان.
- هـ- أن تضع المتعلّمين في مواقف مثيرة للتفكير.
- و- أن يتناسب مردودها مع الجهد المبذول في توظيفها والمال المصروف عليها.
- ز- أن تحقّق إضافات ملموسة للكتاب المدرسي<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: مبدأ تيسير وترسيخ وسائل التعليم للتعلّم

يستخدم المعلّمون وسائل التعليم لأنّ ذلك يؤثّر في نجاح العمليّة التربويّة، ومواقف القرآن والسنة التدريسيّة تظهر مدى أهمّيّتها فيهما، وسنذكر بعض الأدلّة التي تثبت ذلك.

### الفرع الأوّل: مبدأ تيسير وترسيخ الوسائل للتعلّم في القرآن الكريم

إنّ لإشراك أكبر قدر من الحواس أهميّة كبرى في إحداث التعلّم وتحسينه، فالمتعلّمون غالباً ما يركّزون بشكل أكبر على ما يرونه مقارنة بما يسمعون، وذلك يؤدّي إلى تثبيت وتعميق هذا التحصيل، وسنذكر هنا بعض ما ورد في القرآن من نصوص تدلّ على المبدأ.

أولاً- قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ [العلق].

إنّ الله علّم الإنسان الخطّ بالقلم، ولم يكن يعلمه، والباء في قوله تعالى: ﴿بِالْقَلَمِ﴾ للاستعانة<sup>(2)</sup>، ولقد نبّهت الآيات على فضل علم الكتابة، لمنافعه العظيمة، فما دُوّنت العلوم، ولا

<sup>1</sup> إنتاج وتصميم الوسائل التعليمية لمحمد الطيبي وآخرين، ص 137-139.

<sup>2</sup> تفسير الطبري، 32/24، والجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي، 366/30.

صُبَّطت أخبار ومقالات السابقين، ولا كتب الله إلا بالكتابة<sup>(1)</sup>، وخروج الانسان من ظلام الجهل إلى نور العلم هو الأثر التربوي لتوظيف وسيلة القلم في التعلّم.

ثانياً- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260].

إنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام -وهو المتعلّم هنا- هو الذي قام بإجراء التجربة بنفسه ليرى كيفية إعادة الحياة إلى الموتى، وقد تمّ استخدام أدوات طبيعيّة متوافرة في البيئة المحليّة مثل الجبل والطيور<sup>(2)</sup>، واطمئنان قلبه عليه السلام -وقد حصل- هو الأثر التربويّ لتوظيف الوسائط التعليميّة.

ثالثاً- قال الله سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)﴾ [المائدة].

بعد أن ارتكب القاتل الجريمة لم يرد أن يترك أخاه للسباع والجوارح، وألهم بالفطرة أنه لا بدّ من ستره، وأراد الله ﷻ أن يعلمه ذلك، فبعث غراباً يثير ويحفر الأرض برجليه ليضع فيها غراباً ميتاً، فكان هذا تعليم للقاتل بكيفية مواراة جثة قتيله<sup>(3)</sup>، فهو لم يتعلّم مواراة سوءته إلاّ بعد أن بعثه الله سبحانه الغراب ليقوم «بدور الوسيلة التي يتعلّم عن طريقها كيف يدفن أخاه»<sup>(4)</sup>.

وواضح أنّ القاتل - بعد أن شاهد حفر الغراب في الأرض- قد تعلّم ما الذي يجب فعله لمواراة الأموات، وذاك هو الأثر التربويّ لاستخدام الوسائط التعليميّة.

### الفرع الثاني: مبدأ تيسير وترسيخ الوسائل للتعلّم في السنّة النبويّة

سنذكر هنا بعض ما ورد في السنّة النبويّة من نصوص تدلّ على هذا المبدأ.

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 120/20.

<sup>2</sup> استخدام أساليب تكنولوجيا التعليم في التربية القرآنية وأثر ذلك على تعلم الفئات المستهدفة لمحمد مدني، ص334.

<sup>3</sup> زهرة التفاسير لأبي زهرة، 2131/4.

<sup>4</sup> استخدام أساليب تكنولوجيا التعليم في التربية القرآنية وأثر ذلك على تعلم الفئات المستهدفة لمحمد مدني، ص330.

أولاً - قال الرسول ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ) (1).

إن قول النبي ﷺ (وَلَكِنْ يُعَذِّبُ) قد يمر على بعض الحاضرين دون أن يسمعوها أو يعوها، فجاءت إشارة الرسول ﷺ بيده إلى اللسان توظيفاً لهذه الوسيلة في إثارة الانتباه، وزيادة بيان وإيضاح للمقصود، فمثل هذه الإشارات تجعل من حضر هذا المجلس «لا ينسى أهمية اللسان، وآفاته التي تكب الناس في النار على مناخرهم» (2).

ثانياً: قال الرسول ﷺ: (تُدْنِي الشَّمْسُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ... فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِئُهُ الْعَرَقُ الْجَافَا) قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ (3).

من فوائد إشارة الرسول ﷺ إلى فمه في الحديث أنها مثلت ليوم القيامة وهو من الغيب، وأنها قد أضيفت إلى القول فجمع بين وسيلتين بيانيتين، وأنها أكدت الترهيب من أهوال يوم القيامة، وأنها رافعة لتوهم المجاز في كلام (4).

ثالثاً: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَحَطَّ حَطًّا، وَحَطَّ حَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَحَطَّ حَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخُطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ). ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] (5).

يبين النبي ﷺ مفهوم صراط الله المستقيم، فلم يقتصر على وسيلة الكلام المجرد بل يستعمل لذلك الرمل، في رسم صراط الله المذكور في الآية في صورة خط مستقيم، ثم يختتم هذا التوضيح العملي بقراءة الآية فتقع أعظم موقع في نفوس وعقول الحاضرين (6).

<sup>1</sup> صحيح البخاري 439/1 ر 1242، صحيح مسلم واللفظ له، 330/1 ر 448.

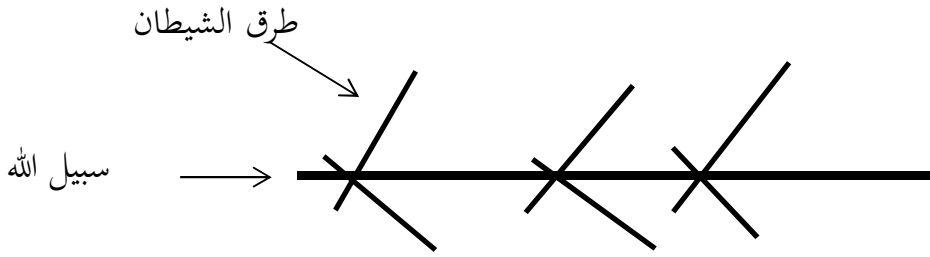
<sup>2</sup> السنة النبوية رؤية تربوية لسعيد اسماعيل علي، ص 383. الرسول والعلم ليوسف القرضاوي، ص 146.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، 2196/4 ر 2864.

<sup>4</sup> البيان غير اللفظي في الحديث النبوي: لغة الجسد لأحمد عبد العزيز، ص 382.

<sup>5</sup> سنن ابن ماجه واللفظ له، 3263 ر 1086/2، وحسنه الأرئوط، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلبي بن بلبان، 180/1 ر 6.

<sup>6</sup> الرسول والعلم ليوسف القرضاوي، ص 144، وينظر السنة النبوية رؤية تربوية لسعيد اسماعيل علي، ص 390.



شكل (3) الرسم الذي خطّه مثله الرسول المعلم ﷺ لتوضيح صراط الله المستقيم<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: مبدأ إثارة الوسائل التعليمية لتفكير المتعلم

كما أن طرائق التدريس في القرآن والسنة تثير تفكير المتعلمين وتدفعهم الى ممارسة مهارته المتنوعة فإن الوسائل التعليمية فيهما تحقق ذلك أيضاً، وسنذكر بعض الأدلة التي تثبت ذلك.

#### الفرع الأول: مبدأ إثارة الوسائل التعليمية لتفكير المتعلم في القرآن الكريم

سبق الكلام عن أهمية تعليم التفكير في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأجود الوسائل التعليمية ما أثارت تفكير المتعلمين ودفعتهم إلى ممارسة مهاراته، وبعثت روح الإبداع والابتكار لديهم، وسنذكر هنا بعض الأدلة التي تثبت أن الوسيلة التعليمية في القرآن قائمة على هذا المبدأ:

#### أولاً: إثارة تفكير بوسيلة القصة.

قال الله تعالى: الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

وقال الله سبحانه: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (176) [الأعراف].

نظراً لما لاستخدام القصة - باعتبارها واسطة تدريسية<sup>(2)</sup> - من أثر كبير في إحداث التعلم والإبقاء على أثره فإن مدرسة النبوة قد «اهتمت اهتماماً كبيراً بالأسلوب القصصي كوسيلة تعليمية يمكن الاستفادة منها لبلورة الحقائق والمفاهيم والتعميمات الشرعية»<sup>(3)</sup>، والآيتان تدلان صراحةً على

<sup>1</sup> الوسائل التعليمية لسمير جلوب، ص 94.

<sup>2</sup> قد تتداخل الطرق والأساليب والوسائل، فتكون القصة - على سبيل المثال - طريقة تدريس باعتبارها، وتكون وسيلة تعليم باعتبارها ثانياً، والمثل قد يُعرض على أنه طريقة تدريس قائمة بذاتها، وقد يُعرض على أنه يمثل قاعدة تربوية، فهذا «التداخل بينها أمر وارد لا ينبغي أن يؤخذ على أنه خلل...» السنة النبوية رؤية تربوية لسعيد اسماعيل علي، ص 344، وهذا قد يكون مدخلاً للخروج مما في الكتب من اختلاف كبير في الاصطلاحات كالاختلاف في كون القصة والمثل طريقتين أو أسلوبين أو وسيلتين.

<sup>3</sup> التدريس في مدرسة النبوة للمحمد وزان، ص 206.

أنّ غاية القصص في القرآن الكريم هو دفع المتعلّم إلى الاعتبار بأحوال الأمم الماضية، ولا يتحقّق ذلك إلّا بتأمّل ما وقع لهم والاستدلال به على وجوب الحذر من سلوك مسلّكهم، فالقصة في القرآن والسنة خادمة لغايات منها إثارة تفكير المتعلّم لكي يتأسّس تعلّمه على توظيفه للعمليات العقلية المتنوّعة، فيرسخ ويبقى أثره، ولذلك يرتبط توظيف القصص في القرآن الكريم بتوقّع ورجاء حدوث التأمل والتدبّر والاستدلال للوصول إلى الاعتبار والاتعاظ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثانياً: إثارة تفكير بوسيلة المثل.

أ- قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبَ لَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

تصرّح الآية أن غاية ضرب الأمثال في القرآن الكريم هي إثارة تفكير المخاطب والمتعلّم.

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24]، «يقول: هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتهما في أنفسهما عندكم أيّها الناس؟ فإيهما لا يستويان عندكم فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: أفلا تعجبون أيّها الناس وتنفكرون، فتعلّموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان؟»<sup>(1)</sup>

إنّ الأمثال تعتبر «ضرباً من ضروب الوسائل التعليمية الهامة التي لها تأثير فعال وإيجابي على تعلم الفرد ونموه التعليمي، فمن المسلم به أنّ هناك الكثير من المعاني والأشياء في الحياة تظهر وقد غلب عليها التجريد وصعوبة الفهم، أو استحالة ادراك ما تشمل عليه من مضامين نظراً لغموضها وتجردها، وهنا تأتي الأمثال كوسيلة تعليمية لإزالة هذا التجريد والغموض في أسلوب سهل سلس»<sup>(2)</sup>.

الفرع الثاني: مبدأ إثارة الوسائل التعليمية لتفكير المتعلّم في السنة النبوية

سنذكر هنا بعض الأدلة التي تثبت أنّ الوسيلة التعليمية في السنة النبوية تنير تفكير المتعلّم وتدفعه إلى ممارسة مهاراته

أولاً: إثارة تفكير بوسيلة القصة.

<sup>1</sup> تفسير الطبري، 377/12.

<sup>2</sup> التدريس في مدرسة النبوة للمحمد وزان، ص 204.

قال رسول الله ﷺ: (كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْأَخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّيْ وَرَبِّي، أُبْعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ - أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ - فَغَبَضَ أُرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرَ: أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ ذُنُوبَهُ وَآخِرَتَهُ (1).

إنَّ قول أبي هريرة رضي الله عنه «والذي نفسي...» هو الأثر التربوي لاستخدام القصة كوسيلة تعليمية، وقسمه رضي الله عنه أنَّ سبب هلاك الرجل هو تقنيته لأخيه من رحمة الله تعالى يدلُّ على إدراكه التام لهدف الحديث التدريسي، أي أنَّ القصة قد ساهمت في تحقُّق التدبُّر والاستدلال الموصولين إلى الاعتبار والاتعاظ، وهي عمليَّات عقلية محضة.

#### ثانياً: إثارة تفكير بوسيلة المثل.

قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعْثِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْنَّجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذْجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَانْجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ) (2).

إنَّ الحديث نموذج تطبيقي لإثارة الأمثال للتفكير، فمن صدَّقوا المنذر خرجوا أوَّل الليل فنجوا، ومن كذَّبوه هلكوا، وهذا المثل - كوسيلة تعليمية - يمنع المتعلِّم من التوقف عند هذا الحدِّ، بل يدفعه دفعا إلى الاعتبار، أي العبور من مشهد نجاة المصدِّقين وهلاك المكذِّبين إلى وجوب تصديق البشير النذير ﷺ، ولا يتحقَّق ذلك إلا بتوظيف العمليَّات العقلية اللازمة لحصول الاتعاظ مثل التأمل والمقارنة والاستدلال.

<sup>1</sup> سنن أبي داود، 262/7، 4901، وذكر الأرنؤوط أن إسناده حسن، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، 20/13 ر5712. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، 821/2 ر4455.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 2656/6 ر6854. صحيح مسلم 1788/4 ر2283 وفي الهامش أنَّ معنى (أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ) أصله أنَّ الرجل إذا أراد إنذار قومه بما يخيف نزع ثوبه وأشار إليهم من بعيد بما دهههم.

## المطلب الرابع: مبدأ اعتماد العربية لغةً لتدريس العلوم

سننظر هنا الى عرض الأدلة التي تثبت أنّ مدرسة النبوة اعتمدت اللغة العربية لغةً للتعليم بسبب ما لها من دور فعّال في البيان والإيضاح.

### الفرع الأول: العربية لغةً للتدريس

لغة التدريس هي اللغة التي يتلقّى بها المتعلّمون العلوم في الفصول الدراسية<sup>(1)</sup>، وهي -كوسيلة تعليمية- الوسطة الوحيدة التي لا يتصوّر إمكان الاستغناء عنها مهما بلغ حجم إنفاق الدول على التعليم، فأهميتها تظهر «في كونها أداة البشر في التواصل والتفاهم ووسيلتهم في تحصيل المعارف والعلوم ونقل الحضارة والتراث والتاريخ»<sup>(2)</sup>.

إنّ وصف اللغات بالأمر يُحتجّ به على أفضلية اعتمادها لغةً لتدريس العلوم، وعلماء التربية والنفوس والاجتماع واللغة يؤكّدون على «ضرورة استعمال اللسان الوطني في المراحل التعليمية كلّها إن أمكن، أو في بدايتها على الأقل، لأن التعليم باللغة الوطنية، لغة الأمّ، هو الأجدى والأنفع والأكثر مردودية على كل المستويات»<sup>(3)</sup>، كما أكّدت البحوث والدراسات أنه ليس بين الدول المتقدمة دولة واحدة تدرّس بلغة أجنبية، في حين أنّ الدول التي تُعلّم بلغة المستعمر أو تعتمد التعليم المزدوج فيدلّ واقعها الاقتصادي على أنها ليست من الدول المتقدمة<sup>(4)</sup>.

غير أنّ اللغة العربية - زيادةً عن وصف كونها لغةً أمّاً- مدخلاً آخر للاحتجاج لها على جدارة اعتمادها لغةً للتدريس والتعلّم، وليس هذا غيرها من اللغات، ويتمثّل هذا المدخل في كونها اللغة التي اختارها الله تعالى لتبليغ كتابه الكريم وتعليم علومه، أي وسيلة الرسول ﷺ في اتصاله مع الناس لأداء مهمته المتمثلة في «التبليغ، والهداية، والتعليم»<sup>(5)</sup>، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:129].

<sup>1</sup> أثر اختلاف لغة التدريس على تطور الوظائف التنفيذية المعرفية والتحصيل الدراسي لنيفين حافظ، ص16.

<sup>2</sup> إشكالية اللغة في تدريس العلوم لعبد المجيد ساملي، ص9.

<sup>3</sup> لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية لعبد العلي الودغيري، ص278، والتقرير العالمي لرصد التعليم المساءلة في مجال التعليم: الوفاء بتعهداتنا، منشورات اليونيسكو، ص190.

<sup>4</sup> اللغة العربية والتنمية: الميسرات والمعوقات لجامعة علي، ص101.

<sup>5</sup> السنة النبوية رؤية تربوية لسعيد علي، ص241.



ولبيان هذا يلزم الكشف عن حكمة اختيار العربية لغةً لتبليغ وتعليم الكتاب المجيد، وعلاقة تلك الحكمة باللغة كوسيلة تعليمية يؤثر توظيفها على إحداث التعلّم وترسيخه.

### الفرع الثاني: مبدأ اعتماد العربية لغةً للتدريس في القرآن والسنة

تعرّض القرآن في آيات كثيرة إلى قضية وضوح محتوياته، فهو كتابٌ مبينٌ، وميسّرٌ، وغير ذي عوجٍ، وآياته مفصّلةٌ، وهي صفات تدور كلّها حول إيضاح المبهّمات، لكن الملفت للانتباه أنّ ذلك لا يأتي إلاّ مقرونا بوصف القرآن بأنّه لسانٌ عربيّ، أي في سياق مدحه بكونه منزلاً بالعربية، حتى صار ذلك من عادات القرآن، وسنفضّل في هذه الصفات ثم نذكر وجه دلالتها على المقصود.

#### أولاً- صفة البيان والإبانة:

أ- قال الله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(1)﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾ [يوسف].

ومعنى ﴿الْمُبِينِ﴾ أي «الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها». ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات» (1)، فالمبين يجوز أن يكون بمعنى الواضح، من فعل بان اللانم، ويجوز أن يكون من فعل أبان المتعدّي، أي المظهر المفصّح عمّا فيه من المعاني (2)، وفي الحاليتين فإنّ ارتباط صفة الوضوح بكونه منزلاً باللسان العربيّ ظاهر، فالقرآن واضحٌ موضّحٌ لأنّه منزلٌ بالعربية.

ب- قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:103].

ومعنى الآية «لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ غير بين ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ذو بيان وفصاحة ردّا لقولهم وإبطالا لظعنهم» (3)، ووجه الاستدلال بالآية أنّ القرآن - في ردّ اتّهام المشركين للرسول ﷺ بالافتراء على الله - دعاهم إلى المقارنة بين اللسانين، ولدخض تلك الشبهة ذكر ما يتفوّق فيه اللسان العربيّ على اللسان الأعجمي وهو

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير، 365/4.

<sup>2</sup> تفسير البغوي، 211/4، تفسير ابن عاشور، 92/19.

<sup>3</sup> تفسير الزمخشري، 584، البحر المحيط لأبي حيان، 234/2.

بيان وإيضاح المعاني، ورغم أنّ خصائص العربية كثيرة<sup>(1)</sup> فإنّه لم يُذكر منها إلاّ خاصيّة البيان، فدلّ ذلك أنّ أخصّ ما ينبغي أن يُلاحظ في تعليل إنزال كتاب الله تعالى بالعربيّة هو قدرتها على الإيضاح.

ج- قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾ [الشعراء].

والمقصود أنّ «هذا القرآن الذي أنزلناه إليك بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيّناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعدر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة»<sup>(2)</sup>، فالقرآن الكريم لم ينزل باللغة العربيّة إلاّ لأثما أنسب وسيلة لبيان أحكامه للناس، فقدرتها على الإيضاح تنقطع معها الحجج وتُدفع بها الأعدار.

د- قال الله تعالى: ﴿حَم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3)﴾ [الزخرف].

والكتاب المبين هو «البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ، لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس، ولهذا قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي: أنزلناه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب فصيحاً واضحاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تفهمونه وتتدبرونه»<sup>(3)</sup>، فابن كثير يتجاوز بداهة تعليل تنزيل القرآن بلسان العرب بإقامة الحجّة عليهم، يتجاوز ذلك إلى كون الحكمة هي قدرة العربيّة على بيان وتوضيح المعاني وإيصالها إلى المتعلّم، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هو الأثر التربويّ لاستخدام وسيلة اللغة العربيّة في عرض القضايا، إنّ «كلمة لعل للتمني والترجي وهو لا يليق بمن كان عالماً بعواقب الأمور، فكان المراد منها هاهنا: كي أي أنزلناه قرآناً عربياً لكي تعقلوا معناه، وتحيطوا بفحواه»<sup>(4)</sup>، فالمرجوّ والمتوقّع هو أن المخاطب سيعقل ويدرك جميع قضايا القرآن الكريم لما في اللسان العربي - كوسيلة تعليميّة - من قدرة على بيان وإجلاء المعلومات وتيسير نقلها للأذهان.

<sup>1</sup> ينظر مثلاً الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، ص 19، المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، 321/1، وتاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، 46/1.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 162/6.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير 218/7.

<sup>4</sup> تفسير الرازي، 194/27.

ولابن فارس طريقة أخرى في تقريب هذا المعنى، فهو يعتبر وصف القرآن للسان العربي بالبيان تحديداً دليل على أنّ غيره من الألسنة دونه في ذلك، ولذلك اختاره الله لبيان رسالته وشريعته، يقول في باب (القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها): «قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾ [الشعراء]..، فوصّفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. وقال جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 3، 4] فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توخّد بخلقه وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكّمة والنشاي المتفنة. فلما خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان علّم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه<sup>(1)</sup>.

ويرى البوريني أنّ لفظ ﴿عَرَبِيًّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يتعدّى كونه «تحديداً لنوع اللغة التي نزل بها القرآن، لأنّ هذا أمر مفهوم ومن البديهي أن يكون عربياً لأنّ النبي منهم ولا بد من أن يرسله الله بلسانهم. لا بد إذن من أن تكون كلمة ﴿عَرَبِيًّا﴾ قد احتوت معاني أخرى. إنني أرى فيها إشارة خاصة إلى ما في العربية من بيان ووضوح يمكن قارئ القرآن المتدبر لآياته من أن يعقل ويفهم القرآن ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]»<sup>(2)</sup>. والمقصود أنّ الله ﷻ اختار العربية لغةً لكتابه الكريم بسبب قدرتها الفائقة على بيان وإيضاح المبهمات وتقريبها للأفهام، فاعتمادها لغةً لتدريس العلوم من أكبر أسباب تيسير التعلّم.

### ثانياً - صفة اليسر:

أ- قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: 58]  
 ب- قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97]  
 والمعنى «إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتفهمون ويعملون»<sup>(3)</sup>. فالتيسير إنّما حدث لأنّ القرآن الكريم أنزل بأقدر الألسنة على إجلاء المعاني وإظهارها، وذلك هو وجه اختتام الآية برجاء وتوقع فهمهم واعتبارهم، والباء في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانِكَ﴾ «للسببية أو المصاحبة»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> الصاحبي في فقه اللغة العربية ومساائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، ص 19.

<sup>2</sup> اللغة العربية أصل اللغات كلها لعبد الرحمن البوريني، ص 34.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير 263/7.

<sup>4</sup> تفسير ابن عاشور 176/16.

ونرجح أنّها سبببّة كما يشير إليه سياق الآيات التي جاءت في وصف اللغة العربيّة بالإبانة حال كونها لغةً للكتاب المجيد، والمعنى أنّ سبب وضوح مضامينه هو تنزيله بأفصح الألسنة وأقدرها على البيان والإيضاح، ولذلك «وقع التيسير في كونه بلسان محمد عليه السلام وبلغته المفهومة المبينة»<sup>(1)</sup>.

و"علّ" في قوله سبحانه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ «مستعملة في التعليل، أي لأجل أن يتذكروا به»<sup>(2)</sup>، والتذكّر في القرآن - كالاختبار - نتيجةً لعمليّات عقلية عديدة مثل التأمل والمقارنة والاستدلال، وهذا يشير بوضوح تامّ إلى الأثر التربويّ لوسيلة اللغة العربيّة في إحداث التعلّم عمومًا وإثارة تفكير المتعلّم خصوصًا.

### ثالثاً- صفة التفصيل:

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:3]،

والتفصيل معناه «التبيين والإخلاء من الالتباس والمراد: أن آيات القرآن واضحة الأغراض لا تلتبس إلا على مكابر في دلالة كل آية على المقصود منها... ومن كمال تفصيله أنه كان بلغة كثيرة المعاني، واسعة الأفنان، فصيحة الألفاظ، فكانت سالمة من التباس الدلالة، وانغلاق الألفاظ، مع وفرة المعاني غير المتنافية في قلة التراكيب»<sup>(3)</sup>، ومعنى قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ﴾ «أي: بينت معانيه وأحكمت أحكامه، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: في حال كونه لفظاً عربياً، بينا واضحا، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكّلة»<sup>(4)</sup>، فما في القرآن من مضامين مبينة مفصلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعربيّة وقدرتها الفائقة على الإيضاح.

### رابعاً- صفة السلامة من الاعوجاج:

أ- قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) [الزمر].

ومعنى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عَوْجٍ﴾ أي «هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله عز وجل كذلك، وأنزله بذلك

<sup>1</sup> تفسير ابن عطية 35/4.

<sup>2</sup> تفسير ابن عاشور 321/25.

<sup>3</sup> تفسير ابن عاشور 230/24.

<sup>4</sup> تفسير ابن كثير 161/7.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد<sup>(1)</sup>، فنفي اللبس عن القرآن في سياق مدحه بوصف كونه لساناً عربياً إشارة واضحة إلى أنّ وجه اختيار العربية لغة له هو قدرتها على إيضاح المعاني ونفي اللبس والغموض عنها.

وقد ذكرت الآيتان أثريين تربويين لاستخدام اللغة العربية كوسيلة لتدريس العلوم، فقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي يعتبرون، والتذكّر نتيجة لعمليّات عقلية مثل التأمل والتدبّر والاستدلال، أمّا قوله سبحانه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فهو نتيجة التذكّر السابق، ففي الآيتين إشارة واضحة إلى ما تثيره الوسيلة التعليميّة الجيدة من التفكير ومهاراته لدى المتعلّم وما ينتج عنه من تعلّم وتعديل للسلوك.

ب- قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِنِي لِحَانًا، اخْتَارَ لِي خَيْرَ الْكَلَامِ كِتَابَةَ الْقُرْآنِ»<sup>(2)</sup>، وقد قال ذلك لما قيل يا رسول الله ما رأينا أفصح منك<sup>(3)</sup>.

والحديث «استدلال على أنه ليس بلحان لأن من نزل بلسانه القرآن لا يكون لحاناً»<sup>(4)</sup>، ولسانه ﷺ كما قال المناوي<sup>(5)</sup> «لسان عربي مبين مستقيم...ومن كتابه القرآن كيف يلحن...»<sup>(6)</sup>.

وهذا الحديث ينبغي أن يُقرأ في ضوء وظيفة الرسول ﷺ التبليغيّة التعليميّة، فقد عاش ﷺ بين الصحابة رضي الله عنهم رسولاً معلّماً، وقد كانوا حريصين على ملازمته وحضور مجالسه ﷺ، فما رأوه من فصاحة - والفصاحة بيان وإيضاح الكلام<sup>(7)</sup> - متعلّق قطعاً بأساليب وطرائق مدرسة النبوة،

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير 96/7.

<sup>2</sup> الجامع الصغير للسيوطي وحسنه، 111/1 ر 1779، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص 237 ر 1638.

<sup>3</sup> البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لإبراهيم بن حمزة، ص 189.

<sup>4</sup> التنوير شرح الجامع الصغير لمحمد الصنعاني، 3/335. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، 237/1 ر 1638.

<sup>5</sup> هو محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي القاهري (952هـ - 1031هـ)، من كبار العلماء بالدين والفنون. باحث مصنّف، قرأ على والده علوم العربية وتفقه بالشمس الرملي وعلي بن غانم المقدسي، ومحمد البكري وغيرهم، عاش في القاهرة، وتوفي بها، من كتبه الكثيرة كنوز الحقائق والتيسير في شرح الجامع الصغير، وفيض القدير وشرح الشمائل للترمذي واليوافيت والدرر. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحيي، 3/412-416، والأعلام لخير الدين الزركلي، 204/6.

<sup>6</sup> فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد المناوي، 2/323.

<sup>7</sup> الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، 5/2082. ولسان العرب لابن منظور، 2/544.

و«تأمل قولهم "ما رأينا الذي هو أفصح منك" فإن تعبيرهم (بالذي) يدل على تمكن هذا الاعتقاد منهم، وأنهم يجربون عن نظر ومعرفة واستقصاء، وأنه ليس في جميعهم واحد يقال عنه (الذي)»<sup>(1)</sup>.  
وأيضاً، فإنّ سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن بيانه تحديداً - وهم الخبراء بخصائص العربية- ليدكرنا بتركيز آيات القرآن الكريم على عنصر وخاصيّة الإبانة والإيضاح في سياقات الكلام عن السان العربيّ.

وومّا يّستدلّ به من السنّة النبويّة على المبدأ هو اعتماد المدرسة المحمّدية العربيّة عملياً لغةً للتعليم، ومعلوم أنّ السنّة هي ممارسة عمليّة للقرآن الكريم، فمن وظائفها الأساسيّة في التربيّة الإسلاميّة أنّها «التطبيق العمليّ للمبادئ السامية التي جاء بها الوحي»<sup>(2)</sup>، وإذا كانت المدرسة المباركة «قد اشترطت لنجاح الإلقاء أن يكون بأسلوب عربي فصيح، فذلك يعود لإدراكه ﷺ لمدى اتساع هذه اللغة وشمولها وتميزها، ولإدراكه عليه السلام ان اللغة العربية غنية وثرية تساعد الانسان على نماء تفكيره»<sup>(3)</sup>، ولذلك فقد استمرّ اعتمادها لغة لتدريس العلوم حتّى عند الشعوب غير العربيّة، وإنّ «الذين وضعوا آدابها في أثناء التمدن الإسلامي أخلاط من أمم شتى جمعهم الإسلام أو الدولة الإسلامية، وفيهم العربي والفارسي والتركي والهندي والسوري والعراقي والرومي والأرمني والبربري والزنجي والصقلي وغيرهم.. وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربي وألفوا الكتب العربية في الآداب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفسقة...»<sup>(4)</sup>.

وإنّ الأمم غير العربيّة التي دخلت دين الإسلام كانت متفاوتة الدرجات في انفعالها وأنماط تفكيرها وذكائها واستعداداتها وتخيّلها، «ولكن اللغة العربية فتحت عليها آفاقاً جديدة في كل ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية، ودفعتها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان إلى التفكير والتعقل على منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخاملة إلى التحرك وزادت الأفكار المتحرّكة قوة على قوة... واللغة العربية هي التي سهّلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ومهدت لها الطرائق المؤدية إليهما

<sup>1</sup> إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، ص 236.

<sup>2</sup> مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها لعبد الرحمن عبد الله وآخرين، ص 30.

<sup>3</sup> التدريس في مدرسة النبوة للمحمد وزان، ص 161.

<sup>4</sup> تاريخ آداب اللغة لجرحي زيدان، ص 21، وقد أشار شوقي ضيف إلى أن زيدان يستخدم كلمة " آداب اللغة " بمعناها الواسع عند الغربيين ليشمل كل المنتوج العقلي والشعوري للأمة في مختلف الميادين العلمية والفلسفية والأدبية.

حتى أخذت كل أمة حظها منهما»<sup>(1)</sup>.

إنّ ما سبق عرضه ليدلّ دلالة واضحة أنّ الحكمة من إنزال كتاب الله المجيد باللسان العربيّ إنّما هي قدرته على إيضاح القضايا وتقريب المبهمات للعقول، فاعتماد العربيّة لغةً لتدريس العلوم المتنوّعة من أعظم الوسائل التعليميّة التي يُرجى ويُتوقّع منها تيسير التعلّم وترسيخه. وبالجملة، فقد دلّ ما سبق في هذا المبحث على قيام الأداءات التدريسيّة في القرآن والسنة على مبادئ تدريسيّة تخصّ طرائق التدريس وأساليبه ووسائله، ففي مجال الطرائق ظهر مبدأ قيامها على إثارة تفكير المتعلّم ومبدأ التنويع وعدم الاقتصار على الطريقة الواحدة ومبدأ تعزيز التعلّم وتنبيته بالجمع بين النظريّ والعمليّ، ومراعاة القواعد الأساسيّة التي تقوم عليها طرائق التدريس، وفي مجال الأساليب فقد ظهر ارتكازها على مبادئ القدوة والتكرار والثواب والعقاب وتوظيف ما يحقّق فاعليّة تلك الأساليب والتغذية الراجعة، أمّا في مجال الوسائل التعليميّة فقد ظهر قيامها على مبدأ ترسيخ وتيسير للتحصيل العلميّ، ومبدأ إثارتها لتفكير المتعلّمين، ومبدأ اعتماد العربيّة لغةً في تدريس العلوم لقدرتها على البيان والإيضاح.

---

<sup>1</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ص 3.78/1.

## الفصل الثاني: المبادئ المتعلقة بالتقويم التربويّ والمعلّم في درس القرآن

### والسنة العقديّ

إنّ التقويم التربويّ - باعتباره الكاشف عن مدى تحقيق الأهداف التعليميّة المسطرّة - مكوّن أصيل من مكوّنات المناهج التعليميّة، وكلّما زادت العناية به قويت احتمالات نجاحات المعلّمين والمتعلّمين جميعاً، وإنّ من أهمّ مظاهر الخلل في العمليّة التعليميّة التعلّميّة ألاّ يؤخذ التقويم على محمل الجدّ كأن يُحصّر دوره في الحكم على من يستحقّون الانتقال إلى الأقسام العليا عند نهاية كل فصل أو سنة دراسيّة، أو تقويم ما حصّله المتعلّمون من معلومات في أدنى مستويات المجال المعرفيّ، وإنّ النظرة إلى التقويم نظرة صحيحة للتوقّف على مدى إدراك مبادئه وأصوله.

ولأنّ عناصر المنهاج من أهداف ومحتويات وأداءات وتقويم تتوقّف على من ينقذ ذلك المنهاج فإنّ التطرّق إلى المعلّم لا يستغنى عنه حتّى عند أكثر الاتجاهات تطرّفًا في قصر محوريّة التعلّم على المتعلّمين، فللمعلّمين أيضاً مبادئ وأصول توجّههم في تنفيذ دروسهم، وتضبط ممارساتهم، ومكانته في الإسلام لا تحتاج إلى تنويه، ويكفي أنّه خليفة للأنبياء في أهمّ الوظائف على الإطلاق.

وكتاب الله المجيد وسنة الرسول ﷺ حافلة بالمواقف التعليميّة المتنوّعة الدالّة على أنّ التقويم التربوي ومدرس العلوم تتعلّق بهما قواعد وأسس في غاية الوضوح، وهذا الفصل هو موضع بسطها.



## المبحث الأول: المبادئ المتعلقة بالتقويم التربويّ في درس القرآن والسنة العقديّ

إنّ من شروط إتيان عمليّة التقويم التربويّ أن يلتزم المقومون بالمبادئ والأصول التي يقوم عليها التقويم، وإنّه لمن المؤسف أن تُنفق الأموال وتصرف الأوقات وتبذل الجهود في العمليّة التربويّة حتى إذا حان وقت جني ثمارها أهملت بالتفريط في إجراء تقويم تربويّ صحيح، ولا ريب أنّ عدم الالتزام بأسس وأصول التقويم سبب مباشر في ذلك.

وستنطرق في هذا المبحث إلى مبادئ التقويم التربويّ كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبويّة، وهي أصول ضروريّة للتقويم الفعّال والجيد، و تتمثّل في التقويم الذاتي للمعلّم و المتعلّم، وشمول العمليّة التقويمية، وقيامها على مقومات ضروريّة لتحقيق الفعّاليّة، ومصاحبة التغذية المرتدّة لعمليّة التدريس.

## المطلب الأول: مدخل إلى التقويم التربوي

تتطرق في هذا المدخل الى عرض ما له علاقة مباشرة بالمبادئ التدريسية الخاصة بالتقويم مثل تعريفه وتصنيفه باعتبار وقت إجرائه ووظائفه ومكونات النظام التعليمي، وأسس التقويم وأخلاقياته.

### الفرع الأول: تعريف التقويم لغةً واصطلاحاً

#### أولاً: تعريف التقويم لغةً

التقويم في العربية التقدير والتعديل، فالقيمة جمعها قيم، ويقال قومت السلعة أي قدرت ثمنها، وقومت الشيء فاستقام، من الاستقامة أي الاعتدال<sup>(1)</sup>.

#### ثانياً: تعريف التقويم اصطلاحاً

للتقويم التربوي تعاريف كثيرة في الاصطلاح منها:

أ- أنه «العملية التي يحكم بها على مدى نجاح العملية التربوية في تحقيق الأهداف المنشودة، بهدف إحداث تغييرات مرغوبة في سلوك المتعلمين. وهو جزء لا يتجزأ من عملية التعليم ومقوماً أساسياً من مقوماتها»<sup>(2)</sup>.

ب- «هو تقويم أحداث سلوكية سواء كنا بصدد تقويم منهج دراسي كامل أو جزء منه. وكذلك الطريقة المتبعة في تدريس منهج، أو أهداف مرحلة تعليمية بكاملها»<sup>(3)</sup>.

ج- «عملية منهجية تقوم على أسس علمية، تستهدف إصدار الحكم - بدقة وموضوعية- على مدخلات وعمليات ومخرجات أي نظام تربوي، ومن ثم تحديد جوانب القوة وجوانب القصور في كل منهما، تمهيداً لاتخاذ قرارات مناسبة لإصلاح ما قد يتم الكشف عنه من نقاط الضعف والقصور»<sup>(4)</sup>.

د- «عملية تشخيص وعلاج لموقف التعلم أو أحد جوانبه أو للمنهج كله في ضوء الأهداف التربوية المنشودة»<sup>(5)</sup>.

ومن خلال عرض هذه التعاريف نستنتج الآتي:

<sup>1</sup> الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، 2017/5، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، 768/2.

<sup>2</sup> معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، ص136.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص136.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص136.

<sup>5</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاً لعلي مذكور، ص261.

أ- أنّ التّقيّم التربويّ حكم على مدى تحقّق الأهداف المسطرّة.

ب- أنّ دور التّقيّم يتجاوز إصدار الأحكام على الأشياء إلى تشخيص جوانب القوّة والقصور فيها وعلاج ذلك.

ج- أنّ مجال التّقيّم الجيّد يتّسع ليتناول مدخلات النظام من سياسات تعليميّة ومنهج ومعلّمين ومتعلّمين، وعمليّات تطبيق وتنفيذ ذلك النظام، ومخرجاته متمثلة في مستويات تحقّق الأهداف المنشودة وتحصيل المتعلّمين.

د- أنّ التّقيّم الجيّد امتداد للعمليّة التعليميّة التعلّميّة باعتباره تدعيماً للاستجابات الصحيحة وتصويماً للاستجابات الخاطئة.

### الفرع الثاني: أنواع التّقيّم

تعدّد أنواع التّقيّم باختلاف تصنيفاتها ومنها:

أولاً: تصنيف التّقيّم باعتبار وقت إجرائه: وفيه الأقسام الآتية:

أ- التّقيّم المبدئي: ويسمّى أيضاً التّقيّم القبليّ والتمهيديّ، وهو الذي يجري قبل بداية تنفيذ المنهج، والهدف منه الكشف عن المداخل أو المستويات التي يبدأ منها المنهج، وذلك بأن يُحدّد مستوى المتعلّمين المعرفيّ والوجدانيّ والمهاريّ وما يملكونه من كفايات للانطلاق منها والبناء عليها، ومعرفة الأوضاع التي سينقذ فيها المنهج من حيث الإمكانيات المتوقّرة وغير ذلك.

ب- التّقيّم البنائيّ: ويسمّى كذلك التكوينيّ، وهو الذي يكون مصاحباً للأداء أو التطبيق، وغرضه تصحيح المسارات من خلال التشخيص والعلاج الفوريّ لكلّ العقبات التي قد تواجه العمليّة التعلّميّة، ويُزوّد المتعلّمون هنا بالتغذية الراجعة عن أدائهم ومستوى تحصيلهم ومدى سعيهم لتحقيق الأهداف المسطرّة.

ج- التّقيّم الختاميّ: وهذا النوع أكثر أنواع التّقيّم ألفة لدى المعلّم والمتعلّم، إذ غالباً ما يُعتمد عليه غالباً في تقويم المتعلّمين، ويُلجأ إلى هذا النوع من بعد الانتهاء من تطبيق المنهج أو تدريس مقرر أو وحدة، والغرض منه الحصول على تقدير المتعلّمين العامّ في التحصيل، والكشف عن مستوياتهم النهائيّة.

ثانياً: تصنيف التّقيّم باعتبار وظائفه: وفيه الأقسام الآتية:

أ- **التقويم التشخيصي**: إنّ وظيفة التقويم التشخيصي هي الكشف عن الصعوبات والعقبات التي يتعرّض لها المتعلّمون في العملية التربويّة وتحديد أسبابها واتّخاذ ما يلزم من إجراءات لمعالجتها.

ب- **التقويم الانتقائي**: ويهدف إلى انتقاء اختيار أفضل مدخلات العملية التربويّة وعمليّاتها للحصول على أفضل مستوى من المخرجات، مثل إجراء تقويمٍ لاختيار ذوي الكفاءات العالية في التدريس والإدارة.

ج- **التقويم البنائي**: بأن تقدّم التغذية المرتدّة المستمرّة للمتعلّم بخصوص أدائه للكشف عن النقص وتقديم العلاج له، وترسيخ مكتسباته المعرفيّة بالمراجعة، واستثارة الدافعيّة لديه وغير ذلك.

د- **التقويم التجميعي**: ويسمّى أيضا التقويم الختاميّ ويتعلّق بالحكم على مخرجات المنظومات التعليميّة مثل تحديد ما بلغه المتعلّمون من مستويات، وإجراء مقارنات بين نتائجهم في فصول السنة الدراسيّة، والحكم على مدى مناسبة المناهج والسياسات التعليميّة ودرجة فعاليّة المعلّمين وغير ذلك.

هـ- **التقويم التتبّعي**: ويهدف إلى متابعة المتعلّمين بعد أن ينتقلوا إلى مرحلة لاحقة أو يلتحقوا بمجالات العمل المختلفة، وذلك لمعرفة آثار ما اكتسبوه من معارف وخبرات على ما صاروا إليه، أي تتبّع مخرجات المنهج للحكم على مدى جودتها والاستعانة بتلك النتائج على تطويره.

ثالثا: **تصنيف التقويم باعتبار مكّونات النظام التعليمي**: وفيه الأقسام الآتية:

أ- **تقويم المدخلات**: أي السياسات التعليميّة والمنهج والمعلّم والمتعلّم والأبنية والتجهيزات وكل ما قد يكون له أثر على عمليات النظام ومخرجاته، وذلك من خلال إصدار أحكام تخصّ جودة المدخلات.

ب- **تقويم العمليّات**: ويتعلّق بتقويم عمليّات تطبيق النظام التعليمي وتنفيذه، وأداءات المعلّمين، والغرض منه إصدار أحكام حول جودة العمليّات وتأثيرها في المخرجات دون إهمال تحديد عقبات العملية التربويّة لمعالجتها وتجنّب آثارها السلبية.

ب- **تقويم المخرجات**: ويتناول تقويم مخرجات النظام التعليمي، مثل مستوى تحقّق الأهداف المسطّرة ومكتسبات المتعلّمين، ويهدف إلى إصدار الأحكام التي تخصّ مخرجات النظام ومدى

كفايته في تحقيق الأهداف التي جاء من أجلها وما قد يكون فيه من جوانب نقص للعمل على تعديلها<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: أسس التقويم وأخلاقياته

نتطرق هنا إلى الأسس التي يقوم عليها التقويم التربوي والأخلاقيات التي يجب توفرها فيمن يمارسه مثل المعلمين وغيرهم.

#### أولاً: أسس التقويم:

للتقويم مجموعة أسس يقوم عليها منها:

أ- أن التقويم ليس حكماً على فاعلية العملية التعليمية التعلمية فحسب بل هو خطة أساسية للتغيير والتطوير التربويين، أي أنه يوفر المعلومات التي تنطلق منها القيادة التربوية في اتخاذ القرارات السليمة والدقيقة والمناسبة.

ب- أن التقويم يرتبط ارتباطاً مباشراً بما تسعى العملية التربوية إلى تحقيقه من أهداف، إذ به نحكم على مدى النجاح في ذلك، بل نحكم به على قيمة هذه الأهداف نفسها.

ج- أنه عملية تعزيز لأداء المتعلمين، لأنه يثير لديهم الدوافع لمزيد من التعلم، فتعزيز السلوكات الإيجابية يثبتها ويدعمها، كما يصحح السلوكات الخاطئة، ومن هنا تظهر أهمية عرض نتائج عملية التقويم على المقومين.

د- أنه عملية شاملة، فهو ليس مرادفاً للاختبارات، ولا للقياس، لأنه أشمل منهما، والتقويم أعم من أي يكون مجرد تقييم وحكم، لأنه تشخيص لجوانب القوة والضعف ثم هو علاج لأسبابها، ومن مظاهر شموله أنه يتناول جميع أنواع مجالات الأهداف التربوية ومستوياتها بدون تمييز، وبصفة مستمرة، كما يتطرق إلى تقويم عامة مكونات العملية التربوية من أهداف ومحتويات وأداءات، ويتناول مخرجات العملية التربوية وأساليب التقويم في حد ذاتها.

هـ- تنوع الأدوات المستخدمة في عملية التقويم، لأن ذلك يزيد من المعلومات عن المقوم، ومن ثمّ تزيد دقة الأحكام وملاءمة العلاج.

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 267-272، ومناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مذكور، ص 265.

- و- أن يتّصف التّقويم بالصدق والثبات والموضوعيّة، والصدق قياس الأداة لما وضعت لقياسه، والمقصود بثبات التّقويم أنّه إذا أعيد تطبيق الأداة على العيّنة نفسها أو أخرى مكافئة لها فإنّ النتائج ستكون واحدة تقريباً، أمّا الموضوعيّة فالمقصود بها عدم تأثر نتائج الاختبار بعوامل المقوم الشخصيّة، وأن تُفسّر نتائج الاختبار وفق معايير موضوعيّة واضحة.
- ز- أنّ يكون التّقويم اقتصادياً في الجهد والوقت والتكلفة، فالاختبارات قد تثقل كاهل المقومين إذا كانت طويلة، ومن ثمّ يصعب اتّصافها بالصدق والثبات والموضوعيّة.
- ح- أن يراعي ما بين المقومين من فروق فردية، فالاختبار الجيّد هو الذي يُظهر ما بينهم من فروق، وما يتمتّع به كلّ مقوم من قدرات فيسهل توجيهه إلى الاتجاه الذي يلائم قدراته وميوله.
- ط- التّقويم عمليّة إنسانيّة، لأنّه ليس عقاباً للمتعلم، بل عمليّة إيجابية فعّالة يُعرّف عن قرب بنفسه فيسعى إلى تحقيق ذاته بمعالجة جوانب الضعف وتنميّة جوانب القوة. فالتّقويم الجيّد ينمّي مشاعر المحبّة والتقدير بين المتعلّمين والمعلّمين.
- ي- أن يكون عملاً تعاونياً، بأن يشترك فيه عدّة أشخاص مثل المعلّمين والمديرين والأولياء والمتعلّمين، لأنّ العمل الفريقّي من شأنه تحقيق النتائج المرجّوة.
- ك- أن يرتبط بالواقع، أي بما يمارسه المقومون في حياتهم اليوميّة وما سيمارسونه في المستقبل<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: أخلاقيات التّقويم

- للمقوم أخلاقيات يجب أن يتحلّى بها منها:
- أ- أن يكون على دراية بموضوع التّقويم.
- ب- أن يتحلّى بالموضوعيّة ويتخلّى عن الذاتيّة.
- ج- أن يحترم فريق التّقويم الذي يتعاون معه.
- د- أن يكون عالماً بأساليب التّقويم.
- هـ- أن يجتهد في تحريّ جوانب القوّة والنقص ويعدّل في إصدار الأحكام.
- و- أن يكون صبوراً وقادراً على التحمّل.

<sup>1</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاً لها عليّ مذكور، ص 265 - 267، التّقويم التربوي لرافدة الجريري، ص 41 - 45.

ي- أن يكون أميناً محافظاً على سرية المعلومات التي يقدمها المشاركون في التقويم<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: مبدأ التقويم الذاتي

للقرآن الكريم والسنة النبوية عناية فائقة بالتقويم الذاتي كمبدأ من مبادئ التدريس، سواء تعلق الأمر بالمعلم أو المتعلم، وستناول الأدلة التي تثبت ذلك من خلال عرض المواقف التدريسية المتنوعة التي يظهر فيها المبدأ جلياً.

### الفرع الأول: مبدأ التقويم الذاتي في القرآن الكريم

المقصود بهذا المبدأ أن يصدر المعلم أو المتعلم حكماً شخصياً ذاتياً على أداءهما، حيث يستطيعان تحديد الإيجابيات والسلبيات، فتُعزز الأولى وتُتلافى الثانية، وقد حظي هذا المبدأ بمكانة كبيرة في القرآن الكريم، ومن الأدلة التي تثبت ذلك:

أولاً- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)﴾ [الحشر].

ومعنى ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم»<sup>(2)</sup>، والمعلم بمحاسبته لنفسه وإعادة النظر في ممارساته وأدائه التدريسية يستطيع أن يطور نفسه معرفياً ومهنيًا وإنسانياً، ولا بد من تعليم المعلم طريقة تقويم ذاته لتتضاعف احتمالات تعديل سلوكه.

ثانياً- قال الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَل لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (30) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (31) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه].

والمعنى أطلق لساني بالكلام ليفهموا قولي حين تبليغ الدعوة، وكان في لسانه عليه السلام حُبسة تمنعه من كثير من الكلام، فلما أدركت نفسه الشفافة عيوبها فطلب من ربه أن يبرئه منها<sup>(3)</sup>، فعلى المعلمين والمتعلمين أن يجتهدوا في تقويم ذواتهم للتعرف على جوانب القوة والضعف

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شير وآخرين، ص 266 وص 267.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 77/8.

<sup>3</sup> تفسير المراغي، 106/16، وزهرة التفاسير لأبي زهرة، 4719/9.

فيها، فيطوّروا أديانهم وإنجازاتهم ويسلموا من ظاهرة تكرار النفس الجالبة للملل الوظيفي، ويحققوا استمرار تعلمهم الذاتي.

إنّ الإسلام يؤكّد على استقامة وصلاح المعلمين قبل قيامهم بتقويم المتعلمين وإصلاح شؤونهم، ولذلك غلظ عقوبة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إذا خالفت أقوالهم أفعالهم، كما أكّد على أن يحرصوا على إصلاح حالهم بما يؤهلهم لتربية وإصلاح غيرهم، كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:44]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(3)﴾ [الصف]، والتقويم الذاتي هنا ضروري للاستجابة لدعوة الآيتين الكريمتين<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ التقويم الذاتي في السنة النبوية

وردت أحاديث كثيرة تثبت اعتماد مدرسة النبوة لمبدأ التقويم الذاتي، وسنعرض بعضها: أولاً- قال الرسول ﷺ: (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)<sup>(2)</sup>. وقال ﷺ أيضاً: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ. فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ، إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةً)<sup>(3)</sup>. وهذا تحريض للأمة على التوبة والاستغفار، فهو ﷺ مع كونه معصوماً يستغفر ويتوب إلى الله تعالى في كل يوم أكثر من سبعين مرّة لا لذنوب صغير أو كبير، وإنما لعلمه ﷺ بالله تعالى، وشدة تعظيمه له سبحانه، فكيف بالمذنبين؟<sup>(4)</sup>.

ثانياً- قال النبي ﷺ: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ. فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى. فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ. فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، ص336.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 2324/5 ر5948.

<sup>3</sup> صحيح مسلم 2075/4 ر2702.

<sup>4</sup> المفاتيح شرح المصابيح للمظهري 171/3، وتفسير ابن باديس، ص214.

<sup>5</sup> صحيح البخاري 1191/3 ر3094 صحيح مسلم واللفظ له 2290/4 ر2989.



يُظهر الحديث عقاب الذين يقولون ما لا يفعلون وما ينتظرهم يوم القيامة على الأعمال والأقوال المخالفة للشريعة<sup>(1)</sup>، وقد «حذر رسول الله ﷺ كل من يقف موقف المرابي والمعلم، فيأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويريد تقويم حالهم، وهو لا يأبه بتقويم وإصلاح حاله»<sup>(2)</sup>. وتقويم المعلم لذاته واضح، أمّا تقويم المتعلم لذاته فيتّم بملاحظة الآخرين وتقليدهم في إيجابياتهم واجتناب سيئاتهم، وتدوين ما تعلّمه والرجوع إليه من حين إلى آخر كي لا ينساه، والبحث والتنقيب عن المعرفة الصائبة والعلم الصحيح في بطون الكتب وبسؤال أهل العلم وغير ذلك<sup>(3)</sup>. وبالجملة فإنّ عموم ما تقدّم من النصوص يتناول المعلمين والمتعلمين كما يتناول غيرهم، غير أنّه بالنظر إلى الجهة المطالبة بالالتزام بمبادئ التدريس فإنّ الخطاب هنا يتوجّه إلى المعلمين خاصّة.

### المطلب الثالث: مبدأ شمول التقويم

سنتناول هنا مبدأ شمول التقويم بالتعرّض إلى مختلف أبعاده مثل تناوله لجميع جوانب شخصيّة المتعلمين واستمرار عمليّة التقويم وغير ذلك.

### الفرع الأوّل: مبدأ شمول التقويم في القرآن الكريم

إنّ المقصود بمبدأ الشمول هنا أن يعمد التقويم إلى تناول جميع جوانب شخصيّة المتعلم بالتوازن التامّ بينها، على أن يتمّ ذلك باستمرارٍ طيلة المواقف والمراحل، وأبعاد شموليّة التقويم في القرآن تظهر في تناوله لمجالات الأهداف التعليميّة ومستوياتها، كما تظهر في استمراريّته، وقد تبدو في استيعابه للفرد والجماعة، كما تبدو في صفة صدوره بأن يقع علانيّةً مثل الامتحانات العاديّة أو سرّاً بأنّ يختصّ بمتعلّم بعينه وغير ذلك.

### أولاً: شمول التقويم لمجالات ومستويات الأهداف التعليميّة

#### أ- المجال المعرفي

1- قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189].

<sup>1</sup> سهام الإسلام لعبد اللطيف السلطاني، ص 138.

<sup>2</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، ص 336.

<sup>3</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، ص 339.

تتناول الآية تصحيح مفهوم البرّ عند المشركين، فبعد أن أخبر الله ﷻ بما يصدر عنهم من خطأ في ظنهم أنّ البرّ هو إتيان البيوت من ظهورها، بين لهم بعد ذلك البرّ الحقيقي الذي يتمثل في تقوى الله عزّ وجلّ التي تؤدّي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة<sup>(1)</sup>، فالآية الكريمة تقويم لمفهوم البرّ، وتعليم المفاهيم من أهداف المجال المعرفي.

### ب- المجال الانفعالي

قال الله ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128]

إنّ تذكير سيّدنا موسى عليه السلام بني إسرائيل بالاستعانة بالله تعالى والصبر جاء بعد أن تضجّروا من عزم فرعون على قتل أبنائهم واستحياء نساءهم، فهو تقويم وتصويب لموقفهم الذي لا يليق بالمؤمن<sup>(2)</sup>، والقيمتان تُدرسان في المجال الانفعالي.

### ج- المجال المهاري

قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: 6].

إنّ الآية الكريمة تتناول كيفية أداء الوضوء، وهو هدف يدرس في المجال المهاري.

### ثانيا: استمرارية التقويم

قال الله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح:5].

إنّ «هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد أن طال عمره وتحقق اليأس عن قومه، وقوله: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ عبارة عن استمرار دعائه، وأنه لم ين فيه قط»<sup>(3)</sup>، ومعلوم أنّ دعاء سيّدنا نوح عليه السلام لقومه يتضمّن تقويمه وتصويبه لسلوكاتهم.

### ثالثا: شمول التقويم للجماعة والفرد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا

<sup>1</sup> التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي، 459/2، 538/2.

<sup>2</sup> تفسير أبي السعود 262/3.

<sup>3</sup> تفسير ابن عطية، 373/5.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ  
وَلَيْسَ أَلْوَابُ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [المتحنة:10].

صالح النبي ﷺ قريشاً يوم الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء المدينة من المسلمين، وعندما هاجر إليه النساء أبي الله تعالى أن يُرددنَ إلى مكّة، وأمر باختبارهنّ، فكنّ يُستحلفن بالله ما خرّجن بغضاً لأزواجهنّ، ولا رغبةً من مكّة إلى المدينة، ولا التماساً لدنيا، فإذا أقسمت المرأة على هذا النحو أُعطي زوجها مهرها وما أنفق عليها، ولم تردّ إليه<sup>(1)</sup>، فتصحيح التعامل مع هجرة النساء من مكّة إلى المدينة وتقويمه متوجّه إلى جماعة المسلمين في المجتمع الجديد.

وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:43].

إنّ العتاب في الآية موجّه الى الرسول ﷺ خاصة<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ شمول التقويم في السنّة النبويّة

سنذكر هنا ما يدلّ من السنّة النبويّة على أبعاد شموليّة التقويم السابقة:

أولاً: شمول التقويم لمجالات ومستويات الأهداف التعليميّة

#### أ- المجال المعرفي

قال النبي ﷺ: (مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: (إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُمْ)، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: (مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ)، قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِيكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: (وَالْعَرِيقُ شَهِيدٌ)<sup>(3)</sup>، فالحديث يتناول أحد مستويات المجال المعرفي وهو تعليم المفاهيم، ويتعلّق الأمر بمفهوم الشهيد في الاسلام، وقول الرسول ﷺ: (مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟) من التقويم التحفيزي<sup>(4)</sup> الذي يشدّ

<sup>1</sup> التفسير المنير للزحيلي، 518/14.

<sup>2</sup> وينظر ما جاء في تفسير الآية ص271..

<sup>3</sup> صحيح مسلم، 1522/3 ر1916.

<sup>4</sup> ويسمى التنشيطي، «وهو تقويم يحفز المتعلّمين ويهيئهم لاستيعاب ما يقدم لهم من علم أو توجيهات فيشد انتباههم ويستثير اهتمامهم لسماح ما يقال واستيعاب ما يراد تعليمه»، التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة لمحمود أحمد، ص301.

انتباه المتعلمين وبهيتهم لفهم واستيعاب ما يُعرض عليهم لاحقاً، وتقويم مفهوم البرّ والشهيد في الآية والحديث يندرج في أهداف المجال المعرفي في مستوى التذكّر.

### ب- المجال الانفعالي

قال الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)<sup>(1)</sup>.  
إنّ إفراد الله تعالى بالسؤال والاستعانة وغير ذلك ممّا جاء في الحديث من عقيدة الإسلام، وهي -باعتبارها هدفاً تعليمياً- تُدرّس في المجال الانفعالي الذي يتناول القيم والميول، والقيم المقومة في الآية والحديث تصنّف في مستوى تشكيل الذات وهو أعلى مستويات المجال الوجدانيّ.

### ج- المجال المهاري

قال النبيّ ﷺ لأبي موسى: (لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِرْمَارًا مِنْ مِرْمَائِرِ آلِ دَاوُدَ)<sup>(2)</sup>.

لقد انصب التقويم هنا على ما يتعلّق بترتيل القرآن من مهارات إخراج الحروف وتزيين الصوت بقراءته وغير ذلك ممّا يُدرّس في المجال المهاريّ الحركيّ، ومهارة أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه في القراءة التي قومه الرسول ﷺ تُصنّف في مستوى الأصالة أو الإبداع في مجال النفس حركيّ.

### ثالثاً: استمرارية التقويم

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُؤَيِّىَ ﷺ<sup>(3)</sup>.  
إنّ كلّ ما في القرآن والسنة من تقويم وإرشاد قد استمرّ وتوزّع على مدّة الرسالة النبويّة.

### رابعاً: شمول التقويم للجماعة والفرد

<sup>1</sup> سنن الترمذي 667/4 ر 2516، وصحّحه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته 7957/2 ر 7957، مسند أحمد 409/4 ر 2669، وقوى الأرنؤوط إسناده.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 1925/4 ر 4761، صحيح مسلم، 546/1 ر 793 واللفظ له.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 1398/3 ر 3638، صحيح مسلم، 1826/4 ر 2351.

قال رسول الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...) (1).

فالتقويم هنا موجّه الى جماعة المؤمنين.

وعن أبي هريرة قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ. فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ. فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ: (كَيْفَ كَيْفٌ. أَرِمَ بِهَا. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟) (2).

إنّ التقويم هنا توجّه إلى فرد واحد، وعبارة (كَيْفَ كَيْفٌ) كلمة يُرَجَرُ بها الصبيان (3).

### المطلب الرابع: مبدأ فعالية التقويم

يتوقّف إسهام التقويم التربويّ في نجاح العمليّة التربويّة على مدى توافر فعّاليته التي تقوم على مقوّمات معيّنة مثل المعيارية والحياديّة والإيجابية وغيرها، وسنذكر هنا الأدلّة التي تثبت توافر فعّالية التقويم في مدرسة النبوة بسبب قيامه على تلك المقوّمات.

### الفرع الأوّل: مبدأ فعالية التقويم في القرآن الكريم

تدلّ المواقف التدريسيّة في القرآن والسنة على ارتباط فعّالية التقويم فيهما بمقوّمات معيّنة، مثل المعيارية والحياديّة والإيجابية العلميّة وتنوع الأساليب، وسنذكر هنا ما يدلّ على ذلك.

### أوّلاً: مقوّم المعيارية

من مقوّمات فعّالية التقويم قيامه على معايير محدّدة، أي يستند إلى نماذج واضحة وصحيحة يُحتذى بها، وسنذكر ما يثبت هذا من القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85].

ولا يخفى ما في الآية الكريمة من علاقة بين ما وقع فيه قوم سيّدنا شعيب عليه السلام من فساد في الأرض وبين غياب الميزان الذي يحقّق العدل، «إنّ الاستقامة وإصلاح الحال إنّما يتم وفق مثل يحتذى به، ووفق معيار سليم لا عوج فيه، وبالسير في الطريق الواضح وبالهدى المبين» (4).

### ثانياً: مقوّم الحيادية

أي أن يقف المقوّم موقفاً حيادياً من المقوّم كي يعطيه ما يستحقّه بغض النظر عن الظروف

<sup>1</sup> صحيح مسلم، 703/2 ر 101.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 542/2 ر 1420، صحيح مسلم 751/2 ر 1069، واللفظ له.

<sup>3</sup> إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، 624/3.

<sup>4</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، ص 350.

والاعتبارات التي قد تؤثر في ذلك بطريقة أو بأخرى، ومن النصوص الدالة على ذلك: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]. والمعنى لا تدفعكم البغضاء والعداوة لقوم على ترك العدل بالشهادة لهم إن كانوا ذوي حق أو أن تحكموا لهم بذلك، فالمؤمن يقدم العدل على الظلم والمحاباة، ويجعله ذلك فوق الهوى وحفظ النفس والمحبة والعداوة<sup>(1)</sup>.

### ثالثا: مقوم الإيجابية

يكون التقويم فعالا إذا كان إيجابيا بالنسبة إلى المتعلم، فيعزز أداءه ويستثير دافعية التحصيل الدراسي لديه، وسندكر ما يدل على ذلك من نصوص القرآن والسنة. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۗ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)﴾ [النساء].

بعد أن ذكر الله تعالى بعض الأحكام المنظمة للأسرة مثل المحرمات من النساء وحق المرأة في المهر «جاءت هذه الآيات كأجوبة لأسئلة من شأنها أن تدور بخلد السامع لهذه الأحكام، فيطوف بخاطره أن يسأل ما الحكمة في هذه الأحكام وما فائدتها للعباد، وهل كان من قبلنا من الأمم السالفة كلف بمثلها، فلم يبح لهم أن يتزوجوا كل امرأة، وهل كان ما أمرنا الله به أو نهانا عنه تشديدا علينا أو تخفيفا عنا؟»<sup>(2)</sup>، فكل ما سبق هذه الآيات من تقويم وتصويب لسلوكات الفرد والجماعة إنما جاء في سياق الترغيب في تعديلها، إما بتعزيز السلوك الإيجابي أو بالتحذير من السلوك السلبي.

### رابعا: مقوم الفورية

إن من شروط تحقيق عملية التقويم لفعاليتها وفوائدها التربوية المرجوة أن تتم في الوقت الذي ينبغي أن تتم فيه، وهذه بعض الأدلة التي تثبت ذلك من القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

<sup>1</sup> تفسير ابن باديس، ص58، وتفسير المراغي، 6/68.

<sup>2</sup> تفسير المراغي، 5/13.

والمعنى «بادروا وسابقوا»<sup>(1)</sup>، فالآية تأمر بالمبادرة إلى أسباب المغفرة، ومنها تصويب وإصلاح التصرفات بالتوبة من ارتكاب المنهيات.

#### خامسا: مقوم العلمية

نذكر هنا ما يثبت ارتكاز وانطلاق التقويم في القرآن والسنة من العلم والمعرفة:  
قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الاسراء:36].

إنَّ الله «نھانا عن أن نعتقد إلا عن علم أو نفعل إلا عن علم، أو نقول إلا عن علم»<sup>(2)</sup>.

#### سادسا: مقوم التلاؤمية

إنَّ هذا المقوم ليس سوى أثراً من آثار أخذ الإسلام بعين الاعتبار لما بين الأفراد من فروق، وسنذكر بعض الأدلة الدالة على ذلك:

قال الله ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32]

أي «فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك»<sup>(3)</sup>، وعلى هذا فإنه ينبغي على المعلم أن يحيط بخصائص متعلميه ويدرك ما بينهم من فروق في النواحي العقلية والنفسية والثقافية، اقتداء بالرسول المرئي ﷺ حيث كان يستخدم في تقويم سلوكات أصحابه رضي الله عنهم ما يتناسب ويتلاءم مع حجم الخطأ<sup>(4)</sup>.

#### سابعا: مقوم تنوع أساليب

يرتبط تنوع أساليب التقويم في القرآن والسنة برفع مستوى فعاليته، وسنذكر بعض ما جاء من آيات وأحاديث تثبت ذلك:

#### أ- أسلوب الحوار

<sup>1</sup> تفسير الطبري 52/6.

<sup>2</sup> تفسير ابن باديس، ص58.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير 384/3.

<sup>4</sup> منهج الرسول في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر لمحمود أبو دف، ص9.

قال الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُزَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28)﴾ [الشعراء]

إنّ تقويم سيدنا موسى عليه السلام لفرعون جاء في أسلوب حوار بلغ من خلاله رسالة التوحيد.

### هـ- أسلوب التوبيخ

أ- قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: 51]

فقوله سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ معناه «أنكم فعلتُم ما فعلتُم من عبادة العجل وليس ذلك لكم، وعبدتُم غير الذي كان ينبغي لكم أن تعبُدوه؛ لأن العبادة لا تنبغي لغير الله. وهذا توبيخ من الله جل ثناؤه لليهود»<sup>(1)</sup>، فتقويم ما صدر عنهم من عبادة العجل جاء مقرونا بتوبيخهم للفت انتباههم الى شناعة ما أقدموا عليه.

### الفرع الثاني: مبدأ فعالية التقويم في السنة النبوية

جاء في السنة أحاديث كثيرة تُظهر اعتدادها بهذا المبدأ منها:

#### أولاً: مقوم المعيارية

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)<sup>(2)</sup>.

إنّ الرسول ﷺ وهو «يقوم سلوك الأفراد، ينطلق في ذلك من معايير محددة وواضحة فنجده

<sup>1</sup> تفسير الطبري 262/2.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 13/1 ر 10 صحيح مسلم 65/1 ر 41.



عند التحذير من سلوك غير مرغوب فيه يربط ذلك بمفهومى الاسلام والهجرة» (1).

### ثانيا: مقوم الحيادية

قال النبي ﷺ لمن راح يثني على رجل ويطري في مدحه: (أَهْلَكْتُمْ، أَوْ: قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ) (2)، فالمفرط في المدح أو الذم يكون - في الغالب - مدفوعاً بالتملق في حال المدح أو الانتقام في حال الذم، فقيام التقويم التربوي على الموضوعية ضروري لنجاح العملية التربوية (3).

### ثالثا: مقوم الإيجابية

قال الرسول ﷺ لمن اضطجع على بطنه: (إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ) (4)، فتقويم الرسول ﷺ لسلوك الرجل وتعليل النهي فيه بعدم حب الله تعالى استشارةً لدفعيته في تعديله. فالتقويم الفعال ليس عقاباً للمتعلم، بل يدعم سلوكاته الإيجابية ويصحح سلوكاته السلبية، ويتعدى الحكم على المتعلم إلى بيان جوانب القوة والضعف عنده وبيان أسبابها وعلاجها، أي أنه تشخيص وعلاج (5).

### رابعا: مقوم الفورية

قال المغيرة بن شعبة: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ) (6).

إنّ الفاء في قول المغيرة رضي الله عنه (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) تدلّ على مبادرة الرسول ﷺ إلى تصحيح ربط الظواهر الكونية بموت البشر أو حياتهم، وحكمة التعجيل بتقويم السلوك فور

<sup>1</sup> منهج الرسول في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر لمحمود أبو دف، ص8.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 2251/5 ر5713.

<sup>3</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، ص347.

<sup>4</sup> سنن أبي داود، 382/7، 5042، سنن ابن ماجه، 668/4 ر3723، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي ابن بلبان، 357/12 ر5549 واللفظ له، وحسن الأرئوط إسناده.

<sup>5</sup> مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مذكور، ص264.

<sup>6</sup> صحيح البخاري 360/1 ر1011، صحيح مسلم 619/2 ر901.

صدوره هي ألاّ يصبح عادةً راسخة يصعب علاجها، فالتدخل بعد فترة طويلة من وقوعه يضعف احتمال القدرة على تعديله ويقلل من فرص نجاحه<sup>(1)</sup>.

#### خامسا: مقوم العلمية

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهبٍ في يد رجلٍ. فنزعه فطرّحه وقال: (يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)، فقبيل للرجل، بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: حُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا آخِذُهُ أَبَدًا. وَقَدْ طَرَّحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(2)</sup>.

إنّ نصيحة الحاضرين للرجل بالانتفاع بالخاتم تدلّ على أنهم علموا أنّ لباسه هو المحرّم بخلاف الانتفاع به. وأمّا قول الرجل: "لَا وَاللَّهِ، لَا آخِذُهُ أَبَدًا" فهو مبالغة في طاعة رسول الله ﷺ، فيكون الرجل قد نوى أن يدفع لمن يستحقه من المساكين؛ لا أنه أضاعه، فإنّه ﷺ قد نهي عن إضاعة المال<sup>(3)</sup>، والمقصود أنّ الرجل بتصرّفه هذا أظهر مدى استعداده للاستجابة للرسول ﷺ، وهذا هو الأثر التربويّ لمقوم العلمية، فالمتعلّم عندما يطمئنّ إلى ما يصدر عن معلّمه من تشخيص وعلاج فإنّ ذلك يبسرّ جني ثمار العملية التكوينية.

#### سادسا: مقوم التلاؤمية

قال الرسول ﷺ: (حَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(4)</sup>، وقال ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ)<sup>(5)</sup>، وقال ﷺ: (حَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ)<sup>(6)</sup>.

فظاهر هذه الأحاديث التعارض في أفضل وأحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، لكنّه «اختلاف

<sup>1</sup> منهج الرسول في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر لمحمود أبو دف، ص 7.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، 3/1655 ر 2090.

<sup>3</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي، 6/627.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، 4/1919 ر 4739.

<sup>5</sup> سنن الترمذي، 3/458 ر 1162، مسند أحمد واللفظ له، 12/364، ر 7402. وصحّح الأرنؤوط الحديث وحسن هذا السند.

<sup>6</sup> سنن الترمذي 4/528 ر 2263، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان، 2/285 ر 527، واللفظ له، وقرّى الأرنؤوط إسناده.

جواب جرى على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص»<sup>(1)</sup>، ولا يتمكن المقوم من تفعيل مقوم التلاؤمية دون التعرف بدقة عن ظروف وأحوال متعلميه.

### سابعاً: مقوم تنويع أساليب

#### أ- أسلوب الحوار

عن أبي أمامة، قال: إِنَّ فِتَى شَاباً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِدْنِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: (ادْنُهُ) فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟) قَالَ لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ). قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَبْنَاتِهِمْ). قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟) قَالَ لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ). قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟) قَالَ لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ). قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟) قَالَ لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ). قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(2)</sup>.

فتقوم سلوك الشباب هنا تم بواسطة هذا الحوار الهادئ وتكامل بتمكن هذا الشاب من حل مشكلته بتوجيه الرسول المعلم ﷺ، وتصحيحه لسلوكه إلى درجة بغضه الشديد لجرمة الزنا أثر تربوي لاعتماد أسلوب الحوار في التقويم التربوي.

#### ب- أسلوب الملاحظة

عن عمر بن أبي سلمة، يقول: كُنْتُ عَلَماً فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ يَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ<sup>(3)</sup>.

لقد استغرق التبليغ والتعليم حياة الرسول المعلم ﷺ كلها، وقد لفت انتباهه ﷺ طيش يد عمر بن سلمة رضي الله عنه في الطعام وهو في حجره ﷺ فأمره أن يأكل مما يليه فقط لكي لا ينشأ على ذلك فيصعب تقويمه، فالتقويم هنا نتيجة للملاحظة، ومثله أيضاً حديث المسيء في

<sup>1</sup> شرح مسلم للنووي، 77/2.

<sup>2</sup> مسند أحمد، 545/36 ر 22211، قال محققه الأرثووط في الهامش: «إسناده صحيح...».

<sup>3</sup> البخاري 2056/5 ر 5061، مسلم 1599/3 ر 2022.

صلاته فقد جاء في رواية أحمد (...فدخل رجل، فصلّى في ناحية المسجد، فجعل رسول الله ﷺ يَرْمُقُهُ...)(1).

والرمق إدامة النظر(2)، فتصحیح الرسول ﷺ لصلاة الرجل جاءت بعد ملاحظته له.

### ج- أسلوب التسميع

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْحَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ(3).

إنّ الحديث محمول على أنّ كلاً من جبريل عليه السلام والرسول ﷺ كان يعرض أحدهما القرآن على الآخر(4).

وأخرج الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كَانَ الرَّجُلُ مِمَّنَا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ) (5).

ومعنى لم يجاوزهنّ أي لم ينتقل الى حفظ آيات غيرهنّ، ولا طريق للتيقن من ذلك إلا التسميع.

وهذا من التقويم النهائي الذي يتمّ -عادة- «في نهاية العام الدراسي، أو منتصفه، أو بعد الانتهاء من دراسة مقرر، محدداً لمستويات المتعلمين»(6).

### د- اللقاءات الفردية

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:

<sup>1</sup> مسند أحمد، 333/31 ر 18997 قال محققه: «وهذا إسناد حسن».

<sup>2</sup> الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل الجوهري، 1484/4.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 1304/3 ر 3361.

<sup>4</sup> فتح الباري، 44/9.

<sup>5</sup> تفسير الطبري بتحقيق شاکر، 80/1. وينظر ما قاله المحقق ص 173،

<sup>6</sup> التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، ص 309.

فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: (لَا تُبَشِّرُهُمْ، فَيَتَكَلَّبُوا) (1).

إنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه كان ردف رسول الله ﷺ حين أخبره بما لم يخبر به غيره من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يدل من جانب آخر على أهمية اطلاع المعلم على ما يتميز به متعلموه عن بعضهم البعض.

### هـ- أسلوب التوبيخ

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّتْبِيَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أَهْدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَقَالَ: (مَا بَالُ غَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أَهْدِي لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ. أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا حَوَارٌ. أَوْ شَاةٌ تَعِيرُ)، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُقْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟» مَرَّتَيْنِ (2).

قال ابن بطال: « وفيه: جواز توبيخ المخطئ » (3).

إنَّ النبي ﷺ قام على المنبر لتقويم ما صدر عن ابن اللتبية، وقد جاء ذلك بأسلوب التوبيخ قصد بيان حجم الخطأ المرتكب فيبادر المخطئ الى تصحيح سلوكه ويعتبر الباقون.

### و- أسلوب الزجر

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ جُحْرِ فِي بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِدْرَى يُرَجِّلُ بِهَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، طَعَنْتُ بِهَ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ الْإِذْنَ مِنْ أَجْلِ الْبَصْرِ) (4).

<sup>1</sup> صحيح البخاري 29/4 ر 2856، صحيح مسلم 58/1 ر 48.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، 6/2559 ر 6578، صحيح مسلم 3/1463 ر 1832 واللفظ له، والرغاء صوت البعير والحوار صوت البقر واليعار صوت الشاة، فتح المنعم للاشين، 7/445.

<sup>3</sup> شرح صحيح البخاري لابن بطال، 3/557.

<sup>4</sup> صحيح البخاري 5/2304 ر 5887، صحيح مسلم 3/1698 ر 2156، والميدرى شبه المشط فتح المنعم شرح صحيح مسلم للاشين، 8/460.

إنّ قول الرسول ﷺ: (لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ) «خرج منه على وجه التغليظ والزجر»<sup>(1)</sup>.  
وأسلوب الزجر والتغليظ هنا مناسب لسلوك الرجل، فلا بد أن يدرك حجم الخطأ الذي ارتكبه ليبادر الى تصحيحه.

### المطلب الخامس: مبدأ التغذية الراجعة

حظي مبدأ التغذية الراجعة بعناية فائقة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسنذكر الأدلة التي تثبت قيام العملية التربوية فيهما على هذا المبدأ.

### الفرع الأول: مبدأ التغذية الراجعة في القرآن الكريم

يُقصد بمبدأ التغذية الراجعة أن يلتزم المعلمون بإعلام المتعلمين بمعلومات عن سير أدائهم بشكل دائم قصد مساعدتهم على تثبيت الأداء الصحيح وتعديل الأداء الخطأ، وسنذكر هنا بعض الأدلة التي تثبت اعتماد المواقف التدريسية في القرآن لهذا المبدأ

أولاً- قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:18]

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس صلوات الله عليه. قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمره. قال: فبايعناه، وذلك قول الله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾<sup>(2)</sup>.

إنّ الله يخبر عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، فقد علم ما في قلوبهم من الصدق والطاعة، فأنزل عليهم الطمأنينة، وأجرى الله على أيديهم من الصلح المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم سائر الأقاليم<sup>(3)</sup>، وقال الرسول ﷺ قال: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا)<sup>(4)</sup>.

وما في الآية من ثناء على الصحابة هو ما تدعوه التربية المعاصرة تغذية راجعة موجبة، ففيها يستقبل المتعلمون معلومات تتعلق بإجاباتهم الصحيحة، والخاصية التعزيزية هنا مرتكز رئيس من مرتكزات التغذية المرتدة، لما لذلك من أثر بليغ في تيسير التعلم وتثبيته، كما أنّها تعمل على استثارة

<sup>1</sup> شرح صحيح البخاري ابن بطال، 547/8.

<sup>2</sup> تفسير الطبري، 274/21. ولباب النقول للسيوطي، ص214، وأشار محققه إلى ضعفه.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير 339/7.

<sup>4</sup> صحيح مسلم 1942/4 ر2496.

دافعية التقدّم والتطوّر عند الأفراد، وإقبالهم على الانجاز بشوق<sup>(1)</sup>، ولا ريب أنّ بذل الصحابة سيتضاعف عندما يرون ما في القرآن من «تشريف وإعلام برضاه عنهم حين البيعة»<sup>(2)</sup> «وقد جرت عادة جمهور هذه الأمة، والسواد الأعظم من سلفها وخلفها على الترضي عن الصحابة»<sup>(3)</sup>، ولا يزالون رضي الله عنهم قدوةً للمسلمين.

**ثانياً- قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:43].**

عن عمرو بن ميمون الأوديّ أنّه قال: " اثنتان فعَلهما رسولُ الله ﷺ لم يُؤمّرَ فيهما بشيءٍ، إذنُهُ للمنافقين، وأخذُهُ مِنَ الأَسارى، فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لهُمْ﴾<sup>(4)</sup>.

إنّ الآية الكريمة « عتابٌ من الله تعالى ذكره عتابٌ به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين»<sup>(5)</sup>، وافتتاح العتاب إعلام الرسول بالعمو إكرام عظيم، ولطافة شريفة، وهذا كناية عن خفة موجب العتاب فهو بمنزلة القول ما كان ينبغي، أمّا تسمية الصفح عن ذلك عفوا فهو ناظر إلى مغزى عبارة حسنات الأبرار سيئات المقربين<sup>(6)</sup>.

وما جاء في الآية من عتاب لرسول الله ﷺ هو ما يدعى في التربية المعاصرة تغذية راجعةً سلبيةً، حيث يتلقّى المتعلّمون معلوماتٍ حول استجاباتهم الخاطئة بالنسبة إلى النماذج المعيارية، فيعملون على تصحيحها ممّا يؤدّي إلى ارتفاع مستوى تحصيلهم الدراسي<sup>(7)</sup>.

وفي تقديم العفو عن العتاب مدخل جيّد لمناقشة صيغ عرض التغذية الراجعة والتقويم بصفة عامّة، وظاهر الآيات يشير إلى أنّ توجيه الملاحظات السلبية للمتعلّمين لا ينبغي أن تُقدّم بألفاظ قاسية وجارحة، بل يجب انتقاء ألفاظ العبارات التي تُسهّم في تحقيق المقصود وهو تعزيز أداء المتعلّمين واستتار دافعية التحصيل الدراسي لديهم ودعم سلوكهم الإيجابيّ وتصحيح سلوكهم السلبيّ.

<sup>1</sup> مهارات التدريس الصفّي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي لحمزة الجبالي، ص24.

<sup>2</sup> تفسير ابن عطية 133/5.

<sup>3</sup> تفسير فتح القدير للشوكاني، 347/4.

<sup>4</sup> تفسير الطبري، 479/11. ولباب النقول للسيوطي، ص126.

<sup>5</sup> تفسير الطبري، 477/11.

<sup>6</sup> تفسير التحرير والتنوير، 210/10.

<sup>7</sup> تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليميّة في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية لعماد كنعان، ص83، مهارات التدريس الصفّي

الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي لحمزة الجبالي، ص24.

## الفرع الثاني: مبدأ التغذية الراجعة في السنة النبوية

سنذكر هنا بعض الأدلة التي تثبت اعتماد المواقف التدريسية في السنة النبوية لمبدأ التغذية الراجعة.

أولاً- قال الرسول ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: (يَا أَبَا الْمُنْدَرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (يَا أَبَا الْمُنْدَرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟) قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: (وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْدَرِ)<sup>(1)</sup>.

إنّ قوله ﷺ (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ) من التهنية، والمعنى: «ليكن العلم هنيئاً لك»<sup>(2)</sup>، وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لأبي رضي الله عنه ودليل على كثرة علمه، وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان يحقق مصلحة ولم يُخش عليه الإعجاب بالنفس<sup>(3)</sup>.

وأسلوب الرسول ﷺ في تهنية أبي رضي الله عنه يشير إلى أنّ الجواب كان في مستوى السؤال، ذلك أنّه رضي الله عنه استنتج عظمة آية الكرسي من خلال النظر إلى محتوياتها، فقد «جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات»<sup>(4)</sup>، والاستنتاج من مهارات التفكير، والرسول ﷺ أثني على أبي رضي الله عنه بالتهنية، كما أثني عليه بضره على صدره «محبة... وفيه إشارة إلى امتلاء صدره علماً وحكمة»<sup>(5)</sup>، فالضرب على الصدر من أساليب التغذية الراجعة في السنة، وقوله ﷺ (والله) من أساليب تأكيد التعزيز.

<sup>1</sup> صحيح مسلم 556/1، ر810.

<sup>2</sup> تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، 526/1.

<sup>3</sup> شرح مسلم للنووي، 93/6.

<sup>4</sup> شرح مسلم للنووي، 94/6.

<sup>5</sup> مرقاة المفاتيح للقاري، 19/5.



والتربية المعاصرة تسمي هذا الثناء والمدح الذي صدر عن الرسول ﷺ لأبي رضي الله عنه تغذية راجعة تعزيزية تسهم في استثارة دافعية المتعلم على مواصلة التعلم، وإعلامه «بصحة استجابته يعززه ويزيد من احتمال تكرار الاستجابة الصحيحة فيما بعد»<sup>(1)</sup>.

ولقد ترك هذا التعزيز أكبر الأثر في حياة أبي رضي الله عنه، فقد قال النبي ﷺ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ - وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ»<sup>(2)</sup>، فقد غدا رضي الله عنه من الأربعة الذين هم أئمة القراء، و تنتهي في إليهم الغالب أسانيد الفضلاء وتقديم الحديث لابن مسعود عن أبي رضي الله عنهما «ليس فيه دليل على أنه أقرأ من أبي، فإنه قد بين ﷺ بالنص الجلي: أن أبيًا أقرأ منه ومن غيره»<sup>(3)</sup>.

ثانياً - عن المعزور رضي الله عنه ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَحُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» وفي رواية: قَالَ: قُلْتُ: عَلَى حَالِ سَاعَتِي مِنَ الْكِبَرِ؟ قَالَ: (نَعَمْ عَلَى حَالِ سَاعَتِكَ مِنَ الْكِبَرِ)<sup>(4)</sup>.

رأى بعض الصحابة أبا ذر رضي الله عنه وقد قسم الحلة الواحدة نصفين بينه وبين غلامه، ولما سأله في ذلك أخبرهم أنه تشاتم مع رجل، فعيّره بسواده أمه، فشكا ذلك لرسول الله ﷺ، فوبّخه وأفهمه أن الخول إخوان في الإنسانية، وقد أوجب الله حسن معاملتهم في المأكل والملبس وفي أسلوب الخطاب، ونهى عن تكليفهم بما يفوق وسعهم<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> المنهاج بناؤه تنظيمه نظرياته وتطبيقاته العملية، لراتب عاشور وعبد الرحمن عوض، ص 293، تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية لعماد كنعان، ص 83.

<sup>2</sup> صحيح البخاري 3/1385 ر 3597، صحيح مسلم، 4/1913، ر 2464.

<sup>3</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي، 6/375.

<sup>4</sup> صحيح البخاري 1/20 ر 30، صحيح مسلم 3/1283 ر 1661.

<sup>5</sup> المنهل الحديث للاشين، 1/26.

والتصحيح منصبٌ على سلوك محدّد لأبي ذرّ هو تعييره للرجل بأّمه. وقوله: "عَلَى حَالِ سَاعَتِي مِنَ الْكِبَرِ" استبعادٌ منه أن يبقى فيه خصلة من خصال الجاهلية مع طول عمره في الإسلام، فلما أخبره ببقاء ذلك فيه سلّم وانقاد<sup>(1)</sup>.

والحديث نصٌّ في استمرار الإنسان في التعلّم، ولو كان في مقام أبي ذرّ رضي الله عنه وسنّه، وما تناول السلوك غير المقبول يسمّى في التربيّة المعاصرة تغذيةً مرتدّةً سالبةً.

وأبو ذرّ رضي الله عنه أخذ بالأحوط وإن كان الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة<sup>(2)</sup>، وهذا هو سرّ استغراب بعض الصحابة رضي الله عنهم لتسويته لنفسه مع خادمه في الحلة، وليس ذلك إلاّ الأثر التربويّ لهذا المبدأ التدريسيّ.

**ثالثاً-** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ: أَنْسَيْتَ أَمْ قَصُرْتَ؟ فَقَالَ: (لَمْ أَنْسَ وَمَ تَقْصِرَ)، قَالَ: بَلَى قَدْ نَسَيْتَ، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، فَكَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ<sup>(3)</sup>.

فما قدّمه ذو الدين إلى الرسول ﷺ بعد نهاية صلاة الظهر أو العصر عبارة عن معلومات تتعلق بطريقة صلاته غير المألوفة لهم رضي الله عنهم، ولما تأكّد الرسول ﷺ من ذلك سجد سجود السهو، وهذه المعلومات تسمّى في التربيّة المعاصرة التغذية الراجعة المعلوماتيّة، تُقدّم بغرض تقييم درجة ملاءمة الأداء مع السلوك النموذجي<sup>(4)</sup>.

إنّ عموم ما تقدّم في هذا المبحث من النصوص يدلّ على قيام العمليّة التقييميّة في القرآن والسنة على مبادئ معيّنة هي اعتماد المعلّم والمتعلّم للتقويم الذاتي، ومبدأ شمول التقويم الذي يقتضي التقويم لجميع مجالات ومستويات الأهداف التعليميّة، وفي استمرارها باستمرار التعليم والتعلّم، علانية

<sup>1</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي، 351/4، 352.

<sup>2</sup> فتح الباري لابن حجر، 87/1.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 412/1، 1172، صحيح مسلم 403/1، 573.

<sup>4</sup> تأسيل مبدأ التغذية الراجعة التعليميّة في ضوء مبادئ التعلّم في السنة النبوية لعماذ كنعان، ص88، أثر اختلاف نمط التغذية الراجعة في الألعاب التعليميّة الإلكترونيّة على تنمية التفكير الإبداعي لدى أطفال الروضة لهدى أحمد علي، ص20.

أو سرّاً، وفعّاليتته المرتبطة بتوافر المعيارية والحيادية والإيجابية العلميّة وتنويع الأساليب، وأخيراً مبدأ التغذية الراجعة.

## المبحث الثاني: المبادئ المتعلقة بالمعلم في درس القرآن والسنة العقدي

يؤثر المعلم تأثيراً كبيراً ومباشراً في نجاح العملية التربوية بخصائص شخصيته وكفاءاته التدريسية، وتشير البحوث التربوية المتعددة إلى أهمية إقامة المعلمين لأنشطتهم على أسس وقواعد محددة. والحقيقة أنه لا يمكن تصوّر نجاحهم في مهنتهم دون الالتزام بتلك المبادئ، مهما برعوا في الاستراتيجيات والطرائق، قديمها وحديثها، وذلك بسبب ما في العملية التعليمية التعلمية من العناصر الإنسانية التي تحتاج إلى التعامل معها بطرق خاصّة، ففسوة المعلم على المتعلم أو احتقاره - على سبيل المثال - لا يُجدي معها الكفاءات التدريسية مهما علت، ولعلّ تمرّكز المبادئ المتعلقة به - في عمومها - حول إنسانيته وعلاقاته بالمتعلمين ما يؤكّد هذا.

وليس يخفى ما أولى القرآن الكريم والسنة النبوية المعلم من أهمية كبرى، فلا بدّ من التطرّق إلى ما يخصّه من مبادئ وقواعد تضبط تصرفاته وتوجّه أداؤه، وتتمثّل في مبدأ رجاء وتوقّع نجاح متعلّميهم في دراستهم، ورفقهم بهم، ومراعاة ما بينهم من فروق يتميّزون بها عن بعضهم البعض، وعملهم على استشارة دافعية التعلّم لديهم.

## المطلب الأول: كفايات وأنماط المعلمين

يتوقف نجاح المعلم في مهنته على مدى تمتعه بالكفايات التدريسية الضرورية كما يتوقف على النمط الذي يدير به الصفّ وتفاعله في صفّه مع متعلميه، وسنفضّل في ذلك بالقدر الذي تقتضيه دراسة المبادئ المتعلقة بالمعلم.

### الفرع الأول: كفايات المعلمين التدريسية

لكفايات التدريس أبعاد تشمل الجانب الأخلاقيّ والأكاديميّ والتربويّ والاجتماعيّ للمعلمين.

#### أولاً: كفايات التدريس وأبعادها:

يُقصد بكفايات المعلم التدريسية قدرته على تحقيق الأهداف المسطرة والوصول إلى النتائج المرغوب فيها بأقل تكلفة من وقت وجهد ومال، ولهذه الكفايات أبعاد يجب توفّرها في المعلم، وهي البعد الأخلاقيّ والبعد الأكاديميّ والبعد التربويّ وبعد التفاعل والعلاقات الاجتماعية والإنسانية.

أ- **البعد الأخلاقي:** ويشمل الخصال الضرورية لأداءاته التدريسية مثل التحليّ بالمرونة والشجاعة والصبر والهدوء والحماس لمهنته، والاهتمام بالمتعلمين، وتشجيع مشاركتهم والاستماع إليهم وتأييد استجاباتهم الصحيحة، ومخاطبتهم بأساليب تربوية نفسية لإشعارهم بالراحة النفسية.

ب- **البعد الأكاديمي:** ويضم الكفايات المعرفية التي تمكنه من تنفيذ الدرس بفاعلية واقتدار مثل الإلمام بمادّة تخصصه وتكوين خلفية واسعة عنها والاطلاع على الجديد فيها وامتلاك مهارة الاكتشاف العلميّ واستخدام خطوات منهجية في التدريس وربط الدرس بمشكلات المتعلمين الحياتية وتشجيعهم على التعلّم الذاتيّ ومساعدتهم على الصعوبات التي استغلقت على عقولهم واتقان حقائق ومفاهيم وتعميمات المقررات التعليمية الإلمام بالأهداف التدريسية وغير ذلك.

ج- **البعد التربوي:** وهذا البعد يقترن بالتمكّن من استخدام المفاهيم والاتجاهات والسلوكيات الأدائية بسلاسة ويسر وإجادة، ومن تلك الكفايات:

1- **الكفايات السابقة للتدريس:** وتضمّ مرحلة تحديد وتحضير الدرس، وتقوم على تحليل محتوى مادّة الدرس، وتحليل خصائص المتعلمين، وصياغة الأهداف التدريسية، وتحديد ما يلزم لموضوع الدرس من استراتيجيات وطرائق ووسائل تعليمية وغير ذلك.

**2- كفايات التدريس:** مثل كفاية تنظيم بيئة الصفّ من تنظيم لجلوس المتعلّمين، وإعداد لسبورة وغير ذلك، والتهيئة للدرس، وتنوع الحوافز، وتحسين الاتصال، واستخدام وسائط التعليم، وإدارة الفصل وإغلاق الدرس أي إنهاؤه بطريقة صحيحة، وتحديد الواجبات المنزليّة.

**3- كفايات تقويم نتائج التدريس:** وتتضمّن صياغة الأسئلة الصقيّة وتوجيهها، والتقويم التكوينيّ أي التعرّف على ما حصل عليه المتعلّمون من معارف وحقائق ومقدار ما تغيّر فيهم من سلوكات، والتقويم النهائيّ أي تقدير مدى تحصيلهم وتحقيقهم للأهداف المنشودة فصلياً أو سنوياً.

**د- بعد التفاعل والعلاقات الاجتماعية والانسانية:** ومن الكفايات الفرعية الوجدانية والاجتماعية التي يشملها هذا البعد التعاون مع زملائه ومدير المدرسة واستيعاب طبيعة المجتمع الذي يعمل فيه، وإقامة علاقات احترام وتعاون مع المتعلّمين وإجادة تنمية انضباطهم الذاتي، والإسهام في حل مشكلات المدرسة، وتشجيع تفاعل المتعلّمين الصقيّ وتقديم التغذية الراجعة باستمرار<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: أنماط المعلمين

يتوقّف نجاح العملية التربوية بنسبة كبيرة على نمط المعلمين في إدارتهم للصفوف، ومن ذلك:  
**أولاً: النمط التسلطي:** ويسمى الديكتاتوري، والبيئة التي يتمّ فيها التفاعل هنا بين المعلم والمتعلّم تتسم بالقسر والإجبار واستغلال المركز الوظيفي، ولهذا النمط ممارسات سلوكية كثيرة منها:

أ- الاستبداد بالرأي وعدم قبول رأي المتعلّمين واستخدام أساليب التخويف والقسر.

ب- يسود الصفّ جوّ القلق والخوف من العقوبة.

ج- ممارسة السلوكات العدوانية ضد المتعلّمين.

د- المتعلّمون يتميّزون بكثرة اختراع الحيل والكذب تجنباً للعقوبة.

هـ- يتركز التدريس على الجانب المعرفيّ دون جانبي الوجدان والمهارة.

و- يسود العقاب ويندر الثواب.

ز- يتسم المناخ الصقيّ هنا بأنه منقر من التعلّم.

ح- يتسم المتعلّمون هنا بالسلبية وقلة التحصيل الدراسيّ.

ط- يرفض هذا النمط فكرة التعاون وعمل الفريق في تقويم المتعلّمين.

<sup>1</sup> كفايات التدريس المفهوم التدريب الأداء لسهيلة الفتلاوي، ص 37-44، التدريس نماذجه ومهاراته لكamal زيتون ص 52.

ي- يحرص على إبقاء الوضع التعليمي على ما هو عليه ومقاومة محاولات تغييره أو تطويره واعتبار ذلك تحدياً لمركزه.

ك- يهمل العلاقات الإنسانية والاجتماعية ولا يهتم بالتعرف على قدرات وميول المتعلمين.

ثانياً: النمط الديمقراطي: ومن ممارسات هذا النمط:

أ- يحقق المعلم تكافؤ الفرص لجميع المتعلمين ويشجعهم على التعاون في عملية التعلم.

ب- يقوم المتعلمون بأعمالهم بنشاط وفاعلية.

ج- تتسم بيئة التعلم هنا بالطمأنينة والثقة.

د- استشارة دافعية التعلم لدى المتعلمين.

هـ- إشراك المتعلمين في المناقشة وتمكينهم من التواصل بين بعضهم البعض.

و- استعداده للتعاون في تقويم المتعلمين.

ز- الاتصاف بالتواضع المطلوب لنجاح العملية التربوية.

ح- يسود الثواب والتعزيز الإيجابي بالنسبة إلى العقاب، ويُقبل المتعلم على الإنجاز برغبة

وسرور.

ثالثاً: النمط الفوضوي: ويسمى التسيبي، حيث يتميز النشاط بأنه غير موجه، إن المعلم هنا

لا يخطط للتفاعل، فتتولى جماعة الطلاب هذا الدور دون رقابة أو توجيه، ومن ممارسات هذا النمط:

أ- ترك الحرية المطلقة للمتعلمين في اتخاذ قرارات أنشطتهم دون متابعة.

ب- عدم لجوء المعلم إلى استخدام الثواب والعقاب.

ج- تذبذب المعلم بين التسليطية والديموقراطية في إدارته للصف.

د- انخفاض مستوى دافعية التعلم لدى المتعلمين.

هـ- التميز بالسلبية وعدم الاستعداد لتقديم يد العون لغيره.

و- عدم الاهتمام بتقويم المتعلمين في أعمالهم أو سلوكياتهم<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 141-143، التدريس الفعال والمعلم الذي نريد لفتحي سبيتان، ص 130-35، التفاعل الصفوي السياسة التربوية وأثرها على البيئة الصفية لفوزي سمارة، ص 81-85.

وقد يُصنّف المعلّمون تصنيفات أخرى قريبة من هذا مثل تقسيمهم إلى معلّم مهمل دخل مهنة التدريس خطأً، ومعلّم مستبدّ ومعلّم فوضويّ ومعلّم عاديّ<sup>(1)</sup>.

### رابعاً: آثار النمط الديمقراطيّ على العمليّة التربويّة

إذا كانت آثار المعلّم التسلّطيّ والفوضويّ سلبية على العمليّة التربويّة فإنّ آثار النمط الديمقراطيّ إيجابيّة في عمومها ومن مظاهر ذلك:

أ- حبّ المتعلّمين للعمل واستمتاعهم به بسبب جوّ الثقة والهدوء والاطمئنان الذي يسود جوّ العمل، حيث يندفعون إلى المشاركة ومضاعفة الجهد.

ب- حبّ المتعلّمين لمعلّمهم ولبعضهم البعض، فما في بيئة التعلّم هنا يشجّع على بناء علاقات إنسانيّة فعّالة.

ج- تتشكل احتياجات ورغبات المتعلّمين في صورة أهداف واضحة يسهل تحقيقها.

د- اكتساب المتعلّمين للكثير من الاتجاهات الإيجابيّة مثل تحمّل المسؤولية وضبط النفس والإصغاء إلى آراء الآخرين وغير ذلك<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: أهميّة وعوامل التفاعل الصّفيّ

تشير الدراسات التربويّة أنّ لتفاعل وتواصل المعلّمين مع متعلّميهم دور هامّ في نجاح التدريس، وأنّ ذلك ييسّر تحقيق المتعلّم لإيجابيته وفاعليّته واستقلالته.

#### أولاً: أهميّة التفاعل الصّفيّ

ويُسمّى التفاعل البيداغوجي، والمقصود به جميع السلوكات القابلة للملاحظة والقياس التي تصدر عن التواصل اللفظي وغير اللفظي بين المعلّم والمتعلّمين لتحقيق أهداف تعليميّة مرغوبة، وهذه السلوكات تكون في العادة قابلة للملاحظة والقياس، ومن صور أهميته في تحقيق الأهداف المرغوبة:

أ- أنّه ييسّر رصد التدريس بطريقة موضوعيّة ويقضي على فرص العشوائيّة فيه.

ب- أنّه ينقل المعلّم من وضع التلقين إلى وضع التوجيه والإرشاد، وينقل المتعلّم من وضع التلقّي والسلبية إلى وضع المشاركة والإيجابيّة.

<sup>1</sup> بناء الأجيال لعبد الكريم بكار، ص 135.

<sup>2</sup> أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، ص 144، التدريس الفعال والمعلم الذي نريد لفتحي سبيتان، ص 144.



- ج- يمكن المتعلم من تطوير أفكاره وآرائه بعناية المعلم الذي يحرص على رفع مستواها.
- د- يمكن المتعلم من تطوير اتجاهات إيجابية نحو الآخر ومواقفه، فيستمع لرأيه ويحترمه.
- هـ- يتيح للمتعم فرصة التخلص من التمرکز حول الذات والسير نحو ممارسة العضوية الاجتماعية مما ييسر له تطوير شخصيته.

و- يدرّب المتعلم على ممارسة التفكير باستقلالية مما يؤهله إلى ممارسته في حياته<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: العوامل المؤثرة في تفاعل المعلم والمتعلم

يتأثر تفاعل المعلم والمتعلم بعدة عوامل منها:

أ- أحكام المعلم وتقديره للمتعم: وهناك أربعة اتجاهات في هذا الجانب هي:

1- اتجاه التعلق بمتعلم ما.

2- اتجاه الاهتمام بمتعلم ما.

3- اتجاه اللامبالاة بمتعلم ما.

4- اتجاه نبذ متعلم ما.

ومن الأمور التي تؤثر على هذه الاتجاهات مستوى تحصيل المتعلم الدراسي، ومدى توافقه مع النظم المدرسية.

ب- جاذبية المتعلم ومظهره الخارجي: فالمعلمون ينزعون إلى تقدير المتعلم ذي المظهر

الخارجي الجذاب، مع أنّ الواجب هنا النظر إلى جوهره لا إلى منظره.

ج- مستوى المتعلمين الاجتماعي والاقتصادي: إنّ المعلمين يميلون إلى التفاعل مع متعلمي

الأسر ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي الأعلى أكثر من غيرهم.

د- أثر توقعات المعلمين: فالمعلم إذا كوّن فكرة عن متعلم ما أنّه ذكيّ -مثلاً- فإنّه يتفاعل

مه على ذلك الأساس، ويتوقع منه سلوكات ذكية، وفي المقابل فإنّ المتعلم قد يستجيب بطريقة

توحي أنّه كذلك بالفعل، وقد أثبتت الدراسات أنّ المعلم إذا كوّن فكرة عن أحد تلاميذه بأنّ ذكيّ

مثلاً فإنّه يتفاعل معه على أساس ذلك، وسيتوقع منه سلوكاً ذكياً، وقد يستجيب المتعلم بطريقة

توحي بأنّه ذكي فعلاً فيؤدي ذلك إلى تحقيق توقعات معلّمه.

<sup>1</sup> التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي لعلّي تعوينات، ص95-98، دور التفاعل الصفي في تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية داخل المؤسسة الجزائرية لنصر الدين جابر وعلّي هنودة، ص275.

هـ- أثر جنس المعلّم والمتعلّم: لا يوجد ارتباط بين نجاح المعلم وبين جنسه، فقد تنجح المعلّمة حيث يفشل المعلّم والعكس صحيح.

و- أثر سلوك المتعلّمين: تشير الدراسات التربويّة إلى قدرة المتعلّمين على تعديل سلوك المعلّم الصّفيّ من خلال أنماط استجاباتهم، وبعض المعلّمين يتأثرون بهذا دون وعي، ومن هنا تظهر أهميّة وجوب إدراكهم لجميع استجابات المتعلّمين وأنماط سلوكياتهم وما لها من دور في تغيير استراتيجياتهم التعليميّة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الرابع: افتراضات التفاعل الصّفيّ

للتفاعل الصّفيّ مجموعة افتراضات منها:

أ- أنّه يتيح للمتعلّمين فرصة المشاركة في الموقف التعلّمي.

ب- يحترم إنسانية المتعلّمين وحيويّتهم ونشاطهم.

ج- يحوّل الصفّ إلى بيئة ديمقراطية تشجّع على التسامح والتعلّم.

د- يمكّن المتعلّم من ممارسة فرديّته وتميّزه واستقلاله.

هـ- يزيد من أنسنة البيئة التعليميّة ويقلّل من الآليّة وسيطرة المعلّمين.

و- ييسّر للمتعلّمين تحقيق دوافع الذاتيّة.

ز- يساعد المتعلّمين على تطوير فهمٍ إيجابيّ لذواتهم وشخصيّاتهم<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: مبدأ رجاء النجاح الدراسيّ.

يزخر القرآن الكريم والسنة النبويّة بالمواقف التدريسيّة التي تشير الى ضرورة رجاء وتوقّع المعلّمين لنجاح متعلّميهم في تحقيق الأهداف المرغوبة، وسنعرض بعض الأدلّة التي تثبت ذلك.

### الفرع الأوّل: مبدأ رجاء النجاح الدراسيّ في القرآن الكريم

رجاء أو توقّع النجاح الدراسي هو ما يشكّله المعلّم من انطباعات عن قدرات المتعلّمين، وتؤثر توقّعات المعلّم حول فرص نجاح المتعلّمين في دراستهم على تصرّفاته معهم، وهذا يؤثّر على التحصيل الدراسيّ للمتعلّمين، والقرآن الكريم يحثّ الدعاة والمرّبين على التزوّد بحسن الرجاء والتوقّع حتى في أصعب المواقف التبليغيّة والتعليميّة، وسنذكر بعض الأدلّة التي تثبت ذلك:

<sup>1</sup> التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي لعليّ تعوينات، ص 95-96.

<sup>2</sup> مهارات التدريس الفعال لنايفة قطامي، ص 208.

أولاً- قال الله سبحانه: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) ﴿طه﴾

والمعنى اذهبا الى فرعون على رجائكما وطمعكما في إسلامه، غير يائسين من هدايته، وباشرا دعوته مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه، حيث يجتهد قدر طاقته، فالداعية اليائس من اهتداء الناس بدعوته لا يبلغها بجرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار. (1).

و"لعل" في العربية «تقريب وإطماع» دون التحقيق وتأكيد القول... فأما لعل إذا جاءت في كتاب الله تعالى، فقال قوم: إنها تقوية للرجاء والطمع. وقال آخرون: معناها كي. وحملها ناس فيما كان من إخبار الله تعالى على التحقيق» (2)، والذي عليه سيويه ورؤساء اللسان أن لعل في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21] على باها، أي الترجي والتوقع، والمعنى إذا تأملتم حالكم مع عبادة خالقكم رجوتم لأنفسكم تقوى الله (3).

هذا، والآيات تشير إلى أن الله تعالى قد أتى سيدنا موسى عليه السلام جميع ما سأل، وقد «أطال موسى سؤله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير، فقال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾، فقد جعله بمحل العناية والرعاية من أول أوقات وجوده، وألقى محبته في القلوب فلم يره أحد إلا أحبه ثم أوصاهما بذكره الذي يقوي العزائم ويثبت الأقدام، ثم يضمن لهما سلامتهما: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ فلا تأبها بفرعون ولا تهتما بأمره (4).

والسؤال: ما حكمة تأييد سيدنا موسى عليه السلام بجميع هذه الآيات والوصايا والضمانات، بالنظر إلى ما سبق في علم الله من عدم توبة فرعون؟

<sup>1</sup> تفسير الزمخشري، ص 656، و تفسير البيضاوي، 28/4، تفسير المراغي، 114/16، في ظلال القرآن لسيد قطب، 2336/4.

<sup>2</sup> معجم مقاييس اللغة لابن فارس 15/4.

<sup>3</sup> تفسير ابن عطية، 104/1، الكتاب لأبي بشر سيويه، 331/1.

<sup>4</sup> تفسير الطبري، تفسير البغوي، 272/5. 73/16، تفسير المراغي، 114/16، في ظلال القرآن لسيد قطب، 2333/4، تفسير ابن عاشور، 215/16.

والجواب أنّ الله تعالى يعلم عباده أهميّة الرجاء والتوقّع في التعامل مع النفوس لئيدلوا وسعهم برغبة وحماس إصرار، فجميع ما أعطي سيّدنا موسى عليه السلام ليس سوى تقويّة لرجائه وتوقّعه لئيدل ما في طوقه ووسعه.

وبتحليل تفسير العلماء للآيات نستنتج الآتي:

أ- أنّ لعلّ هنا على بابها، أي على أصلها في اللغة العربية من إفادتها الترجي والتوقّع، والرجاء راجع إلى جهة البشر، أي إلى سيّدنا موسى وهارون عليهما السلام.

ب- أنّ المطلوب من سيّدنا موسى وهارون عليهما السلام ليس مجرد الذهاب إلى فرعون فقط لتبليغه الدعوة، بل أنّ يفعل ذلك برجاءٍ وطمعٍ وتوقّعٍ توبته واستجابته.

ج- أنّ الحكمة في التأكيد على الرجاء هو أن الرجاء والمتوقّع يجتهد ببدل طاقته ووسعه.

د- أنّ العلاقة بين مضاعفة الجهد ورجاء الاستجابة أنّ الأولى نتيجة للثانية، أي أنّ رجاء وتوقّع حصول الاستجابة يدفع إلى بذل الجهد المطلوب لذلك.

هـ- أنّ رجاء حصول الاستجابة يكون مانعاً من اليأس والاستسلام أمام عقبات وصعوبات التعليم المختلفة.

و- رغم علم الله ﷻ بأنّ فرعون لن يتذكّر ولن يخشى فقد أمر سيّدنا موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إليه وهما يرجوان توبته إلى الله، وهذا يشير إلى أنّ توقّع ورجاء الاستجابة مطلوب لذاته، أي بغض النظر عن درجة صعوبة وتعقّد الحالات.

ز- يرى أبو زهرة في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أنّ التذكّر ثمرة للترقّق في الكلام، ذلك أنّ «القول اللين يتبعه التأمل والتفكير»<sup>(1)</sup>، وهذا يشير إلى فاعليّة تكامل مبدأي الرفق بالمتعلّم ورجاء نجاحه الدراسي.

ثانياً- قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:164]

ابتلى الله تعالى بني إسرائيل في أمر الحوت بأن يغيب عنهم سائر الأيام، فإذا كان يوم السبت ظهر على الماء فإذا كان ليلة الأحد غاب، ففتنهم ذلك وأضّرّ بهم فحفروا حفرا يخرج إليها ماء البحر على أخدود فإذا امتلأت الحفرة سدّوها لئيمنعوه من الخروج إلى البحر، فإذا كان الأحد

<sup>1</sup> زهرة التفاسير لأبي زهرة، 4730/9.

أخذوه<sup>(1)</sup>، ومعنى الآية واذكر أيضاً يا رسو الله، إذ قالت جماعة منهم لواعظي المعتدين في السبب لم تعظون من يهلكه الله بمعاصيه في الدنيا ويعذبّه في الآخرة؟ فأجابوهم أننا نعظهم لنؤدّي ما فرضه علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولعلمهم أن يخافوا الله ويتوبوا من معصيتهم<sup>(2)</sup>. ووجه الاستدلال بالآية الكريمة أن الأمة الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر لما سُئلوا لم يعظون قوماً هالكين لا محالة كان جوابهم ﴿قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فالذي يحدوهم في وعظهم وتعليمهم هو ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي رجاؤهم وطمعهم في أن يخشوا الله تعالى فيستجيبوا، فموعظتنا إبلاء عذر إلى الله «ولطمعنا في أن يتقوا»<sup>(3)</sup>.

إنّ الفرق بين الأمة الأمرة بالمعروف وبين الأمة المفترطة في ذلك يكمن في امتلاء العقل والقلب بالرجاء والترقب، فالفرقة الأولى رأت مداومة التعليم والتذكير بلا قنوط، فقد كان لسان حالهم يقول: «نرجو أن ينتفعوا بالموعظة فيحملهم ذلك على اتقاء الاعتداء الذي اقترفوه، إذ نحن لم نياس من رجوعهم إلى الحق كما أنتم منهم يائسون»<sup>(4)</sup>.

والقرآن الكريم يثني على الملتزمين بهذا المبدأ العظيم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165]، فزيادة على نجاتهم من العذاب البئيس فإنهم حظوا بذكر الله تعالى لهم في كتابه المجيد، أمّا الأمة اليائسة الساكتة « فقد سكت النص عنها، ربما تهوينا لشأنها»<sup>(5)</sup>، فالقرآن الكريم كما رفع ذكر الراجين «سكت عن الساكتين؛ لأنّ الجزء من جنس العمل»<sup>(6)</sup>.

إنّ غاية غايات التدريس هي تهيئة المتعلم لأداء حقّ عبادة الله ﷻ وعمارة الأرض، وهي غاية لا يستغنى أبداً في السعي إليها بالتمسك بجبل حسن الرجاء وجميل التوقّع.

<sup>1</sup> تفسير ابن عطية 467/2.

<sup>2</sup> تفسير الطبري 511/10، وتفسير ابن عطية 468/2.

<sup>3</sup> تفسير النسفي 613/1.

<sup>4</sup> تفسير المراغي 94/9.

<sup>5</sup> تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، 1385/3.

<sup>6</sup> تفسير ابن كثير 494/3.

## الفرع الثاني: مبدأ رجاء النجاح الدراسي في السنة النبوية

يظهر مبدأ رجاء النجاح الدراسي جلياً في مدرسة النبوة، وهذه بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

أولاً- عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِنِّي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا<sup>(1)</sup>، وفي رواية (أَوْحِرَّ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)<sup>(2)</sup>.

يقول النبي ﷺ إنَّ أشدَّ ما لقي من المشركين حين عرض نفسه بعد موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها على أحد أكابر أهل الطائف من ثقيف، فلم يجبه إلى ما أراد، ورضخ ﷺ بالحجارة حتى أدموا رجله، فانطلق ﷺ لا يدري أين يتوجه من شدة ذلك، فلم يستفق ممَّا هو فيه من العم إلا وهو بموضع يُسمَّى قرن الثعالب، بينه وبين مكة يوم وليلة، فرفع ﷺ رأسه فإذا بسحابة أظلته فيها جبريل عليه السلام فقال: إنَّ الله قد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال إن شئت أطبق عليهم جبلي مكة، فيقول النبي ﷺ: بل أرجو أن يهديهم الله الحق فإن لم يسلموا فأرجو أن يخرج من أنساب بعضهم من يوحد<sup>(3)</sup>.

إن الرسول ﷺ يصف ذلك اليوم بأنه أشد الأيام عليه، غير أن تلك الشدة لم تنل من رجائه وتوقعه في صلاح من يؤذونه أو صلاح ذريتهم، لقد سأل ملك الجبال الرسول ﷺ هل تريد أن أوقع وأرمي عليهم الجبلين؟ فأجاب الرسول ﷺ: «لا أريد استئصالهم بل أتوقع (أن يخرج الله من أصلابهم

<sup>1</sup> صحيح البخاري 1180/3 ر 3059. صحيح مسلم 1420/3 ر 1795.

<sup>2</sup> ذكره عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 112/1، قال القاري عن ابن المكندر: «تابعي جليل فالحديث مرسل إلا أنه ليس مما يقال بالرأي فيكون له حكم الموصول... لا سيما ويعضده الحديث السابق المروي في الصحيحين»، 286/1.

<sup>3</sup> إرشاد الساري للقسطاني، 155/7.

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ)... وقد أمضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه ﷺ دعا لهم بالخير ولو بواسطة تحمل الضير»<sup>(1)</sup>.

ومعنى (أَوْخِرَ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) أي «رجاء أنهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم لإيمان، فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك»<sup>(2)</sup>.

والتعبير عمّن آذوه وعدّبوه بلفظ (أُمَّتِي) لافت للنظر، وهو يشعر بحجم رجاء النبي ﷺ في إسلامهم وتوبتهم إلى الله توبة الله تعالى عليهم، وهذا هو الذي حضّ رسول الله ﷺ على بذل وسعه في دعوتهم حتى كادت نفسه أن تذهب عليهم حسرات.

ثانياً- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: أَحْبَبَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا، عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَذَلِكَ قَبْلَ وَقَعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانَ وَالْيَهُودِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةٌ الدَّابَّةِ، حَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُعْبِرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ: أَيُّهَا الْمَرْءُ، لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: اغْشِنَا فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ، حَتَّى هُمُوا أَنْ يَتَوَاتَبُوا، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُقْفِضُهُمْ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، فَقَالَ: (أَيُّ سَعْدُ، أَمْ تَسْمَعُ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي - قَالَ كَذَا وَكَذَا) قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهُوا، فَيَعْصِبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ<sup>(3)</sup>.

مرض سعد بن عبادة رضي الله عنه فخرج الرسول ﷺ يعوده وقد ركب حماراً ، ولما مرّ ﷺ بمجلس فيه مسلمون ويهود ومشركون وغشيهم غبار الدابة، غطّى عبد الله بن أبي سلول أنفه وقال لا تثيروا الغبار علينا، فألقى رسول ﷺ السلام ودعاهم إلى الإسلام، فتهكّم عبد الله وقال لا شيء

<sup>1</sup> شرح الشفا للقاري، 286/1.

<sup>2</sup> نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض لأحمد الحفاجي، 345/2.

<sup>3</sup> صحيح البخاري 2307/5، 5899. صحيح مسلم 1422/3، 1798.

أحسن لكنّ مجالسنا تتأدّى، فكاد القوم أن يشب بعضهم على بعض، فهدّاهم الرسول ﷺ، ولما دخل على سعد رضي الله عنه قال له ألم يبلغك ما قاله أبو حباب، مكيناً عبد الله الذي أذاه في المجلس، فقال سعد رضي الله عنه إنّ أهل المدينة اتفقوا على أن يتّخذوه رئيساً وسيّداً فلما أتيت يا رسول الله حسدك وغصّ بذلك<sup>(1)</sup>.

ووجه الاستدلال بالحديث أنّ النبي ﷺ كنى عبد الله بأبي حباب، وفي التكنية «تعظيم وتكبير»<sup>(2)</sup>، ولم يفعل ذلك إلاّ رجاء أن يقوم ذاته ويصحّ سلوكاته، «وإنما نزل عليه السلام هناك استئلافاً لهم ورفقاً بهم، رجاء في رجوعهم إلى الحق...ومن استئلافة أنه كناه عند سعد بن عبادة، فقال له سعد: اعف عنه واصفح. أي لا تناصبه العداوة، كل هذا رجاء أن يراجع الإسلام»<sup>(3)</sup>.

وابن باديس يؤكّد على أهميّة وضرورة هذا المبدأ في شرحه لحديث ﷺ: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)<sup>(4)</sup>، يقول رحمه الله: «هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفسية البشرية فإنّ النفوس عندما تشعر بحرماتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب. وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل وترجع إلى أحط دركات السقوط. فجاء هذا الحديث الشريف يحذر من تحقير الناس وتقنيطهم وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم. وهذا الأصل العظيم الذي دل عليه هذا الحديث الشريف يحتاج إليه كل مرب سواء أكان مربياً للصغار أم للكبار، وللأفراد أم للأمم، إذ التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس نفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية، والاحترام والتنشيط وبعث الرجاء إحياء لها وذلك هو غرض كل مرب ناصح في تربيته»<sup>(5)</sup>.

إنّ ما يخصّ عليه الإمام من ضرورة إشعار المتربّي بقدرته على الكمال نفسه بقوة لنيل المطلوب، هو عين ما تنصّ عليه التربية المعاصرة من أنّ المعلّم إذا أشعر المتعلّمين باهتمامه بهم

<sup>1</sup> فتح المنعم للاشبن، 320/7.

<sup>2</sup> إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، 320/7.

<sup>3</sup> شرح صحيح البخاري لابن بطال، 355/9.

<sup>4</sup> صحيح مسلم، 2024/4 ر 2623، وأشار محقّقه أنّ لفظ (أهلكهم) زويّ على وجهين، رفع الكاف وفتحها، ورواية الرفع

أشهر، ومعناها أشدّهم هلاكاً، ورواية القتح معناها هو جعلهم هالكين لا أنّهم هالكون فعلاً.

<sup>5</sup> مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، ص 203.



وتوقعاته الإيجابية منهم فإن ذلك يزيد «من دافعيتهم للقيام بأقصى ما في وسعهم»<sup>(1)</sup>، ثم إنّه رحمه الله يصف هذه المسألة بأنّها أصل عظيم من أصول التربيّة، أي أنّه مبدأ من مبادئها، ويجعل من الحديث الشريف أصلاً لها، ويستغلّ الموقف في الصلاة والسلام على الرسول المعلّم الذي حوت أحاديثه ما لم تدركه البشريّة إلاّ بعد حين فيقول: «فاللهم صل على هذا النبي الكريم العظيم الرحيم الذي علمته ما لم يكن يعلم وكان فضلك عليه وعلينا به عظيماً، فكم من علوم وأسرار انطوت عليها أحاديثه الشريفة قد أتت على ما لم تعرفه البشريّة إلاّ بعد حين، ولا عجب فهو الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ﷺ»<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: مبدأ الرفق بالمتعلّم.

للعلاقات الإنسانيّة أكبر الأثر في إحداث التعلّم وتحقيق الأهداف المسطرّة، وقد أمر الإسلام بالرفق واللين ونهى عن الشدّة والغلظة، وسنّ بعض الأدلّة من القرآن والسنة التي تثبت وجوب تحلّي المعلّمين بهذا المبدأ.

### الفرع الأول: مبدأ الرفق بالمتعلّم في القرآن الكريم

المقصود بهذا المبدأ أن يُعامل المتعلّمون بالرحمة واليسير والأناة والصبر، وذلك لإعانتهم على تجاوز عوائق النموّ والتعلّم، وقد حظي هذا المبدأ بمكانة كبيرة في القرآن الكريم، وسنّ بعض الآيات الدالّة على ذلك.

أولاً- قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. [آل عمران: 159]

تتناول الآية ما كان من شأن الرسول المعلّم ﷺ مع الذين خالفوا أمره فكان ما كان من ظهور المشركين يوم أحد، فكلّ من أخلّ بمركزه استحقّ الملام منك، ولكن الله رحمكم جميعاً، أنت يا محمّد بأن جعلك على خلق عظيم، وهم بأن ليّنتك لهم وجعلك بهذه الصفات لما علم سبحانه في ذلك من صلاحهم، ولو كنت ﴿فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ وتفرقوا عنك.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> إدارة الصف وتعديل السلوك الصفي، لفاديا أبو خليل، ص 82.

<sup>2</sup> مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، ص 203.

<sup>3</sup> تفسير ابن عطية، 533/1.

والآية من ناحية أخرى- تفسر حكمة الأمر بالالتزام بهذا المبدأ العظيم وتبين أثره التربوي، فقله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ يبين أنهم لم يتجمعوا حولك إلا بسبب ما في قلبك من رحمة ورقة، أي أن استجابة المتعلمين ونموهم متوقفان بنسبة كبيرة على مدى لين ورفق المعلم بهم وتحمله لهم وصبره عليهم.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ بعض مظاهر ما أتى الله رسوله ﷺ من الرفق والرحمة، فتأمره الآية بالعمو عمّا وقعوا فيه من مخالفة، وأن يستغفر لهم الله وأن يغفر لهم هو ذلك الخطأ، وأن يحقق ذلك العفو عملياً بأن يواصل مشاورتهم فيما يستقبلونه من أيام<sup>(1)</sup>، وهذا يكشف عن طبيعة واجبات المعلمين تجاه مشاغي الصف الدراسي.

يقول الشيخ الابراهيمي: «إن من الطباع اللازمة للأطفال أنهم يحبون من يتحجب لهم، ويميلون إلى من يحسن إليهم، ويأمنون بمن يعاملهم بالرفق، ويقابلهم بالبشاشة والبشر. فواجب المرّي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، ... أن يتحجب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسألهم عن أحوالهم باهتمام، ويضاحكهم... فإذا أحبّوه أطاعوه وامتثلوا أمره، وإذا أطاعوا أمره وصل من توجيههم في الصالحات إلى ما يريد، وتمكن من حملهم على الاستقامة وطبعهم على الخير والفضيلة. فإذا ملك نفوسهم بهذه الطريقة- طريقة الترغيب- حبب إليهم المدرسة والقراءة والعلم»<sup>(2)</sup>.

ثانياً- قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]

يمتق الله ﷻ على المؤمنين بأنه أرسل إليهم رسولاً شديداً عليه ما يشقّ عليهم، حريصاً على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة شديداً الرأفة والرحمة بهم<sup>(3)</sup>.

وما في الآية من رحمة ورفق وتحمل متعلق بوصف كون محمد ﷺ رسولاً، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾، أي أن الآية تتناول أخصّ صفات الرسول ﷺ المتعلقة بمهامه التبليغيّة التعليميّة، كما قال

<sup>1</sup> زهرة التفاسير لأبي زهرة، 1476/3.

<sup>2</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ص2/113.

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير 241/4.

ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَبَرًا وَلَا مُتَعَتِّبًا. وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبَسِّرًا)<sup>(1)</sup>، فتمكّنه ﷺ من تبليغ الرسالة وتعليمها كان بما ملأ الله به قلبه من رحمته تعالى.

وإنّ المعلمين أحوج الناس إلى الاتّصاف بما لدى الرسل عليهم السلام من الرّافة والرحمة والصبر والتحمّل والأناة والرفق، وذلك بالنظر إلى أنّ «العملية التربوية عملية متداخلة العناصر، ومعقدة في كثير من جوانبها، ويكتنفها العديد من الصعوبات»<sup>(2)</sup>.

والقرآن عندما يؤكّد على التزام من يتصدّى إلى إصلاح غيره بهذا المبدأ يأخذ بعين الاعتبار ما في العملية من صعوبات، قال الله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44)﴾ [طه]، فسيّدنا موسى كان على علم تامّ بطغيان فرعون وجبروته، بل إنّ ذلك كان سبب التكليف بالذهاب إليه، فقوله تعالى ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ «تعليلٌ لموجب الأمر والفاء في قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ لترتيب ما بعدها على طغيانه»<sup>(3)</sup>، فالرفق واللين من هذا الوجه عدّة الدعاة والمعلّمين. وقوله تعالى ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ بيان للأثر التربوي المتوقع للالتزام بمبدأ الرفق.

وقال ابن كثير: «قوله ﷺ ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء]: [215]:

«أي: ألن لهم جانبك»<sup>(4)</sup>، وخفض الرسول ﷺ جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، «كناية عن اللين والرفق والتواضع»<sup>(5)</sup> فهو أمر صريح للرسول ﷺ بالترفق بمن اتبعه من المؤمنين.

### الفرع الثاني: الفرع الأول: مبدأ الرفق بالمتعلّم في السنّة النبويّة

نال مبدأ الرفق مكانة كبيرة في السنّة النبويّة، وسنعرض بعض الأحاديث الدالّة على ذلك. **أولاً-** عَن مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ. فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاتُّكِلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَازِهِمْ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونِي. لَكِنِّي سَكَتُ. فَلَمَّا صَلَّى

<sup>1</sup> صحيح مسلم، 1104/2، 1478.

<sup>2</sup> علم النفس التربوي الخصائص النمائية والفروق الفردية والبيئة الصفية وانعكاساتها على العملية التعليمية لدخل الله، ص 96.

<sup>3</sup> تفسير أبي السعود 17/6.

<sup>4</sup> تفسير ابن كثير 4/546.

<sup>5</sup> تفسير الرازي 19/215.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي. قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ) أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُفَّانَ، قَالَ: (فَلَا تَأْتِهِمْ) قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: (ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ...)(1).

لقد استجاب النبي ﷺ لما أمره به الله تعالى من الرفق واللين بمن أتبعه من المؤمنين، وفي هذا الحديث توقع معاوية رضي الله عنه الأسوء عندما استدعاه الرسول ﷺ بعد انتهاء الصلاة، وذلك بالنظر إلى ما رآه من رد فعل الناس، فإذا به يجد الرحمة والعطف، على وجه رسول الله ﷺ وعلى لسانه، فيسمع تعليمًا هادئًا لينًا، فاطمأن وأخرج ما في نفسه من أسئلة(2)، والحديث فيه « بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأتمته، وشفقته عليهم. وفيه التخلق بخلقهم في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللفظ به، وتقريب الصواب إلى فهمه»(3).

ويظهر الحديث أهمية مبدأ الرفق بالمتعلم في نجاح العملية التربوية، فمعاوية رضي الله عنه يُرجع حُسنَ تعليم رسول الله ﷺ إلى رفقه ولين جانبه بالمتعلم، ويقول في رواية (فما رأيتُ معلمًا قطُّ أرفقَ من رسول الله ﷺ)(4)، ولذلك اعتبر رفق ولين المعلم بالمتعلمين من دقائق صناعة التعليم(5). وإن استخراج معاوية رضي الله عنه ما في نفسه من أسئلة ليس سوى الأثر التربوي لالتزام المعلمين بهذا المبدأ العظيم، لقد أظهر مطلع الحديث اضطراب الصحابي رضي الله عنه بسبب طريقة الاستنكار عليه لتشميمته في الصلاة، غير أن لين جانب الرسول ﷺ طمأنه وأثار دافعية التعلم لديه.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، 381/1 ر 537 عن عائشة رضي الله عنها.

<sup>2</sup> فتح المنعم للاشين، 143/3، وفيه أن (فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَيْصَارِهِمْ) أي نظروا إلي نظرة استنكار... "وا" حرف ندبة، والشكل فقدان المرأة ولدها وحزنها عليه و(فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي) متعلق بمحذوف والتقدير بأبي وأمي أفديه (فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي) أي ما انتهرني.

145/3. وينظر: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة، ص 12.

<sup>3</sup> شرح صحيح مسلم للنووي، 28/5.

<sup>4</sup> سنن أبي داود، 194/2 ر 931، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

<sup>5</sup> فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، 573/2.

ثانياً- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تُزْرِمُوهُ). ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ<sup>(1)</sup>.

وفي رواية: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)<sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (دَعُوهُ، وَأَهْرِقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)<sup>(3)</sup>.

بال أعرابي في المسجد، ولما ثار الناس واتجهوا نحوه مستنكرين، نهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله، لأنهم بعثوا مبسرين غير معسرين، وأمرهم أن يصبوا عليه ماء، ثم التفت إلى الفاعل فعلمه أن المساجد لا تليق بها هذه النجاسات لأنها مؤسّسة لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن<sup>(4)</sup>، ففعل الأعرابي -رغم شناعته- سلوك ينبغي تعديله، وما حدث فرصة ينبغي استغلالها في التعليم، ومن فوائد الحديث الرفق بالجاهل وتعليمه من غير تعنيف، وفيه رافة الرسول وحسن خلقه ﷺ<sup>(5)</sup>.

يقول الإبراهيمي: «ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلّمي القرآن، وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن، فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة. إن القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق، وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتُبغض إليهم القراءة والعلم. وكل ذلك معدود في جنایات المعلمين الجاهلين بأصول التربية. وليدرس المعلم ميول الأطفال بالاختلاط بهم، وليكن بينهم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزّع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه، ويردّ الناد منهم عن المحجة برفق»<sup>(6)</sup>.

وابن باديس بعد أن يشير إلى ما بين المعلمين والمتعلمين من انقطاع في المعاهد الإسلامية الكبرى مثل الأزهر يقول: «فعلى المعلم الذي يريد أن يكون من تلامذته رجالاً أن يشعرهم -واحدًا

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 2242/5، 5679، صحيح مسلم، 236/1، 284.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، 236/1، 285.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 2270/5، 5777.

<sup>4</sup> فتح المنعم للاشين، 240/2.

<sup>5</sup> فتح الباري لابن حجر، 325/1 وفيه أن الذنوب الدلو المملوءة.

<sup>6</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ص 113/2.

واحدًا- أنه متصل بكل واحد منهم اتصالاً خاصاً زيادة على الاتصال العام وأن يصدق لهم هذا بعنايته خارج الدرس بكل واحد منهم عناية خاصة في سائر نواحي حياته حتى يشعر كل واحد منهم أنه في طور تربية وتعليم في كفالة أب روعي يعطف عليه ويعني به مثل أبيه أو أكثر»<sup>(1)</sup>. وهذا يشير صراحة إلى أهمية هذا المبدأ في مشروع جمعية العلماء التعليمي.

### المطلب الرابع: مبدأ الفروق الفردية

تظهر مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية جلية في المواقف التعليمية في مدرسة النبوية، وسنعرض بعض النصوص من القرآن والسنة التي تثبت ذلك.

### الفرع الأول: مبدأ الفروق الفردية في القرآن الكريم

يقصد بالفروق الفردية ما يميز فرداً عن آخر من فوارق، فهذا أطول، والثاني أذكى، والثالث أقل انطوائية، والمعلم مطالب بمعرفة هذه الفروق ليعامل كل متعلم بالطريقة التي تناسبه، وسنذكر هنا بعض نصوص القرآن الكريم الدالة على وجوب مراعاة ما بين الأفراد من فروق.

أولاً- ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)﴾. [الاسراء].

إن معنى الآية أن الله تعالى يعطي مريدي الدنيا ومريدي الآخرة ما يستحقونه من الشقاوة والسعادة، فلا يمنعه عن أحد، لكنهم يتفاوتون في ذلك العطاء «فمنهم الغني والفقير وبين ذلك، والحسن والقبيح وبين ذلك، ومن يموت صغيراً، ومن يعمر حتى يلقى شيخاً كبيراً، وبين ذلك»<sup>(2)</sup>، ومثل الآيتين قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَفْضَلُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نُحْنُ فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. [الزخرف:32]

وقد اعتبرت الآية ما بين العباد من فروق عبرة تستحق التأمل، فبواطنهم النفسية مختلفة مثل ظواهرهم الجسدية « ويتبع هذا الاختلاف اختلافهم في إدراكهم، وتمييزهم، وأخلاقهم، وعاداتهم، في ضلالهم وهداهم، وفي درجات الهدى ودركات الضلال»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> آثار ابن باديس 202/2.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 63/5.

<sup>3</sup> تفسير ابن باديس ص179/1.

وقوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>1</sup> يثبت أنّ أصل العطاء الربّاني في الدنيا يصل إلى جميع العباد، أمّا قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>2</sup> فيدلّ على تفاضل العباد في عطاء الله تعالى الذي يشترك الجميع في أصله، أي على تفاوتهم في ذلك العطاء، وهذا ما تؤكد عليه التربيّة المعاصرة من أنّ الفروق الفردية فروق كميّة لا نوعيّة، أي أنّ محلّ الفرق بين الأفراد هو مقدار توافر السمات لا أصل توفّرها عندهم.

ثانياً- قال الله سبحانه: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>3</sup>. [يوسف:76]  
وقال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:269].

والمعنى نرفع منازل من نشاء بالعلم على غيره، حيث «يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كلّ عالم»<sup>(1)</sup>.

وسواء كانت الحكمة في الآية هي القرآن والفقّه به، أو المعرفة به وبعلمه، أو الكتاب والفهم فيه، أو الإصابة في القول والفعل، أو غير ذلك ممّا هو راجع للعلم والفهم والمعرفة<sup>(2)</sup>، سواء كان هذا أو ذاك فإنّ الله تعالى لا يعطي ذلك إلا من يشاء من عباده، واختلاف الناس في نيل الحكمة هنا يعود إلى تفاوتهم في متطلّباتها، فإنّ من يشاء الله سبحانه إبتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعداً إلى ذلك، من جميع الجوانب، وإن وجود الاختلافات بين الناس في سلوكهم ليس سوى نتيجة لاختلافاتهم في استعداداتهم وقدراتهم وخبراتهم وظروفهم<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ الفروق الفردية في السنّة النبوية

سنذكر هنا ما يثبت قيام التدريس في السنّة النبوية على هذا المبدأ.

<sup>1</sup> تفسير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه، 268/13

<sup>2</sup> تفسير الطبري، 8/5

<sup>3</sup> تفسير ابن عاشور، 61/3، القرآن وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 252.

أولاً- عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسَّهْل، والحَزْن، والخبيث، والطَّيِّب- زاد في حديث يحيى: وبين ذلك)<sup>(1)</sup>.  
يُظهر الحديث تجذّر تباين الناس في الألوان والطباع، فمنهم الأحمر والأبيض والأسود وما بين تلك الألوان، ومنهم السهل الرقيق، والحزن الغليظ العنيف، وخبيث الأخلاق الضار، وطيب الخصال النافع<sup>(2)</sup>.

والحديث يكشف عن تأثير البيئة في طباع الأفراد، ومن ثمة تأثيرها فيما بينهم من تفاوت في مقدار توافر السمات، إذ «كلُّ موضعٍ كان لِينًا كان أهلُ ذلك الموضع طباعهم لِينَةً، وكلُّ موضعٍ كان حَشِينًا كان أهلُهُ طباعهم حَشِينَةً، وكذلك الخبيث والطيب»<sup>(3)</sup>، ولعلّ هذا هو سر صبر الرسول ﷺ على الأعراب رغم عظيم ما يصدر عنهم في حقّه ﷺ، فلبيئة أثرها على السلوكات. ومن هنا تظهر أهمية مراعاة المعلّمين لما يظهر على المتعلّمين في المواقف التدريسيّة من تفاوت في الاستعدادات والذكاء والفهم وسرعة التحصيل والانضباط، إذ أنّ إدراكهم لذلك هو السبيل الوحيد لتجاوز ما في مهنة التدريس من صعوبات وضغوطات.

وكما أنّ في الأرض مناطق ذات ألوان مختلفة، ومناطق سهلة مستوية وأخرى صعبة وعرة وما بين ذلك، «فكذلك توجد بين الناس فروق في اللون...وكذلك توجد بينهم فروق في الطباع والأخلاق والاستعدادات المزاجية والانفعالية...»<sup>(4)</sup>.

ثانياً- سنذكر هنا بعض المواقف التدريسيّة التي تثبت الاعتماد العمليّ لمدرسة النبوة لمبدأ مراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين:

<sup>1</sup> سنن أبي داود، 78/7 ر4693، قال الأرئوط في الهامش: «صحيح الإسناد»، سنن الترمذي، 204/5، ر2955، وصحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 183/3 ر2955، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان، 29/14 ر6160 وأشار الأرئوط في الهامش إلى صحّته.

<sup>2</sup> شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 564/2، و مرقاة المفاتيح للقاري، 279/1

<sup>3</sup> المفاتيح في شرح المصابيح لمظهر الدين الزيداني، 207/1

<sup>4</sup> الحديث النبويّ وعلم النفس لمحمد ناجي، ص254.



أ- تشبيه النبي للمخاطبين بالدعوة بأنواع الأرض في انتفاعها بالغيث بقوله ﷺ: (فَذَلِكْ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يُقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)<sup>(1)</sup>.

يشير الحديث إلى ما بين الأفراد من فروق متعلقة بالذكاء والفهم، فالصنف الأول ممن تلقى ما بُعث به الرسول ﷺ من الهدى والعلم انتفع بذلك ونفع به غيره، وله في العلوم ذهن ثاقب متدبر، والصنف الثاني لم ينتفع بالعلوم لكن حفظها إلى أن جاء من يأخذها منه دون أن يُعمل فيها فكراً، أم الصنف الثالث فلم يحفظ ولم يتدبر، فالرسول المعلم ﷺ وصف هنا «الفروق بين الناس في القدرة على التعلم والفهم والتذكر، وهي قدرات تدخل في مفهوم الذكاء»<sup>(2)</sup>.

والحديث بهذا التصنيف يعرض نموذجاً لقسم دراسي يتفاوت فيه المتعلمون بين الممتاز والوسط والضعيف، أو يتفاوتون فيه بين من يعتمد الذكاء في تحصيله الدراسي، ومن يعتمد الحفظ في ذلك، ومن هو ضعيف فيهما، وهو النموذج الأكثر شيوعاً في عالم التعليم والتعلم.

ب- قول النبي ﷺ لمعاذ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَّكَلَّمُوا» وَأُخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا<sup>(3)</sup>.

إن الحديث أسلوب عملي في وجوب مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فلقد أخبر الرسول المعلم ﷺ الصحابي معاذ بن جبل بالبشارة ولم يخبر بها غيره من الصحابة رضي الله عنهم ممن قطع بأفضليته، وهذا يشير إلى معرفة الرسول ﷺ الدقيقة بأصحابه رضي الله عنهم، كما يشير إلى مقدار مراعاته ﷺ لما بينهم من اختلاف حيث كان «شديد المراعاة للفروق بين المتعلمين»<sup>(4)</sup>، فالمعلم «يجب أن يخصص بالعلم قوم فيهم الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري واللفظ له، ص 33 ر 79، وصحيح مسلم، 4/1787، 2282،

<sup>2</sup> الحديث النبوي وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 257.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 1/59 ر 128، وصحيح مسلم 1/61 ر 32.

<sup>4</sup> الرسول المعلم لأبي غدة، ص 81.

<sup>5</sup> عمدة القاري، 2/314

ج- قال الرسول ﷺ: (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءٌ عُثْمَانُ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ) (1).

وردت أحاديث كثيرة يثني فيها الرسول ﷺ على تلاميذه رضي الله عنهم منها هذا الحديث، فهو يعرف ما يتميز به كل فرد عن غيره، فأبو بكر رضي الله عنه أرحمهم، وعمر رضي الله عنه أقواهم في الحق، وعثمان رضي الله عنه أكثرهم حياءً والأقرأ للقرآن أبي رضي الله عنه، والأعلم بالفرائض زيد رضي الله عنه، ومعاذ أعلمهم بالحلل والحرام، وأما أبو عبيدة رضي الله عنهم فهو أمين الأمة، وهذا يشير إلى أنه ﷺ «يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة، وكان يعرف ما يتميز به كل صحابي من مزايا...» (2).

ولا شك أنّ جميع الصحابة متّصفون بالأمانة مثلاً، لكنهم يختلفون في مقدار الاتّصاف بها، أي أنّهم رضي الله عنهم مشتركون في توقّر النوع، متفاوتون في مدى توافره، فالأمانة بالنسبة لأبي عبيدة رضي الله عنه «وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيداً في ذلك، لكن خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي ونحو ذلك» (3).

ويدلّ الحديث على ضرورة تعرّف المعلّم على المتعلّمين، وما يميّز به كلٌّ منهم لأنّ معرفته لهم «تنعكس على تدرّسه وعطائه، فالذي يعرف طلابه معرفة دقيقة هو القادر على أن يعلمهم ما يحتاجون إليه ويتناسب معهم» (4)، وإنّ من أهم شروط كفاءة المعلّم ما يحتاج إليه من معرفة أساليب التعليم وفهم نفسيّة متعلّميّه والأخذ بأفهامهم حسب درجتهم واستعدادهم (5).

<sup>1</sup> سنن الترمذي 664/5 ر 3790، سنن ابن ماجه، 107/1، ر 154، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلّي بن بلبان، 74/16 ر 7131، واللفظ له، وصحّحه الأرنووط في الهامش.

<sup>2</sup> قادة النبي ﷺ لمحمود شيت خطاب، ص 13.

<sup>3</sup> فتح الباري لابن حجر، 93/7.

<sup>4</sup> الفروق الفردية في ضوء التربية النبوية، لنعيم الصفدي وعبد اللطيف الأسطل، ص 269.

<sup>5</sup> آثار ابن باديس لعمار طالبي، 181/3..

## المطلب الخامس: مبدأ دافعية التعلم

سنذكر هنا بعض النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تدلّ على أنّ مدرسة النبوة قد اعتمدت مبدأ استثارة دافعية التعلم لدي المتعلم.

### الفرع الأول: مبدأ دافعية التعلم في القرآن الكريم

يقصد بمبدأ استثارة الدافعية لدى المتعلمين أن يعمل المعلمون على إيجاد رغبة التعلم لديهم، كي يولوا ذلك الاهتمام الكافي، ويبدلوا فيه الجهود اللازمة، وهذا المبدأ يظهر بوضوح تامّ في مواقف القرآن التدريسية، وسنعرضه من خلال ذكر الأساليب التي وظفها في تحقيقه.

#### أولاً- أسلوب الترغيب

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

ومعنى الآية: «هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيراً، ولا يخافون بسيتها شراً؟ يقول: ما هذان بمتساويين»<sup>(1)</sup>، فالآية تنفي تسوية من قاده خوفه من الله ورجاؤه في رحمته إلى قيام الليل بمن غفل عن ذلك، وليس ذلك إلا بسبب عدم التساوي في العلم، فيكون ذلك من باب استثارة دافعية التعلم ببيان ثماره.

#### ثانياً: أسلوب الترهيب

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

تذكر الآية صفات من يستحقون دخول النار، فقلوبهم لا يعلمون بها الخير والهدى. وأعينهم لا يبصرون بها طريق الحق، وآذانهم لا يسمعون بها مواعظ القرآن فيعتبرون بها، وهم في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب كالأنعام بل هم أضلّ، لأن الأنعام تميّز بين الضارّ والنافع، وهم

<sup>1</sup> تفسير الطبري، 177/20.

يقدمون على جهنم معاندةً مع علمهم بالهلاك<sup>(1)</sup>، ففي الآية ترهيب لا يخفى من الإعراض عن توظيف الحواس المختلفة في التحصيل المعرفي، وذلك استشارة لدوافع التعلم والتفكير.

### ثالثاً: أسلوب القصة

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

إن القصة «من الوسائل الهامة التي استعان بها القرآن لإثارة الدافع للتعلم، لما تثيره من تشويق، ولما تستدعيه من انتباه»<sup>(2)</sup>، وما في الآيتين من اتعاض وتذكّر واعتبار للمخاطبين بما جاء في القرآن من نبأ الأولين يدفعهم إلى الأخذ بأسباب النجاة والصلاح، وترك أسباب الهلاك والخسران، وذلك هو الأثر التربوي للمبدأ.

### رابعاً- تنوع طرائق وأساليب التدريس.

قال الله سبحانه: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَأَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58].

إن الله تعالى ينوع أساليب عرض آيات وحدائته وقدرته، والمتوقع هنا أن يقبل المخاطبون على تلك الآيات بالنظر والتأمل لأن تصريف طرق العرض أي تنوعها مما يستثير دوافع التعلم. إن المعلم إذا اعتمد مبدأ تنوع طرق التدريس وأساليبه فإنه يتمكن من إثارة دوافع التعلم، وإن من الممارسات المتسببة في تدني الدافعية لدى المتعلم «إهمال بعض المعلمين أساليب تعلم الطلبة المختلفة والمتباينة، وتعليمهم بأسلوب واحد فقط»<sup>(3)</sup>.

### خامساً- وضوح الهدف وتحديده بدقة في ذهن المتعلم

يثير وضوح الهدف في مواقف القرآن والسنة التدريسية الدافعية، وسنذكر ما يثبت ذلك من القرآن والسنة:

<sup>1</sup> تفسير البغوي، 306/3

<sup>2</sup> القرآن وعلم النفس لمحمد نجاتي، ص 174.

<sup>3</sup> مهارات التدريس الفعال لنايفة قطامي، ص 136

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾ [الصَّفّ].

إنّ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾ إيضاح لهدف هذا الموقف التعليمي، وهو في نفس الوقت استشارة لانتباه المخاطبين لتحصيل ما يأتي بعده من أسباب تحقيق الفوز بتلك التجارة الراجعة، وقد أفاد الاستفهام العرض، واستعمل في الآية لمعرفة مدى رغبة المخاطب فيما عُرض، وهو «هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالة إياهم على تجارة نافعة...وجيء بفعل ﴿أَدُلُّكُمْ﴾ لإفادة ما يذكر بعده من الأشياء التي لا يهتدى إليها بسهولة»<sup>(1)</sup>.

### سادساً- توظيف الرفق بالمتعلم والعلاقات الانسانية

حظي الرفق بعناية كبيرة في مواقف القرآن والسنة التدريسية، وسنذكر بعض ما يثبت ذلك:

قال الله ﷻ: ﴿لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]

إنّ الله تعالى يأمر النبي ﷺ باللين لمن آمن به واتبعه لأنّ تعليمهم الوحي يستلزم ذلك، والمعنى «وألن جانبك، وارفق بمن آمن بك واتبعك، ولا تحف بهم، ولا تغلظ عليهم»<sup>(2)</sup>، وعبر عن الرفق واللين المطلوبين بخفض الجناح، وذلك «مجاز بالاستعارة مشهور، فشبه سبحانه وتعالى حنو محمد ﷺ على أتباعه، بوضع الطائر أولاده بين جناحيه، للمبالغة في الحيطه والحفظ والصيانة»<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ دافعية التعلم في السنة النبوية

سنذكر هنا ما يثبت اعتناء السنة النبوية بهذا المبدأ.

#### أولاً- أسلوب الترغيب

عن أبي عبد الرحمن عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عَثْمَانَ، حَتَّىٰ كَانَ الْحَجَّاجُ، قَالَ: وَذَلِكَ الَّذِي أَفْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور، 194/28.

<sup>2</sup> تفسير المراغي، 46/14.

<sup>3</sup> زهرة التفاسير لأبي زهرة، 4112/8.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، 4/1919 ر 4739.

فإذا كان القرآن خير الكلام «فكذلك خير الناس بعد النبيين مَنْ تَعَلَّمَ وَيَعْلَمُ كَلَامَ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>،  
 وقول عبد الرحمن السُّلَمِيِّ: "وَذَاكَ" إشارة إلى أنّ ما في الحديث من فضل لمن تعلّم القرآن أو علّمه  
 هو الذي أفضله لتعليمه للناس<sup>(2)</sup>، وهذا هو الأثر التربويّ لمبدأ استشارة دافعية التعلّم لدى المتعلّم.  
 وعندما رأى ابن باديس أن المسلمين قلّ فيهم الاهتمام بحفظ كتاب ربّهم تعالى نصح باستشارة  
 دافعية تعلّمه لديهم بأن يُبيّن لهم ما فيه من فضل وأجر<sup>(3)</sup>، أمّا زميله الإبراهيمي فيرى أنّ زرع حبّ  
 العلم وأهله من أهمّ أسباب إنقاذ الجيل فيخاطب المعلّمين قائلاً: «وأن تزرعوا في نفوسهم حب  
 العلم والمعلم»<sup>(4)</sup>.

### ثانياً: أسلوب الترهيب

قال رسول الله ﷺ: (لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لُتْبَاهُوا بِهِ الْعِلْمَاءَ، وَلَا لُتْمَاوُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تُحَيِّرُوا بِهِ  
 الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَالْتَّارَ النَّارَ)<sup>(5)</sup>.  
 ينهى الحديث عن طلب العلم لغير وجه الله سبحانه، كأن يُراد به التكبر واختيار صدور  
 المجالس، ويجعل جزاء ذلك دخول النار<sup>(6)</sup>، فالرسول ﷺ يثير دافعية المتعلّمين إلى الإخلاص في  
 طلبهم للعلم بالترهيب من مصير من ساء قصده في طلبه.

### ثالثاً- تنوع طرائق وأساليب التدريس.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا  
 النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا). قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. قَالَ: (فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا). قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ  
 هَذَا». قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،  
 فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا)، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ

<sup>1</sup> المفاتيح في شرح المصايح للمظهري، 63/3.

<sup>2</sup> الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين، للقابسي، ص76.

<sup>3</sup> مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، ص203.

<sup>4</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ص160/1.

<sup>5</sup> سنن ابن ماجه واللفظ له، 170/1 ر254، قال الأرنؤوط: «حسن لغيره»، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي

بن بلبان، ، 278/1 ر77.

<sup>6</sup> سنن ابن ماجه بشرح السندي لأبي الحسن السندي، 168/1.

بَلَّغْتُ). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوْصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ: (فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) (1).

إنَّ الرسول ﷺ كان ينوع طرائق وأساليب تعليمه، وهذا الحديث على قصره فيه تنوعت فيه الطرائق والأساليب، مثل الإلقاء والمناقشة وتفعيل دور المخاطب، والتكرار والتشويق وإثارة الانتباه وغير ذلك، ومن أهمِّ حكم ذلك استثارة دافعية التعلُّم والانجاز عند المتعلِّمين.

#### رابعاً- وضوح الهدف وتحديد بدقة في ذهن المتعلم

قرأ النبي ﷺ سورة الكوثر يوماً ثمَّ قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْكُوْثُرُ؟) فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: (فإنَّه نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ. هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ...) (2). إنَّ الاستفهام في قوله ﷺ (أَتَدْرُونَ مَا الْكُوْثُرُ؟) فيه تحديد هدف الكلام وإثارة انتباه الصحابة رضي الله عنهم وتشويقهم لما يأتي بيانه لما سيأتي تفصيله لاحقاً، أي «لجذب الانتباه حتى يستقر الخبر في نفس المخاطب» (3).

ومعلوم أنَّ اندفاع المتعلِّمين نحو الإنجاز يتوقَّف -بنسبة كبيرة- على مدى وضوح الهدف التدريسي في أذهانهم، في حين أنَّ دوافعهم إلى ذلك قد تضعف إذا باشر المعلم تدريسهم دون «تحديد للأهداف التعليمية التي يريد منهم تحقيقها» (4).

#### خامساً- توظيف الرفق بالمتعلِّم والعلاقات الانسانية

عن جابر بن عبد الله. قال: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِيَابِهِ. لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ. فَدَخَلَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ. فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا، حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ. وَاجِمًا سَاكِتًا. قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ حَارِجَةَ، سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فُقِمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عَنْقَهَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: (هُنَّ حَوَالِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلُنِي النَّفَقَةَ). فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا. فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا. كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ. ثُمَّ اعْتَرَهِنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ. ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ:

<sup>1</sup> صحيح البخاري، 619/2 ر 1652، صحيح مسلم 1305/3 ر 1679.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، 300/1 ر 400.

<sup>3</sup> فتح المنعم شرح صحيح مسلم للاشين، 66/10.

<sup>4</sup> مهارات التدريس الفعال لنايفة قطامي، ص 136

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ. فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبِيكَ)، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ. قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَشِيرُ أَبِيَّ؟ بَلْ أَحْتَارُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخَيِّرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتَ. قَالَ: (لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَحْبَبْتُهَا. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَبًا وَلَا مُتَعْتَبًا. وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيَّسِرًا)<sup>(1)</sup>.

لما خيّر رسول الله ﷺ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بين الدنيا وبين الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة اختارت الثاني، ولحرصها على الانفراد به ﷺ طلبت منه ألا يخبر غيرها باختيارها توقعاً أن يكون من زوجاته ﷺ من تختار الدنيا، لكنّ النبي ﷺ أعلمها أنه لو أنّ واحدة منهنّ سألته عن موقفها ولم يخبرها لكان ذلك نوعاً عنّ وإدخالاً للضرر عليهنّ بسبب إخفاء ما يسألن عنه، والحال أنه لم يُبعث معنّاً، ولكن بُعث معلّماً ميسراً، والتيسير هنا يكمن في أنه إذا أخبرهنّ باختيار عائشة رضي الله عنها اقتدين بها وسهل عليهنّ اختيار الله ورسوله والدار الآخرة<sup>(2)</sup>.

وقد ترفّق رسول الله ﷺ في ردّ ما طلبته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولم يعنفها، رغم أنّ ما طلبته مخالف لما أمر به من العدل بين الزوجات، ورغم الظرف الصعب الذي كان في بيته ﷺ حيث اشتدّ حزنه ﷺ حتى أمسك عن الكلام، وقوله ﷺ: (لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَبًا): «أي مشدداً، قاله لعائشة لما أمر بتخيير نساءه فبدأ بها فاختارته وقالت لا تقل أني اخترتك فذكره وفي إفهامه إشعار بأن من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المعلم المتعلم عن سوء الأخلاق باللفظ والتعريض ما أمكن من غير تصريح وبطريق الرحمة من غير توبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف وتهميج الحرص على الإصرار»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، 1104/2 ر1478، والواجب من اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام، ووجأ عنقها ضربها فيه. فتح المنعم للاشين، 91/6، ومعنى "وَاجِمًا سَاكِنًا" أي: مُطْرِقًا إِطْرَاقَ الْمَغْضَبِ. ومعنى "وَجَأْتُ عَنْقَهَا" أي: ضربته، و«أصل العنت: المشقة. والمعنّت: هو الذي يوقع العنّت بغيره. والمتعنّت: هو الذي يحمل غيره على العمل بها»، المفهم لأبي العباس لقرطبي 255/4

<sup>2</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي 257/4.

<sup>3</sup> فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، 573/2



وكما أنّ للرفق بالمتعلّم أثر كبير في تقويّة دوافع التعلّم لديه، فإنّ معاملته بقسوة تتسبّب في انخفاض دافعيته للعمل في الصفّ، ولجعل عقاب المتعلّمين المخطئين قاعدةً عامّةً تأثيرٌ سيّئ على اندفاعهم للتعلّم، لأنّه يقلّل من استجابة الحافز للاستجابة في المستقبل<sup>(1)</sup>.

### المطلب السادس: مبدأ إيجابيّة المتعلّم وتعلّمه الذاتيّ

يدلّ تتبّع المواقف التعليميّة في القرآن والسنة أنّ من عاداتهما تحقيق إيجابيّة وفاعليّة المتعلّم وتعليمه طرائق التحصيل الذاتيّ، وسنذكر من الأدلّة ما يثبت ذلك.

### الفرع الأوّل: مبدأ إيجابيّة المتعلّم وتعلّمه الذاتيّ في القرآن الكريم

يقصد بهذا المبدأ أن يعمل المعلّمون على تحقيق مشاركة متعلّميهم حيث يتجاوزون الدور السلبيّ المتمثّل في الاقتصار على استقبال المعلومات من جهة، وتعليمهم طرائق التعلّم ليتمكّنوا من اكتساب المعلومات والمهارات والخبرات بأنفسهم من جهة ثانية، وسنذكر هنا ما يدلّ على ذلك في القرآن مثل استثارة دافعيّة التعلّم لدى المتعلّم، والحثّ على ممارسة التفكير ومهاراته، والتشجيع على طرح الأسئلة، وربط التعلّم بالمواقف الحياتية، وغير ذلك.

### أولاً: إثارة الدافعية نحو التعلّم

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18].

إنّ الله ﷻ قد «قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

والمعنى «يرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤثروا العلم بفضل علمهم درجاتٍ، إذا عملوا بما أمروا به.»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> إدارة الصف وتعديل السلوك الصفي، لفاديا أبو خليل، ص81، مهارات التدريس الفعال لمحمود الحيلة، ص304.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 24/2

<sup>3</sup> تفسير الطبري، 480/22.

وبالجملة فإنّ القرآن الكريم رغب في العلم وحذّر من الجهل، و«معلوم أنه لم يكن هناك دين سماوي يبحث على طلب العلم كالدين الإسلامي... ولو تفكّر الانسان في الفضل والأجر الذي جعله الله لطالب العلم، لتحول كل أفراد المجتمع إلى عالم أو متعلم أو مستمع له»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: الحثّ على ممارسة التفكير ومهاراته

إنّ ممارسة المتعلّم للتفكير وتوظيفه لمهاراته علامة على فاعليّته وإيجابيّته، كما أنّه من أعظم أسباب التعلّم الذاتيّ، وسنذكر بعض الأدلّة التي تثبت ذلك:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50]

وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 184].

وقال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]

وقال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]

وقد تقدّم بعض ما جاء في مادة (ف.ك.ر) في القرآن الكريم، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ طريقة القرآن والسنة في تعليم التفكير هي دمج مهاراته في مضامينهما، اتّضح وجه الاستدلال بالآيات على المقصود، إذ «تركز النظريات الحديثة في التعليم على تعليم عمليات التعلم وتعليم مهارات حل المشكلات... وتعليم مهارات التعلم الذاتي. كل هذه الأمور تحتاج إلى تعلم مهارات التفكير»<sup>(2)</sup>، كما أنّ اتجاهات تعليم اللغات الحديثة لم تجرّد مثل تعليم مهارات التفكير كطريقة تمكّن المتعلّمين من تعلّم اللغة ذاتياً<sup>(3)</sup>، فعناية القرآن والسنة بالتفكير وتنميّة مهاراته من أهمّ طرائق التعلّم الذاتيّ، كما أنه مظهر من مظاهر إيجابيّة المتعلّم

### ثالثاً: التشجيع على طرح الأسئلة

<sup>1</sup> المبادئ والقيم في التربية الإسلامية لمحمد خياط، ص 325.

<sup>2</sup> تعليم التفكير لإبراهيم الحارثي، ص 19، سلسلة التفكير وأنماطه (3) لرعد رزوقي وجميلة سهيل، ص 47.

<sup>3</sup> الاستراتيجيات الحديثة في تعليم و تعلّم اللغة لعللي قورة ووجيه ابو لبن، ص 195.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ النحل: [43]﴾

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]

ومعنى الآية الكريمة «اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرا أو ملائكة؟»<sup>(1)</sup>.

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94]

أي إذا كنت أيها النبي في شك مما قلناه في تلك الشواهد من قصص هود ونوح وموسى وغيرهم عليهم السلام فرضاً وتقديراً «فاسأل الذين يقرءون كتب الأنبياء كاليهود والنصارى فإنهم يعلمون أن ما أنزلناه إليك حق لا يستطيعون إنكاره. وقد جرت عادة العرب أن يقدرُوا الشك في الشيء ليينوا عليه ما ينفى احتمال وقوعه...»<sup>(2)</sup>.

والمقصود أنّ القرآن الكريم يرشد الناس إلى توظيف أداة السؤال لتحصيل المعارف، وهذا من أهم ما يُسهم في تحقيق الإيجابية والتعلم الذاتي.

#### رابعاً: ربط التعلم بالمواقف الحياتية

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30].

وقال عزّ وجلّ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: 50].

إنّنا «نجد في القرآن الكريم تطبيقاً لمبدأ المشاركة الفعالة، يتضح ذلك من الأسلوب الذي اتبعه القرآن في تعليم المسلمين الخصال النفسية الحميدة، والأخلاق والعادات السلوكية الفاضلة عن طريق تدريبهم العملي عليها بما كلفهم القيام به من عبادات مختلفة... وقد عني القرآن عناية فائقة، إلى جانب تعليم المسلمين الإيمان والعقائد الدينية، بتوجيههم إلى العمل الصالح، فالإيمان الصادق يجب

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير، 334/5.

<sup>2</sup> تفسير المراغي، 154/11.

أن يعبر عنه في سلوك المؤمن وعمله...»<sup>(1)</sup>، فإيجابية وفعالية المتعلم هنا تتحقق من خلال توظيف ما يتعلمه في مواقفه الحياتية المختلفة.

وقد قال ابن باديس إنَّ العمل الصالح (من ثمرات الإيمان الدال وجودها على وجوده، وكماها على كماله، ونقصها على نقصه، وعدمها على اضطرابه ووشك انحلاله واضمحلاله)<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: مبدأ إيجابية المتعلم وتعلمه الذاتي في السنة النبوية

سنذكر هنا ما يُظهر اعتداد السنة النبوية بهذا المبدأ.

#### أولاً: اثاره الدافعية نحو التعلم

عن كثير بن قيس، قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تُحدِّثه، عن رسول الله ﷺ، ما جئتُ لحاجة. قال: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضاً لِطالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العالِمَ لِيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ والحِيتَانُ فِي جوفِ المَاءِ، وَإِنْ فَضَلَ العالِمُ على العابِدِ كَفَضَلَ القَمَرِ لَيْلَةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وَإِنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وَإِنْ الأنبياءُ لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العِلْمَ، فمن أخذَه أخذَ بحِظٍّ وافٍ)<sup>(3)</sup>.

قال ابن حجر: «قوله (طريقاً) نكرها ونكر (علماً) ليتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل والكثير. قوله (سهل الله له طريقاً) أي في الآخرة، أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة. وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة»<sup>(4)</sup>، فكل ما في الحديث من فضل العلم وثواب طالبه هو استثارة لدافعية التعلم لدى الأفراد للإقبال عليه، والحديث يتناول جميع طرائق التحصيل بما فيها طريقة التعلم الذاتي.

<sup>1</sup> القرآن وعلم النفس لمحمد نجاتي، ص 185.

<sup>2</sup> تفسير ابن باديس، ص 224.

<sup>3</sup> سنن أبي داود 485/5 ر 3641، قال الأرنؤوط: «حسن بشواهده»، سنن الترمذي 48/5 ر 2682، سنن ابن ماجه 150/1، ر 223.

<sup>4</sup> فتح الباري لابن حجر 160/1.

و«تحدّث أبي الدرداء بما حدثه يحتمل أن يكون مطلوب الرجل بعينه أو يكون بيانا أن سعيه مشكور عند الله، ولم يذكر هنا ما هو مطلوبه، والأول أغرب، والثاني أقرب»<sup>(1)</sup>، ونحن نرجح الثاني لأنّه ظاهر الحديث، ولأنّ أبا الدرداء رضي الله عنه اكتسب مهارات التعليم من ملازمته للنبي ﷺ، ومن ذلك استغلال المناسبات في التعليم، فيكون تحدّثه استشارة لدوافع طلب العلم لدى المتعلّمين.

ج- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْحَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ...) (2).

«والمعنى ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء وورثتهم على سبيل التعلم»<sup>(3)</sup>.

إنّ الحديث يعني «أنّ التعلّم لا يتمّ إلا ببذل الجهد والمشاركة الإيجابية الفعالة في عمليّة التعلم، كما أنّ الإنسان لا يتعلّم الحلم إلا بالممارسة الفعلية للحلم في كثير من المواقف الواقعية في الحياة حتى يصبح الحلم سجيّة مستقرة يصدر عن الإنسان دون تكلف وعناء»<sup>(4)</sup>.

والحديث نصّ في إيجابيّة المتعلّم في الإسلام، فالعلم ليس سوى نتيجة للتعلّم، تماماً كما أنّ الحلم ليس سوى أثراً للتحلّم، أي تنشيط النفس وترغيبها فيه<sup>(5)</sup>، وقد اعتبرت منظمة اليونيسكو أنّ التعلّم الحقيقيّ ليس سوى «ذلك الكنز المكنون لخطة رسول الإسلام في ثلاث كلمات "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ"»<sup>(6)</sup>.

ولقد وظّف الشيخ ابن باديس رحمه الله تعالى محبة وتقدير وتوقير المسلمين لرسولهم ﷺ في إثارة دافعية التعلّم لديهم فقال «لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالماً إلا من كان متعلماً، كما لن يصلح معلماً إلا من قد كان متعلماً. ومحمد ﷺ الذي بعثه الله معلماً كان أيضاً

<sup>1</sup> مرقاة المفاتيح للقاري 427/1 .

<sup>2</sup> المعجم الأوسط للطبراني 118/3 ر 2663، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته 461/1 ر 2329، وينظر عمدة القاري للبدر العيني، 42/2.

<sup>3</sup> فتح الباري لابن حجر، 161/1.

<sup>4</sup> الحديث النبوي وعلم النفس لمحمد ناجي، ص 189.

<sup>5</sup> فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، 569/2.

<sup>6</sup> البنائية الإسلامية في التربية والتنمية لأحمد المهدي عبد الحليم، ص 19، موقع مركز الدراسات المعرفية

بتاريخ 16/10/2018 [http://www.epistemeg.com/pix/pdf\\_92.pdf](http://www.epistemeg.com/pix/pdf_92.pdf)

متعلماً: علمه الله بلسان جبريل، فكان متعلماً عن جبريل عن رب العالمين، ثم كان معلماً للناس أجمعين»<sup>(1)</sup>.

وعموم النصوص السابقة يتناول مطلق اكتساب العلم بلا تفريق بين ما تمّ بواسطة التعليم أو بالتعلّم الذاتي، ومعلوم أنّ «فكرة التعلّم الذاتي للفرد إنما هي مأخوذة مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية»<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: التشجيع على طرح الأسئلة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (سألوني)، فهاؤه أنّ يسألوهُ. فجاء رجل، فجلس عند ركبتيه. فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «لا تُشرك بالله شيئاً. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان»، قال: صدقت. قال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كُله)، قال: صدقت، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: (أن تحشى الله كأنك تراه. فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك)، قال: صدقت. قال: يا رسول الله، متى تقوم الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت المرأة تلد ربها، فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض، فذاك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهائم يتطاؤون في البنيان، فذاك من أشراطها في خمسٍ من الغيب لا يعلمهنّ إلا الله)، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ ﴾ [لقمان: 34] قال: ثم قام الرجل. فقال رسول الله ﷺ: (رُدُّوهُ عَلَيَّ)، فالتمس، فلم يجده. فقال رسول الله ﷺ: (هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا)<sup>(3)</sup>.

غضب النبي ﷺ لما أكثروا عليه من السؤال، واستشعروا أنّ بعضهم يسأل تعنتاً وتجهيلاً، «وفي ذلك الوقت أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ شَيْءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: 101]؛ فانكف الناس عن سؤال النبي ﷺ، ولذلك قال: " هُيْنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنَ شَيْءٍ"، فلما امتنعوا عن ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، وتعظيماً لحرمة رسول الله ﷺ، علم الله

<sup>1</sup> تفسير ابن باديس، ص 343.

<sup>2</sup> المبادئ والقيم في التربية الإسلامية لمحمد خياط، ص 325.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، 4/1793 ر 4499، وصحيح مسلم، 40/1 ر 10.

ذلك منهم، فأرسل السائل البصير، فأجابه العالم الخبير، فجعل العلم للسامعين الممثلين من غير سؤال، كما قد كفى الله المؤمنين القتال، وقد نبه على ذلك النبي ﷺ بقوله: (هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا) (1).

وظاهر كلام أبي العباس القرطبي (2) يوحى أن امتناع الصحابة عن سؤال الرسول ﷺ محمود، وأن مجيء جبريل عليه السلام هو نوع جزاء عن انكفافهم عن ذلك، وأن الله شكر لهم فعلهم فعلمهم دون سؤال كما نصرهم دون قتال، ونرى أن هذا بعيد جداً، وأبعد منه الاستدلال عليه بقوله ﷺ (هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا)، ذلك أن هيبة الصحابة أن يسألوا رسول الله ﷺ هي نتيجة لظروف نزول آية المائدة، وقول الرسول ﷺ: (سَلُونِي) هو إعلام بزوال غضبه من أسئلة التعنت والتجهيل، ومن ثم فهو إعلام بالرجوع إلى أصل مشروعية وفضل السؤال لطلب العلم، ولما لم يسأل الصحابة رضي الله عنهم، جاء جبريل عليه السلام فعلمهم أصول الدين وعلمهم طريقة التعلم بطرح السؤال ومهاراته، فقله ﷺ: (أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا) يبين أن سبب مجيء جبريل عليه السلام هو التحضيض على طرح السؤال وتعليمهم مهارته التي تؤدي إلى إحداث التعلم.

هذا، وقد فرّق العلماء بين السؤال المنهبي عنه في آية المائدة وبين السؤال المحمود والمطلوب شرعاً، قال النووي: «قوله ﷺ (سَلُونِي) هذا ليس بمخالف للنهي عن سؤاله فإن هذا المأمور به هو فيما يحتاج إليه وهو موافق لقول الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ (3).

وطريقة جبريل في التعليم المتمثلة في طرح السؤال ومهاراته من أهم مظاهر مشاركة المتعلم وإيجابيته، كما أنه نموذج لطرق التعلم الذاتي.

### ثالثاً: ربط التعلم بالمواقف الحياتية

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْتَبُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ:

<sup>1</sup> المفهم لأبي العباس لقرطبي، 153/1.

<sup>2</sup> أحمد بن عمر، أبو العباس الأنصاري الأندلسي ثم القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث. ولد سنة 578هـ بقرطبة، جمع كان عالماً بالحديث والفقه والعربية، سمع الحديث من عبد الرحمن الأزدي وأبي عبد الله التجيبي وعبد الله بن سليمان بن حوط الله وغيرهم، من تلاميذه عبد المؤمن الدميطي و أبو الحسن القرشي، من كتبه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، توفي سنة 656هـ بالإسكندرية، ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون، 241/1-242، والأعلام لخير الدين الزركلي، 186/1.

<sup>3</sup> شرح النووي على مسلم، 165/1.

(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي). يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ<sup>(1)</sup>.

ومعنى (يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ) أي يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:3]. وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما أمر به في الآية وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل<sup>(2)</sup>، فالرسول ﷺ يعلم المسلمين أن يستغلوا توظيف ما تعلموه إلى أقصى مدى، إذ أن ﷺ اختار أن يفعل ما أمر به في سجوده وركوعه حيث يكون العبد أقرب من ربه.

وجاء في [المادة:80] من القانون الداخلي لجمعية العلماء المسلمين ما يأتي: «تحارب الجمعية داء الأمية بكل ما تملك من قوة، ومن وسائل هذه الغاية أن تعنى بتعليم ما تستطيع من اليتامى الذين عدموا الكافل، ولا تقتصر على تعليمهم الصناعة بل تتجاوز بهم إلى التعليم الصناعي ليدخلوا الحياة مسلحين بألة من آلات الكسب».

وإن طغيان المنهج الموسوعي على التعليم في بلداننا صار غير مناسبٍ بسبب تطوّر العلوم وسرعة تفرّعها وزيادة تخصصاتها، والحلّ الذي لم يبق غيره هو العمل بالمنهج الوظيفي التكنولوجي الذي يركز على أساس من الخبرات النوعية والتخصصات الضرورية والمناهج التجريبية العملية، وفيه يتكامل النظري مع التطبيقي، وهذا المنهج هو الذي ييسر للمتعلمين تحقيق إيجابيتهم وفعاليتهم، لقد «تحول الجهد في العملية التربوية من المعلم إلى جهد المتعلمين، ومن التلقين إلى المحاولة لتحقيق الذكاء بالموضوع، وصارت العملية التربوية تنصب على الموضوع لاكتشاف ما ظهر وما خفي من علاقات وأبعاد عن طريق التحديد والتحليل والمقارنة والتجريب والاستنتاج والحكم والاستدلال والبرهنة، وأصبحت المخابر العلمية جزءاً من الأقسام المدرسية، وصارت حياة المدرسة جزءاً من الحياة العامة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية»<sup>(3)</sup>، وهذا عين المقصود بعمل مدرسة النبوة على تحقيق إيجابية المتعلمين بربط تعلمهم بمواقفهم الحياتية، ورضي الله عن ابن مسعود فقد لخص منهجها في قوله: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ).

<sup>1</sup> صحيح البخاري 1/281، 784، صحيح مسلم 1/350، 484.

<sup>2</sup> شرح النووي على مسلم، 4/201.

<sup>3</sup> مشكلات التربية في البلاد الإسلامية لعباسي مدني، ص 90.



وبالجملة فقد أظهر البحث في هذا الفصل قيام العملية التقييمية في القرآن والسنة على مبادئ محدّدة تتمثّل في اعتماد المعلّم والمتعلّم للتقويم الذاتي، ومبدأ شمول التقويم الذي يظهر في تناول العملية التقييمية لجميع مجالات ومستويات الأهداف التعليمية، وفي استمرارها واستيعاب الفرد والجماعة، علانية وسراً، وفعاليته المرتبطة بتوافر مقومات معيّنة مثل المعيارية والحيادية والإيجابية العلمية وتنويع الأساليب وأخيراً مبدأ التغذية الراجعة.

كم أظهر البحث أهمية المعلّم في العملية التربوية في القرآن والسنة، وأنّ من مبادئه الرفق بالمتعلّمين ورجاء وتوقّع نجاحه الدراسي، ومراعاته لما بين المتعلّمين من فروق، والعمل على تحقيق إيجابيتهم وتعليمهم طرائق التعلّم الذاتي.

## الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة ينبغي الإشارة إلى ما توصلت إليه من استنتاجات كئيّة وجزئيّة، والتذكير بما يُبنى على ذلك من توصيات واقتراحات.

### أولاً: الاستنتاجات الكئيّة:

أ: كشفت الدراسة عن مفهوم التدريس في القرآن والسنة، حيث توصلت إلى إبراز أهم خصائصه، فهو لا يأتي فيهما إلاّ مقروناً بالغاية التي جاءت الشريعة لتحقيقها، أي القيام بحقّ العبوديّة لله تعالى وإعمار الأرض، ثمّ إنّ له مرجعيّته العليا متمثّلة في الكتاب والسنة مثل باقي المجالات والأنظمة الشرعيّة، والمعلّم فيه لا يُستغنى عنه والمتعلّم فيه إيجابيّ ومشارك وفاعل، ويحظى فيه تعاون المتعلّمين على تذليل صعوبات التحصيل بمكانة كبيرة، ويجعل من تفعيل العلاقات الإنسانية وسيلة لتجاوز عقبة تعقّد العمليّة التربويّة.

ب: كشف البحث عن مفهوم مبادئ التدريس في القرآن الكريم والسنة النبويّة، وهي مشروعة لتنظيم العمليّة التربويّة وتوجيه أداءات المعلّم وتيسير اتّخاذه للقرار الصّفيّ الملائم، ومساعدته على دفع المتعلّمين لتحقيق إيجابيّتهم وإشراكهم في سعيهم نحو تجسيد الأهداف المنشودة، وإنّ أهمّ ما يميّز هذه المبادئ أنّها مستنبطة ممّا أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، ومنه فإنّه يجب الالتزام بها بوصف كونها أحكاماً شرعيّة قطعيّة الثبوت والدلالة

ج: في مجال الأهداف التربويّة، أبرزت الدراسة مجموعة المبادئ التي تقوم عليها أهداف التدريس في القرآن والسنة، فتحقيق التدريس لأهداف التربيّة والشمول والتوازن والمرونة وتعليم التفكير وواقعية ووضوح الأهداف التدريسيّة مبادئ تعمل على توجيه العمليّة التعليميّة التعلّميّة نحو الغاية التي شرع الإسلام لأجلها النظام التربويّ والتعليميّ، كما أنّها تبرز ملامح الجيل المنشود.

د: في مجال المحتويات التعليميّة، كشف البحث عمّا ترتكز عليه من مبادئ تيسّر الجهود وتوجّهها لتجسيد الأهداف التربويّة المنشودة في شمول وتوازن تامّين، ومرونة تيسّر تطويره مع المتغيّرات المتلاحقة وتكيفه مع الطوارئ، وتنميّة لتفكير المتعلّم، ونقل المقرّرات إليه مترابطة مع الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم، سعياً لإخراج الفرد القادر على القيام بالمسؤوليّة التي أنيط بها.

هـ: في مجال الأداءات التدريسيّة أظهرت الدراسة التناسق الكامل بين أهداف ومحتويات التدريس في القرآن والسنة وبين ما شرعاه من طريقة وأسلوب ووسيلة، ففي مجال الطرائق أبرزت

الدراسة قيامها على جملة قواعد تتمثل في مبدأ قيامها على إثارة تفكير المتعلم ومبدأ التنوع وعدم الاقتصار على الطريقة الواحدة بالنظر الى تنوع الأهداف وما يجسدها من محتويات، ومبدأ تعزيز التعلم وتثبيته بالجمع بين النقل النظري والممارسة العملية التطبيقية، ومبدأ مراعاة القواعد الأساسية التي تقوم عليها طرائق التدريس، حيث يتم الانتقال من المعلوم إلى المجهول ومن البسيط السهل إلى المركب الصعب ومن المحسوس إلى المجرد.

وفي مجال الأساليب فقد أثبتت الدراسة ارتكاز العملية التربوية في القرآن والسنة على مبادئ القدوة والتكرار والثواب والعقاب وتوظيف ما يحقق فاعلية تلك الأساليب من مقومات مثل تفاعل المعلم مع المواقف التدريسية والعمل على إشراك المتعلم وقيام الأسلوب على وضوح العرض واعتماد التغذية الراجعة، حيث تظهر معالم شخصية المعلم الفعال ودورها في تحقيق الأهداف المنشودة.

أما في مجال الوسائل التعليمية فقد أظهر البحث قيامها على مبدأ ترسيخها وتيسيرها للتحصيل العلمي، وذلك لما فيها من إشراك أكبر قدر من حواس المتعلمين، ومبدأ إثارتها لتفكير المتعلمين، ومبدأ اعتماد العربية لغة في تدريس العلوم حيث اختارها الله لبيان محتويات كتابه الكريم.

و: في مجال التقويم التربوي، قد أبرز البحث قيامه على مبدأ اعتماد المعلم والمتعلم للتقويم الذاتي لتحديد الإيجابيات وتعزيزها، وتشخيص السلبيات وتلافي آثارها، ومبدأ شمول ذلك التقويم حيث تظهر أبعاده في تناول العملية التقييمية لجميع مجالات ومستويات الأهداف التعليمية، وفي استمرارها باستمرار عملية التعلم، واستيعابه للفرد والجماعة، علانية وسراً، ومبدأ ارتباط فعالية التقويم التربوي بتوافر مقومات معينة مثل المعيارية والحيادية والإيجابية العلمية وتنوع الأساليب، ومبدأ التغذية الراجعة حيث يزود المعلم المتعلم بمعلومات عن سير أدائه باستمرار.

ز: أما في المبحث المتعلق بالمعلم فقد كشفت الدراسة عن الأصول التي شرعها القرآن والسنة لجعل التدريس فعالاً ومنتجاً، فمبادئ الرفق بالمتعلم ورجاء المعلم لنجاح المتعلمين الدراسي ومراعاته لما بينهم من فروق والعمل على تحقيق إيجابيتهم وتعليمهم طرائق التعلم الذاتي، هذه المبادئ هي أفضل ما يقوم ويرتكز عليه السعي إلى تحقيق أهداف في مستوى أهداف التربية الإسلامية.

### ثانياً: الاستنتاجات الجزئية:

أ: تقاطع مجالات الأهداف والمحتويات والأداءات التدريسية في مبدأ تعليم التفكير وتنمية مهاراته، وهي نتيجة طبيعية بالنظر إلى مكانة التفكير في القرآن والسنة وأنه فريضة إسلامية.

ب: وسطية التدريس في مدرسة النبوة في قضية محورية العملية التربوية، فالمعلم والمتعلم كلاهما فاعل وإيجابي، إذ لا يتصور في القرآن والسنة الاستغناء عن المعلم، كما لا يمكن رؤية المتعلم إلا مشاركاً وفعالاً، خلافاً للفريقين اللذين يحاولان الانتصار إلى محورية أحد الطرفين.

ج: تكامل هذه المبادئ وخدمة بعضها لبعض، فالمبدأ التدريسي في مدرسة النبوة لا يرد إلا متداخلاً مترابطاً بغيره مما يؤكد على أنّ التدريس فيها - كما وُصف - من جملة الصنائع.

د: أنّ هذه المبادئ قد جُربت غير مرّة وثبت أنّها منتجة وفاعلة، كما يظهر جلياً في القرون الثلاثة الأولى.

هـ: ما أظهره البحث من السبق التربوي في أصول التدريس فضلاً عن فروعه وجزئياته.

و: ورود مبادئ العملية التدريسية في القرآن والسنة مقرونة بآثارها التربوية، على عاداتهما في إيراد الأحكام الشرعية معللة ترغيباً في تقبلها والعمل بها.

### ثالثاً: توصيات البحث

أ: نوصي فئة المعلمين بإقامة أداءهم التدريسية على أساس مبادئ التدريس المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب: نوصي فئة مفتشي التربية باعتماد مبادئ التدريس المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية في توجيهاتهم للمعلمين.

ج: نوصي فئة لجان صياغة المناهج التربوية باعتماد مبادئ التدريس المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية في صياغتهم للمقررات الدراسية.

د: نوصي فئة فلاسفة ومفكري التربية بدراسة مبادئ التدريس المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة موضوعية.

### رابعاً: مقترحات البحث

أ: نقترح مواصلة البحث عن مبادئ تدريسية أخرى في الكتاب والسنة.

ب: نقترح أفراد الآثار التربوية للمبادئ التدريسية في القرآن والسنة بالدراسة، وذلك لما لها من تأثير في ترغيب المعنيين بالالتزام بها.

ج: نقترح دراسة مدى التزام التدريس في تاريخ التربية الإسلامية بهذه المبادئ ونتائج ذلك.

د: نقتح القيام بدراسات مقارنة للمبادئ التدريسية في مدرسة النبوة والتربية المعاصرة.

## الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المصطلحات

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الصفحة	الرقم	الآية	السورة
283	21	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾	البقرة
220، 67	25	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	
256، 55	44	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾	
264	51	﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾	
98	78-75	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾	
142	104	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾	
240، 86	129	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾	
86، 5	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾	
147، 113	173-172	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	
137	177	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ﴾	
72	186	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	
257، 137	189	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾	
146	222	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	
235، 190	260	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾	
66	268	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	
295	269	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾	
179	15-14	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾	آل عمران
112	18	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	
120، 27	79	﴿مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾	
209، 5	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾	
262	133	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	
222	153	﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾	

289 ، 70	159	﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾	
86 ، 5	164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	
262	28-26	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾	النساء
222	34	﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾	
157 ، 71	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾	
125	138	﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	
220 ، 172	147-145	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	
129، 125	148	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾	
126	165	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	
52	174	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	
258	6	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾	المائدة
262	8	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾	
235	31 ، 30	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾	
310	101	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ﴾	
72	32	﴿مِمَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	
87	38	﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾	الأنعام
215 ، 183	46	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾	
227	52	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾	
158	65	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾	
208	90	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	
226	98 ، 97	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾	
30 ، 27	105	﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾	
225	150	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾	



125	151	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾	
236، 158	153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾	
158	155	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾	
27	156	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ﴾	
144	31	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	الأعراف
197	57	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾	
300، 183	58	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾	
258	128	﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾	
190	177، 122	﴿قَالَ الْفُؤَاءُ فَلَمَّا الْفُؤَاءُ سَحَرُوا أَعْيُنَ﴾	
284	164	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾	
285	165	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾	
27	169	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾	
112	176-175	﴿وَأَنلِ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾	
171، 112	176	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾	
299، 158	179	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾	
306، 225	184	﴿أَوْ لِمَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ﴾	
71	67	﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾	الأنفال
216	8، 7	﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾	التوبة
38	13	﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾	
135	38	﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	
271، 259	43	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾	
157	127	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾	
290، 68	128	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾	
38	34	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	يونس
112	55	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	
307	94	﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾	

261	85	﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾	هود
208، 171، 300	120	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾	
241، 52	3-1	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	يوسف
295	76	﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾	
237، 171، 300	111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	
92	11	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	الرعد
128، 125	35	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ﴾	
126	1	﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾	إبراهيم
124	19	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾	
134	26-24	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾	
171، 134	25	﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	
307	43	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾	النحل
87	89	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾	
220	97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	
241، 196	103	﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنََّّهُمْ يُقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾	
221، 185	116-106	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾	
184، 61	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾	
294	21-20	﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَءًا وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾	الاسراء
263	36	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	
215، 183	41	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾	
307	304	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	الكهف
243	97	﴿فَأَمَّا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾	
255	31-25	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	طه

225	86	﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾	
283	44-41	﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	
،283 ،70 291	44-43	﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾	
154	114	﴿فَتَعَالَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾	
307 ،226	7	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾	الأنبياء
197	91-89	﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾	
216	92	﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	
38	104	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾	
622	16	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾	الحج
730	50	﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾	
715	68	﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾	المؤمنون
224	195-192	﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الشعراء
291	215	﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	
222	90 ،89	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّنْهَا﴾	النمل
38	20	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	العنكبوت
156	49	﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾	
630 ،225	21	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	الروم
86	22	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	
198	28	﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	
117	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	
208	21	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	الأحزاب
72	16	﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾	السجدة
89	11	﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ﴾	سبأ

223	19-15	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾	
27	44	﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾	
306	46	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾	
119، 51	32	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	فاطر
88	19	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	
100	24-20	﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾	يس
196	138-133	﴿وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	الصافات
156، 71	29	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾	ص
299	9	﴿أَمْرٌ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾	
89	53	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	الزمر
244	28، 27	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	
244	3	﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا﴾	فصلت
242	3-1	﴿حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	الزخرف
135	28	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	
294، 263	32	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾	
112	39-38	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	الدخان
243	58	﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْئَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	
215، 183	27	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾	الأحقاف
208	35	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾	
88	19	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	محمد
157	24	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	
270، 5	18	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الفتح
135	26	﴿وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾	
126	9	﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ﴾	الحديد

255	19-18	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	الحشر
238، 171	21	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾	
214	55	﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الذاريات
126، 111	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	
214	29	﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾	الطور
216	37	﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾	القمر
216	39	﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾	
305	11	﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾	المجادلة
258	10	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾	المتحنة
256	3-2	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	الصف
301	11-10	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَحَارَةٍ﴾	
126	2	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾	الملك
189	4، 3	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾	
30، 27	37	﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾	القلم
217	3-1	﴿الْحَاقَّةُ﴾	الحاقة
258	5	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	نوح
131	4	﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾	المزمل
92	2	﴿وَلَا أُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	القيامة
154	19-16	﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾	
70	18-19	﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾	النازعات
178	41 - 40	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	
71	10-1	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾	عبس
86	2	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾	الجمعة
125	9	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾	
214	21	﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾	الغاشية
234	5-3	﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	القلم
217	3-1	﴿الْقَارِعَةُ﴾	القارعة

## فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
114	أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدُّهُ؟
141	أَتَدْرُونَ مَا قَالَ؟
141	أَتَدْرُونَ مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي؟
303	أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثُرُ؟
140	أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟
191	أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الطُّهُورُ؟
267، 229، 102	أَتَى شَابٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِدْنِي بِالزِّيِّ
194، 210	أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ
219	أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ
288، 62	إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ
145	إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبِيهِ
95	إِذَا قُلْتُمْ لِصَاحِبِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ
298، 211	أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ
261	أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مَرَّةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ
228، 226	أَصَابَ رَجُلًا جُرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
224، 68	أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْفُهُ
266	أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا
186	أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ
94	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ
293	أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ
287	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا، عَلَيْهِ إِكَّافٌ
70	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا
146	إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى يُنَاجِي رَبَّهُ
263	إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

201، 104	إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَفْضِيهِ عَنْهَا؟
201، 104	إِنَّ أُمَّي نَدَرْتُ أَنْ تَحْجَّ
260	أُنزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ
187	إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَتَمَّ وَضُوءَهُ
245	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِي لِحَانًا
296، 68	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ
236	إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ
69	إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ
221	إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ
68، 55	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِيَوْلَدِهِ
199	إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ
127	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُمَمٍ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ
210	إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي
309	إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَّحَلُّمِ
202	إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ النَّاسِ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا
239	إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ مَا بَعَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمِثْلِ رَجُلٍ
106، 54	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا
265	إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ
293، 121	إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ
90	إِنِّي أَرَى صَاحِبِكُمْ يُعَلِّمُكُمْ
265	أَهْلَكْتُكُمْ، أَوْ: فَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ
261، 147	أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا
219	بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرْقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ
293، 70	بال أعرابي في المسجد
175	بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَحَدَهُمُ الْمَطْرُ
96	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
128	بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ
29	بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ

218	تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ سَافَرْتَاهُ
236	تُدْنَى الشَّمْسُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْخَلْقِ
271	اِثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ
303	دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
230	دَعَا فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ
266	رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ. فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ
114	رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ
191، 66	ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ
51، 161، 266، 301	حَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ
89	ارْثَمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ آبَاءَكُمْ كَانُوا رَامِيًا
219	سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (الصَّلَاةُ...)
220	سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَمُوتَ...)
211	سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ
269	اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ
310	سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ
274	صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ رَكْعَتَيْنِ
89	صُمٌّ وَأَفْطِرٌ، وَفُمْ وَتَمٌّ
104	صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيمًا
188	ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
227	فَتَمَعَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ
56، 226، 228	فَتَلَّوهُ فَتَلَّهُمُ اللَّهُ
94	فَحَطَّ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّتِ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ، فَادَّعَى اللَّهُ أَنْ يَسْتَقِينَا
95	قَدْ تُؤَيِّبِي الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ
199	قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ
218	كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ
90	كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ
239	كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ



268	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ
311	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْتَبُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ
115	كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قِصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْعَرَاءُ
115	كَانَ يَهُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ
268	كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ
236	كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَحَطَّ حَطًّا، وَحَطَّ حَطِّينِ عَنِ يَمِينِهِ
227	كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ
120، 118	كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ
200	كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
29	فَوَضَعَ مَدْرَاسَهَا الَّذِي يُدْرَسُهَا
194	لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ
130	لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي
302	لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِنُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ
270	لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ
72	لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
228، 226	لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَإِلَّيَّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا
93	لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغَيْلَةِ
273	لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ خُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ خُلَّةٌ
202	لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ
269	لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، طَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ
260	لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ
141	الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرَاجَةِ
259	مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟
179، 158	مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ
71، 29، 26	مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ
287	مرض سعد بن عبادة رضي الله عنه فخرج الرسول ﷺ يعبده
224، 222، 52	مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ
294	مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

264، 72	المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
224	مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ
114	مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ
114	مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِجَارِي بِهِ الْعُلَمَاءِ أَوْ لِجَارِي بِهِ السُّفَهَاءِ
308	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا
270	نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة
158، 54	نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا
69	هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ
286	هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُخْدٍ؟
229	وَعَظَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً
256	وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً
272	يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ
256، 221	يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُلْقَى فِي النَّارِ. فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ
302	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا
256	يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ. فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ، إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ
127	يَا عَمَّ، أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ
260	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ
267، 71	يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ
28	يُدْرَسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرَسُ وَشْيُ التَّوْبِ
222	يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
الإبراهيمي	62
أبو العباس الونشريسي	59
ابن باديس	61
ابن جماعة	57
ابن حجر	177
ابن خلدون	58
ابن دقيق العيد	192
ابن سحنون	51
ابن عبد البر	53
ابن عجيبة	173
ابن عطية	216
ابن فارس	23
ابن منظور	23
التوربشتي	193
التعالبي	173
ثورنديك	192
الزخشري	28
الطبري	125
سوزان وايز بوير	150
الغزالي	54
القابسي	52
القرطبي (أبو عبد الله)	28
القرطبي (أبو العباس)	311
المازري	192
المناوي	245
النووي	181

## فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
الأمثلة الإيجابية	137
الأمثلة السلبية	137
التصعيد الانفعالي	217
التعقيب	213
التعلم بالمحاولة والخطأ	192
التعلم التعاوني	30
التعلم المستند إلى المشكلات	102
التفكير المنطقي	105
التقويم التحفيزي	259
جمعية علم النفس الأمريكية (APA)	44
استراتيجية المماثلة (المتشابهات)	135
دوافع السلوك	145
الاستفهام الإنكاري	174
الطلاق	100
الفضولي	177
المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي	111
المرونة	100
المقابلة	177
منهج المواد المنفصلة	81

## فهرس المراجع

### القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. الإبانة في اللغة العربية لسلمة الصحاري، تح: عبد الكريم خليفة وآخرين، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ط1، 1420هـ-1999م.
2. أبجديات البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي، ضوابط-مناهج-تقنيات-آفاق، لفريد الأنصاري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1417هـ-1997م.
3. إبراهيم شوقار، مقومات الفكر التربوي الإسلامي في ظل المتغيرات (نظرة تحليلية في عوامل بناء الذات)، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر مجلد 12 عدد 46-47، 2007

4. الاتجاهات العالمية في مناهج العلوم وتدريسها لعائش زيتون، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
5. إتخاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام بن سودة، تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1417هـ-1997م.
6. الإنتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تح: مصطفى مصطفى و شعيب الأرنؤوط، ط1، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ-2008م.
7. آثار ابن باديس لعمار طالبي، الجزائر، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، ط3، 1417هـ-1997م
8. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع أحمد طالب الإبراهيمي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997.
9. أثر اختلاف لغة التدريس على تطور الوظائف التنفيذية المعرفية والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ التعليم الأساسي لنيفين حافظ، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، جامعة حلوان، كلية التربية، قسم علم النفس التربوي، 2017.
10. أثر اختلاف نمط التغذية الراجعة في الألعاب التعليمية الإلكترونية على تنمية التفكير الإبداعي لدى أطفال الروضة بالجمهورية اليمنية لهلال أحمد علي، المجلة العربية للتربية العلمية والتقنية، العدد8، 2019.
11. أثر استخدام الامثلة الايجابية والسلبية في اكتساب المفاهيم العلمية في مادة العلوم، لأحمد سعد وأنور عبد الرحمن، مجلة جامعة كربلاء، م6، ع4، 2008.
12. أثر استراتيجية المماثلة في تدريس العلوم في اكتساب المفاهيم العلمية لكوثر الحراشنة، مجلة جامعة دمشق، مج28-ع2-2012
13. أثر طريقة المناقشة الجماعية في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة التربية الإسلامية لانتصار زين العابدين شهباز، مجلة الأستاذ العدد 303 السنة 2013.
14. الاجتهاد القضائي: مفهومه - حالاته - نطاقه دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي معززة بالتطبيقات القضائية لعباس الداقوقي، عمان، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط1، 2015.
15. الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن خطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ-2003م.
16. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان تح: شعيب الأرنؤوط، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، السنة: 1408هـ - 1988م
17. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، تح: شاكر، أحمد محمد، لبنان، عالم الكتب، ط2، 1407هـ-1987م

18. أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص، تح: محمد قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (دط)، 1412هـ-1992م.
19. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426 هـ -2005م.
20. أخصائي مصادر التعلم أو الأمين وقيادة التغيير التعليمي لحسني الشيمي، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2016.
21. آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، تح: عبد الوهاب، حسني، تونس، الشركة الوطنية لفنون الرسم، ط/2، 1392 هـ - 1972م.
22. إدارة الصف وتعديل السلوك الصفي، لفاديا أبو خليل، بيروت، دار النهضة العربية، 2011م.
23. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني، تح: الخالدي، محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط4، 1438هـ-2017م.
24. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لمحمد أبي السعود، ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، (د.ط.س).
25. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد الشوكاني، تح: سامي الأثري، السعودية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، السنة: 1421 هـ - 2000م.
26. أساس البلاغة لمحمود الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط/1، 1419 هـ - 1998م.
27. أساسيات التدريس لخليل شبر وآخرين، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، (د ط)، 1426 هـ - 2006م.
28. أساليب التربية، التأديب بالعقوبة لمحمد حاج عيسى. موقع طريق الاصلاح . <https://islahway.com>
29. أساليب التعلم الحركي لناهدة الدليمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2012.
30. أساليب تدريس التربية الإسلامية الشائعة التي يستخدمها معلمو التربية الإسلامية في المرحلة الأساسية العليا بمحافظة غزة ومبررات استخدامها دراسة مسحية لشريف حماد، مجلة الجامعة الاسلامية، مج12، عدد 2، 2004.
31. أساليب تدريس الرياضيات المعاصرة لنائل الناطور، عمان، دار غيداء، ط1، 2011.
32. أساليب تدريس اللغة العربية لمحمد الحولي، عمان، دار الفلاح للنشر والتوزيع، (ب.ط)، 2000م
33. أساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات لعدنان أبو دبة، عمان، دار أسامة للنشر، ط1، 2011.
34. أساليب وطرق التدريس الحديثة لحمزة الجبالي، الأردن، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2016.

35. أسباب نزول القرآن لأبي الحسن الواحدي، تح: بسبوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ-1991م
36. استخدام أساليب تكنولوجيا التعليم في التربية القرآنية وأثر ذلك على تعلم الفئات المستهدفة لمحمد مدني، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد3، 2010.
37. استراتيجيات التعلم النشط لمنال رمضان، عمّان، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ-2016م.
38. الاستراتيجيات الحديثة في طرق تدريس العلوم المفاهيم - المبادئ - التطبيقات لنبيهة السامرائي، عمّان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1/1، 1434هـ - 2014م.
39. الاستراتيجيات الحديثة في تعليم و تعلم اللغة لعلي قورة ووجيه ابو لبن، <https://books.google.dz>
40. الاستراتيجيات الحديثة في طرق تدريس العلوم لنبيهة السامرائي، عمّان، دار المناهج، ط1، 1434هـ-2014م.
41. استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الاسلامية لعبد الرحمن الهاشمي وآخرين، عمّان، دار عالم الثقافة، 2016.
42. الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين لإبراهيم الرئيس، مجلة دراسات إسلامية، العدد 12، 1436هـ - 2005م.
43. أسس وأساليب التعلم الذاتي لطارق عامر وإيهاب المصري، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 1434هـ-2013م.
44. إشكالية التعامل مع السنة النبوية لظه جابر العلواني، عمّان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1435هـ 2014م.
45. إشكالية اللغة في تدريس العلوم لعبد المجيد ساملي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع17، .
46. أصول التربية الإسلامية لخالد الحازمي، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1420هـ-2000م.
47. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع لعبد الرحمن النحلاوي، دمشق، ط28، دار الفكر، 1431هـ-2010م.
48. أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، السنة: 1423هـ-2002م.
49. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الارقم بن ابي الارقم، 2016.
50. إعراب القرآن لأحمد النحاس وآخرين، الدعاس، دمشق، دار النمير ودار الفارابي للمعرف، ط1، 1425هـ-2004م.

51. إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية، تح: محمد إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1417هـ-1996م.
52. الأعلام لخير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002.
53. الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة، تح: فؤاد أحمد، الرياض، دار الوطن للنشر، (د.ط.س).
54. إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي الفضل عياض تح: يحي إسماعيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ - 1998م.
55. أليس الصبح بقريب لمحمد بن عاشور، تونس، دار سحنون، ط1، 1427هـ-2006م.
56. الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية، تح: سعيد الخطيب، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د ط)، 1981م.
57. إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة، بيروت، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1406 هـ - 1986م.
58. إنتاج وتصميم الوسائل التعليمية لمحمد الطيبي وآخرين، عمان، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2018.
59. الإنسان والبيئة لعبد الله الدبوبي وآخرين، عمان، دار المأمون، ط4، 2013.
60. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي، تح: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ط1، (د س).
61. أنواع التفكير: رؤية تكاملية في السياق الحضاري المنشود لفتحي حسن ملكاوي، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر - العدد 94، 2018.
62. أهداف التربية الإسلامية لماجد الكيلاني، السعودية، دار التراث، ط2، 1408هـ-1988م.
63. أهمية استراتيجية العصف الذهني ومهارات حل المشكلات لعابد بوهادي، مجلة جسور المعرفة المجلد 1، العدد 2، 2015.
64. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1418هـ - 1997م.
65. أيها الولد لأبي حامد الغزالي، تح: علي القرّة داغي، ط4/، لبنان، دار البشائر الإسلامية، 1431هـ- 2010م.
66. البحث العلمي في التربية الإسلامية في الأردن: دراسة تحليلية بليوغرافية لماجد الجلاد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومنقحة، 1432هـ-2011م.
67. البحث التربوي للمعلمين والمعلمات لحمدي شاعر محمود، السعودية، دار الأندلس، ط3، 1427هـ- 2006م.



68. البحث التربوي كيفية إعدادهِ وكتابة بحثهِ التربوي لأسامة باهي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، 2002.
69. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأحمد بن عجيبة، تح: رسلان، أحمد القرشي، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، 1419هـ-1999م.
70. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418 هـ-1997م.
71. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تح: محمد إبراهيم، مصر مكتبة دار التراث، ط2، 1404هـ-1984م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حبنكة، دمشق، دار القلم، ط1، 1416 هـ - 1996 م
72. بناء الأجيال لعبد الكريم بكار، الرياض، كتاب مجلّة البيان، ط1، 1423هـ-2002م.
73. البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه لفتحي ملكاوي، ص22، أمريكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1436هـ-2015م.
74. البنائية الإسلامية في التربية والتنمية لأحمد المهدي عبد الحليم، موقع مركز الدراسات المعرفية [http://www.epistemeg.com/pix/pdf\\_92.pdf](http://www.epistemeg.com/pix/pdf_92.pdf)
75. البيان غير اللفظي في الحديث النبوي: لغة الجسد لأحمد عبد العزيز، القاهرة، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 2016م.
76. البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لإبراهيم بن حمزة، تحقيق خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط2، 2017.
77. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي، تح: الطناحي، محمد، وآخرون، الكويت، مطبعة حكومة، (د.ط)، 1396هـ-1976م
78. تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لابن خلدون، تحقيق: خليل شحاده، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، (دط)، 1421هـ-2000م.
79. تاريخ آداب اللّغة لجرّحي زيدان، تعليق ضيف، شوقي، القاهرة، دار الهلال، (د.ط)، 1911م.
80. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، تح: بشار معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.
81. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تحقيق: بشار معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ-2001م.
82. تأصيل مبدأ التغذية الراجعة التعليمي في ضوء مبادئ التعلم في السنة النبوية لعماد كنعان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مج22، ع3، 2014.

83. التحرير والتنوير لمحمد بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، 1984 هـ.
84. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنّة لناصر الدين البيضاوي تح: نور الدين طالب وآخرون، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433هـ-2012م.
85. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لمحمد المباركفوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ - 1990م.
86. تحفيظ الشعر: الأساليب والموارد لسوزان وايز بوير، <https://welltra inedmind.com>.
87. تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية- مفهومه-أسسه-استخداماته لرشدي طعيمة، القاهرة، دار الفكر العربي، (دط)، 1425هـ-2004م.
88. تدريس التلاوة والتجويد، طرائق، أساليب، وسائل، مهارات لمحمود مروح، عمّان، مركز ديونو لتعليم التفكير، ط1، 2013م.
89. التدريس الحديث أصوله وتطبيقاته لمحمد زياد حمدان، دار الكتب، ط1، 1402هـ-1982م.
90. تدريس العلوم تأصيل وتحديث لإبراهيم المحيسن، الرياض، العبيكان للنشر، ط2، 1428هـ - 2007م.
91. التدريس الفعال والمعلم الذي نريد لفتحي سبيتان، عمّان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
92. التدريس رؤية في طبيعة المفهوم لحسن زيتون، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1997.
93. التدريس فن وعلم : إطار شامل للتدريس الفعال، لروبرت مانزاور، ترجمة فيصل خويلة، الرياض، العبيكان للنشر، 2016م.
94. التدريس في مدرسة النبوة لمحمد وزان، وزان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، السنة 11، ع 132، 1413هـ-1993م.
95. التدريس نماذجه ومهاراته لكامل زيتون، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2003.
96. تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ط.س).
97. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لبدر الدين ابن جماعة، تح: عبد السلام علي، مصر، مكتبة ابن عباس، ط1، 1425هـ - 2005م.
98. التراث التربوي الإسلامي: حالة البحث فيه، ولحاث من تطوّره، وقطوف من نُصوّبه ومدارسه لفتحي حسن ملكاوي، ط1، أمريكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1439هـ-2018م.
99. التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية لمحمد مرسي، القاهرة، دار المعارف، (د.ط)، 1987م.
100. التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة لإسماعيل القاضي، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2004.

101. التربية الاسلامية وفلاسفتها لعطية الأبراشي، القاهرة، دار الفكر العربي، ط3، 1979م.
102. تربية الأولاد وسائل وأهداف لناهد عليش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1422هـ-2012م.
103. التربية المستمرة وتعليم الكبار لأيوب دخل الله، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2017م.
104. التربية المعاصرة قضايا وحلول لخالد غنيم، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 2015م.
105. التربية والديمقراطية لجون ديوي، ترجمة منى عفراوي وذكريا ميخائيل، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، السنة: 1373هـ-1954م.
106. ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، تحقيق: محمد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ-1998م.
107. تصميم الدرس لمحمد الخولي، الأردن، دار الفلاح للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2011م.
108. تطوير التعليم الشرعي حاجة.. أم ضرورة؟ لمحمد الدويش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، سلسلة كتاب الأمة، ط1، 1434هـ-2013م.
109. تطوير المدرسة لمدحت أبو النصر، القاهرة، الروابط العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
110. تطوير المناهج: رؤية معاصرة لحسن شوقي، مصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، (د.ط)، 2012م.
111. التعريفات الفقهية لمحمد البركتي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ-2003م.
112. التعريفات للشريف الجرجاني، تح: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ-2003م.
113. تعزيز التفكير في التعلم المدرسي ربي الشعرائي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1437هـ-1416م.
114. تعليم التفكير النظرية والتطبيق لصالح أبو جادو ومحمد نوفل، عمان، دار المسيرة، ط1، السنة 1427هـ-2007م.
115. تعليم التفكير لإبراهيم الحارثي، القاهرة، الروابط العالمية للنشر والتوزيع، ط4، 2009.
116. تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات لفتحي جروان، عمان دار الفكر، ط3، 1428هـ-2007م.
117. تعليم التفكير ومهاراته- تدريبات وتطبيقات عملية لسعيد عبد العزيز، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
118. تعليم المتعلم طرق التعلّم لبرهان الإسلام الزرنوجي، تحقيق: مروان قباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1401هـ-1981م.
119. التفاعل الصفّي السياسة التربوية وأثرها على البيئة الصفية لفوزي سمارة، عمان، دار الخليج، 2017م.
120. تفسير الخازن المسمّى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين الخازن، تح: شاهين، محمد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ-2004م.

121. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد ابن باديس، تحقيق: توفيق شاهين وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2002هـ-1424م .
122. تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي، تح: علي معوض وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ-1997م.
123. التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول لمحمد دروزة، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1431هـ-2000م.
124. تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1401هـ - 1981م.
125. تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، 1991 .
126. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء بن كثير، تح: السلامة، سامي، ط2، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.
127. تفسير الكشاف عن حقائق وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود الزمخشري، تحقيق خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1430هـ - 2009م.
128. تفسير المراغي لأحمد المراغي، مج30، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ - 1946م.
129. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط10، 1430هـ-2009م.
130. التقرير العالمي لرصد التعليم المساءلة في مجال التعليم: الوفاء بتعهداتنا، منشورات اليونيسكو، 2017.
131. التقويم التربوي لرافدة الحريري، عمان، دار المنهل، ط1، 1433هـ-2012م.
132. التقويم الذاتي في التربية لمحمد خليل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2006.
133. تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات لأهداف المناهج الجديدة في إطار الاصلاحات التربوية حسب معلمي ومفتشي المرحلة الابتدائية دراسة ميدانية بالمقاطعات التربوية بولاية قلمة لوسيلة حرقاس، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، قسنطينة، الجزائر، 2009 هـ - 2010م.
134. التكامل في مناهج وتدریس العلوم الشرعية لمحمد البشر،  
<http://faculty.ksu.edu.sa/albisher>
135. التميز في صناعة الأهداف وتحقيقها في ضوء الهدى النبوي لخالد الشerman ولبنى الرشدان، مجلة الجامعة الاسلامية، مج23، عدد 2، 2015.

136. تنمية التفكير بأساليب مشوقة لعبد الواحد الكبيسي، عمّان، ديونو للطباعة والنشر، ط1، 21007م.
137. تنمية التفكير لدى الآخر في السيرة النبوية الشريفة لعبد القادر تومي، مجلة أماربك، مج6، ع9، 2015.
138. تنمية مهارات التفكير لعدينان العتوم وآخرين، عمّان، دار المسيرة، ط2، السنة: 1430هـ-2009م.
139. التنوير شرح الجامع الصغير لمحمد الصنعاني، تحقيق محمد إبراهيم، الرياض، مكتبة دار السلام، الرياض، مكتبة دار السلام، ط1، 1432هـ-2011م.
140. تهذيب اللغة لمحمد الأزهرى لمحمد الأزهرى، تح: البردوني، أحمد، والبجاوي، علي، مج17، مصر، مكتبة الخانجي، ط1، 1396هـ-1976م.
141. التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي لعلّي تعوينات، وزارة التربية الوطنية، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، 2009
142. توظيف أبحاث الدماغ في التعلم لطارق عامر ومحمد ربيع، عمّان، دار اليازوري العلمية، (د.ط)، 2008.
143. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي، تح: عبد الرحمن اللويحق، ط2، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، 1422هـ-2002م.
144. ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسنة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال. القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، (دط)، 1955.
145. الثواب والعقاب كأسلوبين تربويين للتحفيز في العملية التعليمية لبراهمي براهيم، مجلة الباحث.  
<https://www.abhathna.com/?q=node/32577>
146. جامع البيان عن تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله التركي، القاهرة، مكتبة بن تيمية، ط1، 1422 هـ - 2001.
147. جامع البيان عن تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تح: محمد شاکر، وأحمد شاکر، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط2، (د س)
148. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير لجلال الدين لسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط6، 1433هـ-2012م.
149. جامع بيان العلم وفضله لأبي عمرو بن عبد البر، تح: أبي الأشبال الزهيري، الرياض، دار ابن الجوزي، ط1، 1414 هـ - 1994م.
150. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، تح: هشام البخاري، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413 هـ - 2003م.

151. الجامع لشعب الإيمان لأبي بكر البيهقي، تح: عبد العلي حامد ومختار الندوي، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1423هـ-2003م.
152. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة لمحمود صافي، دمشق، دار الرشيد، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط3، 1414هـ-1995م.
153. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لمحمد بن أبي نصر الحميدي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، (د.ط)، 1996.
154. الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الاسلامية لطاهر الجزائري، بيروت، دار ابن حزم، ط1، السنة: 1407هـ-1986م
155. الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحي الدين القرشي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، القاهرة، هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ-1993م.
156. جودة التعليم من منظور إسلامي (الإحسان، الإتقان، الجودة، التميز)، للحسن باشيوة، ورقة مقدمة الى مؤتمر الجودة الثالث لجمعية البحرين للجودة، مملكة البحرين، 2006م.
157. الحديث النبوي وعلم النفس لمحمد نجاتي، القاهرة، دار الشروق، ط5، 1425هـ-2005م.
158. الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية لعبد الله النفيسي، الكويت، مكتبة آفاق، ط1، 1433هـ-2012م.
159. الخبيث والطيب في ضوء القرآن الكريم لعبد العزيز الربيعي، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم القرآن وعلوم، السعودية، 1433 هـ -2013م.
160. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته لسيد قطب، القاهرة، دار الشروق، (د.ط.س)
161. الخصائص العامة للإسلام ليوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1404 هـ -1983.
162. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد الحجي، مصر، المطبعة الوهبية، (د.ط.س).
163. خلاف علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر، ط8، (د.س).
164. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الجيل، (د.ط)، 1414هـ-1993م.
165. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين لمحمد أبو شهبه، القاهرة، مجمع البحوث الاسلامية- مطبعة المصحف الشريف، ط2، (د.س).
166. دلالة النص على مبادئ الشريعة الإسلامية مجلة الجامعة الاسلامية لباسم بشناق ومحمد الشوبكي، الدراسات الاسلامية، مج23، ع2، يونيو 2015.
167. دور التفاعل الصفي في تحقيق الأهداف التربوية و التعليمية داخل المؤسسة الجزائرية لنصر الدين جابر وعلي هنودة، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد48، 2017.

168. دور المسلم ورسالته لمالك بن نبي، دمشق/الجزائر، دار الفكر، ط1، 1412هـ - 1991م.
169. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن فرحون، تحقيق مأمون الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996م.
170. الذخيرة لشهاب الدين القرافي، تح: سعيد أعراب وآخرون، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1 1994م.
171. الذكاء والذكاءات المتعددة لوليد العيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2018.
172. ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس ابن القاضي، تحقيق: محمد أبو النور، القاهرة، مطبعة السنة النبوية، ط1، 1391هـ-1971م.
173. الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن علي القاسبي، تحقيق: أحمد خالد، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986.
174. الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لعبد الفتاح أبي غدة، بيروت، دار البشائر الاسلامية، ط1، 1417هـ-1996م.
175. الرسول والعلم ليوسف القرضاوي، القاهرة، دار الصحوة، (د.ط)، 2001.
176. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1418هـ-1998م
177. زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ط.س).
178. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1415 هـ - 1995م.
179. سلسلة التفكير وأنماطه لرعد رزوقي وجميلة سهيل، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 2018.
180. سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وآخران، استانبول، منظمة المؤتمر الإسلامي، (دط)، 2010.
181. السنة النبوية رؤية تربوية لسعيد علي، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1423هـ-2002م.
182. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي ، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1396هـ-1976م.
183. سنن ابن ماجة القزويني، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد بللي، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ-2009م.
184. سنن ابن ماجة بشرح السندي لأبي الحسن السندي، تح: خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط1، 1414هـ-1996م.

185. سنن أبي داود لأبي داود السجستاني، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ-2009م.
186. سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، تح: أحمد شاكر، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1397هـ - 1977م.
187. سنن النسائي لأبي عبد الرحمن النسائي، تح: حسن شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1421هـ-2001م.
188. سهام الإسلام لعبد اللطيف السلطاني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1400هـ - 1980م.
189. سوسيولوجيا العنف والإرهاب لإبراهيم الحيدري، <https://books.google.dz>، التاريخ 15.10.2019
190. سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي لفتحي الزيات، القاهرة، دار النشر للجامعات، ط2، 1424هـ-2004م.
191. سيكولوجية التعلم نظريات-عمليات معرفية-قدرات عقلية لعواطف حسانين، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 1433هـ-2012م.
192. سيكولوجية العقل البشري لكامل عويضة، ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ - 1996م.
193. سيكولوجية الفروق الفردية علم النفس الفارقي لأسعد شريف الأمانة، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ-2014م.
194. الشامل في المناهج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة لشادية عبد الحليم وصالح تمام، عمان، مركز ديونو لتعليم التفكير، ط1، 2016.
195. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م.
196. شرح السنة لأبي محمد البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، دمشق-بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ - 1983م
197. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح لشرف الدين الطيبي، تح: هندأوي، عبد الحميد، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417هـ-1997م.
198. شرح سنن أبي داود لابن رسلان، تح: محمود جمعة وآخرين، مصر، دار الفلاح، ط1، 1437هـ-2016م.



199. شرح صحيح البخاري لأبي الحسن بن بطلال، تح: أبو تميم بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1423هـ - 2003م
200. شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تح: إسماعيل، يحيى، مج9، ط/1، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ - 1998م.
201. الشريعة الإسلامية ومبادئها كمصدر للقانون المدني: شعار دون أثر قانوني الالتزامات أنموذجا لشوقي بناسي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مجلد31، عدد2، 2017.
202. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تح: حسين نيل، بيروت، دار الأرقم، (د.ط)، 2016.
203. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، أحمد بن زكريا الرازي، تح: بسج، أحمد حسن، مج1، ط/1 لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ - 1997م.
204. صحيح البخاري لأبي عبد البخاري، تح: البغا، مصطفى، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، ط5، 1414هـ - 1993م.
205. صحيح الجامع الصغير وزيادته لناصر الدين الألباني، مج2 ط/3، لبنان، المكتب الاسلامي، 1408هـ - 1988م.
206. صحيح سنن أبي داود لناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ - 1998م
207. صحيح مسلم بشرح ليحيى النووي، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1348هـ - 1929م.
208. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1412هـ - 1991م.
209. صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي وشرحه مكمل إكمال الإكمال للسنوسي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط.س)
210. صياغة الأهداف التربوية والتعليمية لجودت سعادة، عمان، دار الشروق، ط1، 2001.
211. ضعيف الجامع الصغير وزيادته لناصر الألباني، بيروت، المكتب الاسلامي (د.ط) (د.س).
212. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، بيروت، دار الجيل، (د.ط.س).
213. طبقات علماء الحديث لمحمد الدمشقي الصالحى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1417هـ - 1996م.
214. طرائق التدريس لا طُرُق التدريس لعبد الله الدليل، جريدة الاقتصادية، عدد 2014.04.13
215. طرق التدريس العامة تخطيطها وتطبيقاتها التربوية لوليد جابر، الأردن، دار الفكر، ط2، 1425- 2005م

216. طرق التدريس لعبد الرحمن عبد الله ، بحث ضمن كتاب علوم الشريعة في الجامعات، عمّان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1415هـ-1995م.
217. طرق تدريس علوم الشريعة في التعليم الجامعي وضرورة تطويرها لسري الكيلاني، بحث ضمن كتاب علوم الشريعة في الجامعات، عمّان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1415هـ-1995م.
218. عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية لمصطفى محمد حميداتو، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب الأمة، ط1 العدد57، 1418هـ - 1997م.
219. العصف الذهني وتنمية التفكير الإبداعي لبادي سوهام، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج4، عدد2، 2013.
220. علم التفكير لصالح معمار، علم التفكير لصالح معمار، عمّان، ديونو للطباعة والنشر والتوزيع، ط10، 2010.
221. علم النفس التربوي - الخصائص النمائية والفروق الفردية والبيئة الصفية وانعكاساتها على العملية التعليمية لأيوب دخل الله، بيروت، دار الكتب العلمية، 2015.
222. علم النفس والأهداف التربوية . سيكولوجية التعلم . سيكولوجية المتعلم . التقويم التربوي . سيكولوجية التنظيم علم النفس التربوي لعبد المجيد منصور وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط9، 1435هـ- 2014م.
223. علم مناهج التربية الأسس - العناصر - التطبيقات لفؤاد محمد موسى، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ - 2007م.
224. علوم التربية تاريخها فلسفتها مناهجها، لأيوب دخل الله، بيروت ، ط1، دار الكتب العلمية، 2015م
225. فاعلية برنامج مقترح في تنمية المهارات المعرفية لدى طفل عمره سنتين لعقيلة عيسو ، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، مج1، ع1، 2016.
226. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر، تح: محب الدين الخطيب، و محمد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، (د.ط.س).
227. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه مختصر شرحه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني لأحمد البنا الساعاتي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، (د.س).
228. فتح المنعم شرح صحيح مسلم لموسى لاشين، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1423هـ - 2002م.
229. الفروق الفردية في ضوء التربية النبوية، لنعيم الصفدي وعبد اللطيف الأسطل، مجلة جامعة الأزهر، مجلد12، عدد1، 2010م.
230. الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها، دمشق، دار الفكر، ط2، 1405هـ - 1985م.

231. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لسعيد القحطاني، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط14، 1421هـ-2000م.
232. الفكر الإداري المعاصر في التربية والتعليم لمحمود الربيعي، لبنان، دار الكتب العلمية، 2012.
233. فلسفة التربية الإسلامية للشيباني، تونس، الدار العربية للكتاب، (د ط)، 1988م.
234. فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1402هـ-1982م.
235. في النظام السياسي للدولة الإسلامية لمحمد العوا، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1427هـ-2000م.
236. في ظلال القرآن لسيد قطب، مصر، دار الشروق، ط32، 1423هـ-2003م.
237. فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد المناوي تحقيق: أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1422هـ-2001م.
238. قادة النبي ﷺ لمحمود شيت خطاب، دمشق، دار القلم، ط2، 1420هـ-1999م.
239. قراءات متقدمة في التعلم والتفكير مدخل في علوم الحركة لطلبة كليات ومعاهد التربية الرياضية لمازن أحمد، ومازن كزار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2015م.
240. القرآن وعلم النفس لمحمد نجاتي، مصر، دار الشروق، ط7، 1421هـ - 2001م.
241. القياس والتقويم في التربية والتعليم لهادي ربيع، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، (دط)، 2010.
242. الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية لعطية محسن على، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
243. كتاب العين للخليل الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1، 1424هـ-2003م.
244. الكتاب لأبي بشر سيبويه، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ-1988م.
245. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود الزمخشري، وبذيله الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير لأحمد بن المنير والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، تحقيق أبو عبد الله آل زهوي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1427هـ - 2006م.
246. الكفاءات التدريسية في ضوء المودبولات التعليمية لإبراهيم غنيم والصابي الجهمي، مكتبة الانجلو المصرية، 2008.
247. كفايات التدريس المفهوم التدريب الأداء لسهيلة الفتلاوي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

- كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلی المنوفي، وبهامشه حاشية العدوي لعلی العدوي،  
تح: أحمد إمام والسيد الهاشمي، القاهرة، مطبعة المدني، ط1، 1409هـ-1989م.
248. لسان العرب لابن منظور، دار صادر - بيروت، (د.ط.س).
249. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1،  
1991.
250. لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية لعبد العلي الودغيري، بيروت،  
دار الكتب العلمية، 2013.
251. اللغة العربية والتنمية: الميسرات والمعوقات لجامعة وعلي، لندن e-kutub ltd ط1، 2018.
252. ماذا لو كنت الرابع؟ أبو عميرة، حامد، جريدة اليوم المصرية <https://el-yom.com>
253. ماذا لو كنت الرابع؟ لأبي إسحاق الحويني
254. <https://www.youtube.com/watch?v=4J1k9FRavms>
255. مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها لعادلة السعدون، مجلة الأستاذ، ع203،  
1433هـ-2012م.
256. مباحث في طرائق تدريس العلوم الشرعية لحسام العبدلي، دمشق، دار النهضة، ط1، 1429هـ-  
2008م.
257. مبادئ تربية الاطفال في القرآن الكريم لمحي الدين إبراهيم، المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء  
الحضارة الانسانية بمناسبة مرور 14 قرنا على نزوله. السودان، قاعة إفريقيا الدولية للمؤتمرات، 20-22 محرم  
1423 الموافق: 15-17 ديسمبر 2011م.
258. مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة لعزة الشهري، أطروحة دكتوراه غير منشورة،  
قسم التربية الاسلامية المقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ-2015م.
259. مبادئ التعلم كما جاءت في القرآن الكريم في كتاب التربية الدينية للصف الأول الأساسي لإحسان  
خليل الأغا، مجلة البحوث والدراسات التربوية الفلسطينية، مج1، ع1، مايو 1998.
260. مبادئ التغيير الحضاري في فكر مالك بن نبي لفيصل لكحل، رسالة دكتوراه غير منشورة، المدرسة العليا  
للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2014-2015.
261. مبادئ تعليمية للمدرسين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية لنايف العطار، مجلة الجامعة الاسلامية،  
مج12، ع2، 2004م.
262. المبادئ والقيم في التربية الاسلامية لمحمد خياط، السعودية، جامعة أم القرى، (د.ط.)، 1416هـ-  
1996م.

263. مبادئ ومهارات التدريس الفعال في التربية الحديثة لعلي سليمان، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 2004.
264. مجالس التذكير من حديث البشير النذير لعبد الحميد محمد بن باديس، قسنطينة، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، ط1، 1403هـ-1983م.
265. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي، نح: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ-2001م.
266. مجموع الفتاوى لأحمد بن تيمية أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ط)، 1425هـ-2004م.
267. محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تح: محمد عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ - 2003م.
268. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق ابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ-2001م.
269. المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن سيده، تح: عبد الحميد هندراوي، بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1، 1421هـ-2000م.
270. مختصر المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم لعبد الكريم بليل، عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، - 1438هـ-2016م.
271. مداخل تربوية لوقاية الطلاب من خطر الادمان لرسمي عبد الملك رستم وآخرون، مصر، المكتب الجامعي الحديث، (دط)، 2012.
272. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله النسفي، تح: بديوي، يوسف على، بيروت، ط/1، دار الكلم الطيب، السنة 1419 هـ - 1998 م
273. مدخل إلى أصول التربية الإسلامية لمحمد الدخيل، الرياض، دار الخريجي، ط2، 1424هـ-2003م.
274. المدخل إلى التدريس لسهيلة الفتلاوي، المدخل الى التدريس، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
275. مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها لعبد الرحمن عبد الله وآخرين، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1411هـ-1991م.
276. مدخل الى مناهج البحث في التربية وعلم النفس لمحمد عباس وآخرين، عمان، دار المسيرة، ط1، 2007.
277. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 1425هـ-2005م.

- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة، الكويت، غراس للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ - 2003م.
278. مدى ممارسة معلم التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية لمهارات تنمية التفكير الابتكاري، لفريد الغامدي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج1، العدد1، يناير 2009م.
279. مدى ممارسة معلمي التربية الإسلامية لأساليب التفكير الإبداعي لدي طلبة الصف التاسع بمدارس وكالة الغوث بمحافظة غزة لأشرف عمر ربح، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مج20- العدد 1، السنة 2012 .
280. المرشد في التربية الإسلامية لزين محمد شحاتة، الرياض، مكتبة الشباب للعلم والثقافة، ط3، 1423هـ-2002م.
281. مرقاة المفاتيح لعلي القاري، تح: جمال عيتاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2001م.
282. المزهري في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، تح: محمد بك، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، (د.ط)، 1986.
283. المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي، تحق: أحمد، زكي حماد، القاهرة، العالمية للنشر والترجمة والتدريب، ط1، (ب.س).
284. مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، تح: الأرنؤوط، شعيب وآخرون، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م.
285. مشكلات التربية في البلاد الإسلامية لعباسي مدني، مكة، مكتبة المنارة، ط2، 1409هـ-1989م.
286. مشكلات تدريس التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة بالمدارس العربية الإسلامية في مالي من وجهة نظر المعلمين اطلال المعجل وإبراهيم ميغا، IUG Journal of Educational and Psychology Sciences (Islamic University of Gaza) ، Vol 25, No 2, 2017.
287. مصابيح الجامع لبدر الدين الدماميني، تح: نور الدين طالب،، دمشق، دار النوادر، ط1، 1430هـ- 2009م.
288. مصطفى مناهج التعليم في العالم الإسلامي حتمية المراجعة وضرورة التطوير لقطب سانو، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 25، 1431هـ - 2010م.
289. معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد النمر وآخرين، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1409هـ - 1989م.
290. معالم السنن لأبي سليمان الخطابي البستي، سوريا، المطبعة العلمية، ط1، 1352هـ-1934م.
291. معالم في الطريق لسيد قطب، بيروت/القاهرة، دار الشروق، ط6، 1399هـ-1979م.

292. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد جبل، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2010.
293. المعجم الأوسط لأبي القاسم لطبراني، تح: طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، مصر، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415هـ-1995م.
294. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د.ط)، 1403هـ-1983م.
295. المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال: المشروع العربي لتوحيد المصطلحات لعبد الكريم شين ومي عبد الله، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1435هـ-2014م.
296. معجم اللغة العربية المعاصرة لعمر مختار، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
297. معجم المصطلحات التربوية والنفسية لحسن شحاتة وزينب النجار، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1424هـ-2003م.
298. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، السنة: 1425هـ-2004م.
299. معجم علم النفس والتحليل النفسي، لفرج عبد القادر طه وآخرون، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، (د.س).
300. المعلم واستراتيجيات التعليم الحديث لعاطف الصيفي، عمّان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
301. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد الونشريسي، تحقيق: محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف الإسلامية بالمملكة المغربية، بيروت، دار المغرب الإسلامي، (د.ط)، 1401هـ-1981م.
302. المفاتيح شرح المصاييح للحسين المظهري، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433هـ-2012م.
303. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي، ، تح: مستو، محي الدين، وآخرون، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1417هـ-1996م.
304. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية لمحمد البيوي، الرياض، دار الهجرة، ط1، 1418هـ-1998م.
305. مقاصد الشريعة كفسلفة للتشريع الإسلامي رؤية منظومية لجاسر عودة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط1، 1432هـ-2012م.
306. مقاييس اللغة لابن فارس، تح: هارون، عبد السلام، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، 1399هـ-1978م.

307. مقدّمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، دمشق، دار يعرب، ط1، 1425هـ-2004م.
308. مقدمة في علم النفس لنبيهة السامرائي وعثمان على أيمين، عمّان، دار زهران للنشر والتوزيع، 2011م.
309. المفقى الكبير لتقي الدين المقرئبي تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1411هـ- 1991 م
310. الملكة الفقهية: حقيقتها وشروط اكتسابها وثمراتها لعبد الله القاضي، الرياض، العبيكان، ط1، 1437هـ-2016م
311. مناهج البحث في العلوم الإنسانية لمحمود أحمد درويش، مصر، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1439هـ-2018م.
312. مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي مذكور، القاهرة، دار الفكر العربي، (د ط)، 1421هـ-2001م
313. مناهج التربية الرياضية لمحمود الربيعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2011.
314. المناهج الحديثة و طرائق التدريس لمحسن عطية، عمّان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2009م-1430هـ.
315. المناهج الدراسية الحديثة أسسها وتطبيقاتها لفرح المبروك، القاهرة/ دار حميثرا للنشر والترجمة، ط1، 2016.
316. المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة، القاهرة، مكتبة الدار العربية لكتاب، ط3، 1423هـ-2003م.
317. المنهاج بناؤه تنظيمه نظرياته وتطبيقاته العملية، لراتب عاشور وعبد الرحمن عوض، عمّان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، 1430هـ-2009م.
318. مناهج العلوم الإسلامية للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، اللجنة الوطنية للمناهج، 2005م.
319. المنهج التكاملي في تدريس العلوم الإسلامية لبابا واعمر خضير، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج9-ع2-2016.
320. منهج البحث العلمي وكتابة الرسائل العلمية موفق بن عبد القادر، الرياض، ط1، 1432هـ-2011م.
321. منهج الرسول في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر لمحمود أبو دف، مؤتمر تطوير برامج كليات التربية بالوطن في ضوء المستجدات المحلية والعالمية، مصر، جامعة الزقازيق، فبراير 2006.
322. منهجية البحث العلمي لعامر قنديلجي، عمّان، دار اليازوري العلمية، ط1، 2013.



323. منهجية التكامل المعرفي لفتح ملكاوي، عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1437هـ-2016م.
324. المنهل العذب المورد شرح سنن أبي داود لمحمود السبكي، بيروت، مؤسسة التاريخ الإسلامي، ط2، 1394هـ.
325. مهارات التدريس الصفي لحمود الحيلة، عمان، دار المسيرة، ط1، 2002هـ-1423م.
326. مهارات التدريس الصفي والسيطرة على المشكلات الصفية لحمزة الجبالي، الأردن، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2016.
327. مهارات التدريس الفعال لنايفة قطامي، عمان، دار الفكر، ط1، 1425هـ-2004م.
328. موارد الظمان الى زوائد ابن حبان للهيثمي، تح: حسن الداراني وعبد الكوشك، سوريا، دار الثقافة العربية، ط1، السنة: 1411هـ-1990م.
329. الموافقات لأبي إسحاق لشاطبي، الشاطبي، تح: آل السلطان، ط1، السعودية، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ - 1997م.
330. مؤتمر حركات الإسلام السياسي في الوطن العربي: الواقع والمستقبل، مداخلة أبي زيد الإدريسي، الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2015.
331. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليوسف الحاج أحمد، ط2/، سوريا، دار ابن حجر، 1424هـ-2003م.
332. الميسر في شرح مصابيح السنة لفضل الله الثوري، تح: عبد الحميد هندراوي، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 1429هـ - 2008م.
333. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد دراز، دراز، عبد الله، قطر، دار الثقافة، (دط)، السنة: 1405هـ-1985م.
334. النحو الوافي مع ربطه بالأصناف الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة لعباس حسن، مج4، ط4/، مصر، دار المعارف بمصر. 1974م.
335. نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة لفتح ملكاوي، كتاب المؤتمر التربوي، الاعداد لمؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان، 1411هـ - 1990م.
336. نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، لأحمد الخفاجي، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ-2001م.
337. النشر في القراءات العشر لمحمد بن الجزري، تح: علي الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط.س).
338. نظريات التعلم والعمليات العقلية، لمحمود الربيعي وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2013.

339. نظريات التعلم وتطبيقاتها في التربية الخاصة لعللي السيد سليمان، السعودية، مكتبة الصفحات الذهبية، ط1، 1421هـ-2000م.
340. نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية لأحمد الدغشي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دمشق، دار الفكر، ط1، 1425هـ-2004م.
341. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط4، 1415هـ-1995م.
342. النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي، تح: السيد ابن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية (د.ط.س).
343. النموذج القرآني للتربية نحو مقتضيات منهجية للفهم والتطبيق لعمر نقيب، الجزائر، شركة الأصالة للنشر
344. النهاية في غريب الحديث والأثر لمحمد بن الأثير، تح: محمود الطناحي و أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، ط1، 1383هـ-1963م.
- نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن وهف القحطان، الرياض، مكتبة الملك فهد، ط1، 1420هـ-1999م.
345. نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبد الحميد الهرامة، طرابلس-ليبيا، دار الكاتب، ط2، 2000م.
346. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، طبعة سنة 1951م.
347. الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ-2000م.
348. واقعية منهاج التربية الإسلامية وتطبيقاتها لأحمد نجادات، مجلة الدراسات الإسلامية، مج51، عدد4، 2016م.
349. الوحدة البنائية للقرآن المجيد لطفه جابر العلواني، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، السنة 1427هـ-2006م.
350. الوسائل التعليمية لحمزة الجبالي، عمان، دار أسامة للنشر، ط1، 2016.
351. الوسائل التعليمية لسمير جلوب، الأردن، دار من المحيط الى الخليج، ط1، 2017.
352. الوظائف العقلية المستفادة من آيات العقلان في القرآن الكريم - رؤية تربوية، لحمدان الصوفي، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 19، ع1، 2011.

353. American Psychological Association, Coalition for Psychology in Schools and Education. (2015). Top 20 principles from psychology for preK-12 teaching and learning

354. Susan Wise Bauer, Poetry Memorization: Methods and Resources, <https://welltrainedmind.com/a/poetry-memorization-methods-and-resources/?v=fa3c7f2b5dae>

355. Yana Weinstein, Memorizing versus Understanding. <https://www.learningscientists.org/blog/2018/2/16-1>

## فهرس المحتويات

2	بسم الله الرحمن الرحيم
3	الإهداء
4	الشكر
5	المقدمة
7	الإطار العام للدراسة
7	أسباب اختيار الموضوع
10	مشكلة البحث
10	أهداف البحث
10	أهمية البحث
11	منهج الدراسة
12	منهجية الدراسة
13	مصطلحات الدراسة
15	الدراسات السابقة
الباب الأول: مبادئ التدريس المتعلقة بالأهداف والمحتويات في درس القرآن والسنة العقديّ	
20	
21	الفصل الأول: مفهوم مبادئ التدريس في القرآن والسنة
22	المبحث الأول: مفهوم التدريس
23	المطلب الأول: مفهوم التدريس في اللغة
26	المطلب الثاني: مفهوم التدريس في القرآن والسنة
26	الفرع الأول: مفهوم التدريس في القرآن
28	الفرع الثاني: مفهوم التدريس في السنة

31	المطلب الثالث: مفهوم التدريس في التربية المعاصرة .....
31	الفرع الأول: تعريف التدريس .....
34	الفرع الثاني: الفرق بين التعليم والتدريس .....
36	المبحث الثاني: مفهوم مبادئ التدريس في القرآن والسنة .....
37	المطلب الأول: تعريف مبادئ التدريس باعتباره مركباً إضافياً .....
37	الفرع الأول: تعريف المبادئ لغة .....
38	الفرع الثاني: مفهوم المبادئ في القرآن الكريم .....
38	الفرع الثالث: تعريف المبادئ في الاصطلاح .....
40	المطلب الثاني: تعريف مبادئ التدريس باعتباره لقباً .....
40	الفرع الأول: تعريف مبادئ التدريس في التربية المعاصرة .....
41	الفرع الثاني: تعريف مبادئ التدريس في التربية الإسلامية .....
43	المطلب الثالث: نماذج لمبادئ التدريس في التربية المعاصرة .....
43	الفرع الأول: نموذج جمعية علم النفس الأمريكية .....
44	الفرع الثاني: مبادئ التدريس كما ذكرها محمد زياد حمدان .....
50	الفرع الثالث: أهمية ومصادر اشتقاق مبادئ التدريس .....
51	المطلب الرابع: مبادئ التدريس في الفكر التربوي الإسلامي .....
51	الفرع الأول: مبادئ التدريس عند القدماء .....
61	الفرع الثاني: مبادئ التدريس عند المحدثين .....
	<b>الفصل الثاني: المبادئ التدريسية المتعلقة بالأهداف والمحتويات في درس القرآن والسنة العقدي</b>
75	.....
76	المبحث الأول: مبادئ التدريس المشتركة بين الأهداف والمحتويات في درس القرآن والسنة .....

76	العقديّ
77	المطلب الأول: مدخل إلى الأهداف التدريسيّة
77	الفرع الأوّل: تعريف الأهداف التدريسيّة
78	الفرع الثاني: أنواع الأهداف التربويّة
79	الفرع الثالث: أهميّة تحديد الهدف السلوكيّ وشروطه
81	المطلب الثاني: مدخل إلى المحتويات الدراسيّة
81	الفرع الأوّل: تعريف المحتوى الدراسيّ
82	الفرع الثاني: مداخل تنظيم المحتوى
83	الفرع الثالث: معايير اختيار المحتويات الدراسيّة
85	الفرع الرابع: علاقة المحتويات الدراسيّة بعناصر المنهج
86	المطلب الثالث: مبدأ شمول وتوازن التدريس
86	الفرع الأوّل: مبدأ شمول وتوازن التدريس في القرآن الكريم
89	الفرع الثاني: مبدأ شمول وتوازن التدريس في السنّة النبويّة
91	المطلب الرابع: مبدأ مرونة التدريس
92	الفرع الأوّل: مبدأ مرونة التدريس في القرآن الكريم
93	الفرع الثاني: مبدأ مرونة التدريس في السنّة النبويّة
97	المطلب الخامس: مبدأ تعليم التفكير
97	الفرع الأوّل: مبدأ تعليم التفكير في القرآن الكريم
102	الفرع الثاني: مبدأ تعليم التفكير في السنّة النبويّة
108	المبحث الثاني: المبادئ التدريسية الخاصّة بالأهداف في درس القرآن والسنّة العقديّ
109	المطلب الأول: مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربيّة

109	الفرع الأول: علاقة التدريس بالتربية في الإسلام
111	الفرع الثاني: مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربية في القرآن الكريم
114	الفرع الثالث: مبدأ تحقيق التدريس لأهداف التربية في السنة النبوية
117	المطلب الثاني: مبدأ واقعية الأهداف التدريسية
117	الفرع الأول: مبدأ واقعية الأهداف التدريسية في القرآن الكريم
120	الفرع الثاني: مبدأ واقعية الأهداف التدريسية في السنة النبوية
123	المطلب الثالث: مبدأ وضوح الأهداف التعليمية
123	الفرع الأول: موضعه الهدف التعليمي في القرآن الكريم
126	الفرع الثاني: مبدأ وضوح الأهداف العامة في القرآن والسنة
128	الفرع الثالث: مبدأ وضوح الأهداف الخاصة في القرآن والسنة
133	المبحث الثالث: المبادئ التدريسية الخاصة بالمحتويات في درس القرآن والسنة العقدي
134	المطلب الأول: مبدأ تدريس المفاهيم
134	الفرع الأول: مبدأ تدريس المفاهيم في القرآن الكريم
137	ثانياً- مفهوم البرّ في القرآن الكريم
140	الفرع الثاني: مبدأ تدريس المفاهيم في السنة النبوية
144	المطلب الثاني: مبدأ تكامل الموادّ الدراسية
144	الفرع الأول: مبدأ تكامل الموادّ الدراسية في القرآن الكريم
147	الفرع الثاني: مبدأ تكامل الموادّ الدراسية في السنة النبوية
149	المطلب الثالث: مبدأ الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم
149	الفرع الأول: المحتويات التعليمية بين الحفظ والفهم
154	الفرع الثاني: مبدأ الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم في القرآن الكريم

158	الفرع الثالث: مبدأ الجمع بين مسلكي الحفظ والفهم في السنّة النبويّة: .....
163	الباب الثاني: مبادئ التدريس المتعلقة بالأداء التدريسيّ في درس القرآن والسنّة العقديّ .
164	الفصل الأوّل: مبادئ التدريس المتعلقة بالأداء التدريسيّ في درس القرآن والسنّة العقديّ
165	المبحث الأوّل: المبادئ المتعلقة بطرائق التدريس في درس القرآن والسنّة العقديّ .....
166	المطلب الأوّل: مدخل إلى طرائق التدريس .....
166	الفرع الأوّل: تعريف طرائق التدريس. ....
167	الفرع الثاني: تصنيف طرائق التدريس وأنواعها. ....
170	الفرع الثالث: معايير اختيار طريقة التدريس وعلاقتها بعناصر المنهج .....
171	المطلب الثاني: مبدأ إثارة طرائق التدريس لتفكير المتعلّم .....
171	الفرع الأوّل: مبدأ إثارة طرائق التدريس لتفكير المتعلّم في القرآن الكريم .....
175	الفرع الثاني: مبدأ إثارة طرائق التدريس لتفكير المتعلّم في السنّة النبويّة .....
183	المطلب الثالث: مبدأ تنويع طرائق التدريس .....
183	الفرع الأوّل: مبدأ تنويع طرائق التدريس في القرآن الكريم .....
186	الفرع الثاني: مبدأ تنويع طرائق التدريس في السنّة النبويّة .....
189	المطلب الرابع: مبدأ تعزيز التدريس بالممارسة العمليّة .....
189	الفرع الأوّل: مبدأ تعزيز التدريس بالممارسة العمليّة في القرآن الكريم .....
191	الفرع الثاني: مبدأ تعزيز التدريس بالممارسة العمليّة في السنّة النبويّة .....
195	المطلب الخامس: مبدأ التدرّج .....
195	الفرع الأوّل: مبدأ التدرّج في القرآن في الكريم .....
199	الفرع الثاني: مبدأ التدرّج في السنّة النبويّة .....
204	المبحث الثاني: المبادئ المتعلقة بأساليب التدريس في درس القرآن والسنّة العقديّ .....
205	المطلب الأوّل: مدخل إلى أساليب التدريس .....



205	الفرع الأول: تعريف أساليب التدريس.
206	الفرع الثاني: أنواع أساليب التدريس.
207	المطلب الثاني: مبدأ القدوة.
207	الفرع الأول: مبدأ القدوة في القرآن الكريم.
210	الفرع الثاني: مبدأ القدوة في السنة النبوية.
214	المطلب الثالث: مبدأ التكرار.
214	الفرع الأول: مبدأ التكرار في القرآن الكريم.
218	الفرع الثاني: مبدأ التكرار في السنة النبوية.
220	المطلب الرابع: مبدأ الثواب والعقاب.
220	الفرع الأول: مبدأ الثواب والعقاب في القرآن والسنة.
222	الفرع الثاني: ضوابط الثواب والعقاب في القرآن والسنة.
224	المطلب الخامس: مبدأ فاعلية أساليب التدريس.
224	الفرع الأول: مبدأ فاعلية أساليب التدريس في القرآن الكريم.
227	الفرع الثاني: مبدأ فاعلية أساليب التدريس في السنة النبوية.
231	<b>المبحث الثالث: المبادئ المتعلقة بوسائل التدريس في درس القرآن والسنة العقدي.</b>
232	المطلب الأول: مدخل إلى وسائل التدريس.
232	الفرع الأول: تعريف وسائل التدريس.
233	الفرع الثاني: أهمية الوسائل التدريسية ومعايير اختيارها.
234	المطلب الثاني: مبدأ تيسير وترسيخ وسائل التعليم للتعلّم.
234	الفرع الأول: مبدأ تيسير وترسيخ الوسائل للتعلّم في القرآن الكريم.
235	الفرع الثاني: مبدأ تيسير وترسيخ الوسائل للتعلّم في السنة النبوية.

237	المطلب الثالث: مبدأ إثارة الوسائل التعليمية لتفكير المتعلم
237	الفرع الأول: مبدأ إثارة الوسائل التعليمية لتفكير المتعلم في القرآن الكريم
238	الفرع الثاني: مبدأ إثارة الوسائل التعليمية لتفكير المتعلم في السنة النبوية
240	المطلب الرابع: مبدأ اعتماد العربية لغة لتدريس العلوم
240	الفرع الأول: العربية لغة للتدريس
241	الفرع الثاني: مبدأ اعتماد العربية لغة للتدريس في القرآن والسنة
<b>248</b>	<b>الفصل الثاني: المبادئ المتعلقة بالتقويم التربوي والمعلم في درس القرآن والسنة العقدي ...</b>
249	المبحث الأول: المبادئ المتعلقة بالتقويم التربوي في درس القرآن والسنة العقدي
250	المطلب الأول: مدخل إلى التقويم التربوي
250	الفرع الأول: تعريف التقويم لغة واصطلاحاً
251	الفرع الثاني: أنواع التقويم
253	الفرع الثالث: أسس التقويم وأخلاقياته
255	المطلب الثاني: مبدأ التقويم الذاتي
255	الفرع الأول: مبدأ التقويم الذاتي في القرآن الكريم
256	الفرع الثاني: مبدأ التقويم الذاتي في السنة النبوية
257	المطلب الثالث: مبدأ شمول التقويم
257	الفرع الأول: مبدأ شمول التقويم في القرآن الكريم
259	الفرع الثاني: مبدأ شمول التقويم في السنة النبوية
261	المطلب الرابع: مبدأ فعالية التقويم
261	الفرع الأول: مبدأ فعالية التقويم في القرآن الكريم
264	الفرع الثاني: مبدأ فعالية التقويم في السنة النبوية
270	المطلب الخامس: مبدأ التغذية الراجعة

270	الفرع الأول: مبدأ التغذية الراجعة في القرآن الكريم
272	الفرع الثاني: مبدأ التغذية الراجعة في السنة النبوية
276	المبحث الثاني: المبادئ المتعلقة بالمعلم في درس القرآن والسنة العقدي
277	المطلب الأول: كفايات وأنماط المعلمين
277	الفرع الأول: كفايات المعلمين التدريسية
278	الفرع الثاني: أنماط المعلمين
280	الفرع الثالث: أهمية وعوامل التفاعل الصفّي
282	الفرع الرابع: افتراضات التفاعل الصفّي
282	المطلب الثاني: مبدأ رجاء النجاح الدراسي
282	الفرع الأول: مبدأ رجاء النجاح الدراسي في القرآن الكريم
286	الفرع الثاني: مبدأ رجاء النجاح الدراسي في السنة النبوية
289	المطلب الثالث: مبدأ الرفق بالمتعلم
289	الفرع الأول: مبدأ الرفق بالمتعلم في القرآن الكريم
291	الفرع الثاني: الفرع الأول: مبدأ الرفق بالمتعلم في السنة النبوية
294	المطلب الرابع: مبدأ الفروق الفردية
294	الفرع الأول: مبدأ الفروق الفردية في القرآن الكريم
295	الفرع الثاني: مبدأ الفروق الفردية في السنة النبوية
299	المطلب الخامس: مبدأ دافعية التعلم
299	الفرع الأول: مبدأ دافعية التعلم في القرآن الكريم
301	الفرع الثاني: مبدأ دافعية التعلم في السنة النبوية
305	المطلب السادس: مبدأ إيجابية المتعلم وتعلمه الذاتي

305	الفرع الأول: مبدأ إيجابية المتعلم وتعلمه الذاتي في القرآن الكريم
308	الفرع الثاني: مبدأ إيجابية المتعلم وتعلمه الذاتي في السنة النبوية
<b>314</b>	<b>الخاتمة</b>
314	أولاً: الاستنتاجات الكلية:
315	ثانياً: الاستنتاجات الجزئية:
316	ثالثاً: توصيات البحث
316	رابعاً: مقترحات البحث
<b>318</b>	<b>الفهارس</b>
319	فهرس الآيات
326	فهرس الأحاديث
331	فهرس الأعلام
332	فهرس المصطلحات
332	فهرس المراجع
356	فهرس المحتويات
<b>365</b>	<b>الملخص</b>

## الملخص

تقوم العملية التعليمية التعلمية المثالية على أسس محددة تُسمى المبادئ التدريسية، وتمثل هذه المبادئ القواعد والأصول الضرورية للممارسات التربوية الصحيحة والذكية والفعالة، وقد سعت هذه الدراسة إلى استنباط تلك المبادئ من خلال تتبع المواقف التدريسية الواردة في الكتاب والسنة، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

وقد توصل البحث الى أنّ القرآن والسنة غنيان بالمبادئ التي تقوم عليها العملية التربوية، فيما يخصّ الأهداف والمحتويات والتقويم ومدرّس العلوم، وأنها مترابطة ومتكاملة فيما بينها، قابلة للتطبيق في المواقف المتنوعة ولدى الفئات المختلفة.

**كلمات مفتاحية:** مبادئ التدريس؛ التدريس الفعال؛ العملية التربوية؛ القرآن؛ السنة.

### **Abstract**

The ideal educational process is based on specific principles called teaching principles, they represent the rules necessary for correct and smart and effective teaching practices, This study has sought to derive those principles by tracking the teaching positions mentioned in Quran and Sunnah, the researcher used the descriptive analytical approach.

The research found that Quran and Sunnah are rich in principles on which the educational process is based, on educational objectives, educational contents, educational evaluation and the teacher, and that they are interrelated and complementary among them, and that they are applicable in various situations and among different groups.

**Keywords:** principles of teaching; effective teaching; educational process; Quran ; Sunnah.

### **Résumé**

Le processus éducatif idéal est basé sur des principes spécifiques appelés principes d'enseignement, ils représentent les règles nécessaires pour pratiquer l'enseignement correcte, intelligent, et efficace, cette étude a cherché à dériver ces principes en suivant les positions d'enseignement mentionnées dans le Coran et la Sunna, le chercheur a utilisé l'approche descriptive analytique.

La recherche a révélé que le Coran et la Sunna sont riches en principes sur lesquels le processus éducatif est basé, dans les objectifs pédagogiques, les contenus pédagogiques, l'évaluation pédagogique et l'enseignant, ils sont interdépendants et complémentaires, et qu'ils sont applicables dans les diverses situations et différents groupes.

### **Mots clés:**

principes d'enseignement; enseignement efficace; processus éducatif; Coran; Sunnah.